شبكة الألوكة
www.alukah.net

مخطوطات جامع عنيزة

مخطوطة (٦٤)

الثالث من تفسير
الفخر أبي بكر بن علي بن محمد الحداد، من الكهف إلى سبأ

الورقة الأخيرة ممزقة ذهب أكثرها، وهي آخر الجزء.

لكاتبه عفى الله عنه بمنه وكرمه امين امين

أشهد الله سرا وجهرا وكل من في البسيطة طرا
بانني لربي بذنبي معترف به مقرا
فان يعذب فمحض عدله وان يعف فهو له احرا

له ايضا عفى عنه امين

أليس الذي منّ بالاسلام علي قبل معرفة الاحكام
جديرا بان يغفر ذنوبي كلها ويدخلني بمنه دار السلام

له ايضا عفى عنه امين

يا نفس لا تقنطي ان رحمة الله واسعة
ومن عفوه لا تيأسي فان الآئه شاملة
فكيف لا يرجى بره وايادي فضله كاملة

فضله

وقف فلا
يصح بيعه

امانة بيد عثمان
بن مزيد
عفي عنه
امين

الجزء الثالث من تفسير كتاب
الله العزيز

تأليف

الفقيه الإمام العالم العلامة
الحبر الفهامة الورع
الزاهد فخر الدين
ابي بكر بن علي
بن محمد
الحداد
نفع الله
به

وقف لله تعالى
١٣٥٨

[redacted]

يحتوي الجزء

الكهف

سوره الكهف مريم طاه الانبيا الحج المومنين النور الفرقان

الشعرا النمل القصص العنكبوت الروم لقمن

السجده الاحزاب سبا

[illegible]

امانة بيد عثمان بن مزيد

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ يسروا عن يا كريم ۝

سورة الكهف مكية غير آيتين منها واصبر نفسك الى آخرهما وعدد حروف السورة ستة آلاف وثلثمائة وستون حرفا وكلماتها الف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وآياتها مائة وعشر آيات عند الكوفيين واحد عشر عند البصريين ۝

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اي الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ولم يجعل له عوجا اي لم يجعله ملتبسا لا يفهم ومعوجا لا يستقيم وقوله تعالى قيما اي مستقيما عدلا مستويا قيما على الكتب كلها ناسخا لشرائعها قوله تعالى لينذر بأسا شديدا من لدنه اي لينذر العبد الذي انزل عليه الكتاب بأسا شديدا اي لينذر الكفار عذابا شديدا من عند الله تعالى ۝ قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا اي مقيمين في ذلك الاجر خالدين فيه قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا اي ويخوف الكفار الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم قريش واليهود والنصارى فان قريشا قالوا الملائكة بنات الله واليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله قوله تعالى ما لهم به من علم ولا لآبائهم اي هم وآباؤهم كلهم مقلدة ليس لهم على ذلك بيان ولا حجة بل قالوه جهلا وافتراء على الله تعالى قوله تعالى كبرت كلمة تخرج من افواههم اي كبرت هذه الكلمة مقالتهم تلك كلمة تخرج من افواههم ما يقولون الا كذبا وكلمة نصب على التمييز وانما كبرت هذه الكلمة لان صاحبها يستحق بها العذاب ومن ذلك سميت الكبيرة كبيرة لان عقابها يزيد على استطاعة صاحبها ۝ قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا فيه نهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن اهلاك نفسه جزعا عليهم بسبب اعراضهم عن الايمان لشدة شفقته عليهم وحقيقة الاسف الحزن على ما فات ومعنى الآية فلعلك قاتل نفسك يقال بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا من شدة حزنه على الشيء او وجده بالشيء وقوله تعالى على آثارهم اي من بعدهم يعني من بعد توليهم واعراضهم عنك ان لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القرآن وقوله تعالى اسفا اي حزنا ۝ قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي انا جعلنا جميع ما على الارض من الاشجار والثمار والنبات والمياه والذهب والفضة والخواتيم منها زينة للارض وجعلناها محفوفة بالشهوات ۝ قوله تعالى لنبلوهم ايهم احسن عملا اي لنأمرهم فيظهر ايهم اعمل بطاعة الله هذا ام هذا وقال الحسن ايهم ازهد في الدنيا واترك لها وقال مقاتل ايهم اصلح فيما اوتي من المال ويحسن العمل ويزهد فيما زين له من الدنيا ۝ ثم بين الله تعالى انه يفني ذلك كله فقال تعالى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اي نجعل ما عليها من الحيوان والنبات ترابا يابسا مستويا في الارض والجرز الارض التي لا ماء فيها ولا نبات ويقال سنة جرز اذا كانت جدبة

وقال عطاء يريد يوم القيمة يجعل الله الارض جرزا لا ماء فيها ولا نبات ۝ قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اي لم يكونوا باعجب آياتنا فقد كان من آياتنا ما هو اعجب من ذلك قال الزجاج اعلم الله ان قصة اصحاب الكهف ليست بعجيبة لان خلق السموات والارض وما بينهما اعجب من قصة اصحاب الكهف ۝ والكهف الغار في الجبل والرقيم قيل هو واد دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه اصحاب الكهف وقيل الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه اسماء اهل الكهف وقصتهم ثم وضعوه على باب الكهف وهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم اي المكتوب والرقيم الخط والعلامة والرقم الكتابة ۝ قال ابن عباس وذلك ان قريشا بعثوا خمسة رهط الى اليهود يسألونهم عن امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم انه يزعم انه نبي مرسل واسمه محمد وهو فقير يتيم وبين كتفيه خاتم وانا نزعم انه يتعلم من مسيلمة فانه يقول انا رسول من عند الرحمن ونحن لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فلما اتى هؤلاء الرهط المدينة اتوا احبار اليهود وعلماءهم فسألوهم عنه ووصفوا لهم صفته وخاتمه فقالوا نحن نجده في التوراة كما وصفتموه ولكن سلوه عن ثلث خصال فان كان نبيا اخبركم بخصلتين ولم يخبركم بالثالثة فانا قد سألنا مسيلمة عن هذه الخصال فلم يدر ما هي وانتم سلوه عن خبر ذي القرنين وعن الروح وعن اصحاب الكهف فرجعوا واخبروا قريشا بذلك فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فابطأ عليه جبريل خمس عشرة ليلة وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزل جبريل بهذه الآية ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم اخبره عن اصحاب الكهف وحديث ذي القرنين وامر الروح وحدثه ان مدينة بالروم كان فيها ملك كافر يدعو الى عبادة النيران والاوثان ويقتل من خالفه وفي المدينة شاب يدعو الى الاسلام سرا فتابعه فتية من اهل المدينة ففطن بهم الملك فاخذهم ودفعهم الى آبائهم يحفظونهم فهربوا ومروا بغلام راع فتابعهم ومعه كلبه حتى اتوا غارا فدخلوه والقى الله عليهم النوم سنين عددا والملك طالب لهم لم يقف على امرهم وعمي عليه خبرهم فسدوا باب الكهف ليموتوا فيه ان كانوا هنالك ثم عمد رجل الى لوح رصاص فكتب فيه اسماءهم واسماء آبائهم ومدينتهم وانهم خرجوا فرارا من دين ملكهم في شهر كذا في سنة كذا والزقه بالسد وكان السد في داخل الكهف وذكر القصة الى آخرها فهذا اللوح الرصاص هو الرقيم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم قريشا بذلك فلما وافق النبي صلى الله عليه وسلم قول اليهود اخبرهم بخصلتين ولم يخبرهم بالثالثة قال كفار قريش ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ۝ وقال محمد بن اسحق كثرت في اهل الانجيل الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاوثان والاصنام وفيهم بقايا على دين المسيح بن مريم متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده وكان من فعل ذلك ملك من ملوكهم يقال له دقيانوس وكان قد عبد الاصنام وذبح للطواغيت فسار حتى دخل مدينة اهل الكهف وهي افسوس فلما دخلها عظم على اهل الايمان واستخفوا منه وهربوا

قصة اصحاب الكهف ۝

الى كل ناحية فامر دقيانوس ان يجمع له اهل الاسلام واتخذ شرطا من الكفار
من اهلها وامرهم باتباع المسلمين واحضارهم فجعلوا يتبعون المسلمين حتى اخذوهم
ومضوا بهم الى دقيانوس فخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمنهم من رغب في الحيوة
ومنهم من قال لا اعبد غير الله فيقتله فلما راى ذلك اهل الايمان جعلوا يصبرون
للعذاب والقتل فقتلهم وقطع لحومهم وربطها على سور المدينة ونواحيها كلها
وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت المحنة على المسلمين فلما راى الفتية ذلك قاموا وصلوا
واشتغلوا بالتسبيح والدعا الى الله تعالى وكانوا من اشراف الروم وكانوا ثمانية
نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه
الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم
البلا فبينما هم كذلك اذ دخلوا عليهم الشرط الى مصلاهم فوجدوهم سجودا يبكون
ويتضرعون الى الله ويسالونه ان ينجيهم من دقيانوس وفتنته فقالوا لهم ما خلفكم
عن امر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم الى دقيانوس واخبروه بخبرهم وقالوا
انت تجمع الجمع وهولا الفتية يعصون امرك فارسل لهم الشرط فاتوا بهم تفيض اعينهم
من الدمع معفورة وجوههم بالتراب فقال لهم دقيانوس ما منعكم ان تشهدوا الذبح
للاصنام وتعبدوها وتجعلوا انفسكم كغيركم اختاروا اما ان تعبدوا الاصنام
مثل الناس واما ان نقتلكم فقال مكسلمينا ان لنا الها تملا السموات والارض عظمته
لن ندعو من دونه الها ابدا ولن نفعل هذا الذي تدعونا اليه ولكنا نعبد الله ونسبحه
ونحمده خالصا من انفسنا اياه نعبد واياه نسال النجاة واما الاصنام فلا نعبدها
ابدا اصنع بنا ما بدا لك وقال اصحاب مكسلمينا كلهم لدقيانوس مثل هذه المقالة
فقال دقيانوس اني ساخركم وامهلكم حتى تراجعوا عقولكم واجعل لكم مدة تشتورون
فيها فان ابيتم طاعتي وخالفتم امري اوقعت بكم العقوبة وما يمنعني ان اعجل قتلكم الا اني
اراكم شبابا جديدا شبابكم فلا احب ان اهلككم حتى اجعل لكم مدة تنظرون فيها ما يصلح لكم
ثم امر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم وامر باخراجهم من عنده فعمد كل واحد
منهم الى بيت ابيه واخذ له منه زادا وخرجوا هاربين فمروا بكلب فتبعهم فطردوه ثم تبعهم
فطردوه ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تخشون مني انا احب احبا الله فمتى نمتم كنت
احرسكم وقال ابن عباس كانوا سبعة هربوا ليلا فمروا براع ومعه كلب فتبعهم على دينهم
فوصلوا الى كهف قريب من البلد فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلوة والصيام والتسبيح
والتكبير والتحميد وجعلوا نفقتهم على يد واحد منهم يقال له يمليخا وكان يشتري لهم
متاعهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا اراد ان يدخل المدينة
يضع ثيابا كانت عليه حسانا وياخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يسالون الناس ثم
ياخذ ورقه ويشتري طعاما ويتجسس الاخبار ويسمع هل يذكر هو واصحابه
ثم يعود الى اصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم ان دقيانوس الجبار شدد على من بقي من

المسلمين

٤

المسلمين وامرهم بالذبح للطواغيت وكان يمليخا حينئذ هناك متنكرا فسمع بان دقيانوس
يطلب الفتية ويسال عنهم فرجع يمليخا هاربا الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل
فاخبرهم ان دقيانوس يسال عنهم ففزعوا ووقعوا سجودا يتضرعون الى الله ويتعوذون
به من فتنتهم وذلك عند غروب الشمس فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على اذانهم في الكهف
وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما اصابهم وهم مؤمنون موقنون
ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد التمسهم دقيانوس فلم يجدهم فغضب غضبا شديدا
وارسل الى ابايهم فسالهم عنهم وقال اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا ما
ندري اين ذهبوا ولقد اخذوا اموالنا وهربوا بها وليس لنا في ذلك ذنب لانا لم
نعصك فلا تعاقبنا فيهم فخلا سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فبلغه الخبر
انهم ارتفعوا الجبل فالتمسهم هناك حتى وجدوا الكهف فالقى الله في نفسه ان
يامر بالكهف فيسد عليهم فقال دقيانوس سدوا باب الكهف ودعوهم فيه يموتوا
جوعا وعطشا وليكن كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون
ما يصنع بهم وقد توفى الله ارواحهم في النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف
وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال فبقي دقيانوس ما بقي ثم
مات وقرون بعده كثيرة وجات ملوك بعد ملوك وقيل ان دقيانوس لما اتى الى كهفهم
لطلبهم كان كلما اراد رجل ان يدخل عليهم الكهف ارعب فلم يطق الدخول فجعلوا يقولون
لو قدرنا على ان ندخل عليهم لقتلناهم فلما لم يستطع احد الدخول اليهم قالوا سدوا
عليهم باب الكهف ليموتوا جوعا وعطشا ففعلوا ذلك فلما مضى على ذلك قرون وازمان
جا راعي غنم الى الكهف بغنمه فادركه المطر عند الكهف ففتح الكهف ليدخل غنمه
فيه من المطر فوجدهم هناك فرد الله عليهم ارواحهم فجلسوا فرحين مستبشرين
وظنوا انهم اصبحوا من ليلتهم فقاموا الى الصلاة فصلوا لا يرى في الوانهم ولا في
اجسامهم شيا يكرهونه وهم يحسبون ان دقيانوس في طلبهم ثم قالوا ليمليخا ما الذي
قال الناس في شاننا بالامس فقال سمعت انهم يلتمسونكم فقال مكسلمينا يا اخوتاه
اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا طلبكم غدا فقالوا ليمليخا اذهب
الى المدينة استمع لنا الاخبار وما الذي يذكره الناس فينا عند دقيانوس وتلطف
ولا تشعرن بنا احدا واشتر لنا طعاما فانا قد اصبحنا جياعا فمضى يمليخا
وقد اخذ الثياب التي كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي عليها طابع
دقيانوس فدخل المدينة مستخفيا يصد عن الطريق لئلا يراه احد يعرفه فيعلم
دقيانوس ولم يعلم يمليخا ان دقيانوس وقومه قد هلكوا منذ ثلثمائة سنة فراى
يمليخا على باب المدينة علامة اهل الايمان فعجب وجعل ينظر يمينا وشمالا مستخفيا
ثم ذهب الى الباب الثاني فراى عليه كذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان يعرف
ثم راى ناسا كثيرا يتحدثون لم يكن راهم قبل ذلك فخيل اليه انه حيران وجعل يقول
لعل هذه غشية ثم سمع الناس يتحدثون بحديث اهل الاسلام ويحلفون بالله ويذكرون

عيسى بن مريم عليه السلام فقال لعل هذه مدينة اخرى فقام كالحيران فمر به انسان
فساله ما هذه المدينة قال هذه افسوس فقال لعلي ذاهب العقل ثم دخل السوق ليشتري
طعاما فاخرج الورق الذي كان معه فاعطاه رجلا وقال بعني بهذه طعاما فعجب
الرجل من نقشها وضربها ثم اعطاها رجلا من اصحابه لينظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها
بينهم من رجل الى رجل فقالوا هذا اصاب كنزا في الارض وجعلوا يتشاورون في امره
فلما راهم يتشاورون ظن انهم يريدون يمضون به الى دقيانوس ففزع فزعا شديدا
فقالوا له من انت يا فتى وما شانك والله انك وجدت كنزا من كنوز الاولين فاما ان
تشاركنا فيه ونخفي عليك امرك والا سلمناك الى السلطان يقتلك فقال في نفسه
قد وقعت في الذي كنت احذر منه فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم وفزع حتى انه
ما اطاق يخبرهم بشي فلما راوه لا يتكلم اشاعوا خبره وجعلوا يقودونه في سكك
المدينة وهم يقولون هذا رجل وجد كنزا فاجتمع عليه اهل المدينة فجعلوا ينظرون
اليه ويقولون ما هذا الرجل من اهل المدينة وما رايناه فيها قط ولا نعرفه ولو قال
لهم انا من اهل هذه المدينة لم يصدقوه وكان مستيقنا ان اباه واخوته في المدينة
وانهم سياتونه من جملة الناس اذا سمعوا خبره ثم انهم انطلقوا به الى رئيسي المدينة
ومدبري امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس والاخر اسطوس
فظن يمليخا حين مضوا به انهم يمضون به الى دقيانوس فرفع راسه الى السما وقال
اللهم اله السما واله الارض افرغ اليوم علي صبرا واولج معي روحا تويدني به عند
هذا الجبار فلما انتهوا به الى الرجلين الصالحين سكن خوفه فاخذ الرجلان الورق فنظرا
اليه وعجبا منه وقالا يا فتى اين الكنز الذي وجدته هذا ورق يشهد عليك انك وجدت
كنزا فقال يمليخا والله ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق اباي ونقش هذه المدينة وضربها
ولكن لا ادري ما شاني ولا ادري ما اقول لكم فقال احدهما فمن انت فقال اما ما ارى فكنت
ارى اني من اهل هذه المدينة فقال له من ابوك ومن يعرفك بها فانباهم باسم ابيه فلم يعرفوه
فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تخبر بالحق فلم يدر يمليخا ما يقول فقال رجل هذا مجنون
وقال اخر انه ليس بمجنون ولكنه يجن نفسه حتى يطلقوه ونظر اليه اخر شزرا وقال له
اتظن انا نصدقك ونطلقك فان هذا الورق لضربه اكثر من ثلثماية سنة وانت غلام
شاب وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار فقال يمليخا انبئوني بشي اسالكم عنه
قالوا سل قال ما فعل دقيانوس قالوا لا يعرف اليوم على وجه الارض ملك يسمى
دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ زمان طويل وهلكت بعده قرون كثيرة
فقال يمليخا والله لقد كنا فتية وانه اكرهنا على عبادة الاوثان فهربنا منه عشية
امس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما واتجسس الاخبار
فاذا انا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف اريكم اصحابي فلما سمع اريوس ما يقول
يمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من ايات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى فامضوا بنا
معه يرينا اصحابه فمضوا معه ومضى جميع اهل المدينة فلما سمع الفتية الذين في الكهف

الاصوات

الاصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم وقد كان ابطا عليهم يمليخا ظنوا انه
دقيانوس جا في طلبهم فسبق يمليخا القوم وجا اليهم فسالوه عن شانه فاخبرهم بالخبر
كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الزمان كله وانما اوقظوا ليكونوا اية
للناس وتصديقا للبعث وليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها فلما فرغ يمليخا من
كلامه قبض الله روحه وارواحهم وعمي على اولئك القوم باب الكهف فلم يهتدوا
اليه قوله تع اذ اوى الفتية الى الكهف اي اذكر لقومك اذ اوى الفتية يعني الشباب
الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة ننجو بها من قومنا وهيئ لنا من امرنا رشدا
اي اجعل لنا طريقا ومخرجا ترفعنا اليه وارشدنا الى ما يقربنا اليك قوله تع فضربنا
على اذانهم في الكهف سنين عددا اي انمناهم في الكهف سنين معدودة وهم احيا يتنفسون
ثم ايقظنا من نومهم لنعلم اي لنعرف غيرهم انه ليس فيهم ممن يعرف مقدار السنين التي
ناموا فيها والمراد باحدى الحزبين الفتية والاخر ناس ذلك الزمان وقيل اراد باحدى
الحزبين المومنين والحزب الاخر الكفرين قوله تع نحن نقص عليك نباهم بالحق اي نبين لك
خبرهم بالصدق انهم فتية اي شباب امنوا بربهم وزدناهم هدى اي ثبتناهم على الايمان
قوله تع وربطنا على قلوبهم اذ قاموا اي الهمنا قلوبهم الصبر وشجعناها حين قاموا
بحضرة الكفار بين يدي دقيانوس الذي كان يفتن اهل الايمان حتى قالوا بين يديه ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي كذبا
وجورا والمعنى ان عبدنا غير الله ودعونا معه الها اخر قلنا قولا ذا شطط
اي متجاوزا للحق في غاية البطلان قوله تع هولا قومنا اتخذوا من دون الله الهة
اي قالوا هولا قومنا عبدوا من دون الله الهة اي عبدوا الاصنام يعنون الذين
كانوا في زمن دقيانوس وقوله تع لولا ياتون عليهم بسلطان بين اي هلا ياتون
على عبادتهم لها ببرهان واضح قوله تع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي فمن
اظلم لنفسه ممن اختلق على الله كذبا بان جعل معه شريكا في العبادة وقوله تع واذ اعتزلتموهم
قيل ان القايل لهذا يمليخا وهو رئيس اصحاب الكهف قال لاصحابه اذا فارقتموهم
وتنحيتم عنهم جانبا اي عن عبدة الاصنام وما يعبدون وهذا حد الكلام ثم قال
الا الله يعني الا الله فلا تعتزلوه اي فلا تعتزلوا عبادته قوله تع فاووا الى الكهف
اي فصيروا الى الكهف واجعلوه ماواكم ينشر لكم ربكم اي يبسط لكم من نعمته ويهيئ
لكم ما ترتفقون به هنالك في معاشكم يكون مخلصا لكم من ظلم هولا الكفار قال ابن
عباس معناه ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه يقال فيه مرفقا بكسر الميم وفتح
الفا وفتح الميم وكسر الفا وكذلك في مرفق اليد قوله تع وترى الشمس اذا طلعت تزاور
عن كهفهم ذات اليمين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قرا اهل الكوفة تزاور بالتخفيف على حذف
احدى التايين وقرا اهل الشام ويعقوب تزور بوزن تحمر وكلها بمعنى واحد اي تميل
وفيه بيان ان الكهف الذي اووا اليه كان بابه نحو القطب الذي هو بقرب بنات نعش وكانت
الشمس تطلع مزاورة على باب الكهف عند الطلوع وعند الغروب وقوله تع ذات

اي قال بعضهم لبعض

اليمين اى ناحية اليمين قوله وادا غربت تقرضهم ذات الشمال اى تعدل عنهم وقال
الكلبى يقول اذا طلعت الشمس مالت عن كهفهم ذات يمين الكهف واذا غربت تتركهم
ذات الشمال يعنى شمال الكهف لا نصيبه وكان كهفهم فى ارض الروم اعلم الله انه تميل
عنهم الشمس طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها وتغير الوانهم قوله وهم فى
فجوة منه اى فى متسع من الكهف هيبا الله لهم مكانا واسعا لا يصيبهم فيه حر ولا سموم ولا
يتغير لهم ثوب ولا لون ولا رائحة لكن كان يناله منه نسيم الريح وبردها وقوله تعالى
تقرضهم ذات الشمال القرض هو القطع من قولهم قرضته بالمقراض اى قطعته كانه قال
تقطعهم ذات الشمال وقيل تعطيهم اليسير من شعاعها عند الغروب كانه شبهه بقرض
الدراهم التى تعطى ثم تسترد قوله ذلك من ايات الله اى ابقاؤهم طول المستين التى
ذكرها الله مع نياما لا يشتيقظون من دون طعام ولا شراب من ايات الله وقوله ومن
يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ظاهر المعنى قوله وتحسبهم
ايقاظا وهو قود اى تظنهم يا محمد منتبهين وهم نيام وانما كان يحسبهم الرائى منتبهين
لانهم كانوا نياما وهم مفتحوا الاعين وكانوا يتنفسون قوله ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال وقرا الحسن ونقلبهم بالتخفيف والمعنى ونقلبهم تارة عن اليمين الى الشمال
وتارة عن الشمال الى اليمين كما يتقلب النائم ليلا تاكل الارض اجسامهم ذكر وهب ان لهم
فى كل عام تقليبتين وعن ابن عباس فى كل عام مرة قوله وكلبهم باسط ذراعيه
بالوصيد اى على باب الكهف انامه الله كذلك والوصيد من قولهم اوصدت الباب واصدته
اذا اغلقته وقد يقال لذلك الاصيد ايضا وقيل الوصيد فناء الكهف وقال سعيد
من جبير الوصيد الرأب وقال السدى الوصيد الباب وقال عطاء عتبة الباب وكان
لون الكلب احمر كذا قال ابن عباس وقال مقاتل كان اصفر يضرب الى الحمرة وقيل كان كلون
الحجر وقيل كلون السماء وقال على رضى الله عنه كان اسمه ريان وقال ابن عباس قطمير
وقال سفين كان اسمه حمران وقال عبد الله بن سلام اسمه نشيط روى عن بعضهم
انه مما اخذ على الكلب ان لا يضرب احدا يقرأ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قوله
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا اى لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا لما البسهم الله
من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم ويبعثهم امر زقدتهم وقيل لانهم
كانوا فى مكان موحش من الكهف وقيل لان اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذى يريد ان يتكلم
وهم نيام وعن ابن عباس قال غزونا مع معوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه
اصحاب الكهف فقال معوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال ابن عباس ليس لك ذلك
قد منع الله من هو خير منك لكم فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم
رعبا فقال معوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا
فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم من الكهف قوله وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم اى وكذلك ايقظناهم كما نمناهم ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضا فقال قايل
منهم وهو رئيسهم ويسمى مكسلمينا كم لبثتم فى نومكم فى الكهف قالوا لبثنا يوما فلما

نظروا الى الشمس وقد بقى منها قالوا او بعض يوم ثم قاموا من الكهف فلما نظروا الى
اظفارهم واشعارهم علموا انهم لبثوا اكثر من يوم فقالوا ربكم اعلم بما لبثتم قوله فابعثوا
احدكم بورقكم هذه الى المدينة اى فابعثوا مليخا والورق الفضة مضروبة كانت او غير
مضروبة واما المدينة فهى افسوس وقيل طرسوس كان اسمها فى الجاهلية افسوس فلما
جاء الاسلام سموها طرسوس ومعنى الاية فابعثوا احدكم بدراهمكم هذه الى السوق فلينظر
ايها ازكى طعاما اى احل ذبيحة لان عامتهم كانوا مجوسا وفيهم مومنون يخفون ايمانهم
وقيل اطيب خبزا وابعد من الشبهة لان ملكهم كان يطلع الناس على طعامهم وكانوا يحسبون
ان ملكهم دقانوس الكافر وقال عكرمة معناه اكثر وافضل وعن ابن عباس المراد الزكاة هو الزيادة
قوله وليتلطف اى يترفق ولا يغبن قوله وليطف اى يتلطف اى يترفق
فى الذهاب والمجى وفى دخوله المدينة حتى لا يعرفه الكفار ولا يشعرن بكم احدا اى لا يخبرن
احدا من اهل المدينة بمكانكم قوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم اى انهم ان علموا مكانكم
رجموكم بالحجارة حتى يقتلوكم وقيل يشتموكم ويوذوكم وكان من عادتهم القتل بالرجم وهو
اخبث القتل قوله او يعيدوكم فى ملتهم اى الى دينهم الكفر ولن تفلحوا اذا ابدا
اى ان عدتم الى دينهم ولم تظفروا بخير الدنيا والاخرة فان قيل ليس لو اكرهوهم والطهروا
الكفر لم يكن فى ذلك مضرة عليهم قيل يحوز ان لم يكن فى شريعة الاسلام جواز اظهار
كلمة الكفر على وجه التقية قوله وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق
اى اطلعنا عليهم وذلك انهم لما بعثوا ابورقهم على يد مليخا ومضى الى السوق واراد ملكهم
مسلم قد اطلع على ذلك الامر وقال الخباز يعنى من طعامك
هذا الورق فلما راى الخباز دراهمه انكرها وقال له من اين هذه وقد ضربت ضد ملكه
سنة فاما ان تعطينى من هذا الكنز او ادفعك الى الملك فانت وجدت كنزا فحمله الى
الملك فلم يجد بدا من ان يذكر للملك قصتهم فجا الناس معه الى باب الكهف وهو قبلهم
واخبر اصحابه باب الملك اتاهم فجعلوا يبكون اخطم القوم عليهم فسالوهم عن امرهم
فقصوا عليهم قصتهم فنظروا فاذا اللوح من الرصاص فيه اسماؤهم وفرارهم من دقيانوس
فقال الملك هؤلاء قوم هلكوا فى زمان الكافر فاحياهم الله فى زماني وحسبوا المدة
فوجدوها ثلثمائة وتسع سنين وبعثهم حديثهم اذ ضرب الله على اذانهم قوله
قوله عن ابن عباس وذهب عكرمة الى ان القوم دخلوا المكان وقد ضرب الله على اذانهم
فهذا معنى قوله وكذلك اعثرنا عليهم قوله ليعلموا ان وعد الله حق ليعلم الملك
وقومه وغيرهم ان البعث بعد الموت كائن وان القيمة لا شك فيها قوله اذ يتنازعون
بينهم امرهم قيل كان التنازع فى دين وقال بعضهم لبعض انهم قد ماتوا فى الكهف وقال بعضهم
بل ناموا كما كانوا من قبل وسيوقظهم الله من بعد وقيل كانوا يتنازعون فى البناء
كما قال قوله فقالوا ابنوا عليهم بنيانا اى قال بعضهم نبنى عليهم بنيانا كما تبنى المقابر كى
تستروهم عن الناس وقال بعضهم بل نبنى فى هذا الموضع مسجدا يعبد الله فيه وهو

قول الذين غلبوا على امرهم وهم رؤساؤهم ۝ قوله تعالى ربهم اعلم بهم اى اعلم بلبثهم
ورقادهم واحوالهم لان قوم الملك تنازعوا فى قدر مكثهم فى الكهف وقال بعضهم
وفيما يفعلون بعد ذلك ۝ قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الاية وذلك ان اهل
الكتاب الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اهل هذه الصفة مختلفون فى عددهم
روى ان السيد والعاقب واصحابهما من النصارى واهل نجران كانوا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب كانوا
خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب اى ظنا من غير يقين كانهم يرجمون بالقول فيهم بالغيبة عنهم ۝
وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال بعضهم هذه الواو واو الثمان وذلك ان العرب
تقول واحد اثنان ثلثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد عندهم سبعة كما هو اليوم
عندنا عشرة نظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون وقوله فى صفة اهل الجنة
وفتحت ابوابها وقوله فى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وابكارا قوله تعالى قل ربى اعلم بعدتهم
اى قل ربى اعلم كم كان عددهم ۝ وقوله تعالى ما يعلمهم الا قليل عنى به الرسول صلى الله عليه وسلم
لانه تعالى اخبره بعددهم وامره ان لا يمارى من ادعى معرفة عددهم الا بان يبين له انه بقوله بغير
حجة ولا خبر عنده من الله تعالى فان هذا العلم ليس هو عند اهل الكتاب وهذا هو المراء الظاهر
وقوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا اى لا تستفت فى اصحاب الكهف من اليهود واهل
الكتاب احدا فالخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه كان مستغنيا باخبار
الله اياه عن ان يستفهم ۝ وعن ابن عباس انه قال انا من القليل الذى يعلم عددهم كانوا
سبعة وثامنهم كلبهم وانما عرفه سماعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ولا تقولن
لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله اى لا تقل انى سافعل شيئا حتى تقرن به قولك ان شاء
الله فلعلك لا تبقى الى الغد او لا تقدر عليه من الغد ۝ قال المفسرون لما سالت
اليهود النبى صلى الله عليه وسلم عن خبر الفتية وعدهم ان يخبرهم غدا ولم يقل ان شاء الله
فحبس عنه الوحى حتى شق عليه فانزل الله هذه الاية يامره بالاستثناء بمشية الله
قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت قال ابن عباس ومجاهد معناه اذا نسيت الاستثناء
ثم ذكرته فاستثن وقال سعيد بن جبير اذا قلت لشىء انى فاعل غدا ونسيت الاستثناء
بمشية الله ثم تذكرت فقل ان شاء الله وان كان بعد يوم او شهر او سنة ۝ وعن ابن عباس
ان معناه اذا حلفت على شىء ونسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن مكانك وقل ان شاء الله
ولو كان الى سنة ما لم تحنث وقال الحسن له ان يستثنى فى اليمين ما لم يقم من المجلس
وقال ابرهيم وعطاء والشعبى لا يصح الاستثناء الا موصولا بالكلام فيكون المعنى على
هذا القول واذكر ربك اذا نسيت اى اذا نسيت شيئا فادع الله حتى يذكرك وقال
عكرمة معناه واذكر ربك اذا غضبت قال وهب مكتوب فى الانجيل يا ابن ادم اذكرنى
حين تغضب اذكرك حين اغضب وقال الضحاك والسدى هذا فى الصلوة لقوله صلى الله
عليه وسلم من نسى صلاة او نام عنها فليصلها اذا ذكرها ۝ قوله تعالى وقل عسى ان يهدينى
ربى لاقرب من هذا رشدا اى قل عسى ان يعطينى ربى من الايات والدلالات على النبوة

مطلب

بيان مطلب ونظيره

فائدة

مطلب قل ان شاء الله ولو بعد يوم او شهر او سنة قاله سعيد بن جبير وقال ابن عباس لو كان الى سنة

مايكون

ما يكون اقرب فى الرشد وادل من قصة اصحاب الكهف ۝ قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم
ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا يعنى من يوم دخلوا الكهف الى ان بعثهم الله واطلع عليهم الخلق
قال الفراء والزجاج والكسائى التقدير سنين ثلثمائة لان التفسير لا يكون بلفظ الجمع ۝
وقال ابو على الفارسى سنين بدل من ثلثمائة وقرا حمزة ثلثمائة سنين مضافة غير منونة وقال
الضحاك نزل قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا اياما او شهورا او سنين فنزل سنين ولذلك
لم يقل سنة قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اى بمقدار ما لبثوا له غيب السموات والارض اى له العلم
بكل مستور عن الخلق فى السموات والارض وفى قعر البحار وقوله تعالى ابصر به واسمع اى اذكر بذلك
الناس فهو من خفى صفاته وقيل معناه ما ابصر الله بكل موجود وما اسمعه بكل مسموع ۝
قوله تعالى ما لهم من دونه من ولى اى ما لاهل السموات والارض من دون الله من ولى ولا ناصر
وقوله تعالى ولا يشرك فى حكمه احدا اى لا يشرك فى امره احدا غيره وقرا ابن عباس ولا
تشرك على المخاطبة اى لا تشرك ايها الانسان على النهى ۝ قوله تعالى واتل ما اوحى اليك
من كتاب ربك اى اقرا عليهم القران وعرفهم انه الحق لا تبديل لكلماته ولا خلف لخبره ولا مغير له ۝
قوله تعالى ولن تجد من دونه ملتحدا اى ملجا ومعدلا تهرب اليه من قولهم لحدت الى كذا
اذا ملت اليه ومنه اللحد لانه يمال به الى ناحية القبر ومنه الالحاد فى الدين الميلان
عنه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه
نزلت الاية فى سلمان الفارسى وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وخباب وعامر بن فهيرة
وغيرهم من الفقراء كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم وكان مع سلمان شملة قد عرق فيها اذ دخل
عيينة بن حصن الفزارى فقال يا محمد انا رؤس مضر واشرافها وانه والله ما يمنعنا من
الدخول عليك الا هذا يعنى سلمان واصحابه ولو انا اذا دخلنا عليك اخرجتهم عنا لاتبعناك
انه ليؤذينا ريحه اما تؤذيك ريحه فانزل الله تعالى فى سلمان واصحابه هذه الاية ۝
ومعناها واحبس نفسك ايها النبى مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه
اى رضوانه وتعظيمه قوله تعالى ولا تعد عيناك عنهم اى لا تصرف بصرك عنهم لفقرهم الى
غيرهم من ذوى الهيئات والزينة وقوله تعالى تريد زينة الحيوة الدنيا اى مجالسة اهل الشرف
والغنا وتريد ههنا فى موضع الحال اى مريدا قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه يريد عيينة واتباعه اى لا تطعهم فى تنحية الفقراء عنك ليجلسوا
اليك ومعنى اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى جعلناه غافلا عن القران والاسلام وقوله تعالى وكان
امره فرطا اى ضياعا وندما وقيل هلاكا وقيل مخالفا للحق وقيل باطلا وقيل معناه
ضيع امره وعطل ايامه قوله تعالى وقل الحق من ربكم اى قل القران والدلالات على وحدانية الله
ونبوة رسوله هو الحق من ربكم والحق مرفوع على الحكاية وقيل خبر مبتدا مضمر اى هو الحق
والمعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس الذى اتيتكم به الحق من ربكم
لم اتكم به من قبل نفسى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر تهديد بلفظ التخيير والمعنى
من شاء فيؤمن ومن شاء فيكفر فقد اعد لكم نارا على كفركم احاط بكم سرادقها قال ابن عباس

فائدة نحوية

مطلب

السرادق حايط من النار يحيط بهم وقيل دخان يحيط بهم قبل ان يصلوا الى النار وعن
ابى سعيد الخدرى قال سرادق النار اربع جدر غلظ كل جدار مسيرة اربعين سنة فهذه
الجدر محيطة بهم وقال ابن عباس معنى الاية ممن شأنه الايمان امن وممن شأنه الكفر كفره
قوله تع وان يستغيثوا يغاثوا اما كالمهل معناه وان يستغيثوا من شدة الحرارة يغاثوا
بماء كعكر الزيت اسود غليظ وقيل ان المهل هو الصديد المذاب وقال هو القيح والدم
وقوله تع يشوى الوجوه اى اذا قرب ليشربه انضج الوجه لحرارته واسقط فروة وجهه
ولحمه فيبس الشراب وساءت النار مرتفقا اى بئس متكأهم ماخوذ من المرفق لانهم
يتكيون على مرافقهم وقيل معناه وساءت مقرا ومقاما وقيل مجتمعا ماخوذ من الرفقة
قوله تع ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر احسن عملا منهم بل لجازاتهم
ذكر جزاهم اى لا نبطل ثواب من اخلص عملا لله تع ونحو ان يكون معناه انا لا نضيع اجر
من احسن عملا منهم بل لجازاتهم ثم ذكر جزاهم فقال اولئك لهم جنات عدن اى بساتين اقامة وقد
ذكرنا صفة جنات عدن قوله تع يحلون فيها من اساور من ذهب اى يلبسون فى الجنان
ذلك قال الزجاج اساور جمع اسوره واسورة جمع سوار وهو زينة تلبس فى الزندين
اليد من زينة الملوك يسور فى اليد ويتوج على الراس كان لكل حبر يحلى كل واحد منهم
ثلثة من الاساور واحد من فضة وواحد من ذهب وواحد من لولو وياقوت
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لواذ فى اهل الجنة حلية لحلية حليته حلية اهل
الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به فى الاخرة افضل من حليه اهل الدنيا جميعا قوله تع
ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق الخضر جمع اخضر وهو احسن ما يكون من الثياب
والسندس الديباج الرقيق الفاخر وقيل هو الحرير وواحد السندس سندسة والاستبرق
الديباج الغليظ الذى لم يرق قوله تع متكئين فيها اى فى الجنان على الارائك اى على السرر
فى الحجال وهى من ذهب مكللة بالدر والياقوت نعم الثواب جزاء اعمالهم وحسنت ارتفاقا
مرتفقا اى متكاء قوله تع واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الاية
هذا مثل ضربه الله لعباده ليستدعيهم الى طاعته ويزجرهم عن كفران نعمته والمعنى واضرب
لهم مثلا رجلين قال ابن عباس كانا اخوين فى بنى اسرائيل توفى ابوهما وترك لهما الفى دينار وكان
احدهما مسلما والاخر كافرا فاصاب كل واحد منهما اربعة الاف دينار فالمسلم انفقها
فى سبيل الله حتى انفدها فاوجب الله له الجنة والكافر اشترى بها بساتين فاحتاج المسلم
الله فاتاه يتعرض اليه فقال له اين مالك فقال انفقته فى سبيل الله فقال له الكافر لا اعطيك
شيئا حتى تتبع دينى ثم اخذ بيد اخيه فادخله بستانيه وجعل يطوف به فيها وهو يقول
ما اظن ان يبيد هذا ابدا فذلك قوله تع جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب اى جعلنا للكافر
منهما بستانين من كروم وجعلنا حول البستانين نخيلا وجعلنا بين البستانين زرعا اى مزرعة
قوله تع كلتا الجنتين اتت اكلها اى كلا البستانين اخرجت ثمرها ولم تنقص منه شيئا كما لا يذهب
صنف الثمار الا الثمر صنف اخر وانما قال اتت ولم يقل اتتا لان المعنى اعطت كل
واحدة من الجنتين وقيل لفظ كلتا واحدة لان الالف فى كلتا ليست الف تثنية كانه قال
كل واحد منهما اتت اكلها قوله تع وفجرنا خلالهما نهرا اى وسطهما والخلال الوسط البستانين نهرا

يسقيهما

مطلب
نكتة
٨

يسقيهما وكان له ثمر اى كان لهذا الكافر ذهب وفضة ومن كل المال وقيل ثمار من قرأ ثمر
بضم الثاء فمعناه صنوف من الاموال الذهب والفضة وغيرهما يقال ثمر الرجل اذا كثر ماله ومن
قرأ بنصب الثاء كان معناه ثمر البساتين والاول اولى لان قوله كلتا الجنتين اتت اكلها يدل على الثمار
فاقتضى ان يكون الثمر غيرذلك قوله تع فقال لصاحبه اى لاخيه المسلم وهو محاورة اى مراجعة
فى الكلام ويفاخره انا اكثر منك مالا واعز نفرا يعنى خدما وحشما وولدا فاضاف ذلك الى اخيه
وراى ذلك النعم من قبل نفسه لان الله تع قوله تع ودخل جنته وهو ظالم لنفسه اى دخل
الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بالكفر وترك الشكر قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا اى ما
اظن ان تفنى هذه ابدا قال المفسرون لما دخل اخيه المسلم وادخله جنته وطاف به فيها
واراه اياها وجعل يعجبه منها ويقول ما اظن ان تفنى هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة انكر
البعث والثواب والعقاب واخبر اخاه بكفره وانكاره للبعث قوله تع ولئن رددت
الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا يعنى لان كان البعث حقا وردت الى ربى على زعمك
لاجدن فى الاخرة خيرا منكم مرجعا ومنزلا ولم يعطنى الله هذه فى الدنيا الاولى عنده
افضل منها لكرامتى عليه قوله تع من قرأ منهما معناه الختين اللتين تقدم ذكرهما وفى هذا
بيان ان هذا الكافر لم يكن واطعا بالنفى المعاد ولكن كان شاكا فيه والشاك فى المعاد كافر
قوله تع قال له صاحبه وهو محاورة اى اجابه صاحبه المسلم منكرا له عاقلا وهو
مخاطبة اكفرت بالذى خلقك من تراب اى بالذى خلق اصلك من تراب ثم خلقك من نطفة ثم
سواك رجلا اى اكملك وجعلك معتدل الخلق والقامة وجعلك بشرا سويا قوله تع لكنا
هو الله ربى معناه اما انا فلا اكفر مرى لكن هو الله ربى تقديره لكن انا هو الله ربى وحذف الهمزة
تقديم وتاخير تقديره لكن الله هو ربى اعلم بذلك اخاه الكافر بانه موحد مسلم ومن قرأ لكنا
فالمعنى لكن انا الا انه حذفت الهمزة والقيت حركتها على الساكن الذى قبلها فالتقى نونان فادغمت
احداهما فى الاخرى قوله تع ولا اشرك بربى احدا ظاهر المراد قوله تع ولولا اذ دخلت
جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله معناه ان المسلم قال للكافر هلا قلت حين دخلت جنتك ما
شاء الله اى الامر بمشية الله وما شاء الله كان يعنى ان ما الله خراجه هذه الجنة وانماكها كان ذلك
بمشية الله لا قوة الا بالله اى لا يقوى احد على ما فى يده من ملك وغيره الا بالله ولا يكون له الا ما
شاء الله ولا قوة الا بالله فى بدنه وملكه الا بالله قوله تع ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
معناه ان المسلم قال له ان كنت انا اقل منك مالا وعشيرة فانا ارجو من ربى ان يعطينى خيرا مما قسم لى وقوله تع
اقل منصوب لانه مفعول ترنى وقوله تع انا عامد من قرأ اقل بالرفع فعلى معنى انا مبتدا
واقل خبره والجملة فى موضع المفعول قوله تع فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك اى لعل
الله يعطينى فى دار البقاء خيرا من بستانك فى الدنيا ويرسل على بستانك حسبانا من السماء
اى نارا من السماء فتحرقها وسمى العذاب حسبانا على معنى انه يرسل عليها حسابا ما انفقت
ذلك وقال النضر يرسل الحسبان المرامى اى يرسل عليها مرامى عذابه اما بردا واما حجارة
وغيرها مما يشاء من انواع العذاب فتصبح صعيدا زلقا اى ارضا ملسا لا نبات عليها قوله تع
او يصبح ماؤها غورا اى غائرا فى الارض يعنى النهر الذى فى خلالها فلن تستطيع له طلبا
اى لا يبقى له اثر تطلبه بوجه من الوجوه لا تناله الايدى ولا الارشية قوله تع واحيط
بثمره اى اهلك ماله وبستانه يقال احيط بالقوم اذا اهلكوا فاصبح الكافر يقلب كفيه
اى ضرب احدى يديه على الاخرى وتقليب الكفين يفعله النادم كثيرا فصار عبارة عن الندم على

نكتة
٨

فائدة

فائدة

كسبت

ما انفق فيها اي في جنته وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها ويقول
يا ليتني لم اشرك بربي احدا فندم حين لا ينفعه الندم ولم يكن تندمه على اشراكه ايمانا
منه لانه لم يقله تحقيقا للتوبة ولكن كان يتاسف على هلاك ماله ٥ قوله تعالى ولم تكن له
فئة ينصرونه من دون الله اي لم تنصره الفئة الذين افتخر بهم في قوله واعز نفرا وما كان
منتصرا بان يسترد بدل ما ذهب منه قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق اي في ذلك الموطن
علم الكافر ان الولاية بالنصر لله الحق فهو الذي يملك النصر هذا على قراءة الولاية بخفض
الواو واما الولاية بفتح الواو فهو نقيض العداوة وقيل ان معنى قراءة الولاية بالكسر
الاجارة والسلطان يعني في يوم القيمة الولاية لله ومن قرا بفتحها فهو من الموالاة
كقوله الله ولي الذين امنوا يعني انهم يومنون بالله يومئذ ويتبرون مما كانوا يعبدون من
دونه وقوله تعالى الحق من قراه بالكسر فهو نعت لله ومن رفعه فهو نعت للولاية ٥ قوله تعالى
هو خير ثوابا اي هو خير من اثاب وجازى على العمل وخير عقبا اي خير من اعقب عاقبة وقيل عاقبة
طاعته خير من عاقبة طاعة غيره قال ابن عباس هذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله في سورة
الصافات قال قائل منهم اني كان لي قرين الى قوله تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم قوله تعالى واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السماء الاية اي اضرب يا محمد لهولاء المتكبرين المترفين من قومك الذين
سالوك طرد فقراء المومنين صفة الحيوة الدنيا في بقائها وفنائها كما انزلناه من السماء فنجع في النبات
حتى خالطه واخذ النبات زخرفه فصار اجناسا مختلفة بعضها مختلط ببعض فاصبح
هشيما متفتتا والهشيم ما تكسر وتحطم ثم فرقته الرياح وطارت به كما تطير بالاشياء
الخفيفة فلا يبقى له اثر كذلك تفنى فلا يبقى منها شي كما لا يبقى من الهشيم شي وكان الله على كل شي
مقتدرا اي لم يزل قادرا على خلق الاشياء قالت الحكماء شبه الله الدنيا بالماء لان الماء لا يستقر
في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على احد ٥ قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا اي مما
ينتفع به في الدنيا لا في الاخرة والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا قيل انها الصلوات
الخمس وقيل جميع الطاعات وسميت الباقيات لبقاء ثوابها للانسان بخلاف الاموال والاولاد
التي لا تبقى وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر يدل عليه ما روى ابو الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ غصنا فحركه حتى
سقط ورقه فقال ان المسلم اذا قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
تحاتت خطاياه كما تحات هكذا خذهن اليك يا ابا الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن
فانهن من كنوز الجنة وهن الباقيات الصالحات ٥ وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانهن المقدمات وهن المنجيات وهن المعقبات
وهن الباقيات الصالحات ٥ وقال عثمان بن عفان وابن عمر وسعيد بن المسيب هن سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ٥
وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات
الصالحات قيل ما هي يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح ولا حول ولا قوة
الا بالله ٥ وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه

وعن

فايده

الدنيا

فايده

حديث ابي الدرداء رواه الفرابي في الفردوس

مطلب سبحان الله والحمد لله

وعن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
فانها من الباقيات الصالحات وقيل هي كل صالح يثاب عليه ٥ قوله تعالى خير عند ربك ثوابا وخير
املا اي افضل ثوابا وافضل املا من المال والبنون ٥ قوله تعالى ويوم نسير الجبال
وترى الارض بارزة اي واذكر يوم تسير الجبال ويجوز ان يكون المعنى وخير املا يوم تسير الجبال
وتسييرها قلعها فان الله تعالى يقلعها عن وجه الارض يومئذ فيسيرها في الهواء كما يسير السحاب
في الدنيا ثم يجعلها هباء منبثا فتعود في الارض حتى لا يبقى شي ولذلك قال تعالى وترى الارض بارزة
اي ظاهرة مستوية لا يستر شي شيئا ولو كان يبقى شي من الجبال والاشجار والبنيان لم تكن الارض
بارزة ٥ قوله تعالى وحشرناهم يعني المومنين والكفرين اي بعثناهم من قبورهم فلم نغادر منهم احدا
اي لم نترك منهم احدا في قبره لنسيان ولا غفوة ٥ قوله تعالى وعرضوا على ربك صفا معناه ان الناس
كلهم يعرضون على الله تعالى مصفوفين كل زمرة وامة صف فيكونون صفا بعد صف كصفوف
الصلوة الا انهم صف واحد ٥ قوله تعالى لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة اي اعدناكم
كما خلقناكم اول مرة ٥ وقال ابن عباس معناه حفاة عراة ليس معهم شي مما اكتسبوه في
الدنيا كما في اول الخلق قال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة من قبورهم عراة حفاة
غرلا فقالت عائشة واسوتاه يا رسول الله اما يستحيي بعضهم من بعض فقال صلى الله عليه وسلم
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قوله تعالى بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اي بل زعمتم
في الدنيا ان لن نجعل لكم اجلا للبعث وهذا خطاب لمنكري البعث خاصة قوله تعالى
ووضع الكتاب اي كتاب كل انسان في يده بعضهم في اليمين وبعضهم في الشمال فترى المجرمين
اي المذنبين وهم المشركون مشفقين مما فيه اي خائفين مما في الكتاب يدعون على انفسهم بالويل
والثبور ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال ابن
عباس الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك وقال ابن جبير الصغيرة المسيس والتقبيل والكبيرة
الزنا والمعنى لا يترك صغيرة ولا كبيرة من اعمالنا الا اثبتها قوله تعالى ووجدوا ما عملوا
حاضرا اي وجدوا جزاء ما عملوا مكتوبا مثبتا في الكتاب ولا يظلم ربك احدا اي لا ينقص
من حسنات احد ولا يزيد في سيئات احد ولا يعاقب بغير جرم ٥ روي ان الفضيل بن عياض
كان اذا قرا هذه الاية قال ضجوا والله من الصغار قبل الكبار ٥ قوله تعالى واذ قلنا
للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قد تقدم تفسيره وقوله تعالى كان من الجن قد تقدم
ايضا الاختلاف في انه كان من الملئكة ام من الجن بني الجان والصحيح انه من بني الجان وهم
جنس غير جنس الملئكة لان الملئكة رسل الله ولا يجوز على رسول من رسل الله ان يكفر ٥
قوله تعالى ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعة ربه وقيل رد امر ربه افتتخذونه وذريته
اولياء من دوني هذا استفهام بمعنى الانكار يقول كيف تطيعونه وقد فسق وهو اليوم عدو لكم
بئس ما استبدل الظالمون عن رب العزة ابليس لعنه الله حيث تركوا طاعة من خلقهم وانعم
عليهم ويجازيهم بجنة الخلد واطاعوا من يؤديهم الى العقاب الدائم قوله تعالى وذريته قال
قتادة والحسن يعني اولاد ابليس وهم يتوالدون كما يتوالد بنوا ادم قال مجاهد فمن ذرية ابليس
ولهان وهو صاحب الطهارة والصلوة وزلنبور صاحب راية ابليس بكل سوق وثبر صاحب

فايده

الجن بني الجان

المصايب بامر يضرب الوجه والدعا بالويل والثبور وغير ذلك والاعور وهو صاحب
ابواب الزناة ومسوط وهو صاحب الاخبار ياتي بها فيلقيها في افواه الناس فلا يوجد
لها اصل وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله ضره في
المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه واذا اكل ولم يذكر اسم الله اكل معه ومن اولاد
ابليس ايضا الهفاف ومرة وبه كان يكنى ابا مرة وقال ابن زيد ان ابليس ابو الجن
كما ان ادم ابو الانس قال الله تعالى لابليس اني لا اخلق لادم ذرية الا جعلت لك مثلها فليس من
ولد ادم احد الا بشيطان قرن به قوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم يعني ابليس وذريته والمعنى ما اطلعتهم على خلق السموات والارض ولا احضرتهم
ولم يكونوا موجودين يوم خلقت السموات والارض ولا اشهدت بعضهم خلق بعض ولا اعطيتهم
العلم بكيفية خلق الاشيا ولو كنت ممن يستعين باحد لما استعنت بالمضلين فكيف والاستعانة
علي مستحيلة اذا اردت خلق شي كان والمعنى انكم اتبعتم الشياطين كاتباع من يكون عنده
علم باطن الاشيا وانا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم قوله تعالى
وما كنت متخذ المضلين عضدا اي ما كنت متخذ الشياطين الذين يضلون الناس اعوانا يعضدونني
ومن قرا وما كنت بالفتح فالمعنى وما كنت يا محمد لتتخذ المضلين انصارا قوله تعالى ويوم
يقول نادوا شركاي الذين زعمتم معناه يوم القيمة يقول الله للمشركين نادوا شركاي
الذين زعمتم انهم شركاي وهم الاصنام والشيطان وذريته ليدفعوا عنكم عذابي فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم وجعلنا بينهم موبقا اي جعلنا بين العابد والمعبود
من العذاب ما يوبقهم اي يهلكهم وقيل معناه وجعلنا بينهم وبين المومنين اي بين اهل الهدى
واهل الضلالة موبقا قال عبد الله بن عمر هو واد في جهنم من الصديد والقيح والدم يفرق به
يوم القيمة بين اهل لا اله الا الله ومن سواهم وقال عكرمة هو نهر من النار يسيل نارا على حافتيه
حيات مثل البغال الدهم وقال الضحاك معناه وجعلنا بينهم مهلكا وقال الحسن عداوة ويقال
اوبقه الله اي اهلكه ووبق اي هلك قرا حمزة ويوم نقول بالنون قوله تعالى وراى المجرمون النار
فظنوا انهم مواقعوها اي وراى المشركون النار من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة الشي بشدة
ومنه وقايع الحروب قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل اي بينا لهم من كل مثل
يحتاجون اليه في امر دينهم وكان الانسان اكثر شي جدلا اي الكافر اكثر شي جدلا في تكذيب الرسل
وما جاوا به من الايات قيل اراد بالانسان النضر بن الحرث وجداله في القران وقال الكلبي يعني ابي بن خلف
ويقال معناه ليس شي من الملايكة والجن والشياطين وساير الاصناف اجدل من الانسان وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اعطوا الجدل قوله تعالى وما منع
الناس ان يومنوا اذ جاهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا
اي ما منع اهل مكة ان يومنوا اذ جاهم الهدى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم جاهم من الله تعالى بالرشاد ويستغفروا
ربهم اي يتوبوا من الكفر ما منعهم من ذلك الا طلب ان تاتيهم سنة الاولين وهو انهم اذا لم يومنوا جاهم
العذاب من حيث لا يشعرون او مقابلة من حيث يرون وهذه الاية فيمن قتل من المشركين ببدر
واحد وهو قوله تعالى او ياتيهم العذاب قبلا اي عيانا مقابلة وقرا اهل الكوفة قبلا بضم القاف والباء
جمع قبيل اي صنوف من العذاب وضروب منه مختلفة قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين

وايقنوا انهم داخلوها ولم يجدوا عنها معدلا يعدلون اليه لانها احاطت بهم

بانب صح

ومنذرين

ومنذرين ظاهر المعنى ويجادل الذين كفروا بالباطل اي يخاصم الذين كفروا بالكتاب والرسل بالحجة
الباطلة ليدحضوا به الحق اي ليبطلوا بها الاسلام والقران قال ابن عباس يعني المستهزئين
والمقتسمين واتباعهم يقال دحضت حجته اذا بطلت قوله تعالى واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا
اي واتخذوا القران وما خوفوا به من النار والقيمة هزوا قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه
الاية اي ليس احد اظلم ممن وعظ بالقران وما فيه من الوعيد فاعرض عنها اي تهاون بها ولم يتفكر
فيها قوله تعالى ونسي ما قدمت يداه اي وترك ذكر ما عملت يداه وتغافل عن ذكره انا جعلنا
على قلوبهم اكنة اي اغطية لئلا يفقهوا الهدى وجعلنا في اذانهم وقرا لئلا يسمعوه قوله تعالى
وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي ان تدعهم الى القران والى الايمان فلن يهتدوا
اخبر الله ان هولا طبع على قلوبهم قوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة اي الغافر الساتر على
عباده ذو الرحمة حين لم يعاجلهم بالعقوبة لو يواخذهم بعقاب ما كسبوا لعجل لهم العذاب
في الحال بل لعذابهم اجل ضربه الله لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجا ولا منجا قوله تعالى
وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا اي القرى الماضية قرى عاد وثمود لما اشركوا والمراد اهل القرى
وجعلنا لمهلكهم موعدا اي لوقت اهلاكهم اجلا قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح اي
واذكر اذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون قال ابن عباس وقصة ذلك ان موسى عليه السلام قام خطيبا
في بني اسرايل فسيل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه فقال له ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم
منك قال موسى يا رب كيف لي به يا رب دلني عليه فقال تاخذ معك حوتا وتمضي الى شاطي البحر
فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا من السمك وجعله في مكتل وانطلق معه بفتاه يوشع
بن نون الى شاطي البحر فاويا الى صخرة عندها ما يسمى عين الحيوة فجلس يوشع يتوضا من تلك العين
فانتضح من ذلك الما على الحوت فحي فوثب في الما فاتخذ سبيله في البحر سربا اي اتخذ الحوت طريقا
في البحر مسلكا يابسا وقيل معنى قوله تعالى سربا اي ذاهبا فقام يوشع حين راى ذلك من الحوت وذهب
الى موسى ليخبره بذلك فنسي وذهبا يومهما ذلك حتى صليا الظهر من الغد فنصب موسى فقال لفتاه
اتنا غدانا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا ومعنى الاية واذ قال موسى لفتاه لا ازال امضي
حتى ابلغ الموضع الذي يلتقي فيه بحر فارس والروم او امضي سنين كثيرة والحقب جمع احقاب
والاحقاب جمع الحقب والحقب ثمانون سنة وقيل تسعون سنة بلغة قريش وسمي يوشع فتاه لانه
كان يخدمه ويلازمه في السفر والحضر للعلم منه قوله تعالى فلما بلغا مجمع بينهما اي الموضع الذي
يجتمع فيه ما البحرين نسي صاحب موسى ان يخبره بخبر الحوت قال المفسرون وكان حوتا في زنبيل
وكانا ياكلان منه عند الغدا والعشا فلما انتهيا الى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه الزنبيل
فاصاب الحوت من الما الذي ذكرناه شي فتحرك في الزنبيل فانسرب في البحر وقد كان قيل لموسى تزود معك
حوتا مالحا فحيث تفقد الحوت فهناك تجد الرجل العالم فلما انتهيا الى الصخرة قال موسى لفتاه امكث
هنا حتى اتيك فانطلق لحاجته فجرى الحوت في البحر فقال فتاه اذا جانبني الله اخبرته بذلك فانساه الشيطان
فذلك قوله تعالى نسيا حوتهما وانما نسيه يوشع ان يذكر قصته لموسى واضاف النسيان اليهما توسعا
لانهما جميعا تزوداه فصار كما يقال نسي القوم زادهم وانما نسيه احدهم قوله تعالى فاتخذ سبيله
في البحر سربا اي جعل الحوت يضرب بذنبه في البحر فلا يضرب شيا وهو ذاهب الا يبس موضعه كهيئة

قصة موسى عم مع الخضر عم

اي لا ازال اسير فاصبر حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا الاية

السرب قال قتادة جعل لا يسلك طريقا الا صار الماء جامدا وقال الربيع انجاب الماء عن مسلك
الحوت فالماء صار كوة لم يلتئم والسرب في اللغة المخفور في الارض وعن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على اثر
الحوت فاذا هو بالخضر وقال ابن عباس جعل الحوت لا يمس شيئا من الماء الا يبس حتى صار صخرة
قوله فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا اي لما جاوزا راس البحر قال موسى لفتاه يوشع ابن نون ما
نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا ومشقة فلما قال له موسى ذلك تذكر قصة
الحوت فقال له أرأيت اذ أوينا الى الصخرة عند راس البحر فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا
الحوت ان اذكره لك يا نبي الله وما شغلني عن ذكره لك الا الشيطان واتخذ سبيله
في البحر عجبا اي سبيلا عجبا وهو ان الماء انجاب عنه وبقي كالكوة لم يلتئم قوله قال ذلك ما كنا
نبغي اي قال موسى ذلك الذي كنا نطلب دلالة لنا من الله تعالى على موضع الخضر ونريده من العلامة
فارتدا على آثارهما قصصا اي رجعا وعادا في الطريق الذي جاءا منه يقصان اثارهما قصصا والقصص
اتباع الاثر ومنه قوله قصيه قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا وهو الخضر قال ابن عباس وذلك
انهما لما انتهيا الى الصخرة جعل يوشع يرى موسى مكان الحوت واثره في الماء وكان موسى يتعجب من ذلك
اذ وقع بصر موسى على رجل قائم يصلي فانتظره حتى فرغ فسلم عليه فرد عليه السلام وانما سمي الخضر
لانه اذا صلى في مكان اخضر ما حوله قوله آتنا غداءنا رحمة من عندنا الى اكرمناه بالنبوة
وعلمناه من لدنا علما بواطن الامور قال ابن عباس اعطاه علما من علم الغيب قوله قال له
موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا اي مما هديتني الى الصواب ويجوز ان يكون معنى رشدا
ترشد فيه رشدا والرشد والرشد لغتان قال قتادة لو كان احد مكتفيا عن العلم لاكتفى نبي الله
موسى عليه السلام ولكنه قال هل اتبعك الآية ان تعلمني وقال الزجاج ان في فعل موسى علم اللام وهو مما
لا يسأل من طلب العلم والرحلة فيه دليل على انه لا ينبغي لاحد ان يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهاية
وان يتواضع لمن هو اعلم منه قوله قال انك لن تستطيع معي صبرا اي قال الخضر لموسى انك
لن تطيق ان تصبر على ما ظاهره منكر والانبياء والصالحون لا تصبرون على ما
يرونه منكرا قال ان شاء الله صابرا على ما اراه منكرا ولا اعصي لك امرا قال فاني امرني بهذا
قوله قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء اي قال الخضر لموسى فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء انكرت فعله
ولا تعجل في المسالة عنه حتى ابتدئك بالوجه فيه واستدرك لك انه قد غاب علمه عنك قوله فانطلقا
حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اي مضيا حتى اذا ركبا في السفينة نقبها الخضر وذلك انهما لما
مشيا على الساحل مر بهما سفينة فكلموهم ان يحملوهما فحملوهما بغير اجر فلما ان ركبا في
السفينة اخذ الخضر بيده فاسا او مسقارا وثقب السفينة وخرقها فقال له اهل السفينة
تفطنوا انه سوء ان لا تخرقها فقال موسى قال له يا عبد الله لا يحل لك هذا فانك تغرقهم فلم يكلمه
الخضر حتى خرق السفينة فلما انه قلع لوحين مما يلي الماء فجعل موسى يشوبه وقال منكرا عليه خرقتها
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اي منكرا ثم نجى موسى فجلس وقال لها اصنع في اتباع هذا الرجل
الذي يظلم الناس كنت في بني اسرائيل اقرأ عليهم التوراة بكرة وعشية وتقتلون مني فتركت ذلك
وصحبت هذا الظالم فقال له الخضر بعدما اخرج اهل السفينة متاعهم الى الساحل الم اقل انك لن
تطيق معي صبرا فاستمسك قال وما ظاهره فاخبره بما حدث به نفسه ثم قال له الخضر الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت اي بما تركت من عهدك ووصيتك وقيل اراد

بالنسيان الذي هو ضد الذكر قوله ولا ترهقني من امري عسرا اي لا تكلفني
مشقة وعاملني باليسر لا بالعسر ولا تضيق علي في صحبتي اياك واصل الارهاق
الغشيان يقال ارهق الفارس فلانا اذا غشيه فادركه قوله فانطلقا حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قال سعيد بن جبير وجد الخضر غلمانا يلعبون فاخذ
غلاما وهي الوجه قال ابن عباس كان اجملهم واصبحهم فاخذه من بينهم
فاضجعه واضجعه ثم ذبحه بالسكين وكان غلاما لم يبلغ الحنث وقيل انه اخذ برأسه
فاقتلعه وقيل نزع رأسه من جسده وقيل رمى به برجله فقتله وقيل
ضرب رأسه بحجر فقتله وكان اسم الغلام خشبود وقيل جيسور فقال
له موسى حين رأى ذلك اقتلت نفسا زاكية بغير نفس اي اقتلت نفسا بريئة من الذنوب
لم تجن ما يوجب قتلها ومن قرأ زاكية فمعناه طاهرة من الذنوب لم تبلغ الحلم لقد
جئت شيئا نكرا اي قبيحا منكرا لا يعرف في شرع وقد اختلفوا في هذا الغلام انه
كان بالغا او لم يكن بالغا الا ان قوله بغير نفس دليل انه كان بالغا لان غير البالغ
لا يقتل وان قتل غيره وكان هذا الغلام يقطع الطريق ويلجأ الى ابويه فيحلفان دونه
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا وقوله
شيئا نكرا اي منكرا عظيما قال المفسرون النكر ابلغ من الامر في الانكار لان قتل النفس
اشد من خرق السفينة وقال الزجاج الامر ابلغ في الانكار لان غرق السفينة
قد يوجد غرق اهلها وذلك اعظم من قتل نفس واحدة قوله قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا ظاهر المعنى وقوله قال ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه الكرة ولا
تصاحبني وطلبت صحبتك قد بلغت من لدني عذرا اي بلغت من عندي الى وقت العذر
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخي موسى استحيا فقال ان سألتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني ولو تبع مع صاحبه لابصر العجب قوله ليدني قراءة العامة
بتشديد النون وضم الاخوة لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفتها الى نفسك زدت نونا
ليسلم سكون النون الاولى كما تقول عن زيد وعني ومن قرأ بتخفيفها قال لدن اسم غير متمكن
فحذف النون منه قوله فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها قيل هي
قرية انطاكية وقوله استطعما اهلها اي سألاهم الطعام فابوا ان يضيفوهما قال صلى الله
عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما قوله فوجدا فيها جدارا يريد ليسقط فاقامه اي حداه
مائلا مشرفا على الانهدام كاد يسقط لسرعة قال وهب كان جدارا طوله في السماء مائة
ذراع واما قوله يريد ان ينقض بالامز فمجاز كلام العرب لان الجدار لا ارادة له وانما
معناه قرب وردنا قوله قال اقامه قال ابن عباس هدمه ثم اعاد بناءه وقال ابن جبير
مسح الجدار ورفعه بيده فاستقام قوله فابوا ان يضيفوهما فاراد ان يرحل فيضيفوهما
فحملته ان وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا اهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه

الآية شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه ﴿ قوله ﴾ لو شئت لتخذت عليه اجرا اي قال له موسى لو شئت لاخذت على اقامتك للجدار جعلا تأكله وقرئ لتخذت ومعناه معنى الاول ﴿ قوله ﴾ قال هذا فراق بيني وبينك اي هذا الكلام والانكار كل نزل الاخير هو المفرق بيننا لانك قد حكمت على نفسك وقيل بمعناه هذا فراق بيننا اي فراق اتصالنا والبين هو الاضداد ﴿ قوله ﴾ سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اي ساخبرك بتأويل الاشياء التي رايتها مني فلم تصبر عليها ﴿ قوله ﴾ اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر يعني السفينة التي نقبها كانت لفقراء يعملون في البحر لم يكن لهم مال غيرها وكانوا يعملون عليها ويأخذون اجرتها فاردت ان اعيبها بالخرق وكان امامهم ملك يقال له جلندا يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا وقد تكرر ورا لمعنى قدام وفيه دليل ان للولي ان يعيب مال اليتيم اذا رأى فيه مصلحة ﴿ قوله ﴾ واما الغلام فكان ابواه مؤمنين اي الغلام الذي قتله كان كافرا وكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما اي فاراد الله ان يبدلهما ولدا خيرا منه صلاحا وطهارة ﴿ قوله ﴾ واقرب رحما اي واوصل للرحم وابر بالوالدين قال ابن عباس ابدلها الله جارية تزوجها نبي من الانبياء فولدت سبعين نبيا ﴿ قوله ﴾ واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة اي في القرية المذكورة وكان اسم اليتيمين اصرم وصريم وكان تحته كنزهما قيل انه كان مالا وقيل كان علما وعن ابن عباس انه كان لوحا من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح ولمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وقيل كان ذهبا وفضة ﴿ قوله ﴾ وكان ابوهما صالحا اي كان من امانته ان يعلق له كاشح وقيل انه كان من الانبياء قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما ولم يذكر منهما صلاحا وقال جعفر بن محمد كان بينهما وبين ذلك الاب الصالح سبعة اباء وعن محمد المنكدر قال ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده واهل دويرته واهل دويرات حوله وعشيرته التي هو فيها فما يزالون في حفظ الله ما دام فيهم ﴿ قوله ﴾ فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي فاراد ربك بالامر بتسوية الجدار الى ان يكبرا وتعقلا ويستخرجا كنزهما نعمة من ربك وهذا نصب على المصدر اي رحمهما الله بذلك رحمة ﴿ قوله ﴾ وما فعلته عن امري انما فعلته بامر الله ﴿ قوله ﴾ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا واصله تستطع الا الى الطا والتا من مخرج واحد حذفت التا لما اجتمعا لتخف اللفظ ﴿ وروى ذلك الخضر لما اراد ان يفارق موسى قال له موسى اوصني قال يا موسى ابرع عن الخاصة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير المذنب بخطاياه وابك على خطيئتك قال ابن عمران ﴿ قوله ﴾ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا نعي نبأه الى هبوطه يا محمد عن خبر ذي القرنين قل سأقرأ خبره عليكم

قال مجاهد

قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان وذو القرنين ﴿ والكافران النمرود وبختنصر واختلفوا في تسميته بذي القرنين فقال بعضهم لانه ملك فارس والروم وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقتل على قرنه وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه بلغ قطري الارض وكان اسمه الكندر ﴿ قوله ﴾ انا مكنا له في الارض اي ملكناه في الارض واتيناه من كل شيء سببا اي من كل شيء يستعين به الملوك على فتح المدائن ومحاربة الاعداء سببا اي بلاغا الى حيث اراد وقيل قربنا له اقطار الارض كما سخرنا الريح لسليمان ﴿ وقال علي رضي الله عنه سخر الله له السحاب فحمله عليها ومدلة في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وهذا بمعنى تمكينه في الارض وهو انه سهل عليه المسير فيها وذلل له طرقها ﴿ قوله ﴾ فاتبع سببا اي طريقا يؤديه الى مغرب الشمس ﴿ قوله ﴾ حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي الى قوم لم يكن بينهم وبين مغرب الشمس احد لان احدا لا يمكنه ان يبلغ موضع غروب الشمس ﴿ قوله ﴾ وجد مغربها تغرب في عين حمئة اي في ماء تغرب في الماء وقيل في عين ذات حمأة وهي الطين الاسود المنتن وقرأ حامية اي حارة وهي قراءة العبادلة الثلاثة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وابن عامر واهل الكوفة ﴿ قوله ﴾ ووجد عندها قوما اي عند العين قلنا يا ذا القرنين قيل في هذا دليل ان ذا القرنين كان نبيا لان الانسان لا يعلم امر الله الا بالوحي ولا يجوز الوحي الا الى الانبياء وقيل كان معه نبي فاوحى الله الى ذلك النبي وفي الجملة لا يمكن اثبات النبوة الا بدليل مقطوع به وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذي القرنين فقال هو ملك مسح في الارض فقال ابن الانباري ان كان نبيا فان الله قال للانبياء اما بتكليم او بوحي ومن قال لم يكن نبيا قال معنى قوله قلنا الهمنا كقوله واوحينا الى ام موسى اي الهمنا كما قوله ﴿ لم يكن نبيا قال معنى قوله قلنا له اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا اي قلنا له اما ان تقتلهم على الكفر ان ابوا الاسلام واما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا اي قلنا له اما ان تقتلهم على الكفر ان ابوا الاسلام واما ان تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد ﴿ قوله ﴾ اما من ظلم اي من اشرك فسوف نعذبه اي نقتله وكل من اشرك فقد ظلم نفسه ثم يرد الى ربه في الآخرة بعد قتلي اياه فيعذبه عذابا نكرا يعني في النار انكر من القتل واعظم ﴿ قوله ﴾ واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى اي فله في الآخرة جزاء الحسنى اي الجنة بالطاعة الى عملها في الدنيا وقرأ اهل الكوفة جزاء الحسنى نصبا وهو مصدر وقع موقع الحال اي فله الحسنى مجزيا بها قال ابن الانباري جزاء نصب على المصدر اي فيجزى الحسنى جزاء ﴿ قوله ﴾ وسنقول له من امرنا يسرا اي نسأمر في الدنيا بما تيسر عليه ﴿ قوله ﴾ ثم اتبع سببا اي سلك طريقا آخر نحو المشرق ﴿ قوله ﴾ حتى اذا بلغ مطلع الشمس اي حيث انتهى الى آخر العمارة من جهة المشرق وجد الشمس تطلع على قوم لم يكن لهم جبل ولا شجر

ولا شئ يستترهم عن الشمس قال الكلبي حيفاء عراة يفترش احدهم اذنه ويلبس الاخرى
وقوله تعالى وقد احطنا بما لديه خبرا اى وجدنا كذلك القبيل الذين كانوا عند
مغرب الشمس وقيل معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلع مطلعها ثم استانف فقال
وقد احطنا بما لديه خبرا اى بما عنده وما معه من الملك والجيوش والآلات خبرا
اى علما ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين اى ثم اتبع سببا ثالثا مما
يبلغه قطر من اقطار الارض وقيل ثم اتبع سببا اى طريقا من المشرق نحو الروم
حتى اذا بلغ من الجبلين اللذين جعلوا الردم بينهما وهما السدان قرئا بضمتين وهما لغتان
السدين بضم السين وفتحها الباقون بضمها وهما لغتان وجدوا دون الجبلين قوما لا يكادون
يفقهون قولا اى لا يكادون يفقهون قول غيرهم ولا يعرفون غيرهم لغتهم قراهم والكسائى
وخلف يفقهون بضم الياء وكسر القاف ومعناه لا يكادون يفقهون احدا قولا قال
ابن عباس لا يفقهون كلام احد ولا احد منهم كلامهم قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين ان
ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض اى قالوا باشارة او ترجمان لانه قد تقدم
انهم لا يفقهون قولا ان ياجوج وماجوج قبيلتان من اولاد يافث بن نوح
مفسدون فى الارض بافساد اموال الناس لانهم كانوا اهل بغى وظلم وقال الكلبى
كانوا يخرجون الى ارضهم فلا الذين شكوهم الى ذى القرنين امام الربيع فلا يدعون فيها
اخضرا الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه ○ وعن عبد الله قال سالت النبى صلى الله عليه وسلم
عن ياجوج وماجوج قال ياجوج امة وماجوج امة كل امة اربعمائة الف امة لا
يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح قلنا يا رسول الله
صفهم لنا قال هم ثلثة اصناف صنف طول الرجل منهم مائة وعشرون ذراعا وصنف
طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع ايضا وهم الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد
وصنف منهم ينفرش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا جمل
ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه لهم مخالب ايديهم واضراس
كاضراس السباع وانياب تسمع لها حركة كحركة الجرس فى جلوق الابل ولهم من شعر
فى اجسادهم ما تواريهم وما يتقى به الحر والبرد يعوون عوى الذئاب ويتسافدون
تسافد البهائم اى حين التقوا ○ قال وهب يشربون ماء البحار ويأكلون دوابها
ويأكلون الخشب والشجر ومن ظفر به من الناس اكلوه ○ وقال كعب هم زيادة فى ولد
آدم وذلك ان آدم احتلم ذات يوم فامتزج نطفته فى التراب فخلق الله من ذلك
ياجوج وماجوج فهم متصلون بنا من جهة الام وقال ابن عباس هم
عشرة اجزاء ولد آدم كلهم جزء وقيل ان الترك منهم لانهم اولئك اشد فسادا من الترك
فتباعدوا عن الناس كما يتعزل المنصور قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا اى خراجا على ان تجعل

ارسال الزوعند الدال للكثرة

وياجوج وماجوج اسمان عجميان لا ينصرفان لانهما معرفة ○ مح

بيننا

بيننا وبينهم سدا اى قالوا له هل نجعل لك بعض مايرد الناس عليك فى كل سنة على ان تجعل
بيننا وبينهم حاجزا وسدا والردم هو السد وردمت الباب اى سددته والخرج والخراج
واحد ○ قوله تعالى قال ما مكنى فيه ربى خير اى قال لهم ذو القرنين ما مكننى الله من الاتساع فى
الدنيا خير من خراجكم الذى تبذلونه لى يريد ما اعطانى وملكنى افضل من عطيتكم قوله تعالى
فاعينونى بقوة اى بالرجال والآلات اجعل بينكم وبينهم ردما ○ الردم اشد الحجاب وهو
اكبر من السد قوله تعالى آتونى زبر الحديد اى اعطونى قطع الحديد والزبر القطعة العظيمة
فاتوه بها فبناه حتى اذا ساوى بين الصدفين اى حتى اذا املا ما بين الجبلين وسماهما
صدفين لانهما يتصادفان اى يتقابلان فلما وضع بينهما الحديد وجعل بين كل قطعتين
حديدا حطبا حتى ملا ما بين الجبلين وامر بالنار وارسل فيه وقال للحدادين النفخوا فنفخوا
حتى اذا صار الحديد كالنار قال اعطونى قطرا وهو النحاس الذائب اصبه على الحديد والحطب
فيتقطر كما يتقطر الماء فعل حتى اذا دخل بعضه فى بعض وصار الجميع شيئا واحدا جعلا
صلدا من حديد ونحاس قيل انه جعل له اساسا حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين
ومسحاهم علاه وشرفه ○ قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا
اى ما قدروا ان يعلوه لارتفاعه وملاسته وما قدروا ان ينقبوه من اصله لشدته
وصلابته ○ وعن ابى هريرة ان ياجوج وماجوج يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع
الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستفتحونه غدا فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم
وارادالله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم
ارجعوا فستفتحونه غدا ان شاء الله فيستثنى فيعود اليه كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم
وارادالله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم
ارجعوا فستفتحونه غدا ان شاء الله فيستثنى فيعود اليه وهو كهيئة حين تركوه فيخرجون
على الناس فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون بسهامهم فى السماء
فترجع مخضبة دما فيقولون قد قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء عتوا فبعث الله عليهم
نغفا فى اقفائهم فيموتون بها بعضهم على بعض قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض اى تركنا ياجوج وماجوج
يوم انقضاء امر السد يموجون كموج الماء مختلطين لكثرتهم يتمازج الناس اذا
دخل بعضهم فى بعض جيارى كموج الماء يعجون على الناس فيشربون المياه ويأكلون الدواب
ومن ظفروا به اكلوه فاذا كثر فسادهم فى الارض بعث الله عليهم نغفا فيقتلهم فيموتون
موت الجراد ○ قوله تعالى ونفخ فى الصور جمعناهم جمعا يعنى النفخة الثانية التى تكون
للحشر يحشر بها الناس من قبورهم ويجمعون جمعا فى الموقف قوله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا اى واظهرنا جهنم يوم القيمة للكافرين حتى يروا فيها جزاءهم معاينة وقوله تعالى
الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى اى اظهرنا جهنم حتى يشاهدها الذين كانت اعين قلوبهم فى غطاء
عن ذكرى بمكة وهم الوثنيون والعتاة وكانوا لا يستطيعون سمعا اى كان ثقل عليهم سماع
ذكر الله قوله تعالى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء اى افحسب الكفار

اتحفى نسخة تكملة ذى المكارم

ان ينفعهم اتخاذهم عبادي مثل المسيح والملئكة الذين عبدوهم من دوني ارباباً
قوله نزلا اعتدنا بجهنم للكفرين نزلا اى جعلنا لهم منزلا ومأوى لهم ومعدة لهم
عندنا كما لهنا النزل للضيف قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا اى قل لهم يا محمد هل
اخبركم بالاخسرين اعمالا فى الاخرة يعنى كفار اهل الكتاب اليهود والنصارى وقال على
رضى الله عنه هم الرهبان والقسيسون الذين حبسوا انفسهم فى الصوامع وقال هم جميع
اليهود والنصارى الذين ضل سعيهم فى الحق الدنيا اى بطل عملهم واجتهادهم فى الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اى وهم يظنون انهم يعملون عملا صالحا نافعا لهم من هنا
فقال اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه اى بحدوده ودلايل توحيده وانكروا
البعث بعد الموت فحبطت اعمالهم اى بطلت حسناتهم التى عملوها مثل صلة الرحم والاحسان
الى الناس فلا يزن سعيهم مع الكفر بها ولا تكون لهم عند الله قدر ولا منزلة قوله تعالى ذلك
جزاؤهم جهنم بما كفروا اى ذلك الاحباط جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتى واحادهم
القرآن ونبوة انبيائى هزوا يستهزؤن بها قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت
لهم جنات الفردوس نزلا الفردوس البستان الجامع لكروم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض الفردوس اعلاها وسطها
تتفجر الانهار الاربعة فاذا سألتم الله فسألوه الفردوس وقال صلى الله عليه وسلم جنات
الفردوس اربع جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما من فضة وجنتان من ذهب آنيتهما وما
فيهما من ذهب وقيل حفوا لله الفردوس وقيل نعم الشئ نعم مرات فسئل ازادى
حسنا وطيبا الولدان وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وافضلها وارفعها وقال
ابو امامة الفردوس سرة الجنة وقال كعب لبس فى الجنة حبة اربع الفردوس فيها
الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر قوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا اى مقيمين
فيها لا يطلبون عنها تحويلا قال صلى الله عليه وسلم ان الفردوس اربع موضع فى الجنة واغبطه قوله تعالى
قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى الاية وذلك انه لما نزل قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا
قالت اليهود والنصارى اوتينا علما كثيرا اوتينا التوراة فيها علم كل شئ فانزل الله تعالى هذه الاية
اى لو كان البحر مداداً لعلم ربى وحكمه فكتبت من التوراة كما كتبت من المداد لنفد البحر
وتكسرت الاقلام قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثل البحر مددا فهذا البحر وقال اراد
بكلمات ربى معانى القرآن والاحكام المستنبطة منه والمدد هو الذى شيا بعد شئ
قوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى اى قل يا محمد انما انا ادمى مثلكم قال ابن عباس علم
الله نبيه صلى الله عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر على نفسه بانه ادمى لكى يعرف
الا انه اكرم بالوحى وهو قوله يوحى الى انما الهكم اله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء
ربه اى يخشى لقاءه وقال فمن كان يؤمن لقاء ربه ويخاف البعث والمصير اليه فليعمل
عملا صالحا اى خالصا لا يرائى فى عبادة الله احدا ولا يشرك مع الله غيره فى العبادة وقال
سعيد بن جبير معناه ولا يرائى وقال عطاء عن ابن عباس فمن كان يرجو لقاء ربه احدا

ولم يقل ولا يشركن به لانه اراد العمل الذى يعمله لله ويحب ان يحمد عليه وقال الحسن هذا
فمن اشرك يعمله يريد الله به والناس وفى عبادته رياء لصانت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول من صلى صلاة يرائى بها فقد اشرك ومن صام صوما يرائى به فقد اشرك ومن اراءه لا يحب
من كان يرجو لقاءه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفى الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة الكهف وهو معصوم الى ثمانية ايام من كل فتنة تكون فيها
ومن قرأ الاية التى فى اخرها حتى ياخذ بمنخره كان له نورا ملائما الى مكة حشو ذلك النور ملئكة
يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وان كان بمنخره نكبة قبلها كانت له نورا ملائما من مضجعه
الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ وقال صلى
الله عليه من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال لم يضره وقال صلى الله عليه
من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ثمانية ايام من كل فتنة تكون فان خرج الدجال عصم
منه سورة مريم مكية وهى ثلثة الاف وثمان مائة حرف وتسعة واثنان وسبعون كلمة
وثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة
ربك عبده زكريا قال ابن عباس اوائل هذه السورة ثناء اثنى به الرب على نفسه فالكاف من كافى والهاء
من هادى والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده
يد قوى امين عالم بر تقى صادق فى وعده قوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا اى هذا ذكر رحمة ربك على
زكريا او يتلى عليكم ذكر رحمة ربك وعبده منصوب بالرحمة وقوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا اى اذ دعا
ربه سرا فى جوف الليل مخلصا لم يطلع عليه الا الله قال ربى انى وهن العظم منى اى ضعف العظم منى قال
قتادة شكا ذهاب اضراسه والوهن فى اللغة نقصان القوة واستعمال الراس سببا يدل على شخت وضعف
ومر الموت قوت والاشتعال انتشار شعاع النار واستعاله فى الشيب من احسن الاستعارة لانه
ينتشر فى الرأس كانتشار شعاع النار قوله تعالى شيبا منصوب على المصدر وقد ايدك عاء اى اضاف
الدعاء اليه كما قال صلى الله عليه وسلم خير الدعاء الخفى وافضل الرزق ما يكفى قوله تعالى ولم اكن بدعائك
رب شقيا كما كنت تجيبنى اذا دعوتك ووعدتنى الاجابة فما عصيتك قط لم تجبنى قوله تعالى وانى
خفت الموالى من ورائى اى خفت العصبة ومنى العمار ترثوا علمى ودينى من كان من بنى اسحق وقال اخفتهم
على الدين من ورائى اى حسدهم كانوا من سوء رأيهم فى اسرائيل فاما الذى يجئ حقيقة يفتح الهاء وتشديد الفاء
وكسر التاء والموالى بسكون الياء يعنى هؤلاء الموالى وقلت قوله تعالى من ورائى اى بعد موتى
قوله تعالى وكانت امرأتى عاقرا اى عقيما من الولد والرجل العاقر هو الذى لا ولد له وامرأته
على اختلاف مريم بنت عمران منهن ثمانون قوله تعالى فهب لى من لدنك وليا اى اعطنى من عندك ولدا
يرثنى نبوتى ومكانى ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة اراد بذلك يعقوب بن ماثان وهم اخوان
نبى ونبوماثان كانوا رؤساء بنى اسرائيل وليس يعقوب هذا ابا يوسف قرأ ابو عمرو والكسائى يرثنى
ويرث بالجزم فيهما على جواب الدعاء وقرأ الباقون برفعهما على الخبر والصفة قوله تعالى وليا اى وارثا

قوله تعز واجعله رب رضيا اى وفقه للعمل حتى يصير ممن ترضاه وقال ابو صالح معناه
واجعله رب نبيا كما جعلت اباه وقيل اجعله صالحا تقيا بارا مرضيا وذهب بعض المفسرين
الى ان معنى قوله يرثني اى يرث مالي الا ان حمل الآية على ميراث العلم اولى لان الانبياء كانوا لا يتحزنون
بالمال ولا يأسفون على مصير المال بعد موتهم الى مستحقه ولانه قال معروف ومن ارث يعقوب
ولم يرد بذلك المال ولانه النبي صلى الله عليه وسلم قال انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وانما دعا
زكريا بالولد ليلي امور الدين بعده لخوفه من بني اعمامه ان يبدلوا دينه بعده وكانه وخاف ان يستولوا
على علومه وكتبه فيحرفونها ويتأكلون الناس بها ويفسدون دينه ويصدون الناس عنه قوله تعالى
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى معناه ان الله تعالى استجاب له فاوحى اليه يا زكريا انا نبشرك
اى نفرحك بغلام اسمه يحيى وانما سمي يحيى لان الله احياه بالايمان والحكمة قوله لم نجعل له من
قبل سميا قال الكلبي وقتادة معناه لم نسم احدا قبله يحيى وقال ابن جبير ولدا وعطا لم يجعل له
شبيها ولا مثلا لانه لم يعص ولم يهم بمعصية وقيل لم تلد العواقر مثله واما قول ابن قيس
لانه تعالى اراد ان يجعل بعده افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الله تعالى لم يرد
هذا القول جمع الفضائل كلها ليحيى وانما اراد في بعضها لان الحلم والكلم كانا فيه وكانا افضل
منه قوله قال رب اني يكون لي غلام اى قال زكريا للجبار يا سيدي من اين يكون لي ولد وكانت
امراتي عاقرا من الولد وقد بلغت من الكبر عتيا الى حال اليبس والجفاف روي انه كان له وهو ابن
بضع وتسعون سنة والعتي والعتيّ هو الذي بلغ طول الزمان الى اليبس قال زياد الاعجم
لنحو عظم يعالج عاتيا اذا كان قاسي الغلب عيرانا وفراهره والكسائي عتيا بكسر العين
وهما لغتان وقد يعدم ان هذا القول من زكريا لم يكن على جهة الانكار ولكن احب ان يعلم من اى
وجه يكون ايرادها الله الى الشباب او من قبلهما الولد وهما على هذه الصفة قوله تعالى قال كذلك قال
ربك هو علي هين اى قال الله جبريل هكذا قال ربك كما قلت لك هو علي هين اى خلقه على هين وقد
خلقتك من قبل يحيى وكنت بعد ولم تك شيئا قوله تعالى قال رب اجعل لي آية قال زكريا يا رب
المسرة قال علامتك ان لا تقدر ان تكلم الناس وانت سوي لا خرس بلسانك ولا آفة فانه كان
يقرأ الزبور ويدعو الله ويسبحه ولكن اعتقل لسانه عن كلام الناس وقوله تعالى سويا اى صحيحا
سالما من عيّ او خرس وسويا منصوب على الحال قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب اى خرج
عليهم من مصلاه متغير اللون وهم ينظرونه فانكروه وقالوا ما لك يا زكريا فاوحى اليهم اى
اشار اليهم واوما وقال الكسائي ان سبحوا بكرة وعشيا اى صلوا لله غدوة وعشية
والتسبيح الصلوة والمعنى انه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فامرهم بالصلوة فلما كان وقت
حمل امراته ومنع من الكلام خرج اليهم فامرهم بالصلاة اشارة ثم تكلم بعد ثلث وانى امراته
على ظهر حمل يحيى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة اى قال الله ليحيى بعد ما بلغ المبلغ الذي يجوز
ان يخاطب بمثله الكتاب بقوة اى اعمل بما في التوراة بجد ومواظبة وصحة عزم قوله تعالى
واتيناه الحكم صبيا اى اعطيناه الحكمة وهي الفهم لكتاب الله صبيا وكان يحيى عليه السلام
على هذه الصبيان وقيل عقل البالغين وقال ابن عباس معناه واتيناه النبوة في صباه وهو

ابن ثلث سنين وروي انه مر بالصبيان وهو صغير فقالوا تعال حتى نلعب فقال ما للعب خلقنا
قوله وحنانا من لدنا وركاة اى واتيناه تحننا على قومه ورقة قلب عليهم ليدعوهم الى طاعة
ربهم وقوله وتزكاة اى عملا صالحا واخلاصا وقيل جعلناه طاهرا من الذنوب وقيل معناه
وحنانا من لدنا اى جعلناه رحمة من عندنا لابويه وزكاهما اى صدقة عليهما وقوله تعالى وكان
تقيا اى مطيعا مخلصا صالحا مع كل ما يرضاه الله من عباده قال المفسرون وكان من تقواه
انه لم يعمل خطية ولا هم بها قوله تعالى وبرا بوالديه اى عطوفا لطيفا بوالديه محسنا
اليهما ولم يكن جبارا عصيا اى لم يكن متكبرا في دينه وكان عاصيا لربه قوله تعالى والسلام
عليه يوم ولد ويوم يموت اى في سلامة وسعادة منا عليه حين ولد وحين يموت وحين يبعث
حيا من القبر وقال عطاء يريد سلامة له منا وقال سفيان عيينة اوحش ما يكون الخلق في ثلثة
مواطن يوم ولد ويرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت ويرى قوما لم يكن عاينهم واحكاما
لم يعهدها ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم يره فخص الله يحيى بالكرامة والسلامة
والسلام في المواطن الثلثة وعن الحسن ان يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى
استغفر لي فانت خير مني وقال يحيى استغفر لي فانت خير مني وقال له عيسى انت خير مني
اذ سلمت على نفسي وانت سلم لله عليك قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من
اهلها مكانا شرقيا اى اذكر يا محمد في القرآن خبر مريم ليعتبر الناس بدينها وصلاحها والمعنى
اذكر خبرها لاهل مكة قوله تعالى اذ انتبذت اى انتحت من اهلها وتفردت ممن كانوا معها
في الدار الى مكان في جانب الشرق جلست فيه لانها كانت في الشتاء فجلست في مشرقة الشمس
وقال عكرمة اراد ت الغسل من الحيض فتحولت الى مشرقة دارهم للغسل فاحدث مر ورهم
حجابا اى سترا دون اهلها سترا لليلا يروها فبينما هي في مشرقة الدار تغتسل من الحيض اذ دخل
عليها جبريل عليه السلام بعد ما طهرت من الاغتسال في صورة شاب امرد حسن الوجه جعد الشعر
وذلك قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا واما ارسل الله جبريل في صورة البشر لتشبه مريم وتقدر على مخاطبته
واستماع كلامه قال ابن عباس فلما راى جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد تعالى اني اعوذ
بالرحمن منك ان كنت تقيا اى ان كنت تقيا مخلصا مطيعا فستنتهي لتعودي بالله منك وقيل
ان تقيا كان رجلا من اشرار الناس في ذلك الزمان معالنا بالفجور فلما راى انها تعتزله
بالرحمن منك قوله تعالى قال انما انا رسول ربك اى قال جبريل عليه السلام حين رأى الامارة
له وسمع روعاتها انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا اى ليهب لك بامر الله ولدا صالحا طاهرا من الذنوب ومن اى
اهل اباء رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا اى ليهب لك بامر الله ولدا صالحا طاهرا من الذنوب ومن اى
ليهب بالمعنى ليهب الله لك قوله تعالى قالت اني يكون لي غلام اى من اين يكون لي ولد ولم يقربني زوج
ولم اك بغيا اى ولم اكن فاجرة زانية والبغي هي الطالبة للرجال قال ابن عباس قال مريم ليس لي
زوج ولست ببرانية ولا يكون الولد الا من احد هذين الوجهين قوله تعالى قال كذلك قال ربك هو علي هين
اى قال ربك كما قلت لك قال ربك هو علي هين اى خلقه على هين من عنده ما تر الخلق خلق آدم بلا

اب ولام قوله ع ولنجعله اية للناس ورحمة منا اى لنجعله دلالة على قدرتنا ورحمة للخلق وقيل ورحمة لمن اتبعه على دينه وصدقه وكان خلقه امرا مقضيا اى محكوما به مقرو عا منه سابقا فى علم الله ان يقع ٥ قوله ع فحملته فانتبذت به مكانا قصيا وذلك انها لما سمع كلام جبريل اطمانت الى قوله وما منها ويئست فى حبلها فوصل ذلك النفخة الى بطنها فحملت عيسى عليه السلام وقيل نفخ جبريل فى جيب درعها فحملت فلما ظهر حملها انتبذت اى عزلت وانفردت وتنحت لولادتها الى مكان بعيد من الناس والانتباذ ماخوذ من نبذت الشى اذا رميت به وطرحته ٥ قصيا اى ناحية ٥ والقاصى والقصى خلاف الدانى ٥ واجمعوا فى مدة حملها فقال بعضهم تسعة اشهر كحمل سايرالنساء على ما جرت به العادة وقال بعضهم ثمانية اشهر وكان ذلك اية اخرى لانه لم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غير عيسى عليه السلام وقال بعضهم ستة اشهر وقيل ثلث ساعات وقيل ساعة واحدة وقال ابن عباس ما هو الا ان حملت فوضعت ولم يكن حمل الا ساعة لان الله تعالى لم يذكر سهما فضلا وقال مقاتل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها وهى من عشرين وقد حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى قوله ع مكانا قصيا اى مكانا بعيدا قال ابن عباس اقصى الوادى فاراد امر قومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج قوله ع واجاها المخاض الى جذع النخلة اى الجاها يقال الجا بها واجاها بمعنى واحد كما يقال ذهبت به واذهبته والمخاض وجع الولادة وقيل تحرك الولد للولادة وقيل الحمل وقراءة ابن مسعود فاجاءها المخاض وقوله ع الى جذع النخلة وكانت نخلة يابسة فى الصحراء اى لاواس لها ولم يكن لها سعف وقيل كان جذعا يابسا قال ذلك قبل ان تثمر قوله ع قال يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اى لم اخلق وقيل شيا حقيرا وكالا شى فى كلام العرب الشى الحقير الذى اذا القى نسى ولم يلتفت احد قال السدى يا ليتنى مت قبل ان يعلم الناس امرى واستحيا من الناس خاف الفضيحة وقيل للحال الله تعالى اليها من الولادة والصحيح انها انما تمنت الموت لعلمها بان الناس سيرمونها بالفاحشة فاثرت ان تكون ماتت قبل ان يقول الناس بسببها قولا لا تستحق الله ع فراحمه وخص نسيا بعنى الموت وهما لغتان يقول الله تعالى فاما ترين من البشر احدا اى فاما تلقين احدا من الادميين كانه كان اسفل منها مكانا فاما ان الاخرى فاما ان يكون ذلك حين ولادة عيسى بعد احتباس الله الكلام عنها او حين حملت عيسى ستر بابا قال السدى هو النهر الصغير سمى سريا لانه يسرى بجريانه وقال الحسن هو عيسى وهو واد النهى من الرجال وهذا التاويل على قراءة من قرا سريا بكسر السين والتاء وهى قراءة نافع وحمزة والكسائى وحفص وقرا الباقون بالفتح وهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن امه نادا ها ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا اى نهرا صغيرا قال ابن عباس وهى اليوم نهر بيت لحم وقيل عيسى عليه السلام قال لها ذلك حين وضعته وهى ما عذب وجرى تحت النخلة فحيث تعيد بلسما فاوردت واثمرت وارطبت ومعنى الاية حركى واجذبى اليك جذع النخلة والباء فى قوله ع بجذع النخلة زائدة يقول العرب هززت به وهزى به وخذ بالخطام وخذ الخطام قوله ع تساقط عليك رطبا جنيا قرا يعقوب بتساقط بالياء يعنى الجذع وقرا حفص بالتاء وصلها وتخفيف السين وكسر القاف وقرا حمزة تساقط بفتح التاء والقاف مخففا وقرا الباقون بفتح التاء والقاف وتشديد السين اى تتساقط فادغمت التاء فى السين ومعناه تسقط عليك النخلة ٥ والرطب الجنى هو المجنى من الثمر الرطبة الطرية ونصبه طبا على التفسير ومن قرا تساقط بالضم اسند الفعل الى المعول ٥ قوله ع فكلى واشربى وقرى عينا اى فكلى من الرطب واشربى من النهر وقرى عينا بولدك عيسى وطيبى نفسا فعال قرت عينه اى توقدت يقول الله تعالى فاما ترين من البشر احدا يسالك عن ولدك وما يقول له وتعالى سكت سكون السرور وهو قوله ما يجب فالاول من القرار والثانى من القر البرد واصله عينا على التشبيه المحض كما يقال طبى نفسا اى طابت نفسك ٥ قوله ع فاما ترين من البشر احدا اى فاما ترين من الادميين

احدا فسالك عن الولد او لامك عليه فقولى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا وكذلك كان يقرا وكذا فى مصحف ابن مسعود وابن عباس فقال ابن عباس صمتا اى اوجبت على نفسى ان لا اتكلم وقال قتادة صاما عن الطعام والشراب والكلام ولهذا قالت فلن اكلم اليوم انسيا اى ادميا وكان قد اذن لها ان تتكلم بهذا القدر ثم سكتت قال ابن مسعود امرت بالصمت لانها لم تكن لها حجة عند الناس فى شان ولدها فامرت بالكف عن الكلام ليكفيها ولدها الكلام ما يرى ساحتها وفى الاية دلالة ان الصمت كان قربة فى دينهم ولولا ذلك لما ندرته مريم ونسخ ذلك بنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت ويروى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن صمت يوم الى الليل ٥ قوله ع فاتت به قومها تحمله قالوا ما مريم لقد جئت شيا فريا روى انها اتت بعيسى تحمله الى قومها بعد ما طهرت من نفاسها اى بعد اربعين يوما فتكلم عيسى فى الطريق وهو ابن اربعين يوما فقال انا عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت فلما دخلت على قومها بكوا وحزنوا وكانوا اهل بيت صالح وقالوا يا مريم لقد جئت شيا فريا اى منكرا عظيما لم يعرف مثله ولا مر اهل بيتك قوله ع يا اخت هرون ما ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا قال ابن عباس هرون رجل صالح من عباد بنى اسرائيل نسبت اليه والمعنى يا شبيهة هرون فى العبادة روى اهل الكتاب قالوا كان بين مريم اخت هرون وبينهما ستمائة سنة وذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انهم كانوا يتسمون باسماء الانبياء والصالحين بعدهما كما يسمى هرون وقال السدى هو هرون اخو موسى عليه السلام نسبت اليه كما يقال يا اخا بنى فلان وقيل كان رجلا فاسقا معروفا بالفسق فنسبت اليه وقولهم ما كان ابوك امرا سوء قالوا ان عباس يريد زانيا وما كانت امك بغيا اى ما كانت زانية فمن اين لك هذا الولد ٥ قوله ع فاشارت اليه اى اشارت الى عيسى وهو يوضع ان كلموه فعجبوا من امرهم وقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا اى فى الحجر رضيعا والمهد ههنا حجرها وقيل هو المهد بعينه قال ابو عبيدة كان ههنا زائدة لا معنى لها والتقدير كيف نكلم صبيا فى المهد ويجوز ان تكون كان فى موضع الشرط والجزاء والمعنى من يكن فى المهد صبيا فكيف نكلمه والماضى يكون بمعنى المستقبل فى باب الجزاء ويجوز ان يكون صبيا نصبا على الحال اى كيف نكلم من فى المهد صبيا اى فى هذه الحالة قال السدى فلما اشارت الى عيسى غضبوا وقالوا السخرية بنا اشد من زناها فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل بوجهه عليهم وقال انى عبد الله اتانى الكتاب يعنى علمنى التوراة والزبور وقال مقاتل علمه الله الانجيل وهو بطن امه وجعلنى نبيا اى حكم لى بالنبوة فيما قضى قوله ع وجعلنى مباركا اى معلما للخير نفاعا حيثما كنت ادعو الى الله والى توحيده وعبادته قوله ع واوصانى بالصلوة والزكاة اى امرنى بادائهما ما دمت حيا ٥ قوله ع وبرا بوالدتى اى وجعلنى برا بوالدتى قال ابن عباس لما قال عيسى بوالدتى ولم يقل بوالدى علموا انه بغير رشدة ٥ قوله ع ولم يجعلنى جبارا اى متعظما اقتل واضرب على الغضب ولا شقيا اى ولا عاصيا لربه قوله ع والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا معناه والسلامة على من الله يوم ولدت حتى لم يضرنى شيطان ويوم اموت ويوم ابعث حيا من القبور وفى هذا دليل ان للانسان ان يصف نفسه بصفات الخير اذا اراد ان تعرفها الى غيره ولم يرد الافتخار وهو مثل قول يوسف عليه السلام للملك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم قال ابن عباس انما تكلم عيسى بهذا الكلام

لا غير ثم سكت ولم يتكلم حتى بلغ مقدار مدة ما يتكلم الصبيان قوله تعالى ذلك عيسى بن مريم
قول الحق اي ذلك الذي قال اني عبد الله عيسى بن مريم قول الحق من قراه بنصب قول فالمعنى اقول قول الحق الذي
فيه يمترون اي يشكون ومن رفعه فالمعنى هو قول الحق او كلمة الحق والحق هو الله تعالى ومعنى
قراءة النصب اقول قول الحق الذي فيه يمترون اي يشكون فيختلفون فانهم اختلفوا يعني النصارى
فقايل منهم يقول هو الله وقايل يقول هو ابن الله واليهود تقول ولد لغير رشدة قوله تعالى
ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما ينبغي لله ان يتخذ ولدا وليس ذلك من صفاته وقوله تعالى سبحانه
اي تنزيها له عن الولد والشريك قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي كيف يتخذ
الولد من اذا شا امرا كان كما خلق عيسى بلا اب قوله تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
اخبار عيسى انه قال ذلك من قرا بفتح الهمزة فالمعنى واوصاني ان الله ربي وربكم او قضى ان الله ربي
وربكم ومن كسرها فعلى الاستيناف ويجوز ان يكون عطفا على اني عبد الله والصراط المستقيم الذي
الدين المستمر في جهة واحدة وقيل معناه هذا الذي اخبرتكم ان الله امرني به هو الطريق المستقيم
الذي يودي الى الجنة قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم من زايدة ويعني بالاحزاب النصارى كانوا
احزابا متفرقين في امر عيسى فبعضهم يقول هو الله وبعضهم يقول هو ابن الله وبعضهم يقول ثالث ثلاثة
وقوله تعالى فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي فويل للذين تحدثوا في عيسى من مشهد يوم عظيم يشهده
الخلايق قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم يوم القيمة اي يشاهدون من التعب
ما يسمع ويبصر بلا شك ولا مرية قال قتادة سمعوا حين لم ينفعهم السمع وابصروا حين لم ينفعهم البصر
وقال الحسن لان كانوا في الدنيا عميا وصما عن الحق فما ابصرهم واسمعهم يوم القيمة قوله تعالى لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين اي لكنهم في الدنيا في كفر بين قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر
وهم في غفلة اي خوف يا محمد اهل مكة يوم يتحسر المسي هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من الاحسان
وقال اكثر المفسرين يعني الحسرة يوم يذبح الموت بين الفريقين فلو مات احد فرحا لمات اهل الجنة ولو مات
احد حزنا لمات اهل النار عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا بالموت يوم القيمة
كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرفون عليه فيقولون نعم
هذا الموت ويقال لاهل النار كذلك فكلهم بعد عرفه فيذبح ويقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل
النار خلود فلا موت ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة
قال مقاتل لولا ما قضى الله من تخليد اهل النار وتعميرهم فيها لماتوا حسرة حين راوا ذلك قوله تعالى اذ
قضي الامر اي قضي لهم العذاب في الاخرة وهم في الدنيا في غفلة وقال السدي اذ قضي الامر اي ذبح الموت
وهم في غفلة في الدنيا عما يصنع بالموت ذلك اليوم وهم لا يومنون بما يصنع بالموت ذلك اليوم
ويقال معنى قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة هو يوم ياتيهم ملك الموت لقبض ارواحهم فاذا وقعت المعاينة
قال عند ذلك رب ارجعون قال الله تعالى حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
وقوله تعالى وهم في غفلة اي وهم في الدنيا في غفلة وهم لا يومنون بالقران قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها
اي نميت سكانها فنرثها ومن عليها وهذا كقوله تعالى ونحن الوارثون لانهم اذا ماتوا انقطع ملك العباد عن
الارض وقوله تعالى والينا يرجعون اي بعد الموت فنجزيهم باعمالهم قوله تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان

صديقا

١٧

صديقا نبيا اي واذكر في القران لقومك قصة ابرهيم انه كان كثير التصديق بالحق موقنا صدوقا
نبيا رسولا قوله تعالى اذ قال لابيه يا ابه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر اي لم تعبد من دون الله
ما لا يسمع ان دعوته ولا يبصر ان عبدته يعني الصنم ولا يغني عنك شيا من عذاب الله ولا يدفع
عنك ضرا قوله تعالى يا ابه اني قد جاني من العلم ما لم ياتك اي من العلم بالله والمعرفة وان
من عبد غير الله عذبه فاتبعني على ديني اهدك صراطا سويا اي ارشدك الى دين مستقيم
قوله تعالى يا ابه لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والمعاصي ان الشيطان
كان للرحمن عصيا اي كثير العصيان لله قوله تعالى يا ابه اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
اي عذاب من الله تعالى بطاعتك للشيطان فيكون للشيطان وليا اي قرينا في النار قوله تعالى
قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم اي قال له ابوه مجيبا له امعرض وتارك انت عبادة الهتي
يا ابرهيم لين لم تنته عن مقالتك وتسكت عن شتم الهتي وعيبها لارجمنك اي لارمينك بالشتم
والعيب وقيل لاقتلنك رجما واهجرني مليا اي تباعد عني دهرا طويلا وقال الحسن وقتادة
معنى مليا اي سالما سويا من قبل ان يلحقك مكروه مني واصل الملاوة الزمان الطويل من
الدهر يقال اقام موضع كذا مليا والملوان الليل والنهار قوله تعالى قال سلام عليك اي قال ابرهيم
لابيه سلمت مني لا اصيبك بمكروه وذلك انه لم يومر بقتاله على كفره وهذا سلام توديع وقوله تعالى
سا استغفر لك ربي اي سا سال الله لك توبة تنال بها مغفرته ويرزقك التوحيد قوله
تعالى انه كان بي حفيا اي لطيفا رحيما وقيل عالما يستجيب لي اذا دعوت قوله تعالى واعتزلكم
وما تدعون من دون الله اي اتنحى عنكم وافارقكم واعتزل ما تدعون من دون الله يعني الاصنام
فاعتزلهم وهاجر الى الارض المقدسة قوله تعالى وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعا ربي شقيا
اي محروما خايبا قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله اي فلما خرج الى ناحية الشام
وتركهم وترك اصنامهم انسا وحشته باولاد كرام على الله تعالى ووهبنا لهم نعما كثيرة واكرمناهم بالثنا
الحسن قوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا اي وهبنا لهم المال والولد وبسطنا لهم في الرزق وقال
بعضهم يعني الكتاب والنبوة قوله تعالى وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي ثنا حسنا في الناس عليا
مرتفعا سايرا في الناس فكل اهل الملل والاديان يحسنون الثنا عليهم ويتولون ابرهيم ودينه قوله تعالى
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا اي اذكر في القران خبر موسى انه كان مخلصا لله
بالعبادة والتوحيد وكان رسولا رفيعا ومن قرا مخلصا بفتح اللام فمعناه اخلصناه واجتبيناه
قوله تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن قيل ان النداء هو قول الله تعالى له يا موسى اني انا الله رب العالمين
والطور هو جبل بالشام ناداه الله تعالى من ناحيته اليمنى يعني يمين موسى والمعنى ان موسى سمع النداء
عن يمينه ولا يكون للجبل يمين ولا يسار قوله تعالى وقربناه نجيا اي جعلنا محله منا محل من قربه مولاه وادناه
من مجلس كرامته والنجي هو المختص بادراك كلام مكلمه قال ابن عباس قرب الله تعالى موسى الى اعلى الحجب حتى
سمع صرير القلم قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا وذلك حين سال موسى ربه فقال
واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي فاستجاب الله دعاه قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان
صادق الوعد هو اسمعيل بن ابرهيم ومعنى صادق الوعد انه كان اذا وعد انجز قال ابن عباس انه
وعد رجلا ان ينتظره حتى يرجع اليه فاقام مكانه ينتظره حتى حال الحول ورجع اليه الرجل وكان

وذلك قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا

رسولا نبيا الى جرهم ٥ قوله تعالى وكان يامر اهله بالصلوة والزكاة قيل اراد بالاهل امته واهل
كل نبي امته ونظيره وامر اهلك بالصلوة اي قومك وكان عند ربه مرضيا اي صالحا زكيا ٥ قوله تعالى
واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا اسم ادريس اخنوخ وهو جد ابي نوح وسمي ادريس
لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط
واول من نظر في علم النجوم والحساب ٥ قوله تعالى انه كان صديقا نبيا انزلت عليه ثلثون صحيفة
وهو اول من لبس القطن وكانوا قبل ذلك يلبسون جلود الضان قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا روي
عن انس بن مالك وابي سعيد الخدري ومجاهد انه رفع الى السما الرابعة وقال ابن عباس والضحاك
الى السما السادسة وقيل معناه ورفعناه في العلم والنبوة الى درجة عالية ٥ وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي رايت ادريس في السما الرابعة ٥ وكان سبب رفعه على
ما قال ابن عباس انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني مسيت يوما
واحدا فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه حرها فلما اصبح
الملك الموكل بها وجد خفة في حرها بخلاف ما يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فقال ان عبدي ادريس
سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه صحبة فاذن
له حتى اتى الى ادريس فساله عن ذلك فاخبره انه دعا له شفقة عليه ثم حمله ملك الشمس على جناحه
ورفعه الى السما باذن الله تعالى قوله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم معناه ان
الذين ذكرتهم هم الذين اكرمهم الله تعالى بالنبوة والاسلام من ذرية ادم الاية وانما قرن ذكر نسبهم
مع ان كلهم كانوا لادم ليبين مراتبهم في شرف النسب فانه كان لادريس شرف القرب من ادم ٥
وكان ابرهيم من ذرية نوح وكان اسمعيل واسحق من ذرية ابرهيم وكان موسى وهرون وزكريا
ويحيى وعيسى من ذرية اسرائيل ٥ فقوله من ذرية ادم يعني ادريس ونوحا وممن حملنا مع نوح يعني
في السفينة يعني ابرهيم لانه من ولد سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم يعني اسمعيل واسحق ويعقوب
وقوله تعالى واسرائيل يعني ان من ذرية اسرائيل موسى وهرون ومن ذكرنا ٥ قوله تعالى وممن هدينا
واجتبينا اي هولا كانوا ممن ارشدنا واصطفينا لاداء الرسالة ٥ اذا تتلى عليهم ايات الرحمن
التي انزلت عليهم خروا سجدا وبكيا اي وقعوا يسجدون لله ويبكون من مخافة الله والسجد جمع
ساجد والبكي جمع باك ٥ قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
اي فخلف من بعد هولا الانبيا المذكورين والصالحين خلف اي قوم سوء وهم اليهود
والنصارى ومن لحق بهم ٥ يقال في الرداة خلف باسكان اللام وفي الصلاح خلف بفتح
اللام ٥ وقوله تعالى اضاعوا الصلاة اي اخروها عن مواقيتها لغير عذر وقيل تركوها
اصلا ٥ وقوله تعالى واتبعوا الشهوات يعني المعاصي وشرب الخمر واشتغلوا باللذات فيما
حرم عليهم واثروها على طاعة الله قال وهب شرابون القهوات لعابون بالكعبات
ركابون الشهوات متبعون اللذات تاركون الجماعات مضيعون الصلوات قوله تعالى
فسوف يلقون غيا قال ابن مسعود وعطا هو واد في جهنم بعيد القعر وقال ابن عباس
الغي واد في جهنم تستعيذ اودية جهنم من حره اعد للزاني وشارب الخمر واكل الربا واهل
العقوق ولشاهد الزور ولامراة ادخلت على زوجها ولدا من غيره وقيل الغي واد في جهنم
يسيل فيجاوز ما اعد للغاوين فسمي غيا لانه جزا الغي كما قال تعالى يلق اثاما اي جزا الاثم وقال

كعب

كعب الغي واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بير تسمى بهنم كلما خبت جهنم
فتح لها باب الى تلك البير فتسعر بها جهنم قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا معناه الا التائبين منهم ويجوز ان يكون نصبا استثنا من غير الاول
على معنى لكن من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا ينقصون من حسناتهم قوله تعالى جنات
عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي بساتين اقامة وقوله تعالى بالغيب يعني انهم غابوا عن ما فيها وانتصب
قوله جنات لانه بدل من الجنة قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي موعوده اتيا كاينا وانما لم يقل اتيا لان
كل ما اتاك فقد اتيته قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اي لا يسمعون في الجنة كلاما
ساقطا ولا يسمعون الا سلاما يسلم بعضهم على بعض والسلام هو الكلام الذي لا لغو فيه ولا
اثم وقيل معناه لا يسمعون في الجنة كلاما باطلا وفحشا وهذرا وفضولا من الكلام
وقال مقاتل يمينا كاذبة ولا يسمعون الا سلاما يسلم بعضهم على بعض ويسلم عليهم الملايكة
ويرسل الرب بالسلام قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال المفسرون ليس في الجنة
بكرة ولا عشية ولكنهم يوتون برزقهم على مقدار ما يعرفون من الغدا والعشا قال قتادة
كان العرب اذا حصل لاحدهم الغدا والعشا اعجب به فاخبر الله ان لهم في الجنة رزقهم
بكرة وعشيا على قدر ذلك الوقت اي يجمع لهم الطعام في هذين الوقتين كما يكون في الدنيا ويأكلون
فيما عدا هذين الوقتين ما يشتهون كما في الدنيا ٥ قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا
اي هذه الجنة التي وصفها الله هي التي نورث لان الله تعالى اورثهم من الجنة مساكن اهل النار
لو اطاعوا وقيل لانه تمليك في حال مبتدا بعد انقضا اجل الدنيا ٥ قوله تعالى وما نتنزل
الا بامر ربك وذلك ان جبريل ابطا على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي فلما اتاه قال له ما زرتنا حتى استبطاناك
وقيل قال له ما يمنعك يا جبريل ان تزورنا اكثر مما تزورنا فانزل الله عذر جبريل والمعنى قل
له وما نتنزل من السما الا بامر ربك ٥ وقيل استبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل ثم
جاه فقال له يا جبريل ابطات علي حتى ساظني فاشتقت اليك فقال له اني كنت اشوق اليك ولكني عبد
مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى هذه الاية وما نتنزل الا بامر ربك
قوله تعالى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك اي له ما بين ايدينا من امر الدنيا وما خلفنا
من امر الاخرة وما بين ذلك يعني ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة قوله تعالى وما كان ربك نسيا
اي ما كان ربك ليتركك وان تاخر عنك رسوله قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما فاعبده
واصطبر لعبادته اي اصبر على امره ونهيه حتى الموت هل تعلم له سميا اي شبيها ومثلا
يعبد وقيل هل تعلم من يستحق الالهية سواه وقيل هل تعلم احدا يسمي الله غيره وقيل هل
تعلم من احد يسمى رب السموات والارض قوله تعالى ويقول الانسان ابدا ما مت لسوف
اخرج حيا قال ابن عباس هو ابي بن خلف الجمحي قال هذا القول انكارا للبعث وقوله تعالى
لسوف اخرج حيا اي اخرج من القبر حيا قال ذلك استهزا وتكذيبا منه للبعث قوله تعالى
اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل قرا نافع وابن عامر وعاصم اولا يذكر بالتخفيف
وقرا الباقون بالتشديد وهو الاختيار اي اولا يتعظ ويتفكر وعلى القراة الاولى يذكر

من عبادنا من اتقى معصية الله وعمل بالطاعة والايمان وقوله تعالى نورث اي نعطي وانما قال نورث صح

بالتخفيف ضد النسيان والمعنى اولا يتعظ الانسان اما خلقناه من نطفة ولم يك شيأ موجودا
فيستدل بالابتداء على الاعادة قوله ع فوربك لنحشرنهم والشياطين يعني المنكرين للبعث اقسم الله سبحانه
لنحشرنهم من قبورهم مع الشياطين الذين اضلوهم ثم نحضرهم حول جهنم باركين على الركب لان المحاسبة
اما تكون بقرب جهنم يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة قوله ع ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد
على الرحمن عتيا اي ثم لنخرجن من كل فرقة وجماعة ايهم اشد على الرحمن تمردا وجراة وفجورا وكفرا
بدا بالاعتى فالاعتى والاكفر فالاكفر والمعنى لننزعن من كل فرقة واهل كل دين قادتهم ورؤساءهم
في الشر والشيعة الجماعة المتعاونون على امر من الامور وقوله ع ايهم رفع على الابتداء والنزع
يعمل في موضع من كل شيعة هذا قول يونس وقال الخليل على معنى الذين يقال لهم ايهم اشد فلنخرجن قوله ع
ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن اعلم بالاولى يدخلون النار وشدة العذاب واختير لفظ
العقاب والصلي هو الذي يدوم من يقال صلي بالنار صليا ٥ قوله ع وان منكم الا واردها اختلفوا في
الخطاب الذي في اول هذه الاية قال بعضهم هو راجع الى الكفار لانه تقدمه قوله ع ثم لنحن اعلم بالذين هم
اولى بها صليا ٥ وقال الاكثرون هذا خطاب مبتدا لجميع الخلق ودليله قوله ع ثم ننجي الذين اتقوا الاية
ننجي من الوارد من اتقى ثم اختلف هؤلاء ايضا في معنى الورود فقال بعضهم هو الدخول كما في قوله ع وردوا
النار اي دخلوها وقالوا الا انها تكون على المؤمنين بردا وسلاما واستدلوا بما روي عن جابر انه اهوى
بيديه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا
فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا يومئذ ٥ وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت له ثلثة اولاد لم تبلغ النار الا تحلة القسم
ثم قرا وان منكم الا واردها ٥ ومعنى القسم ان اول هذه الاية فيها اضمار القسم تقديره والله ما منكم احد الا
واردها ٥ وروى عن ابن مسعود انه قال الصراط على متن جهنم مثل حد السيف ثم على حده الطايفة الاولى
كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجواد السابق والرابعة كاجود البهائم ثم كمرور الملكة يقولون اللهم
سلم اللهم سلم ٥ وعن ابي هريرة انه اوى الى فراشه فقال ليالتا ما لي لم تلدي فعالت له امراته يا ابا هريرة
ان الله عز وجل قد احسن الكم هذا الاسلام قال اجل ولكن الله ع وان منكم الا واردها وانا واردة النار ولم يثن لنا انا
خارجون منها وقال بعضهم الورود هو الاشراف على النار بالدخول الى موضع الحاسبة تكون برد وسلام النار
ودرك الله ع والمراد به ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحمى وغيرها ٥ وعن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يدخل النار ان شاء الله ع احد شهد بدرا والحديبية ٥ وعن مجاهد انه قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ٥
فعلى هذا من حم من المسلمين فقد ورد ومعنى قال ان الحمى مر بهم ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه عاد مريضا من وعكان به فقال له ابشر ان الله ع يقول هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا
لتكون حظه من النار قال الزجاج والحجة القاطعة على انهم لا يدخلون النار قوله ع ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وقوله ع
حتما لا معارض لها قوله ع كان على ربك حتما مقضيا اي حتم القطع بالامر والمقضي هو الذي قضي
بانه يكون قوله ع ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين اتقوا الشرك وصدقوا وقيل اتقوا الظلم فيما بينهم
اي وقيل المشركين فيها جثيا على الركب ٥ قوله ع واذا تتلى عليهم اياتنا بينات معناه واذا تتلى
على الكفار امارات العذاب المنزلة قالوا للذين امنوا اي الفريقين خير مستقرا واحسن مجلسا واي الدنيا
فكذلك تكون في الاخرة يعني ان مشركي مكة كانوا يقولون لفقراء المؤمنين اي الفريقين خير مقاما نحن
اوانتم والمقام المسكن والمنزل والندي والنادي مجلس القوم ومجتمعهم وكانوا يلبسون احسن
الثياب ويدهنون فقال الله ع مثل هذا للمؤمنين فاهلكنا قبلهم من قرن هم احسن

اثاثا وريا اي وكم اهلكنا قبل قريش من الامم الخالية هم احسن اموالا واحسن منظرا والاثاث
المال الجمع الابل والبقر والغنم والعبيد والمتاع وقال الحسن الاثاث اللباس والرئي المنظر وقرئ
وريا بغير همز من الري الذي هو ضد العطش والمراد ان منظرهم مرتوي من النعمة كان النعيم بين فيهم
لان الري تتبعه الطراوة كما ان العطش يتبعه الذبول ٥ قوله ع قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
مدا اي قل يا محمد من كان في العماية عن التوحيد ودين الله فليمدد له الرحمن اي ليزدد في ماله وعمره وولده
وبعافيته الله في طغيانه حتى اذا وصل الى الاخرة لم ير له فيها نصيب وهذا لفظ امر ومعناه
الخبر ٥ قوله ع حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة يعني الدين مدهم في الضلالة
واخر عن الجماعة لان العطف من يصلح للجماعة ثم ذكر ما يوعدون فقال اما العذاب واما الساعة يعني
القتل والاسر او القيمة والخلود في النار فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا اهم المؤمنون لان
مكانهم جهنم ومكان المؤمنين الجنة وقوله ع واضعف جندا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير
مقاما اي احسن ندبا وقوله ع ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي يزيدهم هدى بالايمان والشرايع
وقيل يزيدهم هدى بالادلة والحجج والالطاف التي تدعو الى الحسنات وقوله ع والباقيات الصالحات
قد تقدم تفسيرها سميت باقيات لبقاء ثوابها للانسان وقوله ع خير عند ربك ثوابا اي انفع مرجعا
الكفار الى فتور فيها وحسرة اي وافضل مرجعا في الاخرة وافضل ما يرد على صاحبه ٥ قوله ع
افرايت الذي كفر بايتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزل هذه الاية في العاص بن وايل وقال خباب بن
الارت كان لي دين على العاص بن وايل فجيته اتقاضاه منه فقال لا اقضيك حتى تكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين ابعث قال فدعني مالك واذا بعثت
اعطيت مالا وولدا واقضيك هنالك فانزل الله هذه الاية وقال الكلبي نزلت في الوليد بن المغيرة وقال مستهزئا قال وذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية وقال الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة ومعنى لاوتين مالا وولدا الان كان ما
يقول محمد في الاخرة حقا لاعطين مالا وولدا في الاخرة ومن قرا ولدا بالضم فمعناه واحد
كالحزن والحزن وقيل هو جمع الولد كما يقال اسد واسد قوله ع اطلع الغيب ام اتخذ عند
الرحمن عهدا اي اعلم ذلك غيبا ام عهد الله اليه عهدا بما تمنى وقال ابن عباس معناه اعلم ما غاب
عنه حتى يعلم اني في الجنة هو ام لا وقال الكلبي انظر ما في اللوح المحفوظ وقوله ع ام اتخذ عند الرحمن
عهدا قال ابن عباس معناه امر قال لا اله الا الله فارجه بها وقال مجاهد اقدم عملا صالحا يجيء به كلا
ليس الامر على ما قال انه يؤتى المال والولد ويجوز ان يكون معناه كلا اي انه لم يطلع الغيب ولم يتخذ
عند الرحمن عهدا قوله ع سنكتب ما يقول اي سنامر الحفظة باثبات ما يقول فنجازيه في الاخرة
ونمده من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق العذاب ٥ قوله ع ونرثه ما يقول اي نرثه المال
والولد بعد هلاكه اياه فلا يعود بعد ذلك اليه كما لا يعود المال الى من خلفه بعد موته ويأتينا
في الاخرة فردا اي وحيدا خاليا من المال والولد قوله ع واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم
عزا اي واتخذ اهل مكة من دون الله اصناما الهة ليكونوا لهم اعوانا وشفعاء في الاخرة والعزة
الامتناع من الصنم فهم اتخذوا هذه الالهة ليصيروا بها الى العز في زعمهم فلا نصيبهم سوء
وذلك انهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمنع من عذاب الله قوله ع كلا اي لا تمنعهم مما
سيكفرون بعبادتهم اي تجحد الالهة عبادة المشركين اياها كما قال تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقوله ع ويكونون عليهم ضدا اي يصيرون اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم ويتبرؤن منهم قوله ع
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اي الم تعلم انا خلينا بين الشياطين والكفار

وسلطناهم عليهم فلم تعصم الكفار المنزل منهم وقد تسمى التخلية ارسالا الى سمعه اللغة
قوله تم توزهم ازا الى ترعجهم الى معصيته ازعاجا وتغريهم اغراء وقال الفتيبى تحركهم الى المعاصى
واصله الحركة والغليان ومنه الحديث المروى ولحوفه ازيركان بزالرجل قوله تم فلا تعجل عليهم اى
لا تعجل بمسئلة اهلاكهم انما نعد لهم عدا اى نعد انفاسهم نفسا بعد نفس كما نعد ايامهم واجالهم قوله تم
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ادكرهم يا محمد اليوم الذى نجمع فيه من اتقى الله فى الدنيا واجتنب
الكبائر والفواحش الى دار الرحمن وهى موضع الكرامة والثواب وقوله تم وفدا اى ركبانا قال على
رضى الله عنه وهل يكون الوفد الا ركبانا قال ابن عباس تسوق لهم نوقا لم ير الخلائق مثلها عليها رحال
الذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا ابواب الجنة واما وجد الوفد لانه مصدر
قوله تم ونسوق المجرمين الى جهنم ورد اى نحشرهم على السير الى جهنم وقوله تم ورد اى عطاشا
مشاة حفاة عراة قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد الجماعة التى ترد الماء ولا يرد الماء
احد الا بعد العطش قوله تم لا يملكون الشفاعة اى لا يقدرون على الشفاعة الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا اى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهم المؤمنون فانهم يملكون الشفاعة قال ابن عباس
العهد شهادة ان لا اله الا الله وفى موضع نصب على الاستثناء المنقطع قال ابن عباس لا يشفع
الا من قال لا اله الا الله وتمام الحرف انه ولا من حوا الا بالله عز وجل وعن ابن مسعود قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان يوم القيمة احدكم ان يحمل كل صباح ومساء عند الله عهدا
قالوا كيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انى اعهد اليك فى هذه الدنيا انى اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك
ورسولك وانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعله
لى عندك عهدا تؤتينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع
ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة
قوله تم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا اى قالت المشركون الملئكة بنات الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله تعالى الله عما يقولون لقد جئتم شيئا ادا اى منكرا عظيما قوله تعالى
تكاد السموات يتفطرن منه اى يتشققن من عظم هذا القول وتنشق الارض فتتصدع والجبال
هدا اى تسقط بعضها على بعض لشدة صوت بان سموا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا
قرا اهل الحجاز والكسائى يتفطرن بالنون مشددة وقرا ابو عمرو يكاد بالياء لتقدم الفعل قال المفسرون
لما قالوا اتخذ الرحمن ولدا اقشعرت الارض وغضبت الملئكة واستعرت جهنم واضطربت
السموات والارض والجبال قوله تم ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا اى ما من احد فى
السموات والارض الا سيأتى الرحمن يوم القيمة عبدا ذليلا يعنى ان الخلق
كلهم عبيده وان عيسى وعزيرا من جملة العبيد قوله تم لقد احصاهم وعدهم عدا اى لقد علم
عددهم واتقانهم ولا يخفى عليه شئ منهم مع كثرتهم وقوله تم وكلهم اتيه يوم القيمة فردا لا انصار
له ولا اعوان ولا مال ولا ولد كل امرئ مشغول بنفسه لا يهمه غيره قوله تم ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اى محبتهم فى الدنيا وعبيته الى عباده المؤمنين واهل السموات واهل
الارضين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله العبد قال الله تعالى يا جبريل انى قد

احببت

احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السموات ان الله قد احب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السموات ثم توضع له المحبة فى الارض واذا ابغض الله العبد قال مثل ذلك وما ابغض
عبد تقربه الى الله تعالى الا اقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يردوه مودتهم ومحبتهم قوله تعالى
فانما يسرناه بلسانك اى يسرنا قراءة القرآن على لسانك لتخبر به المتقين وتبشر به قوما لدا اى قوما ذوى جدل بالباطل واللد جمع الالد وهو شديد الخصومة
نظيره الاصم والصم قوله تم وكم اهلكنا قبلهم من قرن اى كم اهلكنا يا محمد قبل قومك من قرون
ماضية هل تحس منهم من احد اى هل ترى منهم احدا او تسمع لهم ذكرا اى صوتا والاحساس ما خود
من الحس يقال هل احسست فلانا اى هل رايته والركز هو الصوت الخفى الذى لا تفهم
ومنه الركاز وهو المعدن فى الارض قال الحسن فى معنى الآية دهدهم القوم فلا تسمع لهم
صوتا وقال قتادة معناه هل ترى منهم احدا وهل تسمع منهم صوتا قوله تم وعن اى ركعت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة مريم اعطى من الاجر عدد من صدق
بزكريا ويحيى ومريم وعيسى وهرون وابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وادريس وعدد
من كذب وعدد من عبد الله ولدا وعدد من وحد الله تعالى

سورة طه

مكية وهى خمس الاف وماتان واثنان واربعون حرفا والف ولامه واحدى واربعون
كلمة وماته وخمس وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ابو عمرو وورش بخلف الطاء وكسر الهاء وفخمهما والكسائى وحمزة بكسر الطاء والهاء
وقالون بالتفخيم فيهما واختلفوا فى معناه فقال الزجاج معناه يا رجل بلغة
السريانية وقال ابن عباس والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك وقتادة ومجاهد
والزهرى قال هو بلسان الحبشة وقال قتادة انما يقول هذه اللغة اهل الشرق بانيه
وروى السدى عن ابى مالك ان معنى قوله طه يا فلان وقال الكلبى هو بلغة عك يا رجل قال
الانبارى ولغة طيئ ايضا فى هذا المعنى لان الله تعالى خاطب بنبيه العربية بلسان قريش قال
ابو عمرو ان السفاهة طه فى خلائقكم لا قدس الله ارواح الملاعين يريد يا رجل وقال احمد
بن يحيى طه كلمة موضوعة للقسم فلما وقعت فى القسم فتحت قوله تم ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
فانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فى صلاة الليل حتى تورمت قدماه فكان اذا صلى رفع رجلا
ووضع اخرى فقال الله تعالى طه اى يا رجل بلغة عك وقال بعضهم اول هذه السورة قسم اقسم الله بطوله
وهدايته وقال بعضهم الطاء من الطهارة والهاء من الهداية كانه تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يا طاهرا يا هاديا
ويا هاديا الى علام الغيوب قوله تم ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتجهد نفسك وتتعب وذكر انه لما نزل
عليه الوحى اجتهد فى العبادة حتى انه كان يصلى على احدى رجليه لشدة قيامه وطوله فامره الله ان يخفف
عن نفسه وذكر انه ما انزل عليه القرآن ليتعبه فكما لا تتعب ولم ينزله الا تذكرة لمن يخشى الله قال مجاهد
نزلت هذه الآية بسبب ما كان يلقى النبى صلى الله عليه وسلم من التعب والسهر وقيام الليل وقال الحسن هذا جواب
للمشركين حين قالوا ما جعل القرآن عليك يا محمد الا لتشقى لما رأوا من طول عبادته وسهره اجابهم
الله تعالى صلى الله عليه وسلم بهذا وقال للنبى صلى الله عليه وسلم انك لتشقى لما رأوا من طول عبادته وسهره اجابهم
الله تعالى صلى الله عليه وسلم بهذا وقال للنبى صلى الله عليه وسلم انك لتشقى لما رأوا من طول عبادته وسهره اجابهم
ولكن لتسعد به وتنال الكرامة به فى الدنيا والآخرة والشقاء فى اللغة استمرار ما شق على النفس التعب

قوله بقدر بلا نصب على المصدر اى بر لناه بر بلا والعلى جمع العليا قوله بر الرحمن على العرش استوى اى
استولى وقد تقدم تفسيره قوله له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى اى له ما فى السموات
وما فى الارض وما بينهما مما خلق معناه انه مالك كل شىء ومدبره وقوله بينهما يعنى الهواء وقوله وما تحت
الثرى اى وما تحت الرماد والمفسرون يقولون هو التراب الندى الذى تحت الارض السفلى وقيل تحت الصخرة التى عليها
الثور والاعلم ما تحت الثرى الا الله قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى معناه ما حاجتك الى الجهر
فان الله لا يحتاج الى الجهر ليسمع فانه يعلم السر واخفى منه قال ابن عباس السر ما اسررت فى نفسك
واخفى منه ما لم تحدث به نفسك مما يكون فى غد علم الله فيهما سواء والتدبير واخفى منه الا انه حذف
للعلم قوله وعن عبد خير قال السر ما تسر فى نفسك واخفى منه ما لم تكن وهو كائن والله تعالى يعلم ما تخفى
على ابن ادم مما هو فاعله قبل ان يفعله قوله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى اى له الصفات
العليا قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى هذا استفهام تقرير يعنى الخبر مزيد فانا تاك حديث موسى اذ
راى نارا قال ابن عباس كان موسى عليه السلام رجلا غيورا لا يصحب الرفقة ليلا يرى احدا من امراته فاخطا
الطريق فى ليلة مظلمة فرأى نارا من بعيد فقال لاهله امكثوا اى قال الاهراء اقيموا مكانكم انى انست
نارا اى ابصرتها وابصرتها لعلى آتيكم منها بقبس اى بشعلة او اجد على النار هدى اى من يدلنى على الطريق
وقال مجاهد يعنى كادنا يهدينى الى الطريق وقال الفراء اراد كاد يافذ كر بلفظ المصدر قال السدى ان
النار لا تحلو من اهل فلاة وناس عندها وكان رؤيته للنار فى ليلة الجمعة وكان قد استاذن شعيبا عليه
السلام فى الرجوع الى والدته فاذن له فخرج بامراته فولدت فى الطريق فى ليلة باردة مثلجة وقد جار
الطريق فقدح النار فلم تور المقدحة شيئا فبينما هو فى محاولة ذلك اذ ابصر نارا من بعيد عن يسار
الطريق تعالى لامراته امكثوا اى اقيموا مكانكم انى ابصرت نارا لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار
من يدلنى على الطريق قوله فلما اتاها نودى يا موسى انى انا ربك اى فلما اتى النار رأى شجرة خضراء من
اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وتعجب والنور
عند السكيية ثم نودى يا موسى انى انا ربك والما كرر الكناية لتوكيد الدلالة وازالة الشبهة
وليتحقق المعرفة وقرئ انى انا ربك بفتح الهمزة وكسرها بتوجيه فعلى معنى بانى وعلى كسرها معنى الابتداء
قال وهب نودى من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا ما يدريه دعاه تعالى انى اسمع صوتا
ولا ارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم
ان ذلك لا ينبغى الا لربه عز وجل فايقن به قوله فاخلع نعليك قال الحسن انما امر بخلع نعليه
لتنال قدماه بركة الوادى المقدس طوى المقدس هو المطهر وقيل المبارك ولا يستدل بما قاله
على كراهة على ان جلد الميتة لا يطهر بالدباغ لانه ان كان كذلك فهو منسوخ بقوله عليه السلام ايما اهاب
دبغ فقد طهر قوله طوى هو اسم الوادى قوله وانا اخترتك فاستمع لما يوحى اى اخترتك للرسالة
لكى تقوم بامرى فاستمع لما يوحى اليك واحفظه حتى تؤديه الى الناس وقوامه وانا اخترتك بالتشديد
وانا على التعظيم وقوله انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وله تعبد غيرى ظاهر المعنى قوله واقم
الصلوة لذكرى اى لتذكرنى فيها بالتسبيح والتعظيم كما قال مجاهد والحسن وقيل لان اذكرك
بالثناء والمدح وقال معاذ بن جبل يعناه اذا تيقنت الصلوة فانما اذا ذكرتها اذا ذكرتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فان ذلك وقتها ثم قرأ واقم الصلوة لذكرى
قوله ان الساعة آتية اكاد اخفيها قال ابن عباس معناه ان القيمة كائنة اكاد اخفيها عن نفسى فكيف
اظهركم بها الفراء قال العرب تعد هذا على عادة مخاطبة العرب يقولون اذا بالغوا فى كتمان الشىء كتمته حتى عن نفسى
اى لم اطلع عليه احدا فالمعنى ان الله تعالى بالغ فى اخفاء الساعة فذكره بابلغ ما تعرف العرب قال قتادة

اى المطهر وقال عكرمة كانت نعلاه من جلد حمار ميت قوله انما لوادى المقدس

هى فى بعض القراءة اكاد اخفيها من نفسى ولعمرى لقد اخفاها الله عن الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين
وفى مصحف عبد الله اكاد اخفيها من نفسى فكيف نعلمها مخلوق ومعنى الآية اكاد اخفيها عن عبادى كيلا
تأتيهم الا بغتة والفائدة فى اخفائها عن العباد التهويل والتخويف وفى ذلك مصلحة لهم لهم اذا لم يعلموا
متى وقتها كانوا على حذر منها فى كل وقت فحاسبوا انفسهم واستعدوا لذلك بالتوبة والطاعة وقوله تعالى
لتجزى كل نفس بما تسعى اى تسعيها اما الثواب واما العقاب وقرا الحسن وابن جبير اكاد اخفيها بفتح
الهمزة اى اظهرها واريد بها ان جعلت السماء الاظهرة واخفيته اذا سترته قوله ولا يصدنك
عنها من لا يؤمن بها اى ولا يصرفنك عن الايمان بالساعة من لا يصدق بها واتبع هواه بالانكار فتردى
اى فتهلك وهو خطاب لموسى عليه السلام ونهى لسائر المكلفين والصد هو الصرف من الخير يعنى صده
عن الحق وصده عن الايمان والاعمال صده عن النشر ولكن يعنى صرفه عن الشر ومنعه عنه قوله وما تلك
بيمينك يا موسى اى وما التى بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكا عليها اى اعتمد عليها اذا اعييت او اذا
مشيت ولفظ اول الآية استفهام ومعناه التقرير على المخاطب ان الذى فى يده عصى لكى لا تهوله اذا
صارت ثعبانا وانما كان العرض هذا السؤال ازالة الوحشة منه لان موسى كان خائفا مستوحشا
قوله وأهش بها على غنمى اى اخبط بها الشجر لتساقط ورقه فياكله غنمى وقرا عكرمة وأهس بالسين المهملة
يعنى ازجر بها الغنم وذكر ان المعز يهوا هش وهش قوله ولى فيها مارب اخرى اى حوائج اخرى يقال
لا ارب لى فى هذا اى لا حاجة لى فيه واحد المارب مأربة بضم الراء وكسرها وفتحها واما المآرب فى قول اخر
لاجل رؤس الآى فكان ابن عباس كانت مأربته انه اذا اقصر رشاؤه وصله بالمحجن حتى ادلى العصا
وكان فى اسفلها عكازة يعالج بها السباع وكان يلقى عليها كساءه يستظل تحتها ومن مآربه ايضا انه
كان اذا اراد الاستقاء من بئر دلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو وكان يطهو على شعبتيها
كالشمعتين بالليل تضىء له حتى يصبح وهتدى بها واذا اشتهى ثمرا من الثمار نكزها فى الارض فتغصنت
اغصان تلك الشجرة واورقت وارقت وادركت ثمارها ومن المعلوم ان موسى لم يرد هذا الجواب اعلام
الله تعالى اياه انه علم ذلك منه ولكن لما اقتضى السؤال جوابا لم يكن بد له من الاجابة ذكر منافع العصى
اقرارا بالنعمة فيها والتزاما لما يجب على المرسل لرسوله وهكذا سبيل اولياء الله تعالى فى اظهار شكرهم لله تعالى
وفى هذا جواب عن طعن بعض الملحدة بان المسئلة كانت عن مائية ما فى يده ولم يكن عن منافعها فلم كان الجواب
عالما لسائل قوله قال القها يا موسى اى القها من يدك والقاها فاذا هى حية تسعى اى تشتد رافعة راسها
عينا لها يتوقد ويا لها تمشى بسرعة على بطنها لها عرف وتكرف الفرس فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب
كان يا منها فنودى يا موسى ارجع وهو شديد الخوف فقال الله له خذها ولا تخف سنعيدها
الى سيرتها الاولى عصى كما كانت فلما امره الله باخذها ادنى طرف ثوبه على يده وكان عليه مدرعة من صوف
فلما جعل طرف المدرعة على يده ليتناولها قال له ربه يا موسى ارايت لو ان الله قد عمك بالخذ ما كانت
المدرعة تغنى عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعفى خلقت فامره ان يدخل يده فى فمها فكشف عن يده
ثم وضعها فى فم الحية واذا الله فى الموضع الذى كان يضعها فيه من الشعبتين اللتين فى راس العصى

وانما امر بادخاله يده في فمه لانه انما تحشى من الحية من فمها فاراد الله ان يريه من الايه التي لا
يقدر عليها مخلوق ولا يدفع منها الا الله عدو عدو ولا يولي مدبرا قوله تعالى واضمم يدك
الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى قال الفراء جناح الانسان عضده الى اصل ابطه والمعنى
ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء ذات شعاع من غير مرض والبرص اية اخرى تعطيكها مع العصى لتريك
من اياتنا الكبرى سوى ما تقدم الاشارة اليه وكان عليه السلام اذا جعل يده في جيبه وحين يضاء تتلألأ شعاعا
نور الشمس فكان ابن عباس كان يده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشتد ضوءا
قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز الحد في العصيان وكفر وتكبر قوله تعالى قال رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري اي وسع لي صدري لاتمكن من تحمل اثقال الرساله والقيام باداتها والحاصة
الناس فيها وسهل لي امري برفع المشقة ووضع المحنة قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي اي وارفع العقدة من لساني ليفقهوا كلامي وكان سبب العقده في لسانه انه كان في حجر فرعون
ذات يوم فاخذ بلحيته فنتف منها شيئا فعال فرعون لامراته اسية ان هذا عدوي المطلوب وهم
بقتله فعالت له آسية لا تفعل فانه طفل لا يعقل ولا فرق بين الاشياء لا تميز وعلامة ذلك انه لا
يميز بين الدرة والجمر بل جاء بطشتين فجعل في احدهما الجمر المتقاد وفي الاخر الجوهر والحلي
ووضعها بين يدي موسى فاراد موسى ان ياخذ شيئا من الحلي فاخذ جمرا بيده فوضعها على النار
فاخذ جمرة ووضعها في فمه حتى احترق لسانه فكان في لسانه رتة قد رفع عنه اكثر المفسرين بالقليل
وقد اختلفوا في ان هذه العقدة هل زالت بالكلية او بقي منها شيء فقال بعضهم زال اكثرها والا بقية
منه بدلالة قوله ولا يكادون يبين وقال بعضهم وهو الاصح والله ذهب الحسن ان الله استجاب له فحل
العقدة من لسانه لانه تعالى قال قد اوتيت سؤلك يا موسى فعلى هذا لا يكون قوله تعالى في فرعون ولا يكاد يبين اي لا
يبين بيانا يعبر به عما في ضميره وكان هذا القول كذبا منه عليه ليصرف القوم عنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي
هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري الوزير هو الذي يوازر الامير فيحمل عنه بعض ما حمل فيكون
المعنى واجعل لي عونا وظهيرا من اهلي وقال الرجاج اشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به لينجي من
الهلكة ثم ان الوزير من هو فقال هرون اخي وقيل هرون منصوب على تعديد اجعل هرون اخي وزيرا
الى شد به ازري اي قوته ظهري والازر الظهر لتتعاونا على امر الدين امر تنا به تعالى ازرني فلانا
اذا اعانه ونتله قوله تعالى واشركه في امري اجعله شريكا في تبليغ هذه الرساله ومن قرا اشدد بهمز الالف
واشركه بضم الالف رد الفعل الى موسى على السلام قوله تعالى كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا اي كي نصل لك
وقيل كي نعبدك كثيرا ونذكرك بالحمد والثناء كثيرا او ليثنا من تمكن ومنت علينا بارسالك
وقوله تعالى انك كنت بنا بصيرا اي عالما قوله تعالى قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيت ما سالت
يا موسى واوتيت مرادك وقوله تعالى ولقد مننا عليك مرة اخرى اي انعمنا عليك كرة اخرى قبل هذه المرة
ثم بين تلك النعمة فعال تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى اي الهمنا ما حين غفلت بامرك وما كان فيه
سبب حاكد من القتل ما يوحى اي ما يلهم به مسرد لك الالهام فعال ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه
في اليم وكان السبب في ذلك ان فرعون كان يقتل غلمان بني اسرائيل على ما تقدم ذكره حتى ان بعض الشر
بني اسرائيل وكان يقتل بعد ذلك في سنة ولا يقتل في سنة فولد موسى في السنة التي يقتل فيها

الغلمان

الغلمان فنجاه الله من القتل فان الهم امه ان اجعليه في التابوت واطرحي التابوت في اليم
وهو البحر واراد به النيل ومعنى قوله تعالى فاقذفيه اي احمليه وقوله تعالى فليلقه اليم بالساحل
لفظه لفظ الامر وهو خبر اي فقذفته حتى يلقيه اليم بالساحل وقوله تعالى ياخذه عدو لي وعدو له
اراد به فرعون قوله تعالى والقيت عليك محبة مني اي وكذلك ارام موسى لما اتخذت لموسى تابوتا
جعل فيه قطنا مجلوجا ووضعه فيه موسى والقته في النيل وكان يخرج منه نهر اكبيرا
في دار فرعون فبينما هو جالس على راس البركه مع امراته اذ اقبل التابوت يجري في الماء فلما راى
ذلك امر الجواري والغلمان باخراجه فاخرجوه وفتحوه فاذا صبي من اصبح الناس وجها فلما راه
فرعون احبه بحيث لم يتمالك وذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة مني وقال عطية العوفي جعل عليه
مسحة من جمال فاحبه كل من راه وقال عطاء عن ابن عباس معنى قوله والقيت عليك محبة مني اي كنت
يثقال احد لا احبك من سلم وكافر وقال عكرمة القيت عليك ملاحة وحسنا فلم ار بصرت
آسية وجهه قال لفرعون قرة عين لي ولك وقال ابو عثمان بينما جعلت لك محبة عندي
وعند غيرك فرعون فسلم من شره واجتذبك امراته فتتبناك قوله تعالى ولتصنع على عيني
اي ولترعى وتغذى على محبتي وارادتي قوله تعالى اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله
وذلك ان موسى حين سكن وطلب اللبن فامر فرعون حتى اتى بالنساء اللواتي حولها ارضعن موسى فلم يقبل ثديا واحدا منهن وكانت اخت موسى متبعة للتابوت ماشية
خلفه فلما حمل التابوت الى فرعون ذهبت هي معه فقالت هل ادلكم على من يكفله اي من يرضعه
ويضمه ويحضنه فقالوا نعم فقال امراة فدفعل ولدكا وهي تحسب ان تجد صبيا ترضعه فادن
لها فرعون في احضارها فاخذت الثدي فالتقمه موسى فاعطته الذي فاخذه موسى وفرح به
فرعون وحمل لها الاجر على الارضاع وحملته امه الى داركما قد ذكرنا قوله تعالى فرددناك الى امك
كي تقر عينها اي ردد ناك الى امك كما وعدناك ان نفعل ذلك ولا تحزن على ابنها قوله تعالى وقتلت نفسا
يعني القبطي الذي وكزه موسى فقضى عليه فنجيناك من الغم اي من غم القود وخلصناك من ان تقتل
قوله تعالى وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء ومحنة بعد محنة ومعنى خلصناك مكاوده كما قد حمل به في السنه
التي مدح فرعون فيها الاطفال ثم العاوه في البحر ثم منع الرضاع الا من ثدي امه ثم حبسه
لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة ثم حمله القبطي ثم خروجه الى مدين حافيا بغير ثياب
ثم معنى فتناك فتونا اي خلصناك من تلك المحن وقيل معناه شددنا عليك في امر المعاش حتى رعيت
لشعيب عشر سنين وقال ابن عباس معناه اختبرناك اختبارا وقال الضحاك ابتليناك ابتلاء
وقال مجاهد خلصناك خلاصا قوله تعالى ولبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى
لشعيب مكثت عشر سنين وقيل عشرا ثم سار بامراته وقاصدا الى اهل مدين فلبث سنين
وبلاد اهل مدين على ثمان مراحل من مصر وقال وهب لبث في اهل مدين عند شعيب ثماني وعشرين سنة
عشرا التي دعاها الشعيب وثماني عشرة اقام عنده حتى ولد له قوله تعالى وقتل نفسا فنجيناك من الغم
وهو ابن ثماني عشرة سنة قوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى يعني فلبثت سنين في اهل مدين حتى

كنت راعيا لشعيب بمدين على المقدار الذى قدره لموسى بمجيئه وكثته والروح المحفوظ قال ابن كيسان
جاء على راس اربعين سنة وهو العدد الذى يوحى فيه الى الانسان ولما ٥ واصطنعتك لنفسى اى اختصصتك
لوحيى ورسالتى والاصطناع هو الاختصاص بالالطاف وقال الزجاج معناه اخترتك لاقامة
حجتى وجعلتك نبيى ومن خلقى ٥ اذهب انت واخوك باياتى اى باليد والعصا ولا تنيا فى ذكرى اى لا
تفترا فى تبليغ رسالتى الى فرعون ولا تضعفا عن ذكرى وقيل لا تقصرا ولا تبطئا ٥ وله ٥ اذهبا الى
فرعون انه طغى قد تقدم تفسيره ٥ وله ٥ فقولا له قولا لينا اى قولا له بالشفقة والرفق ٥ وله ٥ لا عنيفا
ويزداد عضبا بغلظ القول قال السدى وعكرمة كنيتاه قوله ٥ يا ابا العباس وقيل ابا الوليد
وبايها الملك وقيل يعنى بالقول اللين هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى ٥ وعن السدى قال القول
اللين ان موسى اتاه فقال له تومن بما جئت به وتعبد رب العالمين على ان لك شبابك فلا تهرم وتكون لك
ملكك لا ينزع حتى تموت ولا تشرع عبد لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت وانت على ذلك الحمنه
فاعجبه ذلك وكان لا ينقطع امر اذن هامان وكان هامان غايبا فقال فرعون لموسى ان لى ذا امر
وهو غايب فاصبر حتى يقدم فلما قدم قال له فرعون يا هامان ان موسى دعانى الى امر فاعجبنى واخبرنى
بالذى دعاه اليه واردت ان اقبل منه فما ترى فقال هامان وهل كنت ارى لك عقلا بينما انت رب تريد ان
تكون مربوبا وانت تعبد فتريد ان تعبد فتغلبه على رايه فابى ٥ روى انه جلا قرا فى مجلس يحيى معاد
هذه الايه وله ٥ فقولا له قولا لينا فبكى يحيى وقال الهى هذا رفقك بمن يقول انا الله فكيف رفقك بمن يقول انا
الهى او قال لا اله الا انت بهذه الكلمة خمس سنين وله ٥ لعله متذكر او تخشى اى تعظ او تخشى العاقبة
وكلمة لعل للترجى والطمع اى اذهبا على رجائكما وطمعكما وانا عالم بما يفعل قال وقيل كونوا على لعله متذكر
وعلمه سابق فى فرعون انه لا يومن ولا يتذكر ولا يخشى قيل هذا مصروف الى عرفوا فتدبروه لكى
يتذكر متذكر او يخشى خاش اذا راى بريق والطافى لمع خلقته ورقته وصحح حسبه وانعت عليه ٥
ادعى الربوبية دونه ٥ قال بعض العارفين فى قوله ٥ وقولا له قولا لينا اذا كان هذا رفقك بمن يناوئك
فكيف رفقك بمن يصافيك هذا رفقك بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يوالیك هذا رفقك بمن يشيك فكيف
رفقك بمن يحبك هذا رفقك بمن يقول انا فكيف رفقك بمن يقول انا الله هذا رفقك بمن يصل فكيف رفقك
بمن لا يهدا رفقك بمن افترى فكيف رفقك بمن اعترف هذا رفقك بمن اضاف فكيف رفقك بمن اقر
هذا رفقك بمن استكبر فكيف رفقك بمن استغفر ٥ وعن وهب بن منبه قال اوحى الله الى موسى
لا تطلق الى فرعون برسالتى فعسى ان ترى وان عندى عظيم من جنودى بعثك الى حلق ضعيف قد غرته
الدنيا حتى كفر وانى اقسم بعزتى لولا ان حجتى عليه والعذر الله لبطشت به بطشة جبار يغضب
لغضبه السموات والارض وان ادن للسماء حصبته وللارض ابتلعته وللجبال دمرته وللبحار
اغرقته ولكنه وسعه حلمى فبلغه رسالتى وقوله فما يبرح ذلك قولا لينا لا يعرفه بما يستشعر من لباس
الدنيا ٥ حث ربك الذى هو واسع المغفرة انه قد اهلك من عصاه ممن لم تتقدم ولم تسلم
ولم تعتقد واعلم ان افضل ما يتقرب به العباد الى الله هو فى السماء ومن اهلها ولى ولیا فقد بارزنى
بالمحاربة ٥ وله ٥ انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى معناه قال موسى وهو يعلم ان ربنا
انا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس يعجل بالقتل والعقوبة وقيل يغلبنا او ان يطغى يتكبر

ويستعصى

والتعونة

ويستعصى على ما يعاين فرط علينا فلان اذا عجل بكروه وفرط منه امر اى بدر وسبق وله ٥ قال لا تخافا
انني معكما اى معكما بالنصر والعون اسمع ما يرد عليكما واری ما يصنعه بكما وقيل معناه اسمع دعاءكما
فاجيبه واری ما يريد بكما فامنعه وليس يخافل عنكما ولا تهتما ٥ فاتياه فقولا انا رسولا ربك ارسلنا
اليك فارسل معنا بنى اسرايل اى اطلقهم واعتقهم ولا تتعبهم بالاعمال الشاقة قد جئناك بآية من ربك اى
بعلامة من ربك وهى اليد والعصا وهما اولاية وقيل اليد خاصة وكان فرعون قد اتعب بنى اسرايل بالاعمال
الشاقة مثل الابر والطين والبناء وما لا يقدر ان عليه فلما قال موسى له قد جئناك بآية من ربك قال وما هى
فادخل يده فى جيب قميصه ثم اخرجها فاذا هى بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس فعجب منها ولمع العصا
الا بعد ذلك يوم الزينة ٥ وله ٥ والسلام على من اتبع الهدى ليس هو تحية لفرعون ولكن معناه ان من
اتبع الهدى سلم من عذاب الله بدليل انه عقبه بقوله ٥ انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى
اى ابا ان يعبد الله ٥ قال كذبتنا واعرض عنا فلا نسلم ٥ وله ٥ قال فمن ربكما يا موسى
اى من الحكم الذى ارسلكما قال ربنا الذى اعطى كل شى خلقه اى ربنا الذى خلق كل شى على الهيئة التى ينتفع بها
واعطاه صحته وسلامته وركب فيه شهوته ثم هداه لمعيشته وقيل معناه الذى صور كل جنس
من الحيوان على صورة اخرى ولم يجعل خلق الانسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الانسان ولكن خلق
كل شى بقدر تقديرا وقال الضحاك اعطى كل شى خلقه يعنى لليد البطش وللرجل المشى وللسان النطق
وللعين النظر وللاذن السمع ٥ وقال سعيد جبر اعطى كل شى شكله للانسان زوجه وللبعير ناقه
وللفرس رمكة وللحمار اتان وللثور بقرة ثم هدى اى ثم الهم وعرف كيف ياتى الذكر الانثى فى النكاح ٥
وله ٥ قال فما بال القرون الاولى اى ما حال وما شان الامم الماضية لم بعثوا ولم عذبوا فاعالهم ومعنى
البال الحال والشان والمعنى ما حالها فانا لم نقر بالله ولكنا عبدنا الاوثان ٥ يعنى بالقرون الاولى مثل قوم نوح
وعاد وثمود ٥ قال موسى علمها عند ربى فى كتاب اى علم اعمالها عند ربى فى كتاب اراده
اللوح المحفوظ ٥ وله ٥ لا يضل ربى ولا ينسى اى لا يذهب عليه شى ولا يخطى ولا ينسى ما كان من امرهم حتى يجازيهم عليه
وقيل لا يغفل عن شى ولا يترك شيا ولا يغيب عنه شى وفى هذا دليل ان الله لم يكلف احدا العباد لحاجته فى معرفتها
الى الكتاب ولكن لتعرفه الملكة وتعال كان سوال فرعون عن القرون الاولى هل بعث اليهم انبيا كما بعثت الينا فاخبرها
علم ما فى المعلوم من امرهم ان ٥ وله ٥ الذى جعل لكم الارض مهادا اى سلك لكم فيها سبلا وفراشا لكونه مهدا بغير الف
اى فرشا والمهاد الفراش والمهد لغة فيه كالفرش والفراش اى جعلها مبسوطة ليمكن القرار عليها ولم يجعلها
جادة كروس الجبال ٥ وله ٥ وسلك لكم فيها سبلا اى طرقا مذهبون وتجيون فيها وسلكوها قال ابن عباس
سلكا اى سهل لكم فيها طرقا وامر السما يعنى المطر ٥ وله ٥ ما خرجنا به ازواجا من نبات شتى اى اصنافا
بالمطر اصنافا من نبات مختلف الالوان وله ٥ شتى اى مختلف الالوان والطعوم والمنافع من اخضر واحمر واصفر
وله ٥ كلوا وارعوا انعامكم اى كلوا من نبات الارض وارعوا انعامكم من عشبها ان فى ذلك لايات لاولى النهى اى
ان فى ما ذكرت لكم لعلامات دالة على البعث لذوى العقول من الناس واما سمى العقول نهى لان اصحابها
ينتهون بها عن القبيح والمعاصى وله ٥ منها خلقناكم اى من الارض خلقنا اباكم ادم وكلكم من ذريته وفيها نعيدكم
عند الموت والدفن ومنها نخرجكم مرة اخرى للبعث وقد مضى ذكر الارض ٥ وله ٥ جعل لكم الارض مهادا وله ٥ ولقد
اريناه اياتنا كلها فكذب وابى اى كذب بما رآه من عصا موسى ويده وابى ان يسلم ٥ وله ٥ قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنا تينك بسحر مثل ما جئتنا به فاجعل

الارض مصر ٥

سا وبينك موعدا لا نخلفه اى ميقاتا واجلا فى موضع معلوم لا نخلفه نحن ولا انت اى لا نجاوزه ولا يقع
منا خلف فى حضوره وقوله مكانا سوى اى مكانا مستويا بيننا للناس مابيننا ويستوى حال الناس الرضى
به وقيل تستوى مسافته على الفريقين فيكون مسافة كل واحد منا اليه كمسافة الفريق الآخر وقوا عده موسى يوما
معلوما وهو قوله تع قال موعدكم يوم الزينة اى يوم العيد الذى لكم قال سعيد بن جبير كان ذلك يوم
عاشوراء وقرا الحسن يوم الزينة بنصب الميم اى فى يوم وقرا الباقون بالرفع على الخبر قوله تع وان يحشر
الناس ضحى اى ضحوة ذلك اليوم واراد بالناس اهل مصر ومعنى يحشرون اى يجمعون الى العيد وانما
جعل موسى موعدهم نهارا فى يوم اجتماعهم ليكون ابلغ فى الحجة وابعد من الريبة وقوله تع وان يحشر يحتمل ان
يكون ان فى موضع رفع على معنى موعدكم حشر الناس ووقت الضحى من يوم الزينة ويحتمل ان يكون فى موضع
خفض عطفا على الزينة المعنى يوم الزينة ويوم حشر الناس فى وقت الضحوة قوله تع فتولى فرعون فجمع
كيده ثم اتى اى فاعرض فرعون عن الحق والطاعة فجمع كيده ومكره وذلك جمعه للسحرة ثم اتى الموعد
والمعنى فجمع كيده اى بحرته فيل كانوا اربعمائة ساحر فقال موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا اى لا
تشركوا مع الله احدا ولا تجعلوا له كذبا بكذبى فيسحتكم بعذاب اى فيهلككم ويستاصلكم
بعذاب من عنده وقد خاب من افترى اى وقد خسر من جعل لله كذبا ومعنى قوله تع ويلكم اى الزمكم
الله الويل وقرا اهل الكوفة فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء من اسحت الله واسحته اى اهلكه
قوله تع فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى اى فتشاوروا واسروا السحر فيما بينهم سرا من فرعون وامر
موسى واسروا النجوى اى المناجاة فقالوا ان علم موسى اتعماه واتبعه فهذا حوارهم وقوله تعالى
قالوا ان هذان لساحران اى قال الملا من قوم فرعون ان موسى وهرون لساحران يريدان ان يخرجاكم
من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقكم المثلى اى بدينكم الافضل وقيل بمعناه ويذهبا باشرافكم واخلقت
القراة فى قوله ان هذان لهما تع فوجوها احدها ان هذا بمعنى نعم لغة بلحرث بن كعب وخثعم وزبيد وقبايل من
اليمن يجعلون الالف فى الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد يقولون اتانى الزيدان ورايت
الزيدان ومررت بالزيدان قال الفراء انشدنى رجل من بنى اسد وما ان ابو حضنة منه
واطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصماه ويقولون كسر زيدا راسه وركبت علاه
يعنى راسه وعليه وقال شاعرهم تزود منا بين اذناه ضربة دعتك الى هابى التراب عقيم اراد بين اذنيه
وقال اخر اى فلوص رأكب ترى بها طارا وعلا هن فطر علا هن اى عليهن وقال اخر
ان اباها وابا اباها قد بلغا فى المجد غايتاها وقال بعضهم ان هذا بمعنى نعم روى الاعرابى عن
ابن المرير شيا خرمذه هذا لعمر الله ناقة حملتنى اليك تعدو بى الذميلان وصاحبها يعنى نعم وقال الشاعر
بكرا العواذل فى الصبوح يلمننى والمومنه ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه
اى نعم وقد ذكر اهل النحو لتصحيح هذه القراة وجوها احدها ضعف عمل ان لانها تعمل بالشبه للفعل
وليست باصل فى العمل الا ترى انها لما خففت لم تعمل والثانى انها تشبه الذى فى البنا لان

الدين

الذين فى الرفع والنصب والخفض سواء والثالث ان الالف فى هذان ليس بالف التثنية لوجود ها فى الواحد ان
وانما زيدت النون فى التثنية ليكون دليلا على الواحد والاثنين كما قالوا الذى ثم زادوا نونا تدل على الجمع
قالوا الذين فى رفعهم ونصبهم والخفض فى هذا هو مصير الا انه حذفت الها والرابع انه لما
حذفت الالف صارت الالف التثنية عوضا منها والخامس ان معنى نعم من قوله تع فاجمعوا كيدكم قرا
ابو عمرو فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من الجمع وتصديقه قوله تع فجمع كيده وقرا الباقون فاجمعوا بقطع
الالف وكسر الميم ماخوذ من اجمعت الامر اذا عزمت عليه واحكمته وقوله تع كيدكم اى مكركم وسحركم ثم
قوله تع ايتوا صفا اى مصطفين ليجتمعن لتكون انظم لامركم واشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ايتوا
المصلى والعرب تسمى المصلى صفا قال الزجاج فعلى هذا معناه ثم ائتوا الموضع الذى تجتمعون
فيه لعيدكم وقوله تع وقد افلح اليوم من استعلى اى فاز بالفلاح والبقاء من كانت الغلبة له قوله تعالى
قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى اى قالت السحرة يا موسى اما ان تلقى عصاك الى الارض
واما ان نكون اول من القى الى العصى والحبال التى معنا فقال لهم موسى بل القوا انتم فالقوا حبالهم وعصيهم روى
انهم كانوا سبعين الف ساحر وكان عدد ما عملوا من الحبال والعصى حمل بلمائه بعير فالقوا
ما معهم واذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اى تمشى وتتحرك وكانوا قد احتالوا
فيها بحيلة وكان كل راكب منهم يعيد يخيل اليه انها تتحرك وقرا ابن عامر يخيل بالتاء ردة الى الحبال
والعصى وقرا الباقون بالياء ردة الى الكيد والسحر وذلك انهم لطخوا حبالهم وعصيهم بالزيبق فلما
اصابه حر الشمس ارتهشت واهتزت فظن موسى انها تقصده فاوجس فى نفسه خيفة موسى
اى احس وجد وقيل اضمر فى نفسه خيفة فان قيل لم جاز ان يامرهم بالالقاء وهو كفر قيل يجوز
ان يكون معناه القوا ان كنتم محقين كما زعتم ويجوز ان يكون امرا بالالقاء على وجه الاعتبار قوله
تع فاوجس فى نفسه خيفة موسى وانما الاخوف ما قيل ما الذى خافه موسى قيل خاف ان يلتبس على
الناس امر السحر فتوهموا ان حبالهم وعصيهم بمنزلة عصاه وقيل كان خوفه خوف الطبع لما راى
من كثرة الحيات العظام قوله تع قلنا لا تخف انك انت الاعلى علم بالظفر والغلبة قوله تع والق ما
فى يمينك يعنى العصا تلقف ما صنعوا اى تبتلع وتلقم ما طرحوا من العصى والحبال الذى صنعوا
كيد ساحر اى الذى صنعوه كيد ساحر وقرى كيد سحر كما قالوا لابيض حر ولا يفلح
الساحر اى كائنا حيث كان قالت السحرة لموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى فقال القوا
فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم فاوحى الله الى موسى القى عصاك
فالقاها فصارت حية تسعى فابتلعت جميع ما صنعوا فاخذ كما موسى وجعل يمشى نحوهم فلما راوا ذلك
خروا سجدا وقالوا امنا برب هرون وموسى قال فرعون امنتم لموسى قبل ان اذن لكم فى الايمان له انه لكبيركم
حتى علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن
ايتنا اشد عذابا وابقى اى انا اقدر على العقوبة منه على الثواب وقيل ابقى اى ادوم عذابا منه
قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات اى لن نختارك على ما جاءنا من الحجج الواضحات
والقاطعات والذى فطرنا اى وخلقنا وقيل اقسموا بالله لانه كان معبودهم فاقضما تقاض
فاصنع ما انت صانع اى احكم ما انت محكم من القضاء انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى
انما تصنع ما تريد فى هذه الحياة الدنيا وقيل معناه انما تقطع امرا وتحكم امرا فى هذه الحياة
الدنيا ثم ذكر ما قالوا فقال انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا اى ما سلف منا من الكفر
وما اكرهتنا عليه من السحر وما كنا نعمله من المعاصى وقيل ما اكرهتنا عليه من تعلم السحر
والله خير وابقى اى ثوابه خير وابقى من ثوابك وقيل عقابه خير وابقى من عقابك
انه من يات ربه مجرما اى من يات ربه يوم القيامة كافرا به مستحقا لعذابه
فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه
ومن يات ربه مؤمنا قد عمل الصالحات اى ادى الفرايض واجتنب المحارم
فاولئك لهم الدرجات العلى اى المنازل الرفيعة فى الجنة

الصباح

وبرامنتم به ان لم امنتم له معنى الاتباع له وامنتم به ايمان الخبر من غير اتباع له فى ما دعا اليه ٥
قوله يعنى انه كبيركم الذى علمكم السحر اى رئيسكم ومعلمكم وانما قال فرعون هذه المقالة قصدا منه الى صرف
الناس عن اتباع موسى لان السحرة لم تعلموا من موسى وانما كانوا يعلمون السحر قبل قدوم موسى وقبل ولادته
قوله فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف قد تقدم تفسيره ولاصلبنكم فى جذوع النخل اى على جذوع النخل
اقيم حرف فى مقام حرف على وكان فرعون اول من قطع اليد والرجل من خلاف وصلب ٥ قوله يعنى ولتعلمن ايتنا
اشد عذابا وابقى اى لتعلمن اينا اشد عذابا وابقى عذابا انا ام رب موسى وهرون وقوله يعنى قالوا لن
نؤثرك على ما جاءنا من البينات اى قال السحرة لفرعون لن نختارك على ما جاءنا من الحق والبراهين يعنى اليد
والعصى وقال عكرمة هو انهم لما رفعوا رؤسهم من السجود راوا الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة ٥
قوله يعنى والذى فطرنا اى ولن نؤثرك على الله الذى خلقنا وجوز ان يكون قوله والذى فطرنا
قسما فاقض ما انت قاض اى اصنع ما انت صانع انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى انما تحكم علينا فى الدنيا
وهى منقضية لا محالة واما الاخرة فليس لك فيها حظ قوله يعنى انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
اى شركنا فى الجاهلية ويغفر لنا ما اكرهتنا عليه من السحر قال ابن عباس كان فرعون يكره الناس على تعلم
السحر حتى لا يسقط عنهم وقيل انه اكره هو لا السحرة على معارضة موسى قوله يعنى والله خير وابقى
اى هو خير ثوابا ان اطيع وابقى عقابا ان عصى ويقال ما عند الله من الكرامة والثواب افضل
وادوم مما تعطينا انت من المال وهذا جواب عن قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى وههنا انتهى
قول السحرة ٥ قوله يعنى انه من ياته ربه مجرما اى من ياتى الى موضع الحساب عاصيا قال له تعالى
لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قال ابن عباس المجرم الكافر قوله يعنى ومن ياته مومنا
قد عمل الصالحات اى قد عمل الطاعات فاولئك لهم الدرجات العلى اى الرفيعة فى الجنة ودرجات
الجنة بعضها اعلى من بعض والعلى جمع العليا ٥ قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم
من هو اسفل منهم كما ضوء الكوكب الدرى وان ابا بكر وعمر منهم قوله يعنى جنات عدن تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى اى من تطهر من الذنوب بالطاعة بدلا من تدنيس النفوس
بالمعصية ٥ قوله يعنى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى يعنى اسر بهم فى اول الليل من ارض
مصر يعنى بنى اسرائيل فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا اى يابسا وذلك ان الله يعنى ايبس لهم ذلك
الطريق حتى لم يكن فيه ماء ولا طين ٥ قوله يعنى لا تخاف دركا ولا تخشى اى انك امن لا تخاف ادراك
فرعون ولا تخشى الغرق فى البحر وقرا حمزة لا تخف على النهى مجزوما ولا تخشى بالالف كانه استانف
تقديره وانت لا تخشى كقوله تعالى يولوكم الادبار ثم لا ينصرون قوله يعنى فاتبعهم فرعون بجنوده
من قرأ فاتبعهم بالتخفيف يعنى لحقهم جنودهم بهم والباقى بجنوده زيادة والمعنى امرهم
ان يتبعوا موسى وقومه ومن قرأ فاتبعهم بالتشديد فالمعنى اتبعهم نفسه ومعه الجنود ٥
قوله يعنى فغشيهم من اليم ما غشيهم اى علاهم وستر هم من البحر ما علاهم وهو الغرق
وذلك انه لما راى الجمعان امر الله يعنى موسى ان يضرب بعصاه البحر ففرج فانفلق الماء فى
عرض البحر حتى صار فيه اثنا عشر طريقا وبقى الماء بين الطريق والطريق كالجبل فسلك

موسى

موسى واخذ كل سبط من بنى اسرائيل طريقا من هذه الطرق فلما اشرف فرعون وقومه على البحر
فراوه منفلقا قالوا انه طرق يابسة اوهم قومه ان البحر انما انفلق هيبته ودخل فرعون خلف بنى
اسرائيل وصاحت الملكة فى القوم ان المحقوا الملك اى ادخل اخرهم وهم اولهم ان بحرا طبق
الله به البحر عليهم فغرقوا ٥ وقال وهب استعار بنو اسرائيل حليا كثيرا من القبط ثم خرج بهم موسى
من اول الليل وكانوا سبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فركب فى ستمائة الف من القبط يقفو اثر بنى
اسرائيل فلما راى قوم موسى زهق الخيل اى عبارها قالوا انا لمدركون قال موسى كلا ان معى ربى
سيهدين فلما قربوا قالوا يا موسى اين نمضى البحر امامنا وفرعون خلفنا فضرب البحر بعصاه فانفلق
وصار فيه اثنا عشر طريقا يابسة لكل سبط طريق وصار بين كل طريق كالطود العظيم من الماء
وكانوا يرون فى الطرق ولا يرى بعضهم بعضا فاستوحشوا وظنوا فجعل الله الاطواد شبكات
يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فلما اتى فرعون الساحل ورأى بنى اسرائيل وقد عبروا
البحر حاجز بل عن مكة طائيه للذكر وكان فرعون على حصان فادخل الرمكة فى الماء فلم تملك حصان
فرعون ان اقتحم على اثرها ودخل القبط عن آخرهم فلما وجوا كلهم اوحى الله الى البحر غشيهم فطلع الماء
فغرقوا ٥ قال كعب يعرف السامرى فرس جبريل فجعل من اثره ترابا والقاه فى العجل حين اتخذه ٥
قوله يعنى واضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم حين دعاهم الى عبادته وما هداهم
حين اوردهم موارد الهلكة وهذا كقوله تعالى فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد قوله يعنى يا بنى اسرائيل
قد انجيناكم من عدوكم ووعدناكم جانب الطور الايمن يعنى الجانب الذى يلى يمين موسى يعنى فرعون اغرقه بمرأى منهم
ووعدناكم جانب الطور الايمن فراجعة والكسائى انجيتكم وزرقتكم بغير الف وذلك ان الله وعد
موسى بعد ما اغرق فرعون لبنى اسرائيل جانب الطور الايمن فيه تنيه التوراة فيها بيان ما يحتاجون اليه
وانزلنا عليكم المن والسلوى فى التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم اى من حلال ما رزقناكم من المن والسلوى
واشكروا النعمى ٥ قوله يعنى ولا تطغوا فيه اى لا تبطروا فيما انعم عليكم فتطلبوا الموائد والكثرة واعرضوا
الى معاصى ٥ ولا تحلل وانعمى فيكون لكم عليكم غضبى اى فيجب عليكم عقوبتى قرا الاعمش
والكسائى فيحل اى فينزل قوله يعنى ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى اى فقد تردى فى النار ودخل معناه
فقد هلك وسقط فى النار وقرا الكسائى ومن يحلل بضم اللام قال الفراء والكسر فى الموضعين احب
الى من الضم لان الضم من الحلول وهو الوقوع وحل بالكسر يجب وجا التفسير بالوجوب ٥ قوله يعنى
وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اى لمن تاب من الشرك وآمن بالله وعمل صالحا
ثم استقام على معرفة الله وادى الفرائض واجتناب محارمه حتى مات على ذلك وقيل معنى ثم اهتدى
اقام على السنة والجماعة وتعلم العلم ليهتدى به وقيل علم ان ذلك بتوفيق الله ٥ قوله يعنى وما اعجلك
عن قومك يا موسى الآية روى ان موسى لما ذهب مع السبعين الذين اختارهم الى الميقات ليأخذ
التوراة من ربه تعجل الى الميقات قبل السبعين شوقا الى ربه وخلف قومه وقيل السبعين وامرهم
ان يتبعوه الى الجبل وهو الطور والميقات فعال منه قوله يعنى وما اعجلك عن قومك يا موسى فقال لهم هم اولاء
على اثرى اى هم يجيئون بعدى وعجلت اليك رب لترضى اى لتزداد رضى عنى والرضى من الله عز للعباد

ذكر ما كان من السامري وما صنعه موسى للسامري

ايجاب الدرجة والكرامة لهم وقوله ع فان ما قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري اى ابلينا
قومك الذين خلفتهم معي هرون وكانوا ستمائة الف وقال الزجاج معنى فتنا قومك كلفناهم في فتنة
ومحنة وقال ابن الانباري صيرناهم مفتونين اشقيناهم بعبادة العجل وافتتنوا بالعجل عن ابي عشر
النحوي وقوله ع من بعدك اى من بعد انطلاقك الى الجبل وقوله ع واضلهم السامري اى دعاهم الى عبادة
العجل وحملهم عليها ورجع موسى الى قومه غضبان اسفا اى رجع من الميقات مع السبعين الى قومه
فلما سمع صوت الفتنة رجع غضبان اسفا اى حزينا شديد الحزن رجع عامع غضبه فقال يا قوم
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اى الم يعدكم انزال التوراة لتعملوا بما فيها فتستحقوا الجنة
والكرامة الدائمة افطال عليكم العهد مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم
بانزال العذاب بكم بعبادتكم العجل فاخلفتم ما وعدتموني من حسن الخلافة بعدي ٥ قوله ع قالوا ما
اخلفنا موعدك بملكنا اى قال الذين لم يعبدوا العجل ما اخلفنا موعدك ونحن نملك من امرنا شيئا
اى لم نطق رد عبدة العجل عن ما ارتكبوه لكثرتهم وقلتنا لانهم اثنا عشر الفا والذين عبدوا العجل ستمائة
الف وعانية وثمانون الفا لانهم كانوا اجمعا استمائة الف ٥ واكثر القراء بملكنا بالكسر اى بامرنا
ومن قرا بفتح الميم فهو المصدر ومن قرا بضم الميم فمعناه بسلطاننا وقدرتنا اى لم نقدر على رد هم ٥
قوله ع ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اى اثقالا واحمالا من حلي القبط وثيابهم التي استعرناها منهم
هو الحمل الثقيل وذلك ان موسى كان امرهم ان يستعيروا من حليهم حين اراد ان يسير وا بهم ليلا
روى عن ابن عباس وقيل انهم كانوا استعاروها ليتزينوا بها في عيد كان لهم لم يردوها عليهم
عند الخروج وكان ذلك دينا منهم فعلى هذا لا يكون معناه حملنا اثاما من حلي القوم قوله تعالى فقذفناها
اى قذفنا الحلي في النار لتذاب وكذلك القى السامري ما معه من الحلي معناها القيناها وذلك ان
الله تعالى قد وقت لموسى ثلثين ليلة ثم اتمها بعشر فلما مضت الثلثون قال السامري انما اصابكم هذا
عقوبة لكم لاجل الحلي التي معكم فاجمعوها حتى يجي موسى فيقضي بما يحكم فجمع له فصاغ منها عجلا في يده
اثام ثم قذف في فمه القبضة التي اخذها من اثر فرس جبريل قوله ع فاخرج لهم عجلا جسدا له
خوار اى اخرج لهم النار صورة عجل صاغ الحلي وقوله ع له خوار اى صوت كصوت العجل
واختلفوا في هذا الخوار فقال مجاهد خوار جبريل حين ادا دخلت حوفه وذلك انه كان جعل
في جوف العجل خروقا اذا دخلتها الريح اوهم انه يخور وقال الحسن وقتادة والسدي كان
السامري القى عليه شيئا من اثر فرس جبريل فكان فيه قبضة من اثر الرسول فصار تلك
العجل حيوانا يخور وكان معلوما في ذلك الزمان انه من اخذ من حافر دابة جبريل لانها كانت لا تضع حافرها
على شيء الا حيي ٥ ويروى ان هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال له ما تصنع قال
اصنع ما ينفع ولا يضر فقال هرون ادع لي فقال اللهم اعطه ما يسئال كما يجب فسئال الله تعالى
ان يجعل للعجل خوارا وكان الخوار يخرج من ذلك الجسد المجسد كما يخور الثور فاوهم السامري
انه حي فافتتن به قوم فعبدوه ولو رجعوا الى عقولهم لعرفوا انه لا يصلح ان يكون الها لانه
مصنوع صنعه ادمي مخلوق من حلي مخلوق وقوله ع فنسي السامري الاسلام اى تركه وقيل معناه

قال السامري لهرون وافقه على كفرهم ان موسى اراد هذا العجل فترك الطريق الذي كان يصل به الله اى
ان موسى ترك الهه هنا وذهب يطلبه وقوله ع افلا يرون الا يرجع اليهم قولا اى افلا يرى
السامري واصحابه انه يعني العجل لا يرد عليهم جوابا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا دفع ضر وقوله ع
ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وذلك ان السامري لما دعاهم الى عبادة العجل وقال
لهم ان هذا الهكم واله موسى وان موسى نسي في طلبه وهو ههنا فعلم هرون بهم خطيا وقال يا قوم
انما فتنتم بعبادة العجل وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني فيما ادعوكم الله واطيعوا امري لا امر
السامري فعصوه وقالوا لن نبرح عليه عاكفين اى لا نزال مقيمين على عبادته حتى يرجع الينا موسى
ومعنى قوله ع ولقد قال لهم هرون من قبل اى من قبل ان ياتي موسى وقال رجع موسى قال هرون ما منعك
ان تفرقوا اخرابا وحشيت ان تقول بعضهم بعضا فرقت بين بني اسرائيل ولم تحفظ قولي
ووصيتي ولم تنتظر قدومي وامري فلعلك لم اتبعك من اقام منهم على دينه ٥ قال ابن عباس كان
هرون احا موسى لابيه وامه واما قال يا ابن ام ليرققه ويستعطفه عليه وفي قوله ابن ام قراءتان
من قرا بفتح الميم جعله بمنزلة اسم واحد اتصل الثاني بالاول مثل خمسة عشر ومن قرا بالكسر فعلى معنى
الاضافة وذلك كسرة الميم على الياء التي بعدها فان قيل كيف جاز ان ياخذ بلحية هرون وراسه مع
ان هرون نبي والنبي لا يجوز عليه القبض على لحيته وقيل لانه اجرى هرون مجرى نفسه لانه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم
نفسه وقد ياخذ الانسان بلحية نفسه اذا غضب وقال ابن عمر رضي الله عنه كان اذا غضب
نفسه قوله ع فاخذ برأس اخيه يجره اليه قوله ع يا ابن ام ان القوم استضعفوني اى ظنوا اني
قتلت شاة من غنمك قوله ع فلا تشمت بي الاعداء اى لا تفعل ما يشمت بي اعدائي قوله ع
وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قوله ع ما خطبك يا سامري اى ما شانك الذي دعاك الى ما صنعت وقيل معناه ما هذا الخطب
فعالجه ما خطبك يا سامري اى ما شانك الذي دعاك الى ما صنعت والخطب هو الجليل من الامر اى فاده كان السامري من
العظيم الذي دعاك الى ما صنعت والخطب هو الجليل من الامر اى فاده كان السامري من
عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكنه بعد ما قطع البحر مع بني اسرائيل من مجاعة وهم
يعكفون على اصنام لهم ومعه سوا اسرائيل فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة فاعتنمها
السامري واتخذ العجل فقال السامري محببا لموسى بصرت بما لم يبصروا به اى ابصرت ما لم يبصروا
وعرفت ما لم يعرفوا وفطنت بما لم يفطنوا له قال له موسى وما الذي بصرت به دون بني اسرائيل
قال قبضت قبضة من اثر حافر فرس جبريل وكان قد القي في نفسي ان افعلها وما القيته على شيء الا صار
له روح ولحم ودم فحين رات نفسك طلبوا منك ان تجعل لهم الها حدثتني نفسي ان افعل لهم
اي فعلت لهم ما في العجل وكذلك سولت لي نفسي اي وكما حدثتك يا موسى سولت لي نفسي اي زينت لي
نفسي ان اتخذ القبضة والقيها في صورة العجل وقيل معناه وكذلك سولت لي نفسي اي المعنى
نفسي ان العجل ينقلب حيوانا وقرا الحسن فنبذت قبضته بالصاد فيهما والفرق بينهما ان القبض

لجميع الكف والقبض باطراف الاصابع ٥ قوله يعرفان اذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس اى قال له موسى فاذهب من بيننا فان لك ما دمت حيا ان تقول لا مساس لا آمسُ ولا امَسُ ولا اخالط وامر موسى ان لا يبيعوا ولا يؤكلوا ولا يخالطوا ولا يبايعوا فحرم عليهم مخالطة السامري وحرّم فعله وكان هو وهيم في البرية مع الوحش والسباع وقال ابن اسحاق ابتلى بالوسواس وقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله له لا تقتله فانه سخي ٥ وكان السامري اذا لقي احدا يقول لا مساس اى لا تقربني ولا تمسني وكان قد عقوبة له ولولده عاقبه الله بذلك حتى اذا بقايا هم اليوم يقولون لكدكد ودكرانه اذا مسّ واحد منهم احدا مرّ بهم جميعا كلاهما في الوقت ٥ قوله وان لك موعدا لن تخلفه معناه وان لك ياسامري اجلا لا بد ان يأتيك الله فيه على ما فعلت وهو يوم القيمة قرا الحسن وابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام اى لن تغيب عنه بل توافقه ولا مذهب لك عنه وقرا الباقون بفتح اللام بمعنى لن تخلفه الله قوله ٥ وانظر الى الهك اى وانظر الى العجل الذي اقمت على عبادته وزعمت انه الهك ومعبودك الذي ظللت عليه عاكفا اى مقيما تعبده تقول العرب ظل فلان يفعل كذا اى حتى ظللت قوله ٥ لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا قال ابن عباس حرقه بالنار ثم ذراه في اليم وهذه القراءة تدل على ان ذلك العجل صار لحما ودما لان الذهب والفضة لا يمكن احراقهما بالنار وذكر في بعض التفاسير ان موسى احد العجل فذبحه فسال منه دم لانه كان قد صار دما ولحما ثم احرقه بالنار ثم ذراه في البحر وكان الحسرة لما احرقته بالتحذف ومعناه انه يحتمل ان نحرقه بالنار لانه لا يجوز احراق الحيوان قبل الذبح كما روي في الخبر لا تعذبوا احدا بعذاب الله وقرا ابو جعفر واشهب العقيلي لنحرقنه بضم النون وضم الراي لنبردنه بالمبرد يقال حرقت السكين اذا بردته والمحرق هو المبرد وهذه القراءة تدل على ان العجل لم يؤذ هبا ولكن كان له خوار قوله ٥ ثم لننسفنه في اليم نسفا اى لنذرينه في البحر تذرية يقال نسفت الطعام بالمنسف اذا ذريته لتطير عنه قشوره وتراثه ٥ قوله ٥ انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اى لا معبود للخلق سواه فهو الذي يستحق العبادة لا العجل قوله ٥ وسع كل شيء علما اى احاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء من اعمال العباد قوله ٥ كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اى كما قصصنا عليك يا محمد خبر موسى وقومه كذلك نقص عليك من اخبار من قد مضى وتقدم من اخبار الرسل وامهم وقد اتيناك من لدنا ذكرا اى وقد آتيناك ذكرا من الله العظيم قوله ٥ من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا اى من اعرض عن القرآن فلم يؤمن به فانه يحمل يوم القيمة اثما والوزر ههنا الحمل الثقيل من الاثم وقوله ٥ خالدين فيه اى مقيمين في عقوبة ذلك الاثم وعذابه وبئس وزرهم يوم يحملون قوله ٥ يوم ينفخ في الصور وبحشر المجرمين يومئذ زرقا قرا ابو عمرو بنون مفتوحة وقرا الباقون ياء مضمومة على ما لم يسم فاعله والصور قرن ينفخ فيه يوم القيام ليقوم الناس من قبورهم مثل بوق الرحيل ويقوم النزول قوله ٥ ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اى عميا ٥ قوله ٥ وزرقا اعينهم يسود العطش لان العطش اذا اشتد تغير سواد العين الى الزرقة وقيل معناه عميا ومعنى الزرقة الخضرة في سواد العين كعيني السنور والمعنى في هذا تشويه الخلق بسواد الوجوه وزرقة العيون قوله ٥ يتخافتون بينهم اى يتشاورون فيما بينهم يقول بعضهم لبعض ان لبثتم الا عشرا اى ما لبثتم في النخلة الاولى الا عشرا ليالي وذلك انه كان عليهم العذاب فيما بين النفختين وهو ما يعذبهم فاستقصروا مدة لبثهم لطول ما عانوا وقيل

معناه

معناه يقولون ما لبثتم في الدنيا الا عشر ليال وذلك لشدة ما يرون وهو اليوم القيمة يتشاورون ما لبثوا في الدنيا قوله ٥ نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة اى اعلمهم عندهم ان لبثتم الا يوما ما لبثوا مقدار لبثهم لشدة ما رأوا هم يقالون هذا القول وهو كذب منهم قوله ٥ ويسألونك عن الجبال اى يسألك الكفار عن حال الجبال يوم القيمة ان تذهب مع عظمها وقال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ كيف يكون الجبال يوم القيمة فانزل الله هذه الآية قوله ٥ فقل ينسفها ربي نسفا اى يصيرها رمالا يسيل سيلا ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كتذرية الطعام والتشوور والتراب فيصيرها كالهبا وكالصوف المنفوش قوله ٥ فيذرها قاعا صفصفا اى ارضا ملسا مستوية لا نبات فيها ٥ والصفصف المستوي الذي لا نبات فيه قوله ٥ لا ترى فيها عوجا ولا امتا قال ابن عباس العوج الاودية والامت الروابي وقال مجاهد انخفاضا وارتفاعا وقال قتادة لا ترى فيها صدعا ولا اكمة وقال الحسن العوج ما انخفض من الارض والامت ما نشز من الروابي وقال مقاتل حبلا حبلا حتى ما ترك فيه امتا ولا سقاه حتى ما ترك فيه امتا اى انثى ٥ قوله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له اى يومئذ يتبعون داعي الله الذي يدعوهم الى موقف القيمة ٥ وهو اسرافيل لا عوج لدعائه وقيل لا عوج لهم عن دعائه اى لا يزيغون عنه بل يتبعونه سراعا لا يعدلون عن الطريق يمينا ولا شمالا ولا يملكون التاخر ٥ قوله يوم وخشعت الاصوات للرحمن اى ذلت الاصوات هيبة الرحمن وقيل سكنت الاصوات فلم تسمع الا صوت الحشوع والمعنى لا تسمع الا همسا ٥ وقوله يومئذ لا تنفع الشفاعة اى الا صوتا خفيا يعني صوت نقل الاقدام الى المحشر والهمس الصوت الخفي لصوت اخفاف الابل في المشي وقال ابن عباس معنى الهمس تحريك الشفاه غير منطوق به وهو قول مجاهد والكلام المخل والمعنى على هذا التفسير سكنت الاصوات فلا تسمع احدا يتكلم الا كالسر والاشارة بالشفة وتحريك اللسان من غير صوت ٥ قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن اى لا تنفع الشفاعة الا من اراد له الرحمن ان يشفع له فذلك الذي تنفعه الشفاعة وقيل لا تنفع شفاعة احد الا من اذن له الرحمن ان يشفع ورضي له قوله ٥ وهم في الدنيا وهم المؤمنون قال الله عز وجل في الآية الاولى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال المؤمنين ٥ قوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اى يعلم ما قدموا وما خلفوا وقوله ٥ ولا يحيطون به علما الكناية تعود الى ما في قوله ما بين ايديهم وما خلفهم اى هو يعلم ذكرهم لا يعلمونه ويجوز ان تعود الكناية الى الله تعالى اى لا يعلمون ما هو صانع بهم قوله ٥ وعنت الوجوه اى ذلت الوجوه وخضعت واستسلمت للحي القيوم الذي لا يموت القائم الذي لا تزول ولا تبيد والعاني في اللغة هو الاسير ومنه قولهم اخذت الشيء عنوة اى غلبة يقال للماخوذ منه قال الشاعر ٥ مليك على عرش السماء مهيمن ٥ لعزته تعنو الوجوه وتسجد وقال الحسن القيوم القائم على كل نفس بما كسبت حتى جزى بها به ٥ قوله وقد خاب من حمل ظلما اى خاب من تولى الله من حمل شركا ومعصية ومعنى خاب خسر قوله ٥ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ولا يخاف ظلما بالزيادة في سيئاته ولا هضما بالنقصان من حسناته والهضم النقص يقال هضمني فلان حقي اى نقصني وهضم الطعام اى نقص ثقله قوله ٥ وكذلك انزلناه قرانا عربيا اى وهكذا انزلناه قرانا على اللغة العربية وصرفنا فيه اى وكررنا فيه من الوعيد ولعل معنى صرفنا اى بينا فيه من الوعيد يعني الوقايع في الامم المكذبة لكي يتقوا الشرك بالانقطاع عن قبلهم

او يحدث لهم ذكرا اي او يجدد لهم القران اعتبارا فيذكروا به عقاب الله وقيل معناه او يحدث لهم
ذكرا شرفا بايمانهم كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك ولقومك قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق
اي ارتفعت صفة الرحمن فوق كل شي سواه لانه اقدر من كل قادر واعلم من كل عالم وكل قادر وعالم سواه محتاج
اليه وهو غني عنه وقوله تعالى الملك الحق اي يحق له الملك فان كل ملك سواه يملك بعض الاشيا ويبيد ملكه ٥ قوله تعالى
ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه قال الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي عجل بقراته مخافة
نسيانه وكان يقرا مع الملك مخافة ان يذهب عنه شي فنهي عن ذلك فقال ولا تعجل بالقران اي بقراته من قبل ان يفرغ
جبريل من تلاوته عليك ٥ قوله تعالى وقل رب زدني علما اي زدني حفظا حتى لا انساه قوله تعالى ولقد عهدنا الى
ادم من قبل اي امرناه ان لا ياكل من الشجرة من قبل هولا الذين نقضوا عهدي وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم
في قوله لعلهم يتقون والمعنى ان هولا الذين صرف لهم في القران الوعيد اذا ضيعوا عهدي وخالفوا امري فان اباهم
ادم عليه السلام عهدنا اليه ايضا فنسي وترك عهدي وما امر به ولم نجد له عزما اي لم نجد له حفظا لما امرناه
به وقال الحسن معناه ولم نجد له صبرا عما نهي عنه وقيل معناه ولم نجد له رايا معزوما عليه حيث اطاع عدوه
ابليس الذي حسده وابى ان يسجد له قال الحسن كان عقل ادم كعقل جميع ذريته قال الله تعالى ولم نجد له عزما
وجا في الحديث لو وزن حلم بني ادم مذ كان ادم الى ان تقوم الساعة لرجح حلم ادم على حلمهم وقد قال الله تعالى
ولم نجد له عزما قوله تعالى واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى قد تقدم تفسيره وقوله تعالى
فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك اي لك ولامراتك فلا تميلا اليه ولا تقبلا منه فيكون ذلك سبب خروجكما
من الجنة الى شدايد الدنيا وجوعها وعطشها وفقرها وتعبها في طلب المعاش ٥ وهذا معنى قوله فتشقى
اي تتعب بالاكل من كد يدك وما تكسبه لنفسك والمعنى ان عيشك لا يكون الا من كد يمينك وعرق جبينك
قال سعيد بن جبير اهبط الله الى ادم ثورين فكان يحرث عليهما ويمسح العرق عن جبينه فهو شقاوة الذي قال
الله تعالى وكان من حقه ان يقول فتشقيا او فتشقى انت وزوجك لكن غلب المذكر لان تعبه اكثر وقيل لاجل رووس
الاي قوله تعالى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى اي انك ما دمت مقيما في الجنة على طاعة الله فلا تجوع فيها ولا تعرى
لكثرة اثمارها واثوابها ونعيمها وانك لا تظما فيها اي لا تعطش ولا تضحى اي لا تبرز الى الشمس فيوذيك حرها
وقيل معنى ولا تضحى اي لا تصيبك الشمس لانه ليس في الجنة شمس انما هو ظل ممدود وقرى وانك بكسر الهمزة عطفا
على ان لك ان لا تجوع وقرى بالنصب عطفا على ان لا تجوع ٥ قوله تعالى فوسوس اليه الشيطان اي وسوس له لياكل
من الشجرة فقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اي على شجرة من اكل منها خلد ولم يمت وبقي في ملك لا يبلى ولا يفنى
قوله تعالى فاكلا منها اي اكل ادم وحوا من الشجرة على وجه الخطا في التاويل لا تعمدا للمعصية اذ الانبيا
عليهم السلام لا يتعمدون المعصية وهم اشد خوفا من الله تعالى ان يفعلوا ذلك لان بعض المفسرين قال ان الله تعالى اشار
بالنهي الى شجرة بعينها فقال له لا تاكل من هذه الشجرة واراد جنس تلك الشجرة فنسي ادم الاستدلال بذلك على
الجنس فحمل النهي على العين وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ الذهب باحدى يديه والحرير بالاخرى
وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثهم واراد به الجنس دون العين قوله تعالى فبدت لهما سواتهما
اي ظهرت لهما عوراتهما وانما جمع السوات ولم يثنها لان كل شي من شي فهو جمع في موضع التثنية قوله تعالى
وطفقا يخصفان عليهما اي جعلا يقطعان عليهما من ورق الجنة ويجعلانه على انفسهما وقوله تعالى وعصى ادم
ربه اي عصاه باكل الشجرة فغوى اي فعل ما لم يكن له فعله وقيل ضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي عن اكله
وقيل الغي الفساد اي فسد عليه عيشه وقيل فغوى اي اخطا وقيل خاب فيما طلبه باكل الشجرة قوله تعالى
ثم اجتباه ربه اي اختاره للرسالة وقيل قربه وهداه الى ذكره وقيل اصطفاه فتاب عليه وهداه حتى قال

ربنا

٢٨

ربنا ظلمنا انفسنا الاية ٥ قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا قد تقدم تفسيره وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو
يعني ادم وذريته وابليس وذريته وقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى اراد به الكتاب والرسول فمن اتبع هداي
اي من اتبع الكتاب والرسول فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة قال ابن عباس ضمن الله لمن قرا القران وعمل به
ان لا يضل ولا يشقى ٥ قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري اي عن موعظتي وقيل عن القران فلم يومن به ولم يتبعه فان له
معيشة ضنكا الضنك الضيق والشدة والصعوبة قال ابن عباس يعني ان عيشه يكون منغصا عليه لانه
غير موقن بالخلف والجزا ٥ وقال عبد الله بن مسعود وابو سعيد الخدري والسدي معنى قوله تعالى معيشة ضنكا
هو عذاب القبر يضيق عليه حتى تختلف اضلاعه وقال الحسن هو الضريع والزقوم في النار وقال عكرمة هو اكل
الحرام في الدنيا الذي يوديه الى النار ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما المعيشة الضنكا
قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه تسع وتسعون تنينا
لكل تنين سبعة رووس ينهشونه ويلسعونه ويخدشون لحمه الى يوم القيمة ولو ان تنينا نفخ في الارض لم
تنبت شيا وقال ابن زيد المعيشة الضنكا الزقوم والغسلين والضريع وقال الضحاك الكسب الخبيث ٥
وقيل اذا كان العبد يسي الظن بالله ضاق عليه عيشه وضنك وقال ابن جبير معنى قوله تعالى فان له معيشة ضنكا
اي تسلبه القناعة حتى لا يشبع ٥ قوله تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال ابن عباس اعمى البصر وقال مجاهد اعمى
عن الحجة اي لا حجة له يهتدي اليها قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا بعيني قال كذلك تكون كما
اتتك اياتنا فنسيتها اي فتركتها واعرضت عنها فكذلك اليوم تنسى اي تترك في النار ٥ قوله تعالى وكذلك نجزي من
اسرف اي كما جزينا من اعرض عن القران كذلك نجزي من اسرف على نفسه بالمعاصي ولم يومن بايات ربه ولعذاب الاخرة
اشد وابقى اي اشد من عذاب الدنيا وادوم لان عذاب الدنيا ينقطع ٥ قوله تعالى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم
من القرون من قرا بالياء فمعناه الم يبين لهم يعني كفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون والمعنى الم تبين لهم طريق الاعتبار
كثرة اهلاكنا القرون قبلهم بتكذيب الرسل فيعتبروا ويومنوا وكانت قريش تتجر الى الشام فترى مساكن قوم
لوط وثمود وفيها علامة الاهلاك ومن قرا بالنون فمعناه الم نبين لاهل مكة بيانا يهتدون به فيرتدعوا عن المعاصي
قوله تعالى يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة كانوا يتجرون ويسيرون في مساكن عاد وثمود وفيها علامات الاهلاك
افلا يخافون ان يقع بهم مثل ما وقع بالذين راوا مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى اي لذوي العقول ٥
قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه ولولا كلمة واخبار من الله تعالى سبقت من ربك في
تاخير العذاب عن هولا الكفار الى يوم القيمة وهو قوله تعالى واجل مسمى لكان العذاب لازما لهم واقعا في
الحال وتقدير الاية ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما اي لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما
لزوم القرون الماضية الكافرة ٥ قوله تعالى فاصبر على ما يقولون اي فاصبر يا محمد على ما يقولون من الشتم
والتكذيب فسيعود عليهم وبال ذلك وقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس اي صل صلاة الفجر وقبل غروبها
يعني صلاة العصر ومن انا الليل فسبح يعني المغرب والعشا وانا الليل ساعاته وقوله تعالى واطراف النهار قال
قتادة يعني صلاة الظهر كانه ذهب الى ان اخر النصف الاول من النهار طرف واول النصف طرف وقال
الحسن وقبل غروبها الظهر والعصر واطراف النهار صلاة التطوع وقوله تعالى لعلك ترضى قرا الكسائي
وابو بكر بضم التا اي تعطى الرضى بالدرجات الرفيعة ويرضاك الله وتسمى مرضيا وتصديقه قوله تعالى وكان عند
ربه مرضيا وقرا الباقون ترضى بفتح التا اي لعلك ترضى بالثواب والشفاعة ودليل ذلك قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى والمعنى اقم هذه الصلوات لكي تعطى من الثواب ما ترضى قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما

متعناه ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا اى لا تنظرن بعين الرغبة الى ما متعناه رجالا منهم زينة
الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه اى لنختبرهم فيما اعطيناهم من الزينة وقيل لنحمله فتنة لهم وضلالة قال ابن زيد
لهم فى النعمة فيزدادوا كفرا وطغيانا قال ابو رافع نعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودى فقال
قل له ان رسول الله يعشى اليك لتسلفه كذا وكذا من الدقيق او شعير وتضمن عليه الى هلال رجب فقال والله
فقال والله ما ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله لو ما عنى
او اسلفنى لقضيته وانى لامين فى الارض اذهب بدرعى الى فرحون رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك
فنزل هذه الاية تعزية له عن الدنيا وقيل معنى قوله ع ازواجا الى اصنافا فاسم نعم الدسا وذهبا قوله تعالى
ورزق ربك خير وابقى اى رزق ربك الذى وعدك الجنة خير وابقى من مارزقوه لاولياءه ع وامر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها اى وامر قومك الذين على دينك لا نسالك رزقا لخلقنا ولا لنفسك لم نخلقك لحاجتنا
اليك لحاجة السادة الى عبيدهم بل نحن نرزقك ونرزق جميع خلقنا وقوله ع والعاقبة للتقوى
اى العاقبة المحمودة لمن يتقى الله ولا يعصيه وتقديره والعاقبة لاهل التقوى وكان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا دخل على بعض الضيق فى الورق امر اهله بالصلوة ع وقرا من الاية وامرا هلك بالصلوة الى اخرها ه
وقوله ع وقالوا لولا ياتينا بآية من ربه اى قال المشركون من اهل مكة هلا ياتينا محمد بآية من ربه كما اتى بها الانبيا
نحو الناقة والعصى اولم ياتهم بيان ما فى التوراة والانجيل والشارع بما واعدهما من صفة النبى صلى الله عليه
وقيل معناه اولم ياتهم ما فى الكتب الاولى من انبا الامم الذين اهلكناهم لما سالوا الاتيان بمثل ما اقترحوا فما
ذا بقى منهم ان يكون حالهم فى شانهم الاية كحال اولئك ه وهذا البيان انما نقض عليهم فى القران قوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اى لو انا اهلكنا هم
بعذاب الاستيصال من قبل ارسال الرسل لقالوا هلا ارسلت الينا رسولا يرشدنا الى دينك فنتبع اياتك
اى دلائلك من قبل ان نذل فى الدنيا بالقتل ونفتضح فى الاخرة بالعذاب والمعنى ولو انا اهلكنا كفار مكة
بعذاب من قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القران لقالوا يوم القيمة ربنا هلا ارسلت الينا رسولا
يدعونا الى طاعتك فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالعذاب ونخزى فى جهنم قوله ع وقل كل متربص اى قل
لهم يا محمد كل منا ومنكم منتظر فتربصوا نحن ننتظر بكم ما وعدنا الله فيكم من النصر والفتح وانتم تنتظرون
بنا ان نموت فتستريحوا منا وذلك انهم كانوا يقولون نتربص محمد ريب المنون قوله ع فستعلمون ايها اصحاب
الصراط السوى ومن اهتدى اى فستعلمون بعد هذا اذا قامت القيمة من اصحاب الدين المستقيم
ومن اهتدى الى الرشد والصلاح نحن ام انتم ه وعن ابن مسعود كفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من قرا سورة طه اعطى يوم القيمة من الاجر كمهاجر والانصار ه

سورة الانبياء

مكية وهى مائة الف وعان ماية وتسعون حرفا والف ومائة وثمانى وعشرون كلمة ومائة
واثنى عشر ايه ه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا من اقترب للناس حسابهم حاسبه الله
حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القران ه بسم الله الرحمن الرحيم
اقترب للناس حسابهم اى اقرب لاهل مكة حسابهم والمعنى اقترب القيمة واقرب للناس وقت حسابهم
والحساب ههنا اظهار ما للعبد وما عليه لنجازى عباده كما قوله ع وهم فى غفلة معرضون اى فى غفلة
عما ينعم الله عليهم ذلك اليوم معرضون عن التاهب له بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل

معناه

معناه وهم فى غفلة عن قرب الحساب والموت معرضون عن الفكرة فى ذلك والتاهب له وهذا امر الله تع
نفسه وعظه لئلا يغفلوا عن الاخرة قوله ع ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث اى ما ياتيهم من وحى محدث تنزيله
والاحداث عود الى الانزال وقوله ع الا استمعوه وهم يلعبون قال ابن عباس يستمعون القران مستهزئين وقوله
ع لاهية قلوبهم منصوب بقوله يلعبون ومعناه غافلة قلوبهم عما يراد بهم معرضة عن ذكر الله ع قوله تعالى
واسروا النجوى الذين ظلموا اى تناجوا فيما بينهم سرا ثم بين من هم فقال الذين ظلموا اى الذين اشركوا بالله والذين
فى موضع الرفع بدلا من الضمير فى اسروا كما فى قوله ع هم عموا وصموا كثير منهم وجوز ان يكون الذين نصبا على
الذم اى اعنى الذين ظلموا للناس الذين وضع الظاهر موضع المضمر فى اسروا كما فى قوله ع هل هذا الا بشر مثلكم اتاتون السحر وانتم تبصرون
النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم قالوا لهل محمد الا بشر مثلكم فلماذا تتبعون بشرا مثلكم افتاتون السحر وانتم تعلمون انه
سحر قال السدى قالوا متابعة محمد متابعة السحر والمعنى اتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر قوله ع قل ربى
يعلم القول فى السماء والارض اى قل يا محمد ربى الذى اعبده وادعو الى عبادته هو الذى يعلم ما يسره
العباد من القول فى السماء والارض وهو السميع لذكر كله العالم بما يجرى عليه وكرره صفته فهو الذى يجب
ان يعبده ورد الاصنام ودل اهل الكوفة قال ابن عباس على الخبر وقوله ع وهو السميع العليم اى السميع لاقوالهم
العليم باعمالهم قوله ع بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اى بل قال الكفار ان ما اتى به محمد
تخاليط رويا رآها فى المسام وبل ههنا انتقال الى خبر اخر عنهم وقوله ع بل قالوا افتراه اى قالوا اختلقه كذبا من
تلقاء نفسه ع قالوا بل هو شاعر فجعلوا يقترحون عليه الايات المتحيرة يمكنه الجزم على امر واحد ه
قوله ع فليات اتانا بآية كما ارسل الاولون اى قالوا ان كان صادقا فليات اتانا بآية سوى القران كما ارسل الاولون
الاتان بحو انقلاب العصا حية واحيا الموتى والناقة والعصى فعال الله ع ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها
افهم يومنون اى ما امنت قبل مشركى مكة من قرية من القرى اهلكناها والمعنى ما امنت قرية من اهلكناها بالايات المرسلة
فكيف يومن هؤلاء والمعنى انهم لو جاءتهم الايات لم يومنوا كما لم يومن من قبلهم ما امنت قرية من اهلكناها لو كان سببا للايمان وعبارة الله لكان سببا للايمان ولو كنا فعلنا
بطل ذلك بطل هذا قوله ع وما ارسلنا قبلك الا رجالا نعى ما ارسلنا قبلك من الرسل الا رجالا من بنى ادم لا الملكة فسالوا
جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فعال الله ع لم ارسل قبل محمد الا رجالا من بنى ادم لا الملكة فسالوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ان الرسل بشر وارادبا هل الذكر علما اهل الكتاب ولان اليهود والنصارى
لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القران والمعنى فسالوا
المومنين من اهل القران ان كنتم انها اهل مكة لا تعلمون ذلك على كرم الله وجهه لما نزل هذه الاية
نحن اهل الذكر ه قوله ع وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام اى وما جعلنا الانبياء ذوى اجساد لا
ياكلون الطعام ولا يشربون الشراب وما كانوا خالدين لا يموتون وذلك انهم قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام
فاعلموا ان الرسل جميعا كانوا ياكلون الطعام وانهم يموتون كساير البشر وانما وحد الجسد لانه مصدر كالخلق
قوله ع ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشا اى بما انجزنا وعدنا الانبيا فى انجاينا اياهم واهلاك الكفار الكفر
لهم واراد بالمسرفين الكفار لان المسرف فى اللغة هو الذى يجاوز حد الحق بما يباعد عنه والكافر احق بهذه
الصفة وقوله ع فانجيناهم اى من العذاب ومن نسا معنى الذين صدقوهم قوله ع لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
اى لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا فيه شرفكم وعزكم ان تمسكتم به يعنى القران والذكر هو الشرف كما يقال
انه لذكر لك ولقومك اى شرف لك ولهم وذكورية البلاد اذا كان لها فيها وقال الحسن يعنى قوله ع ذكركم
اى ما تحاسبون اليه من امر دينكم افلا تعقلون ما فضلتكم به على غيركم ام لتكم حزمى وبعثتكم نبيى

اى الجنا الرسل

قوله ٥ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة اى كم اهلكنا من اهل قرية كانوا مشركين والقصم الكسر والدق
وانشانا بعدها قوما اخرين اى واحدثنا بعد اهلاكهم قوما اخرين فسكنوا ديارهم وقوله ٥ فلما احسوا
باسنا اذا هم منها يركضون اى فلما احس اهل القرية الكافرة عذابنا اذا هم منها يهربون سراعا مركضين
المنهزم من عدوه ومعنى قوله ٥ احسوا اى رأوا وقيل معناه لما ذاقوا والاحساس هو الادراك
بحاسة من الحواس الخمس ٥ قوله ٥ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم اى قيل لهم لا
تركضوا وارجعوا الى ما نعمتم فيه والى منازلكم لعلكم تسألون عما فعلتم بنبيكم تقول لهم الملكة ذلك استهزاء بهم وتقريعا لما
فرط منهم بحيث يسمعوا النداء وقوله ٥ لعلكم تسألون يقال لهم ذلك على طريق الحزء بهم وهو توبيخ
في الحقيقة والمعنى لكي تسألوا شيئا من دنياكم فانتم اهل ان ترزؤا وتخدموا فعاملوا هذا على سبيل الندم
طالبين لانفسكم حين لذ بنا الرسل اعترفوا الدعوى حين راوا العذاب فعاملوا هذا على سبيل الندم
ولم ينفعهم حينئذ الندم والويل الوقوع في الهلكة ٥ قوله ٥ فما زالت تلك دعواهم اى ما زالت تلك
الكلمة وهو قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين لم تزل دعواهم الى ان ماتوا وخمدوا فصاروا كالزرع الحصيد
والحصيد هو الزرع المحصود والخمود هو الهمود يخمد النار اذا طفئت قيل نزلت بهذه الاية في اهل
حضور وهي قرية باليمن كان اهلها من العرب بعث الله اليهم نبيا يدعوهم الى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله
عليهم بختنصر حتى قتلهم وسباهم وتملكهم فلما اثخن فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا فعاملهم
الملكة على طريق الاستهزاء لا ترتكضوا وارجعوا الى مساكنكم واموالكم فاتعهم بختنصر واخذتهم
السيوف ونادى منادٍ من السماء ما ثارات الانبياء فلما راوا ذلك اقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم فقالوا
يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين
اى ميتين ٥ قوله ٥ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اى ما خلقناهما عبثا ولا باطلا
بل خلقناها لامر اى لامر جاري وانباء واعذارا عذاري وقيل معناه خلقناها هادلة على قدرتنا
ووحدانيتنا ليعتبروا ويتفكروا فيها فيعلموا ان العبادة لا تكون الا لخالقها ٥ قوله ٥ تعالى
لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا قال عبادة اللهو بلغة اليمن المراة وقال ابن عباس يريد المسا
وقيل جاء وعطاء ومجاهد والحسن كما لوه عن هذه الاية فقال اللهو المراة وفي رواية الكلبي
اللهو الولد وقيل معناه لو اردنا ان نتخذ شريكا او ولدا او امراة لم نكن لنتخذ ما نستهزئ به ونلهو به مما لدى
لا يسمع ولا يعقل ولا من هذه النساء والولدان بل كنا نتخذه من جنس اشرف من هذا الجنس كما قال
في اية اخرى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقيل معناه لو اردنا ان نتخذ
ولدا لاتخذناه عندنا لا عندكم لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده ويحضرانه بيوت هذه
الاية في الدين قالوا اتخذ الله ولدا ولو كان ذلك جائزا في صفة الله تعالى لم نتخذه بحيث يظهر لكم ولستم
حتى نطلعوا عليه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله ٥ ان كنا فاعلين اى ذلك ما ممن يفعل ذلك
ولسنا من فعله وقيل انها بمعنى ما اى ما كنا فاعلين قوله ٥ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
اراد بالحق القرآن وبالباطل الكفر وقيل معناه ندع ذاك الذي قالوه فانه كذب وباطل نقذف بالحق
على الباطل كذبهم فيدمغه اى فيهلكه ويذهبه فاذا هو زاهق اى زائل ذاهب والمعنى انا نبطل
كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل ويذهب بهم او عدهم على قولهم تعالى ولكم الويل مما تصفون
اى لكم العذاب مما تصفون الله به من الصاحبة والولد ثم بين ان جميع الخلق عبيده فقال تعالى

وله من

وله من في السموات والارض عبيدا وملكا وعبدا بمعنى الملكة لا يستنكفون ولا يستكبرون عن عبادته
قال الزجاج معناه ان الذين ذكرتموهم بانهم اولاد الله هم عباده لا يأنفون عن عبادته
ولا يتعظمون عنها وقوله ٥ ولا يستحسرون اى لا ينقطعون عن العبادة من الاعياء والتعب
من قولهم بعير حسير اذا اعيا وقام وقوله ٥ يسبحون الليل والنهار اى يصلون لله الليل والنهار لا
يفترون اى لا يضعفون عن عبادته ولا يملون وقيل معناه يمرون الله دائما يقولون سبحان الله لا
يملون قال الزجاج مجرى التسبيح منهم مجرى النفس منا فكما لا يشغلنا عن النفس شيء كذلك يستحم
دائم ٥ قوله ٥ ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون استفهام بمعنى الانكار اى اتخذ اهل مكة
اصناما يحيون الموتى وقيه تقريع لهم بانهم كاذبون انها الهة كان الاله يحيي الموتى وهي لا تحيي لكيف
تستحق العبادة وقيل معنى الاية لو كان يتخذ والهة من الارض واصنامهم كانت من الارض من اي جنس
كانت من خشب او حجارة او فضة او ذهب هم ينشرون اى يحيون الموتى ٥ قوله ٥ لو كان فيهما الهة الا
الله لفسدتا اى لو كان في السماء والارض الهة غير الله لما قامت السموات والارض لانه لو اراد
احدهما اتخاذ جسم في مكان واراد اخر اتخاذ جسم آخر في ذلك المكان لم تخل اما ان يوجد مرادهما
او لا يوجد مراد احدهما دون الاخر فان وجد مرادهما كان محالا لان في ذلك وجود جسمين في مكان واحد والمانع
باطل لان في ذلك كونهما عاجزين والعاجز لا يستحق الالهية وان وجد مراد احدهما دون الاخر
فالذي لا يوجد مراده يكون عاجزا والعاجز لا يصلح ان يكون الها ٥ والمعنى لو كان فيهما الهة غير الله لفسدتا وخربتا
وهلك من فيهما ٥ وغير صفة للالهة اى لو كان فيهما الهة هم غير الله كما زعم المشركون هذا قول جميع النحويين
قالوا ليس الا ههنا باستثنا ولكنه مع ما بعده صفة للالهة في معنى غير قال الزجاج ولذلك ارتفع
ما بعده على لفظ الذي لها قال الشاعر ٥ وكل اخ مفارقه اخوه ٥ وقوله ٥ لعمر ابيك الا الفرقدان ٥
المعنى كل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه ٥ قوله ٥ سبحان الله رب العرش عما يصفون اى تنزها لله عما
يقولون عليه من الولد والشريك ٥ لا يسأل عما يفعل اى لا يسأل عن افعاله وقضايه في خلقه من اعزاز
واذلال وهدى واضلال واشقاء واسعاد واشقا لانه الرب مالك الخلق ٥ وقوله ٥ وهم يسألون اى عما لهم
يوم القيمة لم فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله ٥ ليس فوقه احد يقول له لم
فعلت لم فعلته ٥ قوله ٥ ام اتخذوا من دونه الهة هذا انكار عليهم وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اى احضروا
بيانكم على ما تدعون من الالهة هذا ذكر من معي وذكر من قبلي معناه هذا
القرآن فيه ذكر من معي لما يلزمهم من الحلال والحرام والخطا والصواب وقيل غير من معي على ما دعى اليهم والصواب
والعقاب ٥ وذكر من قبلي الامم من نجا منهم بالايمان او اهلك بالشرك ٥ وقيل معناه هذا القرآن الذي هو
ذكر معي والتوراة والانجيل هما ذكر من قبلي هما في جميع ذلك غير توحيد الله ٥ والمعنى هذا القرآن وهذه
الكتب التي انزلت من قبل فانظروا هل في واحد منها ان الله امر باتخاذ الهة سواه ٥ قوله ٥ بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون عن النظر في ادلة الله مقتصرون على جهلهم وتقليدهم قوله ٥ وما ارسلنا من قبلك من
رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اى ما ارسلنا من ذلك يا محمد من رسول الا نوحي اليه
ان يقول لقومه انه لا اله الا هو فاعبدوه اى وحدوه قوله ٥ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
اراد به قولهم ان المسيح ابن الله والملئكة بنات الله وقوله ٥ بل عباد مكرمون معناه بل هم عبيد اكرمهم الله
بالطاعة واصطفاهم قوله ٥ لا يسبقونه بالقول اى لا يخرجون بقولهم عن حد ما امرهم وهم بامره يعملون

قوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى يعلم ما قدموا وما اخروا من اعمالهم ويقال ما بين ايديهم
من الدنيا وما خلفهم من الاخرة ويقال يعلم ما عملوا وما هم عاملون قوله يو ولا يشفعون الا لمن ارتضى
اى لا يشفعون الا لمن رضى الله عنه وارتضى عمله قال ابن عباس لمن قال لا اله الا الله وقوله يو وهم من خشيته
مشفقون اى وهم من خشيتهم منه خاضع المصدر الى المفعول وقوله يو مشفقون اى خائفون لا يامنون
مكره وفى هذا كله بيان ان من هذه صفته لا يكون الها مع الله يو ولا ولد اله ٥ قوله يو ومن يقل منهم انى اله
من دونه فذلك نجزيه جهنم اى من يقل من الملئكة انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم قال المفسرون يعنى ابليس
لما امر بطاعة نفسه ودعا الى نفسه وقوله يو كذلك نجزى الظالمين اى كما جزيناه جهنم نجزى الظالمين
اى المشركين قوله يو اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال ابن عباس وعطاء
والضحاك يعنى كانتا شيئا واحدا ثم فتق فصل الله بينهما بالهواء وكعب جعل الله السموات طبقة
واحدة ففتقها الله يو فجعلها سبع سموات وكانت الارضون متوتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها
سبع ارضين وقال عكرمة كانت السماء رتقا لا مطر والارض رتقا لا تنبت فتق السماء بالمطر والارض بالنبات
واصل الرتق السد ومنه قيل للراة التى فرجها ملتحم رتقا واصل الفتق الفتح وذلك ان السموات
والارض كانتا مستوتقتين لا تفتح فيهما لخروج الزرع ونزول الغيث ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ٥
قوله يو وجعلنا من الماء كل شئ حى اى واجبنا بالمطر والنبات كل حى على الارض رحمة وحياة يعنى انه سبب
لحياة كل حى وقال بعضهم يعنى ان كل شئ حى فهو مخلوق من الماء قوله يو وانه خلق كل دابة من ماء قال
ابو العالية يعنى النطفة ثم على هذا الاستثناء راجع الى ما قبله وهو احتجاج على المشركين بقدرة الله يو قوله يو تعالى
الله عما يشركون اى فلا يصدقون ان الاله الذى فعل كل هذا يعلمون انه الاله دون غيره واما قال ربها ولم يقل
ربنا لان الرب مصدر المعنى كانت ذوى ربق فجعلناها ذوات فتق ٥ قوله يو وجعلنا فى الارض رواسى
ان تميد بهم اى جعلنا فيها جبالا اوتادا لئلا تميد براسيه كى لا تميد بهم الارض والميد الاضطراب يقال ماد
فى الجهاز ٥ قال ابن عباس لما دحيت الارض بسطت على وجه الماء فكانت تميد بها هكذا وهكذا فلما
ارساها الله بالجبال الثقال ٥ قوله يو وجعلنا فيها فجاجا سبلا اى جعلنا فى الارض طرقا واسعة ليهتدوا
الى مواطنهم والفج الطريق الواسع من الجبلين وقوله سبلا تفسير للفجاج قوله يو وجعلنا السما
سقفا محفوظا اى محفوظا من السقوط وقيل محفوظا من الشياطين بالنجوم قال الله يو وحفظناها من
كل شيطان رجيم قوله يو وهم عن اياتها معرضون يعنى المشركين معرضون عن ايات السماء يعنى شمسها وقمرها
وبروجها لا يستدلون بها ويعلمون ان خالقها لا شريك له قوله يو وهو الذى خلق الليل والنهار اى خلق كل واحد منهما
بعد رفع السماء وجه الارض وسخر الشمس والقمر كلا من الشمس والقمر والنجوم فى مواضعها التى ركبت
فيها يسبحون اى يجرون سريعة كالسابح فى الماء وقال ابن عباس فى موضع اخر والسابحات سبحا يعنى
النجوم ٥ قال الضحاك الفلك هو المجرى الذى يجرى فيه الشمس والقمر وقال هو موج مكفوف تجرى فيه
وقال الكلبى الفلك القطب الذى تدور به النجوم وهو كوكب حيوان يقر القرقدين وبنات نعش عليه تدور السما
وقال الحسن هو الطاحونة كهيئة فلكة المغزل والفلك فى كلام العرب كل شئ دايرو جمعه افلاك قوله يو وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد روى ابن عباس هذا مما نزل جوابا لقول الكفار نتظر بمحمد ريب المنون فنستريح والمعنى
ما جعلنا للبشر قبلك البقاء الدايم يعنى ان سبيله سبيل من مضى قبله من الرسل ومن بنى ادم فى الموت

افان

افان منهم الخالدون يعنى مشركى مكة لما قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقيل لهم ان مات محمد فانتم ايضا
تموتون ٥ وكل نفس ذايقة الموت قال عايشة استاذن ابوبكر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات
واتسجى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه وخليلاه
واصفياه صدق الله ورسوله وما جعلنا لبشر قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون يعنى مشركى مكة كل نفس ذايقة
الموت ٥ قوله يو ونبلوكم بالشر والخير فتنة اى نبتليكم بالشدة والرخاء والمرض والعافية والفقر والغنا كلها
بالتلاء لنرى يو وتشديد من التعديد لنظهر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون واليناء جعون للجزاء
قوله يو واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا روى ان النبى صلى الله عليه وسلم مر باناس فى سفر واناس جعل بعضهم
فى سفر هذا الذى سمى عبد مناف كالمستهزى يو وشير هذه الاية ومعناها واذا راك الذين كفروا ما
يتخذونك الا هزوا يستهزون بك وقوله يو اهذا الذى يذكر الهتكم اى يقول بعضهم لبعض اهذا الذى يعيب
الهتكم ويلومكم على عبادتها تقول العرب فلان يذكر الناس اى يغتابهم ويعيبهم وقيل يذكر الله اى
يصفه بالعظة ويثنى عليه فيتخذون من الذكر ما يعقل معناه فيكون معنا قوله يذكر الهتكم اى يذكر
الهتكم بسوء وقوله يو وهم بذكر الرحمن هم كفرون اى يجحدون الالوهية ممن هو منعم عليهم المحيى
المميت وهذا فى نهاية جهلهم قوله يو خلق الانسان من عجل اى خلق الله الانسان مشتهيا للعجلة
فى ما يهواه ولذلك يستعجل اهل مكة الوعد والوعيد يقال للان خلق من كذا اذا اكثر من ذلك الشئ
كما يقال للان خلق من اللعب واللهو والانسان اسم جنس وقال عكرمة لما خلق الله ادم ونفخ فيه الروح
وصار فى راسه اراد ان ينهض قبل ان يبلغ رجليه فسقط فقيل خلق الانسان وقال السدى لما دخل
الروح عينى ادم نظر الى ثمار الجنة فلما دخل الروح فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح
رجليه عجلا الى ثمار الجنة فلم يعد بهذا قوله يو خلق الانسان من عجل واذا كان خلق ادم من عجل وجرد كم
فى اولاده واورثهم ذلك حتى استعجلوا فى كل شئ قوله يو ساريكم اياتى يعنى القتل يوم بدر فلا تستعجلون
انه نازل بكم وقيل معناه سنريكم اياتى الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وما توعدكم به من العذاب
فلا تستعجلون حلول العذاب بكم ويقولون متى هذا الوعد اى يقول المشركون متى هذا الوعد الذى تعدنا
يريدون وعده يوم القيمة اى كنتم الصادقين فى هذا الوعد قال الله يو لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن
وجوههم النار ولا عن ظهورهم اى لو يعلمون حين يدخلون النار لا يدفعون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا يجدون ناصرا يمنع عنهم ما نزل بهم وجواب لو محذوف اى لو يعلمون ذلك ما استعجلوا ولا قالوا متى
هذا الوعد وقيل معناه لو علموا ذلك لعلموا انك صادق ومحمد صلى الله عليه وسلم فيما توعدهم به قوله يو بل تاتيهم
بغتة فتبهتهم معناه بل تاتيهم الساعة فجاة وهم غافلون فتبهتهم اى فتحيرهم يعال دهنه اذا واجهه
بشئ يحيره يو ولا هم ينظرون رد عليهم اى لا يمهلون لتوبة او عذر او اصلاح عمل قوله يو ولقد استهزى
برسل من قبلك اى وقد استهزات الامم من قبلك برسلهم كما استهزاك قومك فحاق بهم اى نزل بهم وبالهم
استهزاهم وكان ما اراد وهم بالداعى عايد عليهم كما قال يو ولا يحيق المكر السى الا باهله وقيل فى الفرق
بين المهزو وبين السخرية ان فى السخرية طلب الازلة ان التسخير هو الذلل ٥ واما الهزو فهو استصغار
القدر يضرب من القول قوله يو قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن اى قل من يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه
الا فات فى الليل والنهار وعقوبات الدنيا والاخرة بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يتفكرون فى ما يتقون من

الحجج والمواعظ قوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا اى من عذابنا وقوله لا يستطيعون نصر
انفسهم معناه ان الهتهم لا تقدر ون على الدفع عن انفسهم فكيف تنصرهم وتمنع
عنهم ما يريدنا بهم قوله بل لا هم منا يصحبون يعنى الكفار قال الكلبى يحفظون ولا هم يجارون منا عذابنا اى لا
يجيرهم منا احد لان المجير صاحب الجار يقال صحبك الله اى حفظك الله واجارك وقال قتادة معناه ولا
هم يصحبون من الله بخير يقال اصحبت الرجل اذا اعطيته اما نايا من به قوله بل متعنا هؤلاء واباهم
يعنى اهل مكة متعهم الله بما انعم عليهم حتى طال عليهم العمر فاغتروا بذلك والمعنى ما حملهم على الاعراض الا
الاغترار بطول الامهال وقوله اولا يرون انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها معناه افلا يشاهدون
انا ناتى الارض لمحمد صلى الله عليه وسلم من حوالبها وننقص من المشرك باهلاك اهلها فيرد اذا هو كل يوم
بكثا ويزداد دوننا ضعفا ونقصا والمعنى الم ير المشركون الذين يحاربون النبى صلى الله عليه وسلم ويقاتلونه انا
ننقصهم ونأخذ ما حولهم من قراهم وارضهم افلا يرون انهم هم المنقوصون والمغلوبون ومعنى قوله ام
انهم الغالبون اى اهم الغالبون النبى صلى الله عليه وسلم بل هو الغالب لهم وعن ابن عباس فى معنى ننقصها
من اطرافها اى بذهاب فقهائها وخيار اهلها فكيف بامن الزوال قوله قل انما انذركم بالوحى اى قل لهم يا محمد
انما خوفكم من عذاب الله بالقرآن الذى يوحى الى لا من قبل نفسى وذلك ان الله امره بانذارهم كقوله تعالى
وانذر به الذين يخافون قوله ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون هذا تمثيل للكفار الصم الذين لا
يسمعون النذر والمعنى انهم معاندون فاذا سمعتهم لم تعلموا انما يسمعون وقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك اى لو اصابهم ادنى عذاب لا يقنطوا الهلاك وقال ابن
ما تخوفون قوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك اى لو اصابهم ادنى عذاب لا يقنطوا الهلاك وقال ابن
كيسان معناه ولئن مستهم قليل من عذاب الله وقال ابن خرج نصيب من عذاب الله والمعنى ولئن مسهم طرف
من العذاب لايقنطوا الهلاك ودعوا على انفسهم بالويل مع الاقرار انهم ظلموا انفسهم بالشرك وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم
والنفحة هى الدفعة اليسيرة الواقعة من السى دون معظمه يقال نفحه نفحة بالسيف اى ضربه ضربة
خفيفة قوله ونضع الموازين القسط ليوم القيمة اى نضع الموازين ذوات القسط لاهل يوم القيمة
قال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان لا يوزن به الا عمال الحسنات والسيات بكتابة الحسنات فى احسن صوره
والسيات فى اقبح صوره ولا تنقص من حسنات احد ولا يزاد فى سيات احد وقال مجاهد هذا مثل وانما
اراد بالميزان العدل وروى ابن داود عن الامام سأل رجل ابن عباس ان يريه الميزان فلما راه عشى عليه ثم افاق فقال
الهى من الذى يقدر ان لا يكفئ حسنات يعنى باداود فانى اذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة ويقال انما
يوزن حاسة العمل فمن كان حاسة عمله خيرا خورى بخير ومن كان حاسة عمله شرا خورى بشر قوله وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها معناه وان كان العمل الذى عمله وزن حبة من خردل اتينا بها لنجازى وقيل
معناه وان كان الظلامة مثقال حبة من خردل اتينا بها لنحضرها حتى لا يبقى لاحد عند احد
ظلامة قرا اهل المدينة مثقال بالرفع على ان كان بمعنى وقع لانها وقراة الباقون بالنصب على معنى
وان كان ذلك الشى ومثله ولقرن قوله وكفى بنا حاسبين اى محصين وقيل حافظين لان حسب شيئا
علمه وحفظه قوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان التوراة يفرق بها بين الحق والباطل والحلال والحرام
وضيا وذكرا للمتقين صفة التوراة مثل قوله هدى ونور والمعنى انهم استضاءوا بها حتى اهتدوا الى
دينهم وقوله وذكرا للمتقين اى وعظة للمتقين الكبائر والفواحش وعن ابن عباس انه كان يقرا ضيا
بحذف الواو وكان يقول اتينا موسى وهرون الفرقان ضيا قوله الذين يخشون ربهم بالغيب فى الدنيا

قصة ابى ابراهيم عليه السلام فيه

يخافون عن الاخرة وهم من الساعة مشفقون اى خائفون من ان تفجئهم الساعة وما يجرى فيها من المحاسبة
قبل اصلاح اعمالهم قوله وهذا ذكر مبارك انزلناه اى هذا القرآن الذى انزلناه عليك يا محمد ذكر يتذكر
به قارئه ويحمد به الاجر العظيم افانتم له منكرون يا اهل مكة وهذا توبيخ لهم قوله ولقد اتينا ابراهيم
رشده من قبل اى من قبل موسى وهرون والمعنى اتيناه هداه وهو صغير
حين كان السرب حتى عرف الحق من الباطل وكتابه عالما بانه اهل للهداية والنبوة قوله اذ قال لابيه
وقومه ما هذه التماثيل اى اتيناه رشده حين قال لابيه وقومه فى الوقت الذى رجح من السر فراهم
يعكفون على الاصنام ما هذه التصاوير التى انتم لاجلها مقيمون عليها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين يعنوا
هذا الجواب انه لاجلها فى عبادة الاصنام الا عليهم لابائهم واجابهم ابراهيم لقد كنتم انتم واباؤكم فى
عبادة الاصنام فى ضلال عن الحق ظاهر قوله قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين اى قالوا له اجاد
انت فيما تقول ام هازل فى عيب ما ذكر ودلك لانهم كانوا يستبعدون انكار عبادتها فقال لهم بل ربكم رب
السموات والارض الذى فطرهن اى بل الهكم مالك السموات والارض الذى خلقهن وانا على ما قلت لكم من
الشاهدين قوله وتالله لاكيدن اصنامكم اى لابطلنها ولاكسرنها ولامكرن بها وقت ما يغيب عنها
وذلك انهم كانوا يخرجون عن الذكاب الى عيد لهم فقال لهم عند ذكر هذا القول والكيد فى اللغة هو
الاضرار بالشى فاراد بجاهد وقتادة انما قال ابراهيم هذا القول فى نفسه سرا من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل
منهم وهو الذى افشاه عنه وهو الذى سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قال السعى كان لهم فى كل سنة
مجمع وعيد وكانوا اذا ان جعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم
له يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا فخرج ابراهيم معهم فلما كان فى بعض الطريق التوى
انى سقيم اى استكى رجلى فى بطن ارجله وهو صريع فلما مضوا نادى فى اخرهم وتالله لاكيدن اصنامكم
بعد ان تولوا مدبرين ثم رجع ابراهيم الى بيت اصنامهم فوجد معهم صنما كبيرا الى جنبه اصنام اصغر منه
واذا هم قد جمعوا طعاما فوضعوه بين يدى الاصنام وقالوا اذا كان وقت رجوعنا جعنا وقد بارك الالهة
لنا فى طعامنا فاكلنا فلما نظر ابراهيم الهم والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء بهم الا تاكلون
فلم يجبوه قال مالكم لا تنطقون وطفق عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم بفاس فى يده حتى لم يبق الا الصنم
العظيم فعلق الفاس فى عنقه ثم خرج لذلك قوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم فانه لم يكسره قوله تعالى
فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم قرا اصنامك اى لما ولوا مدبرين جعلهم جذاذا قرا الكسائى بكسر الجيم اى كسرا
وقطعا جمع جديد وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وكريم وكرام وقرا الباقون بضم الجيم اى جعلهم
حطاما وفتاتا وقوله الا كبيرا لهم فانه لم يكسره لعلهم يرجعون فيسجد عليهم ابراهيم وينبههم على ان
اصنامهم لما لم تقدر على دفع الكسر عن انفسها فلم يعبدوها وكيف يكون الهة من لا يقدر على دفع ما
نزل به وقيل معناه لعلهم يرجعون اى الى دين ابراهيم والى ما يدعوهم اليه من وجوب الحجة عليهم فى عبادة
ما لا يدفع الضرر عن نفسه وتنبههم عن جهلهم وعظيم خطاياهم قوله قالوا من فعل هذا بالهتنا
يا ابراهيم اى فلما جاءوا من عيدهم ورأوا اصنامهم منكسرة قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اى فعل
ما لم يحل له ان يفعله فقال الذى سمع ابراهيم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وذكروا ان بعضهم كانوا قد سمعوه
يذكر اصنامهم بالعيب ويقول انها ليست بالهة فقالوا سمعنا ان يكون ذلك الفتى هو الذى كسرها قالوا فاتوا

بذلك الفتى على مرأى من الناس لكي يشهد الذين عرفوه انه يعيب الاصنام وقيل انه لما بلغ النمرود
واشراف قومه ما فعل باصنامهم وما قالوه في ابرهيم انه هو الذي فعل ذلك بهم قال النمرود ومن معه
فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون انه هو الذي فعل ذلك وكرهوا ان ياخذوه بغير بينة وقيل معناه
لعلهم يشهدون العقوبة اي يحضرون قوله تعالى ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم اي فلما اتوا به قالوا له انت
فعلت هذا الكسر بالهتنا قال بل فعله كبيرهم هذا الذي الفاس في عنقه فسالوهم ان كانوا ينطقون
حتى يخبروكم واراد بهذا تقريرهم بانهم ضالون في عبادتهم ما لا يدفع عن نفسه لان جماعتهم كانوا يعلمون
ان الصنم لا يعقل ولا يفعل ولا ينطق فاراد ابرهيم بذلك تبكيت القوم وتوبيخهم على عبادة الاصنام
التي لا تعقل ولا تفعل ولذلك قال فسالوهم ان كانوا يقدرون على النطق قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم
فقالوا انكم انتم الظالمون اي فرجعوا على انفسهم باللائمة فقالوا انكم انتم الظالمون في سؤاله لانها
لو كانت الهة لم يصل الى كسرها احد ثم نكسوا على رؤسهم اي ادركتهم حيرة فنكسوا لاجلها رؤسهم
واقروا بما هو حجة عليهم فقالوا لقد علمت يا ابرهيم ما هؤلاء ينطقون فكسرتهم لذلك وقيل معنى الاية
تذكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه الا كما قال انكم انتم الظالمون بعبادتكم الهة
لا تنطق ولا تبطش ثم ادركتهم الشقاوة فعادوا الى قولهم الاول وضلالهم القديم وهو قوله تعالى ثم نكسوا
على رؤسهم اي ردوا الى الكفر بعد ان اقروا على انفسهم بالظلم فقالوا لابرهيم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فلذلك كسرتهم فلما اتجهت الحجة عليهم باقرارهم وبخهم ابرهيم فقال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا ولا يرزقكم ولا يضركم اذا لم تعبدوه اف لكم اي تبا لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ان
هذه الاصنام لا تستحق العبادة اذ هي احجار لا حركة لها ولا بيان ولا نطق افليس لكم ذهن الانسانية
قوله تعالى قالوا حرقوه وانصروا الهتكم اي لما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب غضبوا فقالوا حرقوه
وانصروا الهتكم بتحريقه لانه يعيبها ويطعن عليها فاذا حرقتموه كان ذلك نصرا منكم اياها وقيل معناه
وانتقموا لالهتكم وعظموها ان كنتم فاعلين في هذا شيئا فاشتغلوا بجمع الحطب حتى كان الشيخ الكبير
ياتي بالحطب تقربا الى الهتهم وحتى ان المريض كان يوصي بكذا وكذا من ماله فيشتري به حطب فيلقى في النار
وحتى ان المراة لتغزل فتشتري به حطبا وتلقيه في النار قال ابن عمر ان الذي اشار عليهم بتحريق
ابرهيم رجل يسمى هيزن فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة قال فلما اجمع النمرود
وقومه على احراق ابرهيم حبسوه في بيت وبنوا بيتا كالحظيرة فذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم ثم جمعوا له صلاب الحطب من انواع الخشب حتى ان المراة كانت اذا مرضت تقول لئن عافاني
الله لاجمعن حطبا لابرهيم وكانت المراة تنذر في بعض ما تطلب لان اصابته لتحطبن في نار ابرهيم
التي يحرق فيها احتسابا لدينها قال ابن اسحق كانوا يجمعون الحطب شهرا فلما اجتمع الحطب اشعلوا
في كل ناحية منه نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى ان الطاير كان اذا مر بها احترق من شدة وهجها
ثم عمدوا الى ابرهيم وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السموات
والارض والملئكة صيحة واحدة يا ربنا ان ابرهيم ليس في ارضك احد يعبدك غيره يا رب فاذن
لنا في نصرته فقال الله ان استغاث بشيء منكم او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع احدا
غيري فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاءه في النار اتاه خازن الماء فقال
له ان اردت اخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدي واتاه خازن الرياح فقال ان شئت
طيرت النار في الهواء فقال ابرهيم لا حاجة لي اليكم ثم رفع راسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد

في السما

في السماء وانت الواحد في الارض ليس في الارض احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروي
ان ابرهيم قال حين اوثقوه ليلقوه في النار لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لك الحمد ولك الملك
لا شريك لك قال ثم رموا به في المنجنيق فاستقبله جبريل عليه السلام وقال يا ابرهيم الك حاجة قال اما
اليك فلا قال جبريل فسال ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله عز وجل يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم قال ابن عباس لو لم يتبع بردها سلامها لمات ابرهيم من بردها فلم يبق يومئذ نار في
الارض الا طفئت وخمدت قال السدي واخذت الملئكة بضبعي ابرهيم فاقعدوه على الارض فاذا
عين ماء ووردا حمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابرهيم الا وثاقه قالوا وكان ابرهيم في ذلك
الموضع سبعة ايام قال ابرهيم ما كنت اياما قط انعم مني من الايام التي كنت فيها في النار ثم بعث الله تعالى
ملك الظل في صورة ابرهيم فقعد فيها الى جنب ابرهيم وهو يؤنسه وبعث الله بقميص من حرير
الجنة قال فنظر النمرود من صرح له واشرف على ابرهيم وما يشك في موته فراى ابرهيم
في روضة وراى الملك قاعدا الى جنبه والنار حواليه فناداه النمرود يا ابرهيم كبير الهك الذي
بلغت قدرته الى ان حال بينك وبين ناري حتى لم تضرك قال قتادة والزهري ما انتفع احد من اهل الارض
يومئذ بنار ولا احرقت شيئا الا وثاق ابرهيم ولم يبق يومئذ دابة الا اطفات عن ابرهيم الا الوزغ فلذلك
امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فاسقا قال شعيب الجبائي القى ابرهيم في النار وهو ابن ست عشرة
سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة وهي بنت تسعين سنة ولما علمت سارة بما اراد الله
باسحق اضطربت يومين وماتت اليوم الثالث قوله تعالى وارادوا به كيدا اي ارادوا به الحيلة في الاضرار
به فجعلنا الكفار الذين ارادوا احراقه الاخسرين بان لم يتم لهم ما عزموا عليه وتبين عجزهم عن نصرهم الهتهم
فخسر سعيهم وقال ابن عباس هو ان الله سلط البعوض على النمرود وخيله حتى اخذت لحومهم
وشربت دماءهم ووقعت واحدة في دماغه حتى اهلكته قوله تعالى ونجيناه ولوطا اي نجينا ابرهيم
من كيد النمرود ونجينا لوطا معه اي ورفعنا ابرهيم ولوطا عن الهلكة الى الارض المباركة وهي ارض
الشام وسميت ارض الشام مباركة لكثرة الانبياء الذين بعثهم الله فيها وعن ابي العالية انه ليس
ماء عذب الا وهو يجري من الصخرة التي ببيت المقدس قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي وهبنا
لابرهيم ولده اسحق وولد ولده يعقوب سمي يعقوب نافلة لانه ولد ولده والنافلة في اللغة زيادة
على الاصل ونوافل الصلوة ما تطوع به المصلي ويقال انهما جميعا نافلة لانهما عطية زائدة على ما تقدم
من النعم قال ابن عباس وقتادة سال ابرهيم ربه ولدا واحدا فقال رب هب لي من الصالحين فاعطاه الله
اسحق ولدا وزاده يعقوب قال ابن عباس نفله يعقوب اي زاده اياه على ما سال قوله تعالى وكلا
جعلنا صالحين يعني ابرهيم واسحق ويعقوب جعلناهم انبياء عاملين بطاعتنا قوله تعالى وجعلناهم ائمة اي
قادة في الخير يدعون بامرنا اي يدعون الخلق الى امرنا وديننا واوحينا اليهم فعل الخيرات اي شرائع النبوة
وقيل امرناهم بفعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين اي خاضعين مطيعين
وانما قال واقام الصلوة بغيرها لان الاضافة صارت عوضا عن الهاء قوله تعالى ولوطا اتيناه حكما وعلما
اي واتينا لوطا النبوة والعلم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني سدوم كان اهلها ياتون الذكران
في ادبارهم ويتضارطون في مجالسهم وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين قيل انهم كانوا يعملون مع ذلك
اشياء اخر من المنكرات قوله تعالى وادخلناه في رحمتنا بانجائنا اياه من القوم السوء وهلاكهم انه

من الصالحين اي من الانبياء ٥ قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اي واذكر نوحا اذ نادى ربه من قبل ابرهيم
ولوط يعني دعا على قومه بالهلاك فقال رب لا تذر على الارض من الكفرين ديارا فاستجبنا له فنجيناه واهله
ومن امن به من غم الغرق وكربه والكرب اشد الغم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا اي منعناه
من ان يصلوا اليه بسوء انهم كانوا قوم سوء اي كفارا فاغرقناهم اجمعين بالطوفان قوله تعالى وداود
وسليمن اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم اي واكرمنا داود وسليمن بالنبوة والحكمة اذ يحكمان في
الحرث قال قتادة كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود كان كرما قد نبتت عناقيده وقوله تعالى اذ نفشت فيه غنم
القوم اي وقعت فيه بالليل ورعته وافسدته والنفش في اللغة الرعي بالليل يقال نفشت السائمة
بالليل وهملت بالنهار اذا رعت والهمل الرعي بالنهار وكلاهما الرعي بلا راع وقوله تعالى وكنا لحكمهم
شاهدين اي لا يخفى علينا منه شي ولا يغيب عن علمنا وانما قال لحكمهم بلفظ الجمع لاضافة الحكم الى من حكم
والى المحكوم لهم ٥ وقد يذكر لفظ الجمع في موضع التثنية كما في قوله تعالى وان كان له اخوة فلامه السدس
اي اخوان ٥ قوله تعالى ففهمناها سليمن اي فهمنا القصة سليمن بن داود وكلا منهما اتيناه العلم والفصل
بين الخصوم ٥ قال ابن مسعود وقتادة والزهري وذلك ان رجلين دخلا على داود عليه السلام احدهما صاحب
حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع والكرم ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت في حرثي فلم تبق
منه شيا فقال لك رقاب الغنم وكانا في القسمة سوا فاعطاه الغنم بالحرث وخرجا فمرا على سليمن
فقال كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمن نعم ما قضى وغير هذا كان ارفق بالكل ولو وليت امركما لقضيت
بغير ما قضى فاخبر داود بذلك فدعاه فقال له كيف تقضي بينهما قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له
نسلها ورسلها ومنافعها وسمنها واصوافها الى الحول ويقوم اصحاب الغنم على الكرم حتى يعود كهيئته
يوم افسد ثم يدفع هولا الى هولا غنمهم ويدفع هولا الى هولا كرمهم فقال داود عليه السلام نعم ما
قضيت فيه فالقضا قضاوك وحكم داود بينهم بذلك فقوم بعد ذلك الكرم وما اصابوه من الغنم فوجدوه
مثل ثمن الكرم وهكذا ايضا روي عن ابن عباس قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمن ولم يعنف
الله داود في حكمه وهذا يدل على ان كل مجتهد مصيب والى هذا ذهب بعض الناس فقالوا اذا نفشت
الغنم ليلا في زرع فافسدته كان على صاحب الغنم ضمان ما افسدته وان كان نهارا لم يضمن شيا واستدلوا
ايضا بما روي ان ناقة كانت للبرا بن عازب دخلت حايط رجل فافسدته فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي حفظها بالليل واما اصحابنا فلا يرون في هذه المسئلة
ضمانا ليلا ولا نهارا اذا لم يكن صاحب الغنم هو الذي ارسله فيه ولا حجة لهم في هذه الاية لانه لا خلاف
ان من نفشت غنمه في حرث رجل انه لا يجب عليه تسليم الغنم ولا تسليم اولادها والبانها واصوافها اليه
فثبت ان الحكمين اللذين حكم بهما داود وسليمن عليهما السلام منسوخان بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ٥
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العجما جبار وهذا خبر مستعمل متفق على استعماله في البهيمة
المنفلتة اذا اصابت انسانا او مالا انه لا ضمان على صاحبها اذا لم يرسلها هو عليه وليس في قصة البراء
بن عازب ايجاب الضمان ولان الاشيا الموجبة للضمان لا تختلف بالليل والنهار قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير اي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود روي ان الجبال كانت تسير مع داود اين ذهب
ومما يويد هذا قوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير وقوله تعالى وكنا فاعلين اي فاعلين هذه الاشيا دلالة على نبوته
قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم اي وعلمنا داود صنعة الدروع وسمي الدرع لبوسا لانها تلبس كما يقال
للبعير ركوب لانه يركب والسلاح كله لبوس عند العرب درعا كان او جوشنا او سيفا او رمحا
والجوشن هو الدرع الصغيرة قال قتادة اول من صنع الدروع داود وانما كانت من صفايح فهو اول
من سردها وحلقها ٥ قوله تعالى ليحصنكم من باسكم اي ليحرزكم من شدة القتال قرا شيبة وابو بكر ويعقوب
لنحصنكم بالنون لقوله وعلمناه وقرا ابن عامر وحفص بالتا يعني الصنعة وقرا الباقون باليا على معنى

ليحصنكم

قوله تعالى وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث

مطلب

وهو يومئذ ابن احدى عشرة سنة صح

٣٤

ليحصنكم اللبوس وقيل على معنى ليحصنكم الله عز وجل وقوله تعالى من باسكم اي من حربكم وقيل من وقع السلاح
فيكم فهل انتم شاكرون يا اهل مكة ٥ قوله تعالى ولسليمن الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها اي
وسخرنا لسليمن الريح عاصفة اي شديدة الهبوب قال ابن عباس ان امر الريح ان تعصف عصفت واذا
اراد ان ترخي ارخت وذلك قوله تعالى رخا حيث اصاب وقوله تعالى تجري بامره الى الارض اي تجري بامر سليمن
من اصطخر الى الارض التي بارك الله فيها بالما والشجر وهي الارض المقدسة ٥ روي ان الريح كانت تجري
لسليمن واصحابه الى حيث شا سليمن ثم تعود به الى منزله بالشام ٥ قوله تعالى وكنا بكل شي عالمين بصحة
التدبير فيه علمنا ان ما نعطي سليمن من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قوله تعالى ومن الشياطين
من يغوصون له اي وسخرنا له من الشياطين في البحر لاستخراج ما شا من لولو ومرجان وغير ذلك من الجواهر ٥
قوله تعالى ويعملون عملا دون ذلك اي يعملون دون الغواصة من اعمال البنا وقوله تعالى وكنا لهم حافظين اي من ان
يفسدوا ما عملوا ومن ان يهيجوا على احد في زمانه ٥ قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر اي دخل بي
الضر في جسدي وانت ارحم الراحمين بالعباد فكان هذا تعريضا منه بالدعا لله لازالة ما به من الضر
فاستجبنا له دعاه فكشفنا ما نزل به من ضر وقوله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم قال ابن مسعود وقتادة
والحسن احيى الله له اولاده الذين هلكوا في الدنيا باعيانهم وزدنا له مثلهم ويقال ابدله الله بكل شي
ذهب عنه ضعفين ٥ وعن ابن عباس قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ووهبنا له اهله
ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امراته اليه وزاد في شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين ذكرا ٥
قوله تعالى رحمة من عندنا اي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي وموعظة للمطيعين قال وهب بن
منبه كان ايوب عليه السلام رجلا من الروم من ذرية اسحق بن ابرهيم وكانت امه من ولد لوط وكان الله قد اصطفاه
وتنباه وبسط عليه الدنيا واتاه من اصناف المال من البقر والابل والغنم والخيل والحمر ما لا يوتيه احدا وكان
قد اعطاه الله اهلا واولادا من رجال ونسا وكان له خمسماية عبد لكل عبد امراة وولد ومال وكان ايوب عليه السلام
برا تقيا رحيما بالمساكين يكرم الارامل والايتام ويكفلهم ويكرم الضيف وكان شاكرا لانعم الله مودیا
لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنا مجتهدا في العبادة وكان ابليس
لا يحجب عن شي من السموات ومن هناك وصل الى ادم عليه السلام حين اخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد
في السموات حتى رفع الله عيسى عليه السلام فحجب من اربع وكان يصعد في ثلث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
حجب عن الثلاث الباقية فهو وجنوده محجوبون من جميع السموات الى يوم القيمة الا من استرق السمع فاتبعه
شهاب ثاقب فلما كان ابليس في زمان ايوب يصعد الى السما سمع تحادث الملئكة بالصلاة على ايوب وذلك
حين ذكره الله تعالى واثنى عليه فادركه الحسد لايوب فصعد سريعا حتى وقف من السما موقفا كان يقفه وقال الهي عبدك
ايوب انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولم تجربه بشدة ولا بلا وانا لك زعيم لين ضربته بالبلا ليكفرن بك فقال
الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض ابليس حتى وقع على الارض وجمع عفاريت الجن وقال لهم ماذا عندكم
من القوة فاني قد سلطت على مال ايوب وهي المصيبة الكبرى والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال
عفريت من الجن اعطيت من القوة ما اذا شيت تحولت اعصارا من نار واحرقت كل شي اتي عليه فقال له ابليس
اذهب الى الابل ورعاتها فذهب الى الابل فوجدها في المرعى فلم يشعر الناس حتى ثار اعصار تنفخ منه السموم
لا يدنو منه احد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى اتى على اخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود
منها كراعيها وانطلق الى ايوب فوجده قايما يصلي فقال يا ايوب هل تدري ما صنع ربك الذي اخترته

مطلب

من الغرة والغفلة والسهو والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من الدنيا وكان كثير الذكر لله تعالى صح

وعبدته بابلك ورعاتها فقال ايوب انها مالله اعارنيه وهو اولى به اذا شاء رعه وقد وطنت نفسه
ومالى على انها للفنا فقال ابليس ان ربك ارسل عليها نارا فاحرقت هى ورعاتها فصارت للناس معجبون منهم ويقولون لو كان الله ايوب يقدر على ان يصنع شيأ لمنع من اهل وليته وقومه منهم يقولون بل الله
ايوب هو الذى فعل ذلك اشمت عدوه وفجع به صديقه فقال ايوب الحمد لله على ما قضاه الله وقدره
ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لتقبل روحك مع تلك الارواح فياحر فى الله فيك وتموت شهيدا ولكنه
علم منك شرا فاخرك وخلصك فرجع ابليس الى اصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة
انى لم اجرح قلبه فقال عفريت عندى من القوم ماذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت
روحه فقال له ابليس اذهب الى الغنم ورعاتها فاتطلى لهم فلما توسط الغنم والرعاء صاح صوتا فماتوا
جميعا ثم خرج ابليس متمثلا بزاع من رعاتها الى ايوب واخبره بذلك فحمد الله وقال له مثل ما قال فى المرة
الاولى فرجع ابليس الى اصحابه ذليلا خاسئا وامرهم الى اصحاب الحرث والزرع فاهلكوا وكان ايوب عليه
السلام كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله واحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء والزم نفسه الصبر
على البلاء حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس ان ماله قد فنى وانه لم يصب منه حاجته صعد الى السماء وقال
يارب ان ايوب يرى انك ما اهلكت من ماله اخلقته عليه فهل انت مسلطى على اولاده فانها الفتنة المضلة
والمصيبة التى لا يقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فسلطه الله على ذلك فانطلق ابليس
حتى جا الى اولاد ايوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله بهم حتى تداعا من قواعده ثم جعل يرميهم بالخشب
والحجارة حتى مثل بهم كل مثلة ثم ذهب ابليس الى ايوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو
مجروح يسيل دمه ودماغه فاخبره بذلك فقال له يا ايوب لو رايت نبيك كيف حالهم منكسين
على رؤسهم يسيل دماغهم انوفهم ولو رايت كيف شتت بطونهم وتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم
ولم تزل يردد عليه هذا القول حتى رق قلبه وبكا فقبض قبضة من التراب ووضعها على راسه فاغتنم
ابليس ذلك ووضعه يعا بالذى كان صنع ايوب ثم لم يلبث ايوب ان ندم على ذلك واستغفر ربه
فصعدت الملكة بتوبته فسبقهم ابليس فوقف ابليس حاريا ذليلا وقال الهى هل انت مسلطى
على جسده فانى عديم لك ان سلطتنى عليه ليكفرن بك فقال الله قد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان
على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله ولم يسلطه على ما يعظم له الثواب وجعله عبرة للصابرين
وذكرى للعابدين ليقتدوا به فى الصبر فانقض ابليس سريعا فوجد ايوب ساجدا فاتاه من قبل الارض فى وجهه
فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من قرنه الى قدمه مثل الناليل ووقعت عليه
حكة لا يملكها فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالخزف والحجارة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع
وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية وجعلوه على كناسة واعتزله جميع الناس لما امراته رحمة بنت افرائيم
بن يوسف بن يعقوب فانها كانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما طال عليه البلا وتمادى به المرض ورفضه
جميع الناس حتى اهل بيته تركوه ولم يتركوا ادبه فاقبل على الدعا متضرعا وقال الهى اى شى خلقتنى ليتك
لم تخلقنى بل ليتنى كنت حيضة القتنى امى فلو كنت امتنى كان اجل فى الهى انا عبد ذليل ان احسنت الى
فالمن لك وان عاقبتنى فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا ولنفسه نصبا وقد وقع على بلا لو سلطته على جبل
لضعف عن حمله فكيف بجملة ضعفى الهى تقطب اصابعى فانى لا اقدر احمل القوة بيدى الهى تساقطت لحوم
راسى وما يبر اذنى وسال دماغى من فمى وتساقطت شعر عينى وكانما احرق بالنار وجهى الهى قطعنى
وجهى ورم لسانى حتى ملأنى فما ادخل فيه طعاما الا عضبا ورمت شفتاى حتى عطت العلما انتنى وعطت
السفلى فقى وتقطعت امعائى ويطنى الهى ذهبت قوة رجلاى حتى لا اطيق حملها وذهب المشى حتى
صرت اسال الله مرة ان يقبضنى اليه فلا يجيبنى الهى ان كنت اعوله بمنعها على ويغير فى هلاك اولادى ولو بقى منهم واحد لاغانى ونفعنى الهى

قد ملنى

قد ملنى اهلى وعقنى ارحامى وانكرتنى معارفى واعرض عنى صديقى وهجرنى اصحابى وخيبت حقوقى وتسببت صنايعى
اصرخ فلا اجد مصرخنى واعتذر فلا اجد عاذرا وادعو فلا احد منهم يجيبنى وان فضلك هو الذى اذلنى واحمانى
وسلطانك هو الذى امتهنى وانحلنى فلو ان رزء رزئ الهيبة التى فى صدرى واطلق لسانى حتى اتكلم لما ينبغى للعبد
ان يكاح عن نفسه لرجوت ان يعافينى ولكنه الثنائى وتعالى عنى فهو يرانى ولا اراه ويسمعنى ولا اسمعه اهو نظر
الى فرحمنى ولا هو ادنانى منه فاكلمه بحاجتى واخاصمه عن نفسى فلما فاك ذلك ايوب فنودى يا ايوب
انى لم ازل لك قديما فقم وخاصم عن نفسك وتكلم ببراتك وشدا تركل وقم مقام جبار لخاصمنى يا ايوب انك اردت
ان تخاصمنى بعيتك وتحاجنى بخطايك ام اردت ان تكاثرنى بضعفك اين انت منى يوم خلقت السموات والارض هل
علمت اى مقدار قدرتها ام كنت معى يوم مددت اطرافها ام هل علمت ما فى زواياها اين انت منى يوم سجرت
البحار وابتعث الانهار اقدرتك حبست البحار وامواجها ام قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها
اين انت منى يوم نصبت شوامخ الجبال ويوم ضربت الماعل التراب اتحكمتك احصيت القطر وقسمت الارزاق
ام قدرتك تثير السحاب ام هل خرقت ارواح الاموات هل تدرى يا ايوب باى لغة تتكلم الاشجار ام هل
تدرى ابن خزانة الثلج وجبال البرد وهل تدرى ابن خزانة الليل والنهار وابن طريق النور ومن جعل
العقول فى اجواف الرجال ايان انت يا ايوب يوم خلقت التنين رزقه فى البحر ومسكنه فى السحاب
عيناه يقولان نارا ومنخراه يثوران دخانا يثور منهما كانه اعصار النار جوفه يحترق وبطنه
يلتهب كان صريف اسنانه اصوات الصواعق وكان وطء عينه لهب البرق لا يقربه شى وهلك كل شى يمر به
هل انت يا ايوب اخذته باحبولتك او واضع اللجام فى شدقه هل تحصى عمره او تعرف اجله او تعطيه رزقه
فقال عند ذلك ايوب قصرت عن هذا الامر ليت الارض تنشق لى فاذهب فيها اجمع على البلا الهى قد
جعلتنى لك كالعدو وقد كنت اكرمنى الهى فما كلمة زلت على لسانى قل اعود لشى تكرهه منى ولو وضعت
يدى على فمى وعضضت على لسانى والصقت بالتراب خدى وبسطت فيه وجهى لذلى واسكتنى خطيتى
ربما عرفتنى ما قلت فلا اعود لمثله ابدا فقال الله عز وجل يا ايوب قد نفذ فيك علمى وسبق رحمتى غضبى ان
اخطأت بقدر فكم رددت عليك مالك واهلك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك اية وتكون عبرة لاهل البلا
وعلما للصابرين اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وكل من رجله فانفجر له عين فدخل
فيها فاغتسل منها فاذهب الله عنه كل ما كان به من البلا فاقبلت امراته تلتمسه فى مصبعه فلم تجده
فقامت كالوالهة وجدته جالسا عند العين فلم تعرفه فقال له يا عبد الله هل علمت اين الرجل المبتلى الذى
كان ههنا فعال وهل تعرفه فالت نعم ومالى لا اعرفه فتبسم وقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته
قال ابن عباس هو الذى عيب سده ما فارقته من عناقه حتى من بهما كل مال لهما وولده قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقام ايوب فى بلايه ثمانى عشر سنة فرفضه القريب والبعيد وقال الحسن مكث ايوب
مطروحا على كناسة فى مزبلة سبع سنين وكان مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والشاكلة والصبر على بلايه فصرح
ابليس صرحة جمع فيها جنوده من اقطار الارض جرعا من صبر ايوب فلما اجتمعوا اليه قالوا له ما اصابك
قال اعيانى هذا العبد الذى سالت الله ان تسلطنى عليه وعلى ماله وولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم
يزدد بذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته جيفة ملقى على كناسة بنى اسرائيل لا يقربه
الا امراته فاستغاثت بكم لتعوونى عليه فقالوا له واين مكرك ان خدايعك الى الهلاك فهلم معى لعلنا
قال ابطل ذلك كله مع ايوب فاشيروا على قالوا ان تحلف لان حرجت احدا من الحمة من ان تنته قال فقبل امراته

قالوا فشانك يا ايوب من قبل امراته فانه لا يعصيها وليس احد يقربه غيرها قال اصبتم فانطلق حتى اتى
امراته فتمثل لها في صوره رجل فقال اين يملك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه والدود تتردد
في جسده فوسوس الشيطان ذكرها ايام شباب ايوب وجماله وما كانا فيه من النعم والحال الطيب وكيف
انقلب عليهم الزمان حتى صار ايوب في هذا الضر العظيم ولم يزل يذكرها ما ايام قد مضت حتى بكاها
فلما علم انها قد جزعت وجزئت اتاها بسخلة وقال لها قولي لايوب يذبح هذه الشاة لي وهو يبرأ فاقبلت
الى ايوب وقالت له الى متى تعذب الله الا يرحمك ابن المال ابن الماشية ابن الولد اين لونك الحسن قد تغير
وصار كما ترى ابن جسمك الحسن قد بلى وتردد فيه الدود ان اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها ايوب اتاك
عدو الله فنفخ فيك واجتبيه ويلك امراة الذي تكمن عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله
قال كم متعتك به قالت ثمانين سنة قال لكم ابتلانا الله قال سبعين قال ويلك ما عدلت ولا انصفت الا صبرت
حتى تكون في البلاء مثل ثمانين سنة كما كنت في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة كبيرة امرني ان
اذبح لغير الله طعامك وشرابك علي حرام ان ذقت شيئا مما تاتيني به بعد اذ قلت لي هذا القول فاعتزلي
عني ولا اراك فطردها فذهبت ٥ وقال وهب لم يامرها ابليس بذبح السخلة وانما قال لها لوان يعلم اكل
طعاما ولم يسم الله عليه لعوفي والا فلا وروي ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة وارد عليك المال
والاولاد واعافي زوجك انا الذي صنعت بكم ما صنعت ورجعت الى ايوب فاخبرته بذلك فقال لها
اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك وحلف ان عافاه الله ليضربنها مائة ضربة وحرم طعامها وشرابها
وطردها فلما نظر ايوب الى انه قد طرد امراته وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا
لله عز وجل وقال الهي مسني الضر وانت ارحم الراحمين فرفع ابليس في سجود امراته ودعا عليه ايانا كما
وايانا الى الكفر وقيل انما قال مسني الضر حين صدت الدودة الى قلبه ولسانه فخشي ان يفتر عن ذكر الله عز
وقيل انما قال ذلك حين اتياه صديقاه بعد ثلاثة ايام من بعيد لما بقدر ان يعرفا الدنو منه من ريحه فقال احدهما
لصاحبه لو علم الله في ايوب خيرا ما ابتلاه بما نرى فلما سمع ايوب شماتتهما كان اشد عليه من مرضه الكلمة
فعند ذلك قال مسني الضر من شماتة الاعداء لما روي انه قال له بعد ما عوفي ما كان اشد عليك
بلاءك قال شماتة الاعداء واشد وافي معناه ٥ كل المصايب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد ٥
كل المصايب تنقضي ايامها وشماتة الحساد بالمرصاد ٥ قال وهب فلما طرد ايوب امراته وبقي وحيدا
ليس معه من يطعمه ويسقيه قال عند ذلك يا رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقال الله عز وجل له ارفع
رجلك فعد استجب لك اركض برجلك وركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق دابة في ظاهر الاسقط
عنه واذهب الله عنه كل الم وسقم وعاد الله شبابه وجماله احسن مما كان وافضل ثم ضرب برجله
فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة ثم التفت عن يمينه فراى
جميع ما كان له من اهل ومال وولد وقد صار معهم مثلهم قال الله عز وجل واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من
عندنا قال وهب كان له سبع بنات وثلثة بنين وكان ابن يسار سبعة بنين وسبع بنات فرد هم الله
عز وجل باعيانهم واعطاه مثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه وكعب قالوا احياهم الله عز وجل
وابدله بكل ميت ذهب عنه ضعفين قال ابن عباس رضي الله عنهما امراته في شبابها حتى ولدت له ستة وعشرين
ولدا ذكرا ان هو له نبوا اسمعيل وادريس وذا الكفل اي وادكر اسمعيل وادريس وذا الكفل واختلفوا
في ذي الكفل قال ابو موسى الاشعري وقتادة ومجاهد كان رجلا صالحا كفل لنبي من الانبياء انه يصوم
النهار ويقوم الليل ولا يغضب ويقضي بالحق فوفى بذلك كله فاثنى الله عليه وذكره مع الانبياء وذلك ان نبيا
من انبياء بني اسرائيل اوحى الله اليه اني اريد ان اقبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل لك انه

يصلي

يصلي بالليل لا يفتر ويصوم النهار لا يغضب ولا يقضي بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه فقبل ذلك فقام
شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكر الله له ووافى علية ولذلك سمي ذا الكفل وقال الحسن
هو نبي اسمه ذو الكفل ومعنى ذي الكفل اي ضعف ثواب على ثواب من امر به في زمانه وقال
مجاهد انما سمي ذا الكفل لانه كفل لوالي استخلف حلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر
كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتكفل لي بهذا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب
ولا يغضب فقام رجل تحمر اليه العيون فقال انا فرده في ذلك اليوم ثم قال لكم اليوم الثاني فعاد
ذلك الرجل فرده فقال مثل ذلك في اليوم الثالث فعاد ذلك الرجل واستخلفه فوفى بذلك كله ٥ وله تعالى
وكل الصابرين اي على طاعة الله وعن معاصيه وادخلناهم في رحمتنا يعني ما انعم عليهم من النبوة وما
صيرهم اليه في الجنة من الثواب ٥ قوله ويونس وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه يعني
ان لن نضيق عليه من قدر عليه رزقه اذا ضيق عليه ومتى جيسه الله في بطن النون وهو الحوت ومعنى الآية واذكر ذا الحوت اذ ذهب مغاضبا لقومه روي انه خرج
من بينهم قبل ان يؤذن له في الخروج وكان خروجه من بينهم خطيئة واما خروجهم على توهم الامارات به فكما روي عن ابن عباس
والضحاك وقتادة ان يونس وقومه ليسكنوا فلسطين فغزاهم ملك فسبا منهم خلقا كثيرا فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي عليه السلام
ادع الى الله حتى اقيل له يوحنا نبيا قويا اميينا فاتى قومه وقال لهم حتى رسولا منه بني اسرائيل فقال الملك
من تريدون ان ارسل وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال له ارسل يونس فانه قوي امين فدعا الملك يونس فاخبره ان يخرج
فقال يونس هل امر الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فهنا انبياء غيري اقويا امناء فالحق اعلم فخرج
مغاضبا للنبي والملك وقومه فاتى بحر الروم فاذا سفينة مشحونة فركب مع اصحابها فلما صارت في لجة البحر
اكفأت حتى كادوا يغرقون فقال الملاحون ههنا عبد ابق من ربه قارعوا فاقرعوا ثلاثا فوقعت القرعة على يونس
لان يغرق واحد منا خير من ان تغرق السفينة بمن فيها فاقرعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة كلها على يونس فقال
يونس انا الرجل العاصي والعبد الابق والنفي نفسه في الماء جاءت حوت فابتلعه ثم جاءت اخرى فابتلعت
فابتلع الحوت ايضا فاوحى الله الى الحوت لا تؤذي منه شعرة ولا تهشمي منه عظما فاني لم اجعل بطنك سجنا له ولكن اجعله لك رزقا
وقوله ونعم فظن ان لن نقدر عليه اي فظن ان لن نقضي عليه بالعقوبة يقال قدر الله الشيء وقدره اي قضاه وقال معناه
فظن ان لن نضيق عليه الحبس من قوله ومن قدر عليه رزقه اي ضيق عليه وقوله بسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقد ضيق
الله على يونس اشد تضييق وقيل معناه فظن ان نقدر عليه ما قدر بما من كونه في بطن الحوت فقوله ثم نادى في
الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك قال ابن عباس هي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال سالم
مولى ابي الجعد كان حوتا في بطن حوت وقوله اني كنت من الظالمين اي الظالمين لنفسي في خروجي من قومي قبل الاذن
قال الحسن وهذا من يونس استغفار لذنبه وتوبة من خطيئة تاب الى ربه في بطن الحوت وراجع نفسه ٥
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج عنه كلمة اخي يونس لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين ٥ وقال وهب بن منبه ان يونس بن متى عليه السلام كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما
حمل عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه وخرج هاربا منها فلذلك
اخرجه الله من اولي العزم فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال فاصبر
لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اي لا تلق امري كما القاه وقوله ع وظن ان لن نقدر عليه اي ظن ان لن نعاقبه
عليه بما قضينا من العقوبة ودليله قراءة الزهري ان لن نقدر عليه مشددا وقرا عبيد بن عمير نقدر عليه بالتشديد
على المجهول واحملوا ومده لبثه في بطن الحوت فقيل اربعون يوما وقيل سبعة ايام وقيل لله اعلم وامسك الله
نفسه فلم نقله هناك ٥ وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اراد الله حبس يونس في بطن الحوت

اوحى الله الى الحوت خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه بفيه فاتى به الى مسكنه فى البحر فلما انتهى به الى اسفل سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فاوحى الله اليه وهو فى بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد لك له فى كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الله الحوت فقذفه على الساحل وهو سقيم ۞ وعن ابن عباس قال اتى جبريل الى يونس فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد حضرهم قال حتى التمس دابة قال له الا من اعجل من ذلك فانطلق الى السفينة فركبها فاحتبست السفينة فقالوا هنا مخرج السهم عليه فجاء الحوت يضرب بذنبه فالتقمه فنودى الحوت انا لم نجعله رزقا لك وانما جعلناك له سجنا فانطلق به الحوت ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم على دجلة وكان ابن عباس يقول كان رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت ودليل هذا ان الله تعالى ذكر قصة يونس فى سورة الصافات ثم عقبها بقوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقال اخرون لم كانت قصة الحوت بعد دعايه قومه وتبليغه الرسالة ۞ قوله ع واستجبنا له ونجيناه من الغم اى اجبنا دعوته ونجيناه من ملك الظلمات وكذلك ننجى المومنين اذا دعوني كما نجينا ذا النون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الله الذى اذا دعى به اجاب واذا سيل به اعطى دعوة يونس منى صلى يا رسول الله هى ليونس خاصة ام لجماعة المسلمين قال هى ليونس خاصة وللمومنين عامة اذا دعوا بها الم تسمع الى قوله ع وكذلك ننجى المومنين ۞ واختلفت القراة فى قوله وكذلك ننجى المومنين فقرا ابن عامر وابو بكر نجى المومنين بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء وجميع النحويين حكموا على هذه القراءة بالغلط وقالوا هى لحن بهذا ذكر الفراء وحكاه غير الاصمعى وقال الاصمعى لحن ابو عمرو فى نجى المومنين كما لحن من قال ضرب زيدا على اضمار المصدر اى ضرب الضرب زيدا فى نجى الماضى المومنين كما لحن من قال ضرب الضرب زيدا على اضمار المصدر اى ضرب الضرب زيدا وقال الساعرة ۞ ولو ولدت فقيرة جروا كلب لسب بذلك الجرو الكلابا اى لنسب بذلك الجرو السب الكلابا ۞ وممن صوب هذه القراءة ابو عبيد واما ابو حاتم السجستانى فانه لحنها ونسب قارئها الى الجهل وقال هذا لحن لا يجوز فى اللغة ولا فتح مثل ذلك البيت على كتاب الله ع الآن يقول وكذلك ننجى المومنين ولو قرئ ذلك لكان صوابا ۞ قال ابو على الفارسى هذا ما يجوز فى ضرورة الشعر ۞ قال فهل لم كتب فى المصاحف بنون واحدة قيل لان النون الساكنة لما سكنت وكان الساكن غير ظاهر على اللسان حذفت كما فعل ذلك بالالف فحذفوا النون من ان لخفائها اذ كانت مدغمة واللام قوله ع وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا واستخبر الوارث اى واذكر زكريا اذ دعا ربه فقال ربه لا تتركنى وحيدا اى ارزقنى ولدا انس به وبعينى على امر الدين والدنيا وتقوم بامر الدين بعدى وقد فعل وانت خير الحلق لانهم وامورهم صايرون اليك ۞ قوله ع فاستجبنا له اى فاجبنا له دعاه فوهبنا له ابنه يحيى واصلحنا له عقر امراته قال قتادة كانت عقيما فجعلناها ولودا وقيل كانت سيئة الخلق فرزقها الله حسن الخلق وقوله ع انهم كانوا يسارعون فى الخيرات اى يتبادرون الى الطاعات مخافة ان يعرض لهم ما يشغلهم عنها ويعنى بذلك زكريا وامراته ويحيى وقال بعض المفسرين الكناية تعود على الانبيا الذين ذكرهم الله فى هذه السورة ۞ قوله ع ويدعوننا رغبا ورهبا اى طمعا فى ثوابنا وخوفا من عقابنا ۞ وكانوا لنا خاشعين اى خاضعين خاشعين ۞ قوله ع والتى احصنت فرجها وهى مريم بنت عمران صحابة مرروحنا اى من جبريل فى جيب درعها بامرنا والمعنى وادكر التى حفظت فرجها مما لا يحل وقوله ع وجعلنا هى وابنها اية للعالمين اى دلالة للعالمين وحجة على قدرتنا حيث ابانها من الولد من غير فحل يتكلم فى المهد مما يوجب براءة ساحتها من العيب وفى ذلك دليل على قدرة الله وعن هذا لم تقل ايتين لان شانهما فى الدلالة كان واحدا ۞

قوله ع وان هذه امتكم امة واحدة قال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه ان هذا دينكم دين واحد والامة الدين ومنه قوله انا وجدنا ابانا على امة اى على دين الاصل انه يقال للقوم مجتمعون على دين واحد امة فمقام الامة مقام الدين وهو نصب على الحال اى حال احتماعهما على الحق ۞ قوله ع وانا ربكم فاعبدون اى لا دين سوى دينى ولا رب غيرى قوله ع وتقطعوا امرهم بينهم كل الى راجعون معناه كان امرهم فى الدين واحدا ولكنهم تفرقوا واحدثوا اعمالا يجوز وهم اليهود والنصارى والمجوس وقوله ع كل الينا راجعون اى جميع اهل هذه الاديان راجعون الى حكمنا يوم القيمة فنجزيهم باعمالهم ۞ قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه اى لا جحود لعمله بل نتقبلها الله ونثيبه عليها والمعنى لا يمنع ثواب عمله ولا يحد احسانه وقوله ع وانا له كاتبون اى ناسر الحفظة ان يكتبوا ذلك العامل عمله ليجازيه عليه ۞ قوله ع وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اى واجب على قريه اذا اهلكت لا ترجع الى الدنيا كما قال الكلبى يعنى بقوله اهلكناها اعذبناها انهم لا يرجعون الى الدنيا والمعنى ان الله ع اوجب على من اهلك ان يبقى فى الارض مدفونا الى يوم القيمة وان لا يرجع الى الدنيا ۞ قوله ع حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج الحاء وجزم الراء من عرالف وهما لغتان مثل حل وحلال ۞ قوله ع حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج اى حتى اذا فتحت جهة ياجوج وماجوج وفتحهما اخراجهما من السد وقرا ابن عامر وتعقوب فتحت بالتشديد على التكثير وقوله ع وهم من كل حدب ينسلون اى من كل اكمة وربوة من تعفة من الارض لخروجهم باسراع والحدب الارتفاع ومنه الحدبة خروج الظهر ونشوة والنسول هو الخروج بسرعة كنسلان الذيب يعنى مشيته اذا اسرع فيها والمعنى انهم من كل نشز من الارض يسرعون ويسرعون فى الارض فلا ترى الا الوفا قوما منهم هبطوا منها مسرعين فلا يمرون بما لا يشربونه ولا يبقى الا اشربوه ولا يمر بشى الا افسدوه قال المفسرون اولاد ادم عشرة اجزا تسعة منهم ياجوج وماجوج وقد ذكرنا قصتهم فى سورة الكهف قوله ع واقترب الوعد الحق قيل ان الواو هنا زايدة والمعنى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق اى يكون ذلك عند اقتراب الساعة وذكر الوعد والمراد به الموعود ۞ روى عن حذيفة رضى الله عنه انه قال لو ان رجلا حلا ناقتى ثم لوا بعد خروج ياجوج وماجوج لم يركبها حتى تقوم الساعة ۞ قوله ع واذا هى ساخصة ابصار الذين كفروا اى تشخص ابصارهم يوم القيمة نحو الجهة التى منها تعرون هول العذاب ولا يمكنهم ان يطرفوا منها وقيل تخص ابصارهم من شدة ذلك اليوم ۞ قال الكلبى تخص ابصارهم من الاهوال واما الضمير فى قوله فاذا هى ساخصة يعود الى معلوم قد بينه وهو قوله ابصار الذين كفروا كقول الشاعرة

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

اى عن الطعينة ثم اظهرها ويكون تقدير الكلام فاذا الابصار شاخصة ابصار الذين كفروا وقيل يكون قوله هى عمادا مثل قوله فانها لا تعمى الابصار وقوله يا ويلنا اى يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا اليوم فى الدنيا كما طالما نسبنا انفسنا بالكفر ۞ قوله ع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون معناه انكم يا اهل مكة وما تعبدون من الاصنام وقود جهنم والحصب فى اللغة هو كل ما رمى به يقال حصبه بالحصبا اذا رماه بها وفى القراءة الشاذة حطب جهنم وهى قراءة ابن عباس والخطب ما تهيج به النار ومنه قيل للذقاق النار خضب وقرا على وعايشة حطب جهنم وقوله ع انتم لها واردون اى فيها خالدون والحكمة فى ادخال الاصنام النار مع انها لا ذنب لها فى عبادة من يعبدها ان يقصد بذلك حالها تعذيب عبادها فما كان منها حجرا او حديدا احمى فتلذع بها عبادها وما كان منها خشبا يحعل جمرا فيعذبون بها ويكون فى ادخال معبودهم معهم فى النار زيادة ذل وصغار عليهم ۞ قوله ع لو كان هولا الهة ما وردوها استجهالا لهم فى عبادة الاصنام اى لو كان الاصنام الهة كما يزعم الكفار ما وردوها

اى ما دخل عابدوها النار وكانوا فيها خالدون يعنى العابد والمعبود فقوله تعالى لهم فيها زفير وهم فيها
يسمعون الزفير شدة النفس يعنى ما يرد على صاحبه وهم فيها لا يسمعون شيأ ولا يرى احد منهم ان فى النار
احدا يعذب غيره ۞ قال ابن مسعود يجعلون فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت اخرى
فلا يسمعون شيأ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتى قريشا وهم فى المسجد مجتمعون وحولهم ثلثمائة و
صنما مصفوفة كل صنم لكل يوم بحيالهم فقال صلى الله عليه وسلم ما تعبدون من دون الله حصب جهنم
انتم لها واردون ثم قرء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لكل عليهم فاتاهم عبد الله الزبعرى فراهم يتهامسون
فقال فيم خوضكم فاخبره الوليد بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته
لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى اانت قلت انا وما نعبد فى النار قال خصمتك
ورب الكعبة اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملكة افترى ان هؤلاء
يكونون فى النار فبين له النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اراد بقوله ما يدل على ذلك لان قوله تعالى وما
تعبدون لا يكون الا لما لا يعقل اذ لو اراد الملكة والناس لقال ومن تعبدون ثم ابان الله فقوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون يعنى عيسى وعزيرا والملكة هم الذين سبقت لهم منا الحسنى اى وجبت لهم
العلة من الله عز وجل للبشرى والسعادة ودخل فى هذه الآية حملة المؤمن لما روى ابن عمر رضى الله عنه سمع عليا كرم الله وجهه
يقول انا للآية ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فقال انا منهم وقيل نزلت فى على رضى الله عنه وفى هذه الآية
من الله العناية فى الهداية فطهرت الولاية فى النهاية ۞ قوله عز اولئك عنها مبعدون اى ممنوعون عن النار وقوله تعالى
لا يسمعون حسيسها اى حسها وحركة تلهبها والمعنى لا يسمعون صوت النار وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون
اى فيما استهت انفسهم من نعيم الجنة مقيمون لا يمون قوله عز لا يحزنهم الفزع الاكبر قال اكثر المفسرين يعنى اطباق
جهنم على اهلها وقال ابن عباس هو النفخة الاخيرة وقيل هو ذبح الموت بين الفريقين وقيل هو حين يؤمر بهم
الى النار وذلك حين يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت قوله عز وتتلقاهم الملكة اى بالتهنية على باب الجنة
يقولون لهم هذا يومكم الذى كنتم توعدون ورقد بالغور قوله عز يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب قال ابن
عباس ومجاهد السجل هو الصحيفة تطوى عما فيها من الكتابة واللام فى قوله للكتاب بمعنى على وقال السدى
هو ملك موكل بالصحف اذا مات الانسان رفع كتابه الله فطواه وقيل اذا السجل كاتب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال هو الرجل بلغة الحبشة قرأ ابو جعفر نطوى السماء بالتاء ورفع السماء على ما لم يسم فاعله
وقرأ اهل الكوفة للكتب على الجمع ۞ والمراد بطى السماء ان الله عز وجل يطويها بتفتيتها بعيدها ولدنه قال كما بدانا
اول خلق نعيده اى كما ابدانا اولا فرء نعيدها الى الحالة الاولى ويجوز ان يكون معناه كما بدانا اول خلق
نعيده نعيد الحلق للبعث كما بدأناه من النطفة ودليل هذا التاويل قوله عز كما بدأكم تعودون ۞ والطى فى هذه
الآية يحتمل معنيين احدهما الدرج الذى هو ضد النشر قال الله عز والسماوات مطويات بيمينه ۞ والثانى
الاخفاء والتغيبة والمحو والطمس لان الله عز يمحو بشمسها وكذلك يمحوها وقيل معنى قوله عز كما بدانا اول
خلق نعيده كما بدأناهم فى بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيمة قوله عز وعدا علينا
نصب على المصدر بمعنى وعدنا وعدا او وعدا وقوله عز انا كنا فاعلين اى قادرين على فعل ما نشاء لا نخلف
لوعدنا او سنفعل ما قلنا وقيل معناه انا كنا فاعلين ما وعدناكم من ذلك وقيل انا كنا فاعلين الاعادة والبعث
قوله عز ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون اى كتبنا فى زبور اود من
بعد توراة موسى وقال ابن عباس والضحاك الذكر التوراة والزبور الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل
الزبور زبور اود والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله عز وكان وراءهم ملك اى امامهم وقوله عز والارض
بعد ذلك دحاها اى قبل ذلك وقوله عز ان الارض يرثها عبادى الصالحون يعنى ارض الجنة يرثها الصالحون من
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المؤمنين العاملين بطاعة الله وقوله عز ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين اى

اى ان فى هذا القرآن لبلاغا للكفاية والمعنى ان من اتبع القرآن وعمل به كان القرآن بلاغه الى الجنة
وقوله عز لقوم عابدين قال كعب هم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون
شهر رمضان ۞ وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى هذا البلاغ القوم عابدين ثم قال
هى الصلوات الخمس فى الجماعة فى المسجد الحرام قوله عز وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يعنى وما ارسلناك
يا محمد الا نعمة للعالمين قال ابن زيد يعنى المؤمن خاصة وقال ابن عباس هو عام فمن امن به كتب له من الرحمة
فى الدنيا والآخرة ومن كفر به سلم مما اصاب الامم من المسخ والخسف والقذف والمعنى انه كان اذا
ارسل نبى من الانبياء فان امن به قومه والا عذبوا وارسل الى صلى الله عليه وسلم وكان كل من كفر به يؤخر الى يوم
القيمة فهو نعمة على الكافر ان عوفى مما اصاب الامم من قبل قوله عز قل انما يوحى الى اى قل يا محمد انما
يوحى الى فى القرآن انما الهكم اله واحد وهو الله لا شريك له فهل انتم يا اهل مكة مسلمون مخلصون له بالعبادة
والتوحيد ۞ قوله عز فان تولوا اى فان اعرضوا عن قولى قوله قل آذنتكم على سواء اى اعلمتكم بالوحى من الله
على سواء اى على اعلام اى لم اطهر بعضكم على شىء كتمته عن غيره وقيل على سواء اى على حرب لكم كما صلح بيننا
وبين محالفيكم بنو بكر وخزاعة يوم الحديبية على ان لا حرب بيننا وبينهم ثم نقضوا العهد فاغار بنو بكر على خزاعة
وانى لا ادرى اقريب ما توعدون من العذاب يوم القيامة ام بعيد ۞ قوله عز انه يعلم الجهر من
القول ويعلم ما تكتمون يعنى ان الله يعلم ما تعلنون به من القول ويعلم ما تكتمونه من سركم لا يغيب
عن علمه شىء منكم ۞ قوله عز وان ادرى لعله فتنة لكم اى وما ادرى لعل تاخير العذاب اختبار لكم لينظر
كيف صنعكم ومتاع الى حين اى تمتعون الى انقضاء اجالكم اى تتمتعون الى انقضاء اجالكم ۞ قوله عز قل رب احكم بالحق اى قل يا محمد
رب احكم بعذاب اهل مكة الذى هو حق نازل بهم والحق ههنا هو العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر قال
قتادة كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق قال الكلبى فحكم عليهم بالقتل يوم بدر ويوم
الاحزاب ويوم حنين ويوم الخندق والمعنى افصل بينى وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقرأ حفص
قال رب احكم بالحق على الخبر اى قال الرسول لكم وقرأ الصحاك وبعقوب قل ربى احكم بالحق
باثبات الياء على وحد الخبر اى هو احكم الحاكمين وكيف يجوز ان يسأله ان يحكم بالحق وهو لا يحكم الا به ۞
قوله عز وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اى على ما تكذبون وقوله عز وما طلكم وقولكم هل هذا الا بشر مثلكم
وقولكم اتخذ الرحمن ولدا والوصف بمعنى الكذب كقوله عز سيجزيهم وصفهم وقوله ولكم الويل مما تصفون ۞

سورة الحج

مكية الا ثلاث آيات قوله عز ومن الناس من يعبد الله على حرف الى آخر الآيتين وقوله عز هذان خصمان
يقاتلون ربهم الى آخر الآيتين وقوله عز يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا الى آخر السورة ۞
فهذه الآيات مدنيات وكل شىء فى القرآن يا ايها الذين آمنوا فهو مدنى وكل شىء فيه يا ايها الناس فهو مكى
ومنه مدنى ولا تجد يا ايها الذين آمنوا الا مدنيا فقط هكذا روى عن ابن عباس ۞ وعدد آيات السورة ثمان
وتسعون آية وخمسة آلاف وخمسمائة وتسعون حرفا والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم
قال ابن عباس يريد يا اهل مكة اتقوا ربكم واحذروا عقابه ان زلزلة القيامة شىء عظيم
اى هول عظيم لا يوصف لعظمه والزلزلة شدة الحركة مع الحال الهائلة قوله عز يوم ترونها تذهل كل
مرضعة عما ارضعت اى يوم ترون تلك الزلزلة تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت اى تنشاغل وقيل
تشغل وقيل ترك ولدها هلعا عن كراهة ذكره وقيل معنى الآية يوم ترون الساعة والزلزلة تشغل
كل مرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام وهذا انما يكون على وجه التشبيه

المعنى ان لو كانت ثم مرضعة لذهلت عن ولدها او حامل لوضعت حملها قوله تعالى وترى الناس سكارى وما
هم بسكارى اي من شدة الفزع والخوف من عذاب الله يتحيرون كانهم سكارى وما هم بسكارى من الشراب
والمعنى ترى الناس كانهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم يضطربون اضطراب السكران وسكارى
جمع سكران وقرا اهل الكوفة سكرى وما هم بسكرى بغير الف قال الفرا وهو وجه جيد في العربية
لانه بمنزلة الهلكا والجرحى والمرضا ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى يوم القيمة
لادم يا ادم قم فابعث بعث النار فيقول لبيك وسعديك وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة
وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فعند ذلك يشيب الوليد وتضع الحامل ما في بطنها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فقالوا يا رسول الله اينا ذلك الواحد الذي يبقى قال ابشروا اني لارجوا
ان يكون من ياجوج وماجوج الف ومنكم واحد ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا وحمدنا
ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا وحمدنا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا نصف اهل الجنة
فكبرنا وحمدنا ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ثلثي اهل الجنة وان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها
امتي ثم قال صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب مع كل واحد سبعون الفا فقال
عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع ان تجعلني منهم فقال انت منهم فقام رجل من الانصار فقال يا رسول الله
ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة ٥ قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قال ابن عباس
نزلت في النضر بن الحرث كان يكذب بالقران ويزعم انه من اساطير الاولين وكان كثير الجدال ويقول الملائكة بنات
الله ويزعم ان الله غير قادر على احيا الموتى والمعنى ومن الناس من يخاصم في دين الله بغير علم ولا حجة ويتبع كل
شيطان مريد اي متمرد على الله قوله تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله اي كتب على الشيطان اضلال من
تولاه وهدايته اياه الى عذاب السعير وقيل ان الها في قوله كتب عليه راجعة الى من يتبع الشيطان فيقبل
منه ٥ قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث معناه يا اهل مكة ان كنتم في شك من البعث بعد الموت
فتفكروا في ابتدا خلقكم فان اعادتكم ليست باشد من اول خلقكم ثم بين ابتدا خلقهم فقال انا خلقناكم
من تراب اي خلقنا اباكم ادم ثم صيرناه لحما ودما وقوله تعالى من نطفة اي ثم خلقكم بعد ذلك من النطفة
التي تكون من الذكر والانثى ثم خلقنا تلك النطفة علقة وهي قطعة من الدم ثم جعل العلقة مضغة
وهي قطعة من اللحم تسمى مضغة لانها تكون مقدار ما يمضغ من اللحم ٥ قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة اي
تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهي السقط قال عبد الله بن مسعود اذا
وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا ياخذها بكفه فيقول يا رب مخلقة او غير مخلقة فان قال
غير مخلقة مجتها الارحام دما وان قال مخلقة قال يا رب اذكر ام انثى وما رزقها وما اجلها
اشقي ام سعيد وباي ارض تموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد ذلك فاستنسخ منه
صفة هذه النطفة فينطلق فيستنسخها فتخلق فتعيش في اجلها وتاكل رزقها حتى اذا جا اجلها
ماتت فتذهب الى المكان الذي كتب لها ٥ قوله تعالى لنبين لكم اي لنبين لكم كمال قدرتنا وحكمتنا
في تصريفنا في الخلق وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى اي ونترك في الارحام ما نشا
من الولد الى وقت التمام ولا نسقطه ٥ وروي عن عاصم ونقر بالنصب على العطف وقراة
الباقين بالرفع على معنى ونحن نقر ٥ قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا اي ثم نخرجكم من الارحام طفلا
صغارا وانما لم يقل اطفالا لانه لم يخرجهم من ام واحدة ولكنه يخرجهم من امهات شتى

كانه

كانه قال ثم نخرج كل واحد منكم طفلا قوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم اي ثم نعمركم لتبلغوا اشدكم
يعني الكمال والقوة ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الاشد ومنكم من يعمر حتى يرد الى ارذل العمر اي اهونه
واخسه وهو الهرم والخرف وقوله تعالى لكيلا يعلم من بعد علم شيا اي لكي لا يعقل من بعد عقله
الاول شيا قوله تعالى وترى الارض هامدة هذه دلالة اخرى لهم على احيا الموتى باحيا الارض الميتة
والهامدة هي اليابسة الجافة كانه قال وترى الارض يابسة جافة ذات تراب كالنار اذا
طفئت ورمت فاذا انزلنا عليها الما اي على الارض اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وازدادت
واضعفت النبات وذلك ان الارض ترتفع عن النبات فذلك تحركها وهو معنى قوله وربت اي
ارتفعت وزادت وانتفخت للنبات من ربا يربو اذا زاد قوله تعالى وانبتت من كل زوج بهيج
اي واخرجت بالما من كل لون حسن البهجة ومن كل صنف مونق العين والبهيج الحسن قال الله تعالى وانزلنا
من السما ما فانبتنا فيها حدائق ذات بهجة قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى اي ذلك الذي
وصفناه من تصريف الخلق على هذه الاحوال وفي احيا الارض الميتة لتعلموا وتقروا بان الله هو الحق اي هو
المستحق لصفات التعظيم وهو الاله الواحد الذي يقدر على كل شي وقوله تعالى وانه يحيي الموتى اي ويدلكم
على انه يحيي الموتى كما احياكم ابتدا وبانه على كل شي من الايجاد والاعدام قدير ويدلكم على ان الساعة كائنة
لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور للحساب والجزا ٥ قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى
ولا كتاب منير نزلت في النضر بن الحرث ايضا وقيل في ابي جهل ومعناه يجادل ليحق الباطل ويبطل ما دل
عليه الدليل بغير معرفة ولا دليل ولا كتاب مضى فيه حجة ما يقول وقوله تعالى ثاني عطفه اي لاوي عنقه
متكبرا معرضا عما يدعا اليه كبرا شامخا بانفه ليضل عن سبيل الله اي عن دين الله وطاعته قوله تعالى
له في الدنيا خزي اي عقوبة بالمذمة والقتل ونذيقه في القيمة عذاب الحريق اي عذاب النار فقتل
النضر بن الحرث يوم بدر صبرا ومن قال نزلت في ابي جهل فهو قتل ايضا يوم بدر وقوله تعالى ذلك بما
قدمت يداك مبالغة في اضافة الخزي اليه وان الله ليس بظلام للعبيد ظاهر المعنى ٥ فان قيل
لم قال تعالى بظلام على صفة المبالغة وهو لا يظلم مثقال ذرة قيل انه تعالى لو فعل اقل قليل الظلم لكان
عظيما منه ٥ قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف قال ابن عباس نزلت هذه الايات في اناس
من بني اسد بن خزيمة اصابتهم سنة شديدة فاجدبوا فيها فمضوا بعيالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة مهاجرين وكانوا اذا اعطوا من الصدقة واصابوا خيرا اطمانوا بذلك وفرحوا به
وان اصابهم وجع وافة وولدت نساوهم البنات وتاخرت عنهم الصدقة قالوا ما اصبنا مذ كنا
على هذا الدين الا شرا فينقلب دينه وذلك الفتنة ومعنى الاية ومن الناس من يعبد الله على حرف
اي على ضعف في العبادة كضعف القيام على حرف جرف لا يدخل في الدين على ثبات وتمكين وقيل
معناه على شك كانه قائم على حرف جدار او طرف جبل لا يدخل في الدين على ثبات ويقين وطمانينة
فهو كالمضطرب على شفا جرف فان اصابه رخا وعافية وخصب اطمان على عبادة الله بذلك
الخير وان اصابته فتنة اي محنة بضيق العيش ونحو ذلك انقلب على وجهه اي رجع الى دينه الاول
وهو الشرك بالله وقوله تعالى خسر الدنيا والاخرة اي خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الاخرة
الجنة ذلك هو الخسران المبين اي الظاهر ٥ وقرا الاعرج ويعقوب انقلب على وجهه خاسر

الدنيا والاخرة بالالف والاخرة بالحفض ونصب خاسرا على الحال قوله يدعو من دون الله
يضره وما لا ينفعه اى يعبد من دون الله ما لا يضره ان ترك عبادته ولا ينفعه ان عبده ذلك هو الضلال
البعيد عن الحق والرشد قوله يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اى يدعو ما لا نفع له اصلا ومن عادة العرب
انهم يقولون لشئ لا منفعة فيه ضره اكثر من نفعه كما يقولون لشئ لا يكون اصلا هذا بعيد وقوله لبئس المولى
اى بئس الناصر وقوله ولبئس العشير اى بئس الصاحب والمعاشر يعنى الصنم واختلفوا فى اللام فى قوله
لمن ضره فقيل معناها التاخير كانه قال يدعو من لضره اقرب من نفعه واما مد اللام
للتاكيد ويظهر هذا قولهم عندى لما غبت خير منه معناه عندى ما لغيبتك خير منه وقيل لمن ضره كلام مبتدا
وخبره لبئس المولى ولبئس العشير ويكون المعنى الذى هو الضلال البعيد يدعو فهذا احد الكلام وما
بعده كلام مستانف ۞ وقيل هذه اللام صلة اى يدعو ضره اقرب من نفعه قوله تعالى ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ظاهر المعنى ان الله يفعل ما يريد ما وليائه
واهل طاعته من الكرامة وما اهل معصيته من الهوان ۞ قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله فى
الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء الاية معناه من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم
فليطلب سببا يصل به الى السماء ليقطع نصرة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وليتطرق بذلك السبب
الوصول الى السماء حيلة فما لا يمكنه ان يحتال فى الوصول الى السماء لا يمكنه الحيلة فى قطع نصر
الله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل معناه من كان يظن ان لن ينصر الله النبى صلى الله عليه وسلم حتى يظهر على الدين
فليمت غيظا وقيل اذا لهاء راجعة الى من كان يظن كانه قال من كان يظن ان لن يرزقه الله فليمدد بحبل
الى سقف بيته واضعا ذلك على حلقه فيختنق نفسه ليذهب غيظ نفسه وهذا مثل ضربه الله لهذا
الجاهل اى مثل هذا الذى يظن ان لن يرزقه الله على سبيل السخط مثل ذلك فعل هذا الفعل بنفسه
هل كاد ذلك الا زايدا فى بلايه وهل يذهب حنقه نفسه غيظه فى رزقه واما ذكر النصرة
بمعنى الرزق لان العرب تقول لمن يصرف عنه الشر ما ينصرك اى ما يعطيك اعطاه الله ۞ وقوله ما يغيظ
ما بمعنى المصدر اى هل يذهبن كيده وحيلته غيظه ۞ قوله تعالى وكذلك انزلناه اياتا بينات اى وكما
انزلنا القران على محمد صلى الله عليه وسلم الدلالات واضحات وان الله يهدى الى النبوة من يريد وقيل يهتدى
الى الدين والى الثواب ۞ قوله تعالى ان الذين امنوا والذين كادوا اى ان الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
وجميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
الفرق الحكم ومن المؤمنين يوم القيمة بان يدخل المؤمنين الجنة وهم الفرق النار ۞ ان الله على كل شئ
شهيد اى عليم بكل شئ فراعاه هو لا ۞ قوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات الاية الم تعلم يا محمد ان
الله يسجد له اهل السموات الملكة ومن فى الارض من الجن والانس المؤمنين وقوله تعالى والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجدون لله اى يخضعون له ان يسجدوا هذه الاشياء هو
خضوعها وانقيادها لما خلقها فيما يريد منها وقال ابو العالية ما فى السماء شمس ولا قمر
الا وهو يسجد لله حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ۞ قوله تعالى وكثير من الناس اى وكثير من الكفار
الذين سبق لهم فى علمى ان يعذبوا بالنار لتركهم السجود لله ۞ قوله تعالى وكثير حق عليه العذاب اى ممن لا يوحد
والذى استوجب قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم اى من يهنه الله بالشقاوة فما احد يكرمه بالسعادة
ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة والكرامة والشقاوة والسعادة وهو المالك للعقوبة والمثوبة ۞
قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم اراد بالخصمين المؤمنين والكفار وقيل هم اهل الكتاب واهل
القران والمعنى اختصموا فى دين ربهم فقالت اليهود والنصارى نحن اولى بالله منكم لاوننا قبل
نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقالت المسلمون نحن احق بالله منكم امنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم

وانتم

واتم كفرتم بنبيتنا حسدا وقيل اراد بالخصمين الفريقين الذين تبارزوا يوم بدر ۞ والخصم
يقع على الواحد والجميع الا ترى انه جعل الكفار خصما والمومنين خصما وهذا قال اختصموا
لانهما جمعان وليسا برجلين وكان ابو ذر رضى الله عنه يقسم ان هذه الاية نزلت فى ستة نفر من
قريش تبارزوا يوم بدر ثلثة من المومنين وهم حمزة وعلى وعبيدة بن الحرث وثلثة من المشركين
وهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قال وقال على رضى الله عنه انى لاول من يجثو للخصومة يوم القيمة
بين يدى الله تعالى ۞ قوله تعالى والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار اى من نحاس قد اذيب بالنار فجعل على اجسامهم
بمنزلة الثياب ولبس ذى اذا جمى اشد حرا من النحاس يصب من فوق رؤسهم الحميم وهو الماء الحار الذى
قد انتهى حره ۞ قوله تعالى يصهر به ما فى بطونهم والجلود اى تذاب بالحميم الذى يصب من فوق رؤسهم
ما فى بطونهم من الشحوم حتى يخرج من ادبارهم وتذاب الجلود ايضا فما كان من جلودهم تتساقط عند
الحميم والصهر الاذابة فعلى هذا صهرت الاية بالنار اظهرها اى اذبتها ۞ قوله تعالى ولهم مقامع
من حديد المقامع جمع مقمعة وهى مدقة الرأس وقال ابن الملكة يضربون رؤسهم بها عند ما يريدون الهوى
فى النار سعير حر يتلهب قال مقاتل يضرب الملك رأس الكافر بالمقمعة فينقب رأسه ثم يصب فيه الحميم الذى
قد انتهى حره فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوف الكافر فيسلت ما فى جوفه من الامعاء حتى يخرج من قدميه قوله تعالى
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيد وا فيها اى كلما رفعتهم النار بلهبها لجاولوا الخروج منها
من غم العذاب اعيد وا فى النار بضرب المقامع وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اى المحرق مثل الاليم
بمعنى المولم ۞ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى قوله تعالى ولهم مقامع من حديد قال لو وضع مقمع
من حديد على الارض لم يحتمله الثقلان ما رفعوه من الارض ۞ ذكر الله الخصم الاخر فقال تعالى
ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من
ذهب ولولوا ۞ قد تقدم تفسير ذلك فى سورة الكهف ۞ قوله تعالى واهدوا الى الطيب من القول
الطيب وهو قول لا اله الا الله وقيل الى القران وقوله تعالى وهدوا الى صراط الحميد والله الحميد وصراطه
طريق الجنة والمعنى ارشدوا الى الاسلام ويجوز ان يكون الحميد نعتا للصراط كما فى قوله حتى السفر وقيل
معنى الاية وارشدوا الى القول الطيب والاخر مثل قوله الحريق الذى صد قبل ورده قوله تعالى ان الذين
كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه ان الذين كفروا بالله والجهاد والقران ويصدون عن سبيل الله عطف المضارع على
الماضى لان المراد بالمضارع الماضى ايضا ويجوز ان يكون المعنى ان الذين كفروا انما مضى وهم الان يصدون
عن سبيل الله مع كفرهم والمعنى يمنعون الناس عن طاعة الله وعن الطواف فى المسجد الحرام وهم ابو سفين رضى الله عنه
واصحابه الذين صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ۞ قوله تعالى الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه
والباد معناه الذى جعلناه للناس كلهم لم نخص به بعضهم دون بعض سواء المقيم فيه والذى ياتى من غير
اهله وليس الذين صدوا عنه ما حتى نهى عن صدهم قيل ان المراد بالمسجد الحرام فى هذه الاية الحرم كله
كما فى قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وكان المعهد بالحديبية ۞ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الحرم كله حرام لا يحل بيع رباعها ولا اجارة بيوتها وقيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد سواء

المعتكف فيه المجاور والبادي الذي لايكون ملازما له في حرمته وحل الله عليها فيه سواء
وا خفض سواء بالنصب باوقاع الجعل عليه لان الجعل يتعدى الى مفعولين وقرا الباقون بالرفع
على الابتداء وما بعده خبره وقيل سواء خبر مبتدا متقدم تقديره العاكف والبادي فيه سواء ۝
قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم معناه ومن يرد فيه الحادا بظلم وفي هذه
الاية دليل ان المراد بالمسجد الحرام كل الحرم وان الذنب في الحرم اعظم منه وفي غيره وعلى هذا
يكون معنى قوله سواء العاكف فيه والباد اي سواء في النزول وليس احدهما احق بالمنزل يكون
فيه وحرموا هذه الاية كري دور مكة واجارتها وفي ايام الموسم قال عبد الرحمن اسباط
كان المحاج اذا فقد منزله لم يكن احد من اهل مكة احق بمنزله منهم ۝ وروي انها كانت تدعا
السوايب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر من احتاج سكن ومن استغنى اسكن والالحاد
هو الشرك بالله تعالى وقيل كل ظلم فيه فهو ملحد ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احتكار الطعام
بمكة الحاده واحاد دخول الباء في قوله بالحاد لغو على معنى ومن اراد بان يلحد بظلم وقيل الالحاد دخول مكة
بغير احرام واحد حرام مكة واشياء كثيرة لايجوز للمحرم ان يفعلها وقوله تعالى نذقه من عذاب اليم خبر لكل ما
تقدم من الجملتين وقوله ان الذين كفروا ويصدون ومن قوله ومن يرد فيه بالحاد قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم
مكان البيت ان لاتشرك بي شيئا معناه واذكر اذ جعلنا البيت مبوأ لابراهيم ومنزلا فكان الحسن بوانا ه
انزلناه وقال مقاتل دللناه على علم وقيل هيانا مطهره لنبوي المؤمنين وبوأكم في الارض لنبوئهم من الجنة غرفا ه
وقيل معنى بوانا اي بينا له مكان البيت قال السدي لما امره الله ببناء البيت لم يدر اين يبني فبعث الله اليه
ريحا فكشفت له بناحول البيت عن الاساس الاول الذي كان عليه قبل ان يرفع ايام الطوفان وقال الكلبي
بعث الله اليه سحابة على قدر البيت في مقدار اس مكلم فقامت بحيال البيت وقالت ابرهيم ابن على قدري ۝
قوله ان لاتشرك بي شيئا اي قلنا له واوحينا اليه ان لاتعبد معي غيري قوله وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين اي طهره من ذبائح المشركين وما كانوا يلطخون حوله من الدم والفرث وقيل طهره من عبادة
الاوثان ومن دخول المشرك فيه ۝ وقوله للطائفين اي الذين يطوفون حوله واما القائمون والركع السجود
فهم المصلون قوله واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا اي وعهدنا الى ابرهيم ايضا ان ادن في الناس بالحج
يعني اعلم ونادي في الناس بالحج ود لك ان ابرهيم لما فرغ من بناء البيت اتاه ان ناد في الناس بالحج فقال
ابرهيم يارب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلي البلاغ فصعد ابا قبيس ونادى في الناس الا ان ربكم
قد بنا بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه فاشاع الله نداءه جميع ما بين السماء والارض الا ترى ان يحج
والمغرب والبر والبحر فلبى كل حجر ومدر وكل من حج من مؤمن ومؤمنة في اصلاب الاباء وارحام الامهات قالوا لبيك
اللهم لبيك فجعل التلبية شعار الحج فكل من حج منهم حاج ابرهيم علم اللام قوله تعالى ياتوك رجالا
وعلى كل ضامر معناه ياتوك مشاة على الارجل وعلى كل جمل مهزول اصابه السفر ورجال جمع راجل فيجوز
صاحب وصحاب ۝ وعن ابن عباس انه قال ما ندمت على شيء فاتني الا اني لم احج راجلا وقد حج الحسن
بن علي رضي الله عنهما خمسا وعشرين حجة ماشيا من المدينة الى مكة وان النجايب لتقاد معه ۝ وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة
خطوها سبعمايه حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمايه الف ۝ قوله تعالى
ياتين من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد من بلدان شتى يقال بئر عميقة اذا كانت بعيدة القعر

والماء

وانما قال ياتين لانه في معنى الجمع وحمل معناه وعلى كل ناقة ضامرة ۝ وعن بشر بن محمد قال رايت في الطواف
كهلا وقد اجهدته العبادة واصفر لونه وسد عصى وهو يطوف ويعتمد عليها فتقدمت اليه لاسأله فقال لا تسالني
ابن انت قلت من خراسان قال اي ناحية هي قلت من نواحي المشرق قال فلعلك ممن تقطعون هذا الطريق في
شهر او نحوه قال افلا تحجون في كل عام وانتم جيران هذا البيت قلت وانتم كم منكم وبين هذا البيت وبينكم
خمس عشرة ليلة قال انما هذا الجهد البين والطاعة الجميلة والنية الصادقة فضحك في وجهي وانشأ يقول ۝

زر من هويت وان شطت بك الدار ۝ وحال دونه حجب واستتار ۝

لا يمنعنك بعد من زيارته ان المحب لمن يهواه زوار ۝ قوله ليشهدوا منافع لهم اي ليشهدوا
ما ندبهم الله اليه مما لهم فيه نفع اخرتهم ويدخل في ذلك منافع الدنيا من التجارة تبعا وارخصة قال ابن جريج يعني
بالمنافع التجارة وقال مجاهد هي التجارة وما يرضي الله من امر الدنيا والاخرة ۝ وعن عمر رضي الله عنه انه كان يقول
اذا وقف بعرفة اللهم انك دعوت الى حج بيتك وذكرت المنفعة على شهود مناسكك وقد جيئتك فاجعل منفعة ما
تنفعني به ان تقبلني في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وان تقيني عذاب النار ۝ قوله يعني ويذكروا اسم الله في ايام
معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام قال الحسن الايام المعلومات ايام العشر والايام المعدودات ايام التشريق
واما قال لها معدودات لانها قليلة وقيل لان المعلومات للحث على علمنا بحسابها ما دخل منها وما لم يدخل
والى هذا ذهب ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد الايام المعلومات ايام النحر وهي يلية ايام والايام المعدودات
ايام التشريق وهي يلية ايام بعد يوم الاول من ايام النحر فيكون اليوم الاول من ايام النحر والمعلومات دون
المعدودات واليوم الاخر من ايام التشريق والمعدودات اتم في وقت المعلومات ولو مان في وقت ايام المعلومات
والمعدودات جميعا وكان يستدل على هذا القول في الايام المعلومات بهذه الاية فانه تعالى ذكر الله في
ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فاقتضى ظاهره ان المراد به التسمية على ما يذبح من هدي المتعة
والقران ۝ واما على قول ابي حنيفة فالمراد بالذكر ايضا الذكر في ايام العشر كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من ايام العمل الصالح افضل فيهن من هذه الايام العشر فاكثروا فيها من التهليل والتكبير والتحميد وعلى
هذا يكون معنى على ما رزقهم من بهيمة الانعام لما رزقهم من بهيمة الانعام كما قال واذكروا الله على ما هداكم
اي لما هداكم ۝ وقال محمد كعب المعلومات والمعدودات واحد ۝ قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام
يعني الهدايا والضحايا من الابل والبقر والغنم قوله تعالى فكلوا منها واطعموا البايس الفقير قال الحسن وذلك
ان اهل الجاهلية كانوا اذا ذبحوا الضحايا الدم وجه الكعبة وشرحوا اللحم ووضعوه على المحاجن حتى تاكله
السباع والطير وقالوا لا يحل لنا ان ناكل شيا حملناه لله فلما جاء الاسلام قال الناس يا رسول الله كنا
نصنعه في الجاهلية فما نصنعه الان فنزل هذه الاية فكلوا منها يعني من الانعام التي تنحر واطعموا البايس
وهو الذي قد اصابه ضر الجوع والفقر الذي لا شيء له وقيل البايس الذي اكله تهمه عليه اثواب البوس
بالضم وهو البوس والبوس الزمن واما خص البايس الفقير لانه احوج من غيره قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم
قال ابن عباس التفث هو المناسك كلها والمراد به ههنا رمي الجمار والحلق وقيل قضاء التفث ازالة
الشعث وفي هذا دليل ان المراد بقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام دماء المتعة والقران لانه
تعالى رتب عليه قضاء التفث والطواف بالبيت والدم تترتب عليه هذه الافعال الا دم المتعة والقران
فدل هذه الاية على جواز الاكل مما يذبح للمتعة والقران وقيل التفث هو الوسخ والقذر من طول
الشعر والاظفار وقضاؤه اذا بلغ الهدي محله وازاله قوله تعالى وليوفوا نذورهم يعني نحر ما نذروا

من البدن وقيل ما نذر وامر اعمال البر في ايام الحج وبما نذر الرجل ان يتصدق ان رزقه الله
لقا الكعبة قوله ع وليطوفوا بالبيت العتيق يعني طواف الزيارة بعد التعريف يوم النحر وايامها بعده
ويسمى طواف الافاضة ○ والعتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس وقيل اعتق من ايدي الجبابرة
فلا يظهر عليه جبار قط الا ازاله الله ○ وعن ابن عباس قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما اتى وادي
عسفان قال لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وابراهيم على بكرات حمر خطمهن الليف يحجون
البيت العتيق ○ قوله ع ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه اي ذلك الذي امرتم به ومن يعظم
حرمات الله باجتناب ما حرم الله تعظيما لله فهو خير له في الاخرة من ترك استعظامه وقال بعضهم
الحرمات ههنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام وقوله ع فهو خير له
اي التعظيم خير له عند ربه من التهاون في الاخرة ○ قوله ع واحلت لكم الانعام اي رخصت
لكم في ذبيحة الانعام ان تاكلوها الا ما يتلى عليكم في كتاب الله ع من الميتة والدم وغير ذلك مما بينه
الله في سورة المايدة من المنخنقة والموقوذة وما ذكر اسم عليه
وقيل معناه واحلت لكم الانعام في حال احرامكم الا ما يتلى عليكم من الصيد فانه حرام في حال الاحرام
قوله ع فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي اجتنبوا عبادتها وتعظيمها وانتم تحرمون عليها الدماء وكانوا مع هذه النجاسات يعظمونها ويحرمون سماعها رجسا استقذارا لها واستخفافا بها وذلك ان المشركين كانوا يحرمون على انفسهم
الا نجاس واما حرف من قوله من الاوثان فهو لتخليص جنس من الاجناس المعنى فاجتنبوا الرجس الذي
هو وثن ○ قوله ع واجتنبوا قول الزور حنفا لله يعني قول الكذب وما اعظم وجوه الكذب الكفر بالله والكذب
على الله ○ ويدخل في ذلك شهادة الزور كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عدلت شهادة الزور
بالاشراك بالله وقال صلى الله عليه وآله الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور
حنفا لله غير مشركين به اي مخلصين لله مستقيمين على امره غير مشركين به في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما تملك من شيء
الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما تملك من شيء
قوله حنفا على الحال ○ قوله ع ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء اي سقط من السماء فتخطفه الطير في الهواء فتمزقه
او تهوي به الريح في موضع بعيد وتقع الى منخر فتقع على راسه فتهلكه اي كذلك الذي اشرك بالله لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضر وذلك الذي تهوي به الريح في مكان سحيق فكذلك المشرك لا يسمع
شيئا من اعماله ولا تقدر على شيء منها فاما اهل المدينة فتخطفه الطير الشديد الى مسحقه او تهوي به
الريح الى بعيد ○ شبه حال المشرك بحالة هذا الهاوي من السماء انه لا يملك شيئا
حتى تسقط فهو هالك لا محالة اما بانسلاب الطير لحمه واما بالسقوط في المكان السحيق ○ قوله ع ذلك ومن يعظم
شعائر الله اي ذلك الثواب والهلاك لمن اشرك بالله ومن لم يعظم شعائر الله اي مناسك الله وقيل اراد بالشعائر
البدن من عظمها باستسمانها واستحسانها فانها من تقوى القلوب اي ان تعظيمكم اياها من تقوى القلوب
يعني من صفوة القلوب وانما اضاف الى القلوب لان حقيقة التقوى تقوى القلوب ○ قوله تعالى
لكم فيها منافع الى اجل مسمى اي لكم في هذه الانعام منافع بركوبها وشرب البانها قبل ان تشعروها وتسموها
هديا الى ان تنحروها وتسموها هديا واما اذا اقلدتموها وسميتموها هديا انقطعت هذه المنافع فلا يجوز له حلب
شرب البانها ولا اجز اصوافها ولا بيع اولادها ○ واما ركوبها فعند الشافعي يجوز اذا لم يضرها وعند الاكثر
لا اذا اضطر اليه ○ وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله رأى رجلا يسوق بدنة فقال له اركبها فقال

انها بدنة فقال له وبحك اركبها وهذا عندنا محمول على انه عليه السلام انما اباحه للضرورة علما من
الحال فاذن له في ذلك الا ترى انه قد قطع بانه غير قادر على ركوبها لانه لا يجوز له ان يوجرها للركوب ○ قوله ع ثم محلها
الى البيت العتيق يعني ان منحرها الى الحرم وعبر عن الحرم بالبيت لان حرمة الحرم متعلقة بالبيت كما قال تعالى
هديا بالغ الكعبة وقيل المعلوم انه لا يذبح عند البيت ○ قوله ع ولكل جعلنا منسكا اي لكل امة مسلمة
سلفت قبلكم جعلنا لها عيدا يذكرون اسم الله ع على بهيمة الانعام عند الذبح وقيل معناه ولكل امة جعلنا
عبادة في الذبح وقيل معناه جعلنا متعبدا يعبدون الله فيه قرا اهل الكوفة منسكا بكسر السين اي مذبحا
وهو موضع القربان وقرا الباقون بفتح السين على المصدر مثل المدخل والمخرج اي اهراقة الدماء وذبح القرابين
من فتح السين اخذه من نسك ينسك مثل دخل يدخل ويستوي فيه المكان والمصدر ومن كسرها اخذه من
نسك ينسك مثل جلس يجلس وقوله ع فالهكم اله واحد فله اسلموا اي اخلصوا دينكم واعمالكم
لله وبشر المخبتين اي بشر المتواضعين بالجنة واشتقاق المخبت من الخبت وهو المكان المطمئن وقال
مجاهد يعني بالمخبتين المطمئنين الى الله ع وقال الاخفش الخاشعين وقيل الخائفين وقيل هم الذين اذا ظلموا
لا ينتصرون قوله ع الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي اذا خوفوا بالله خافوا ونعت المخبتين الذين يخافون
الله على اعالهم ان لا تقبل منهم وقيل معنى قوله ع الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي اذا خوفوا بالله خافوا ○ قوله ع
والصابرين على ما اصابهم اي وبشر الصابرين على ما اصابهم من البلايا والشدائد وبشر المقيمين الصلوة
اوقاتها وحذفت النون لطول الاسم وقوله ع ومما رزقناهم ينفقون اي يتصدقون من الواجب وغيره ○ قوله ع
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن جمع بدنة وهي الناقة والبقرة والبدانة الضخامة والمعنى
والابل جعلناها لكم من اعلام دين الله اي جعلناها لكم قربة عبادة الله من سوقها الى البيت وتقليدها
واشعارها ونحرها والاطعام منها وقوله لكم فيها خير يعني النفع في الدنيا والاجر في الاخرة ○ قوله ع فاذكروا اسم
الله عليها صوافن اي عند نحرها والصوافن جمع الصافنة وهي القائمة على ثلث قوائم قد عقلت رجلها السنة
في الابل وبعض الابل يذكر واسم الله على نحرها قياما معقولة احدى يديها وهي اليسرى ○ وعن سعيد بن المسيب
رايت ابن عمر واتى على رجل قد اناخ بدنته لينحرها وهي قائمة معقولة احدى يديها يعني اليسرى ○ وروى ابو اسحاق عن ابن مسعود كان
يقرا صوافن بالنون وهي المعقولة من الخيل فمن ثم قال من قال في البدن صوافن الخيل والجياد وقرا
الحسن ومجاهد صوافي بالياء اي خالصة لله تعالى ○ قوله ع فاذا وجبت جنوبها اي سقطت بعد
النحر فوقعت جنوبها على الارض وخرت رؤوسها فكلوا منها ولا يجوز الاكل من البدنة الا بعد خروج الروح لان ما
ابين من الحي فهو ميت واصل الوجوب الوقوع ومنه وجبت الشمس اذا وقعت في المغيب ووجب الحائط اذا وقع
ووجب العليل اذا وقع فيه الفرع ووجب الفعل اذا وقع ما يلزم به فعله قوله ع فكلوا منها امر اباحة
ورخصة مثل قوله واذا حللتم فاصطادوا وقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض قوله ع واطعموا القانع
والمعتر ○ اختلفوا في معناهما فروي عن ابن عباس ومجاهد ان القانع هو الذي يقنع ويرضى بما عنده ولا يسال
والمعتر الذي يتعرض لك ان تطعمه من اللحم مثل القانع قناعة اذا رضي فهو قانع وعراه واعتراه اذا ساله وكذلك
قال عكرمة وقتادة ان القانع هو المتعفف الجالس في بيته والمعتر السايل الذي يعتريك ويسالك وقال سعيد بن
جبير والكلبي القانع هو الذي يسال والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسالك فعلى هذا يكون القانع من القنوع
وهو السؤال يقال منه قنع الرجل يقنع اذا سال مثل ذهب يذهب فهو قانع قال الشماخ ○

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع ○ اي من السؤال ○ وقال زيد بن اسلم القانع هو المسكين
الذي يطوف فيسال والمعتر الصديق الزائر والمعتر الذي يعتري القوم للحمهم وليس بمسكين الا انه ليست له ذبحة

ماتى القوم لاجل لحمهم وذا الحسن والمعترى بالبآء من قولهم اعتراه اذا غشيه لحاجته ۝ وروى عطاء عن ابن عباس القانع الذى يسأل والمعترّ الذى يأتيك بالسلام ويُوبّك وجهه ولا يسأل ۝ وعن مجاهد ان القانع جارك الغنى والمعترّ الذى يعتريكم من الناس اى يسألكم فعلى هذا تقتضى الاية ان المستحب ان يصدق بالثلث لان الله امر بالاكل واعطاء الغنى واعطاء الفقير السائل ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحوم الاضاحى كلوا وادخروا وتصدقوا منها واطعموا البائس الفقير فاذا اجمعت ان الاكل والخبر حصل المثلث للصدقة ۝ قوله عز وجل كذلك سخرناها لكم اى مثل ما وصفنا من تسخيرها وقيامها سخرناها لكم اى ذللناها لكم لتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون لكى تشكروا انعم الله ۝ قوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها قال الكلبى كان اهل الجاهلية يخرون البدن للاصنام ويلطخون البيت بدمائها وهو الذى سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يفعله بالبيت فانزل الله تعالى عن ذلك والمعنى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يرفع اليه منكم الاعمال الصالحة والتقوى وهو ما اريد به وجه الكريم وتعالى لما لا يقبل الله اللحوم والدماء لانها فعل الله ولكن يقبل التقوى الذى هو فعل العبد فتوجب الثواب على ذلك ۝ والمعنى لن تقبل الله اللحوم والدماء اذا كانت من غير تقوى وانما تقبل منكم التقوى والطاعة فيما امركم به بالنية والاخلاص له ۝ قوله عز وجل كذلك سخرها لكم اى ذللها لكم لتكبروا الله اى لتعظموا الله ما هداكم لدينه ولشرائع المحسنين بالخفض نعتا لله يعنى الموحدين المخلصين وتعالى معنى قوله على هداكم معنى على ما يليق لكم وارشدكم لمعالم دينه ومناسككم ۝ قوله عز وجل ان الله يدفع عن الذين امنوا اى اذا فعلتم ما امرتم به وخالفتم فعل الجاهلية فى نحرهم واشراكهم بالله فان الله يدفع عنكم عاديلة المشركين واذاهم ونصركم عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور اى لا يحب كل مظهر للنصيحة منعم للغيث والنفاق فهو كافر بالله ونعمته قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الاية فى الحاج من ذكر عند اسم الله وتقرب الى الاصنام بدل تحته فهو خوان كفور قرأ ابو عمرو وابن كثير يدفع وقرأ الباقون يدافع وهو بمعنى واحد قوله عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال ابن عباس هذه اول اية نزلت فى الاذن بالقتال اذن الله عز وجل للمؤمنين المهاجرين ان يقاتلوا الكفار بمكة بسبب ما ظلموا بان اخرجوا من مكة وان الله على نصرهم لقدير هذا وعدهم بالنصر وقد كان مشركو مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضربونهم ويشجونهم ويشكونه كلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فامر الله عز وجل بالاذن لهم بالمدينة فرأى نافع وابو عمرو وعاصم اذن بضم الالف وقرأ الباقون اذن بالفتح اى اذن الله لهم ۝ وقوله تعالى يقاتلون قرأه نافع وابن عامر وحمص بفتح التاء اى اذن للذين يقاتلهم المشركون وقرأ الباقون بكسرها بمعنى الذين اذن لهم فى الجهاد يقاتلون المشركين ۝ قوله عز وجل الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله اى الا لانه يذكر الله يقاتلون اخرجهم اهل مكة من منازلهم بغير حق ثم منهم وقوله عز وجل الا ان يقولوا ربنا الله معناه لم يخرجوهم الا لان كانوا يوحدون الله عز وجل فاخرجوهم لتوحيدهم المعنى لم يخرجوهم من ديارهم الا بقولهم ربنا الله تكون ان فى موضع الخفض ردا على الباء فى قوله بغير حق ويجوز ان تكون فى موضع نصب على الاستثناء قوله عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد الى لولا ان يدفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم فى زمن كل نبى ما بنى للصلوة والعبادة نحو الصوامع قال مجاهد والضحاك يعنى صوامع الرهبان وقال قتادة الصوامع للصابئين وهى بيوتهم والبيع جمع بيعة وهى متعبد النصارى والصلوات هى كنائس اليهود كانت اليهود تسمونها بالعبرانية صلوتا والمساجد التى يصلى فيها المسلمون والمعنى لولا كف الله الناس بعضهم ببعض بالجهاد وكف الظلم لخرب فى كل شريعة كل بيت المكان الذى يعبد فيه فكان لولا الدفع لهدم فى زمن موسى عليه السلام الكنائس وفى زمن عيسى عليه السلام الصوامع والبيع وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ۝ وعن مجاهد انه قال البيع لليهود يسمونها صلوتا وقال ابو العالية

هى مساجد الصابئين فعلى هذا يكون المعنى لهدم من صوامع الصلوات ۝ ويدل ارادة الصلوات المعهودة الى المسلمين وهدمها ابطالها واهلاك من فعلها والاولى ان يستدل بهذه الاية على ان هذه المواضع المذكورة التى يجرى فيها اسم الله عز وجل لا يجوز ان تهدم فى شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على كل من كان له ذمة او عهد من الكفار واما فى دار الحرب فيجوز للمسلمين هدمها اذا فتحوا دارهم عنوة ولم يقروا عليها بالجزية كما يجوز هدم سايردورهم قوله عز وجل لهدمت صوامع الهدم هو نقض البناء قرأ اهل الحجاز هدمت بالتخفيف فان قيل لم قدم صلوات الكافرين على مساجد المؤمنين قيل لانها اقدم وقيل لفرط شرفها من الهدم وقد سبق المساجد من الذكر كما اخر السابئين فى قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه لفرط خيراته ۝ قوله تعالى ولينصرن الله من ينصره اى لينصرن الله عز وجل من ينصر دينه ان الله لقوى عزيز اى لقوى على اخذ الاعداء عزيز اى ممتنع بالنقمة منهم ۝ قوله عز وجل الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة نعت للذين ينصرون دين الله اى هم الذين ان مكنهم الله فى الارض نصرهم على عدوهم حتى تمكنوا فى البلاد لم يعملوا ما عمله الذين من قبلهم ولكن اقاموا الصلاة المكتوبة واعطوا الزكاة المفروضة وامروا بالخير ونهوا عن المنكر والباطل قال مقاتل هم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال الحسن هم هذه الامة اهل الصلوات الخمس وقوله تعالى ولله عاقبة الامور اى تصير الامور كلها اليه بلا منازع ولا مدّعٍ ۝ قوله عز وجل وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود فى هذه الاية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يكذبك قومك فقد كذب الامم انبياءهم من قبلك وقوله تعالى وكذب موسى اى كذبه فرعون فامليت للكفار اى امهلتهم واخرت عقوبتهم عن احدتهم بالعقوبة فكيف كان نكير اى فكيف كان انكارى عليهم حين اهلكتهم بالعذاب فاخذتهم بالنعمة فغيروها وبالكثرة فقللتها وبالحياة فاهلكتها قال الزجاج معناه فانكرت ايقاع الانكار ۝ قوله عز وجل فكاين من قرية اهلكتها وهى ظالمة اى كم من اهل قرية اهلكتها بالعذاب بظلمهم وقرئ اهلكناها والاختيار اهلكتها بالتاء لقوله فامليت وقوله عز وجل وهى خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها وذلك ان السقف يقع قبل الحيطان ثم تقع الحيطان عليه ۝ قوله عز وجل وبير معطلة اى وكم بير عطلها اربابها وكم من قصر مشيد عطله اهله والمشيد هو المجصص والشيد الجص والنورة ويجوز ان يكون معنى المشيد الرفيع يقال شاد البناء واشاده اذا رفعه وشاده اذا اطلاه بالشيد ۝ قوله عز وجل افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها اى افلم يسر قومك يا محمد فى ارض اليمن والشام ليتعظوا باثار المهلكين فيعقلوا بعقولهم ما نزل بمن كذب من قبلهم ويسمعوا باذانهم اخبار الامم المكذبة ۝ قوله عز وجل فتكون نصب على جواب الجحد وقوله عز وجل فانها لا تعمى الابصار الهاء فى قوله فانها عماد وهو اضمار على شريطة التفسير والمعنى فان الابصار لا تعمى اى ليست ابصارهم بالتى تعمى ولكن تعمى قلوبهم بدل بها عن ادراك الحق مما يودى اليه الدليل وفى الاية دليل ان العقل فى العقل بخلاف ما كان الفلاسفة والاطباء ان محل العقل الدماغ لان العقل لو لم يكن فى القلب لم يوصف القلب بان يعقل كما لا توصف يد بالعقل والرجل ۝ واما وصف العقول بانها فى الصدور فعلى وجه التاكيد كما فى قوله عز وجل يقولون بافواههم وقوله عز وجل ولا طائر يطير بجناحيه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده اى يستعجلونك يا محمد بالعذاب كما قالوا فاسقط علينا كسفا من السماء وان لواقعا مطرعلينا حجارة من السماء ولن يخلف الله وعده فى انزال العذاب بهم فى الدنيا قال ابن عباس يعنى يوم بدر قوله عز وجل وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون معناه انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام عذابهم فى الاخرة الف سنة فكيف

يستعجلونه قال القرآني هذه الاية وعيدهم بالعذاب في الدنيا والاخرة وقيل معناه وان يوما عند الله الف سنة في قدرته واحذ فليس باخير العذاب عنهم الا تفضلا من الله عليهم قال الحجاج اعلم الله انه لا يفوته شيء وان يوما عنده والف سنة سواء ولا فرق بين انقاع ما يستعجلونه من العذاب وتاخيره في القدرة الا ان الله سبحانه تفضل بالامهال فسواء عنده في الامهال يوم والف سنة وهو قادر عليهم متى شاء اخذهم ۞ وقرا الكوفيون وابن كثير مما يعدون بالياء وقرا الباقون بالتاء ۞ وقوله عز وجل وكاين من قرية املیت لها وهي ظالمة ثم اخذتها ظاهر المعنى وقوله تعالى قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اي قل لهم يا اهل مكة انما انا لكم رسول نخوف بالنار لمن عصى الله بلغة تمر وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق حسن في الجنة ۞ وقوله عز والذين سعوا في اياتنا معجزين اي والذين سعوا في تكذيب اياتنا وابطال الدين مثالبين ان يجدوا فاوبقوا بانفسهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور ولكن اصحاب الجحيم قال قتادة ظنوا انهم لهم يعجزوا الله ولا يقدر عليهم وهيهات وهذا كقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا وقرا معجزين لانهم كانوا يعجزون من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم اي حسبوهم الى العجز ۞ وقوله عز وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته قال ابن عباس وابن جبير والضحاك وذلك ان الشيطان اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل وهو قائم يصلي عند الكعبة يقرا سورة النجم حتى اذا انتهى الى قوله عز افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا منها الشفاعة ترتجى فلما سمعها المشركون اعجبهم ذلك فلما انتهى الى اخر السورة سجد وسجد معه المسلمون والمشركون الا الوليد بن المغيرة فانه لم يقدر على السجود لكبره فقال اتتوني بالتراب ما يوه ۞ فوضعه في كفه ثم سجد على كفه فلما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حملك على ما صنعت فذكر له ذلك فقال جبريل ما جئت بهذا ولا انزله الله فقال اتاني شيطان فتلا على ما سمعتم فهذا حديث ابكر اهل العلم اجراه على ظاهره وقالوا كيف يجوز ان يجعل الله للشيطان على رسوله هذا السبيل او يختار لرسالته من يعلم من وحي الله ووساوس الشيطان ومن المعلوم ان من نسب النبي صلى الله عليه وسلم الى ما مر حوالي تعظيم الاصنام فقد كفر الا انه يجوز ان يكون الشيطان القى في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يتله وخيل الى من سمع تلاوته من المشركين ما توا بالبعد منه انه جرى على لسانه واما هو فلسان الشيطان وكان ذلك فتنة للسامعين وكان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما مما يجري على لسانه مما لم ينزله الله وقد ذكر التمني ويراد به القراءة كما قال الشاعر ۞ تمنى كتاب الله اول ليله واخر لاقي حام المقادر ۞ وقال حماعة من المفسرين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمان قومه وتمنى في نفسه ان ياتيه ما يقارب بينه وبين قومه فجلس ذات يوم في مجلس لهم كثير اهله واحب يوم مدارتهم من الله شيء فقرا عليهم سورة النجم فلما بلغ افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وقالوا قد ذكر محمد الهتنا باحسن الذكر ومضى النبي صلى الله عليه وسلم في قراءته فلما ختم السورة سجد في اخرها وسجد معه المسلمون والمشركون الا الوليد بن المغيرة وسعد بن العاص فانهما اخذا حفنة من البطحاء ورفعاها الى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين لم يستطيعا ان يسجدا ۞ وتفرق قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد عرفنا ان الهتنا تشفع لنا فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما حملك لقد تلوت على قومك ما لم اتك به عن الله عز وجل فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزن حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فانزل الله هذه الاية يطيب نفس محمد صلى الله عليه وسلم ويخبره ان الانبياء قبله قد لقوا مثله ولم تخل نبيا الا تمنى ان يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضي قومه فلما نزلت هذه الاية ۞ ليس يذهب محمد على ما ذكر من قوله الهتنا عند الله فغيره ذلك وجانبه ۞ وقال عطاء ابن عباس ان شيطانا يقال له ابيض اتى النبي صلى الله عليه وسلم فالقى في قراءته انها الغرانيق العلا وان شفاعتهن

لترتجى ولم يقله النبي صلى الله عليه وسلم بل سمعه القوم من الشيطان وكان ذلك فتنة من الله تعالى لعباده المسلمين والمشركين فالمشركون ازداد واكفرا بذكر ك والمسلمون اشتد عليهم الامر ومعنى الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول وهو الذي باشته جبريل بالوحي عيانا وشفاها ولا نبي وهو الذي يكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقوله ۞ الا اذا تمنى اي اذا احب شيا واشتهاه وحدثه نفسه من غير ان يومر به القى الشيطان في امنيته اي مراده وقال اكثر المفسرين معنى قوله ۞ تمنى قراءة الكتاب الا اماني اي قراءة يقرا عليهم قال الشاعر في عثمان رضي الله عنه ۞

تمنى كتاب الله اول ليله ... واخر لاقي حام المقادر ۞

الملك يومئذ لله يحكم بينهم اي الملك يوم القيمة لله لا مر عز منازع ولا متع لا يظهر فيه الا امره الا سم يقضي في يوم المؤمن والكفر بين اهل الجنة واهل النار قوله عز والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين قوله عز والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا نعياه والذين كابروا وجحدوا وحوا من ديارهم واوطانهم رغبة الله ثم مكة الى المدينة ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وهو نعيم الجنة وقوله عز وليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني المنازل التي اعدها الله لهم في الجنة لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ۞ وقوله عز وان الله لعليم حليم اي لعلم بمصالح عباده وبنياتهم حليم لا يعجل بعقوبة اعدايه ۞ قوله عز ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به الاية اي ذلك الامر الذي قصصنا عليكم ثم قال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله نزلت هذه في قوم من المشركين لقوا جماعة من المسلمين فقاتلوهم في الشهر الحرام فقاتلهم المسلمون عن ذلك بابوا قبلهم ابوا فاقتتلوا فنصروا عليهم اي ومن عاقب بالقتال مثل ما عوقب به اي بالقتال في الشهر الحرام والحرم ثم بغي عليه الدافع لينصرنه الله على من بغى عليه ان الله لعفو اي متجاوز عن مذاب عفور لمن مات على التوبة وقوله تعالى ذلك بان الله يولج الليل في النهار اي ذلك النصر بانه القادر على ما يشاء ومن قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير اي سميع لدعاء عباده بصير بعبادة وقوله عز ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي فعله ونصره المؤمنين بان الله هو الحق في فعله وقدرته وان ما يدعو المشركون من دونه هو الباطل ليس فيه نفع ولا ضر وان الله هو العلي على كل شيء بقدرته الكبير الذي تضمحل كل شيء سواه ۞

قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اى الم تعلم وتشاهد ان الله انزل
من السماء ماء يعنى المطر فتصبح الارض ذات خضرة بالنبات ان الله لطيف بارزاق عباده وبمستخرج
النبات من الارض خبير عالم بقلوب العباد وبما يصلح لهم ۝ قوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض
عبيدا وملكا وان الله لهو الغنى عن عباده الحميد الى اوليائه واهل طاعته وقيل الغنى عن اعمال الخلق
وطاعتهم المحمود فى افعاله ۝ قوله تعالى الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض الى آخر المعنى الم تعلم ان الله ذلل لكم ما
فى الارض من البهائم التى تركبون وسخر لكم الفلك اى السفن تجرى فى البحر بامره وقوله تعالى ويمسك
السماء ان تقع على الارض الا باذنه اى حبس عنهم السماء حتى لا تقع عليهم فيهلكوا وقوله تعالى الا باذنه اى الا
باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم اى متفضل على عباده ممنع عليهم ۝ قوله تعالى وهو الذى احياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم اى احياكم فى ارحام امهاتكم ولم تكونوا شيئا وقيل معناه احياكم بعد ان لم تكونوا نطفة
ميتة ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم بعد الموت عند البعث للحساب ان الانسان لكفور
يعنى المشرك اى لجحود لنعم الله تعالى حين يترك توحيده بعد ظهور الآيات الداعية الى الحق ۝ قوله تعالى لكل امة
جعلنا منسكا هم ناسكوه اى لكل اهل دين جعلنا شريعة هم عاملون بها وقيل موضعا يعتادونه لعبادة
الله تعالى ومكانا يعشونه ويعملون الخير فيه وقيل معناه لكل امة جعلنا عيدا وقيل موضع قربان يتحرون فيه
وقيل المنسك جميع العبادات التى امر الله بها كما قال صلى الله عليه وسلم يوم الاضحى ان اول نسكنا فى يومنا هذا الصلوة
ثم الذبح وقيل اراد بالمنسك فى هذه الآية المذبح الذى يتقرب فيه بذبائحهم الى الله تعالى كما جعل منا منحر اللنابين
فى النسك اذا اطلق اريد به الذبح على جهة القربة كما قال تعالى ففدية من صيام او صدقة او نسك ۝ قوله تعالى
فلا ينازعنك فى الامر معناه النهى عن المنازعة بعد ظهور ما يوجب سبح شرائع الامم المتقدمة كما يقال لا يحاصمنك فلان
فى هذا الامر وقيل معناه لا ينازعنك فى امر الذبح وذلك ان كفار فارس وخزاعة خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فى امر الذبيحة وقالوا ما لكم تاكلون ما قتلتم بايديكم ولا تاكلون ما قتله الله ۝ قوله تعالى وادع الى ربك
انك لعلى هدى مستقيم اى ادع الى دين ربك وطاعته انك لعلى طريق مستقيم وقيل على دلالة ودين مستقيم
وان جادلوك على سبيل المراء والتعنت كما يفعله السفهاء قل الله اعلم بما تعملون اى اذا فهم هذا القول ولا
تجادل الا لتبين الحق والمعنى وان خاصموك فى امر الذبيحة قل الله اعلم بما تعملون من التكذيب فهو يجازيكم
به وهذا قبل الامر بالقتال وقوله تعالى الله يحكم بينكم يوم القيمة اى يقضى بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون
من الدين والذبيحة ۝ قوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض اى قد علمت وايقنت ذلك وهذا
استفهام مراده التقرير وقيل معناه الم تعلم يا محمد ان الله يعلم اعمال اهل السماء والارض واسرارهم
ان ذلك فى كتاب يعنى ما يجرى فى السماء والارض كل ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ ان ذلك على الله يسير اى ان
علم الله بجميع ذلك على سهل يسير ۝ قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم
معناه ويعبدون من دونه من الاصنام ما لم ينزل له كتابا ولا حجة وما ليس لهم به علم انها آلهة
وما للظالمين من نصير اى وما للمشركين من مانع يمنع عذاب الله عنهم ينزل هذه الآية فى اهل مكة ۝ قوله تعالى
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر اى واذا قرئ عليهم القرآن تعرف فى وجوههم
الانكار للقرآن من الكراهة والتقبض يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا اى يكادون يبطشون
بالمؤمنين ليبطشوا بهم وقيل معناه يكادون يقعون بمحمد صلى الله عليه وسلم من شدة الغيظ وقيل يكادون
يبسطون الى المؤمنين ايديهم بالسوء يعنى سطوا فلان على فلان اذا تناوله بالبطش والعنف واخذه
بالشدة والاخافة ۝ قوله تعالى قل افانبئكم بشر من ذلكم اى قل لهم يا محمد افاخبركم بشر عليكم من غير طعم
على المثال الآتى الله وهو النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير وقيل اى الكفار
قالوا والله ما رأينا قوما اقل حظا منكم يا اصحاب محمد فقال الله تعالى قل يا محمد افاخبركم بشر من ذلكم
اى بشر مما لكم النار وقد حلها حالة شر من حالكم النار ۝ قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له معناه
يا اهل مكة بين مثل الهتكم فاستمعوا له ان الذين تعبدون من دون الله من الاصنام لن يقدروا ان يخلقوا

ذبابا مع صغره وقلته ولو اجتمع العابد والمعبود على ذلك وكان لهم ثلثمائة وستون صنما حول الكعبة ۝
وقوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون اصنامهم بالزعفران
فيأتى الذباب فيختلسه فلا يقدرون ان يستردوه من الذباب وقال السدى كانوا يجعلون للاصنام
طعاما يقع عليه الذباب فيأكل منه ولا يستطيعون استنقاذه منه ضعف الطالب والمطلوب
هو الذباب وقال الضحاك معناه ضعف العابد والمعبود وقيل معناه ضعف الذباب الطالب
لما ياخذه من الصنم وضعف المطلوب يعنى الصنم وقيل ضعف الطالب من هذا الصنم التمرة
الله والصنم المطلوب منه ذلك ۝ وقيل ان المشركين كانوا حرموا فى عيدهم ما صنامهم وقد
رسموا بالموائد واللآلئ وانواع الجواهر وطيبوها بانواع الطيب وغشوها بالحلى والحلل
فجاء ذباب فاخذ شطيبة من ذلك الرسم اى قطعة فطار بها فى الهواء فاراهم الله تعالى العبرة فى ضعفهم
وضعف معبودهم فلا احد اضعف ممن لا يمكنه الاستنقاذ من الضعف ۝ قوله تعالى ما قدروا
حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق عظمته حيث عدلوا به من لا يقدر ان يخلق ذبابا
او يستنقذ من ذباب ما ذهب منه ان الله لقوى عزيز اى قوى على خلقه عزيز فى ملكه لا يعجزه اخذ
على مغالبته ۝ قوله تعالى الله يصطفى من الملئكة رسلا ومن الناس يعنى الله اختار من الملئكة رسلا ومن الناس
بمعناه الله يختار من الملئكة رسلا يعنى جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت ومن الناس يعنى محمدا
اخبر الله عز وجل ان الاختيار اليه يختار من شاء من خلقه فيجعلهم رسله وانبياءه وبعثهم الى خلقه
فاطيعوهم واحذروا معصيتهم ان الله سميع لمقالتكم بصير باعمالكم وضمايركم وقوله تعالى
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى يعلم ما بين ايدى الملئكة ورسله قبل ان يخلقهم وما خلفهم
اى ما يكون بعد فنائهم والى الله ترجع عواقب الامور ۝ قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
اى صلوا وقوله تعالى واعبدوا ربكم اى بجميع العبادات وافعلوا الخير من انواع البر مثل صلة الرحم
وبر الوالدين ومكارم الاخلاق ۝ لعلكم تفلحون اى كى تفلحوا فى الآخرة وقال ابن عباس لعلكم
حتى من هذه الآية قوله تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده اى جاهدوا المشركين بحسب الطاقة واستفرغوا
ولا تخافوا فى الله لومة لائم وقال بعض المفسرين معناه اعبدوا الله حق عبادته واطيعوه حق
طاعته قال السدى هو ان يطاع فلا يعصى وقال مقاتل نسختها آية التغابن واتقوا الله ما
استطعتم وقيل هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر لما روى ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ۝
وقال بعضهم فى حق الجهاد انه كلمة عدل عند سلطان جائر وقال الحسن هو ان تودى جميع ما
امر الله به وتجتنب جميع ما نهاك عنه وترك رغبة الدنيا لهم الآخرة وقال الضحاك معناه
جاهدوا بالسيف فى كفر طائفة وان كانوا الآباء والابناء ۝ قوله تعالى هو اجتباكم اى اختاركم لدينه
وجهاد اعدائه والاجتباء هو اختيار الشئ لما فيه الصلاح يعنى الحق تجتبى والباطل تتقى ۝
قوله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ما جعل عليكم فى شرائع دينكم من ضيق لا مخرج منه
وذلك ان منه ما يتخلص منه بالتوبة ومنه ما يتخلص منه برد المظلمة ومنه ما يتخلص منه بالقصاص
وليس فى دين الاسلام شئ لا سبيل الى الخلاص من العقاب بدليل مراد نبى بنا جعل الله له مخرجا
منه بالتوبة والكفارات ولم يوسع فى ضيق ذلك الدين وقال مجاهد يعنى الرخص عند الضرورات كالقصر
والتيمم واكل الميتة والافطار عند المرض والسفر قوله تعالى ملة ابيكم ابرهيم اى الزموا واتبعوا
ملته وقيل معناه وسع عليكم فى الدين كملة ابيكم ابرهيم الا انه لما حذف حرف الخافض نصب الملة
وانما امر باتباع ملة ابرهيم لانها دخلة فى ملة نبينا صلى الله عليه وسلم وايانا قال اسكم ابرهيم
وان لم يكن جميعكم من نسبه كان حرمة ابرهيم عليه السلام على المسلمين كحرمة الوالد على الولد

وحقه كحق الوالد كما قال تع وازواجه امهاتهم قوله تع هو سماكم المسلمين من قبل قال ابن عباس
ومجاهد معناه الله تعالى سماكم المسلمين من قبل نزول القران وفي هذا القران كما روى ان الله تع اوحى الى ابرهم
يبعث بعد كذا فيكون قومه مسلمين وعلى معناه ان ابرهيم سماكم المسلمين كما قال في دعايه ومن ذريتنا امة مسلمة
لك قوله تع ليكون الرسول شهيدا عليكم اي ليكون محمد صلى الله عليه وسلم شهيدا عليكم يوم القيمة بطاعة من اطاع
في تبليغه وعصيان من عصى وتكونوا انتم شهدا على الناس ان الرسل بلغتهم وقوله تع واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة اي ادوهما كما وجبتا قوله تع واعتصموا بالله اي اعتصموا بدين الله وتمسكوا به وقيل معناه ثقوا
بالله وتوكلوا عليه هو مولاكم اي هو ربكم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير اي فنعم الحافظ لكم ونعم
الناصر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة وعمرة اعتمرها
بعدد من حج واعتمر في ما مضى وفي ما بقي سورة المومنين مكية وهي مايه واحد وعشرون
اية وحرفان والف وثمان مايه واربعون كلمة وماية وثماني عشرة اية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة المومنين بشرته الملئكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت
بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المومنون اي فاز ونجا وسعد المصدقون
بالله ورسوله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فلا ما لم قالت انا حرام على
كل بخيل ومرائي قد افلح المومنون عن مصرف قد افلح المومنون عن المجهول اي ايقنوا في الثواب وحرف
قد في اللغة لتوكيد الكلام وتحسينه وقيل لتقريب الحال الماضية الى الحال الاتية فدل على ان فلاحهم
قد حصل وهم عليه في الحال وهذا ابلغ في الصفة من تجريد ذكر الفعل والفلاح هو البقا والنجاح
قوله تع الذين هم في صلوتهم خاشعون اي متواضعون خايفون وقال ساكنون بالقلب والجوارح فلا
يلتفتون عمدا ولا اشتغال كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال اما
انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وقف في الصلوة رفع
بصره نحو السما فانزل الله هذه الاية فجعل نظره الى موضع سجوده وحقيقة الخشوع هو جمع الهمة
للتدبر الافعال والاذكار وعن الحسن انه كان يقول ان الخاشعين هم الذين لا يعرفون ايديهم في الصلوة
الا في التكبيرة الاولى وقال ابن عباس يعني قوله تع خاشعون اذا ركعوا وقال مجاهد الخشوع هو غض البصر
وخفض الجناح وكان الرجل من العلما اذا قام الى الصلاة يهاب الرحمن ان يسند بصره الى شيء وان الرجل
نفسه بشيء الدنيا وقال عمر رض ما ابالي اذا رايت في صلوتي خاشعا ذليلا ولكنه التسكون وحسن الهيئة
في الصلوة وقال عطا هو ان لا تعبث بشيء من جسدك في الصلوة وعن ابي ذر رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام احدكم الى الصلوة فان الرحمة تواجهه فلا يحرك الحصى وقيل نظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى ويقول
اللهم زوجني من الحور العين فقال له الحسن بئس الخاطبة انت فخطب وانت تعبث وقال اذا رايته الخشوع
هو وضع اليمين على الشمال في الصلوة وقال بعضهم هو جمع الهمة لها والاعراض عن ما سواها قوله تعالى
والذين هم عن اللغو معرضون قال الحسن معناه عن المعاصي معرضون وقال الزجاج اللغو هو كل باطل وهو لعب
وهزل وقيل اللغو الذي يعرضون عنه هو كل ما لا فايدة فيه ومنه قوله تع واذا مروا باللغو مروا كراما
اي شغلهم الجد فيما امرهم الله به عن كل باطل وهو لعب وعن كل ما لا فايدة فيه من قول وفعل وقال
مقاتل هو الشتم والاذى قوله تع والذين هم للزكوة فاعلون اي مودون وقيل عن التادية بالفعل
لانه فعل قال ابن عباس يعني به الصدقة الواجبة وقيل معناه والذين هم للعمل الصالح فاعلون ويدخل
في هذا كل فعل يكون به الانسان محمودا عليه كما يقال ما اعطى الله احدا نعمة الا اوجب عليه فيها
زكوة فزكاة العلم نشره وتعليمه وزكاة الجاه اعانة الملهوف قوله تع والذين هم لفروجهم

حافظون اي يحفظونها عن الحرام ويعفون عن ما لا يحل لهم قوله تع الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم اي يلا مون في اطلاق ما حرم عليهم الا على ازواجهم او اماتهم فانهم لا يلا مون فيه
قال مجاهد يفرض على الرجل حفظ فرجه الا من امراته وامته فانه لا يلام على ذلك قوله تعالى
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون اي من طلب الوطي طريقا سوى ما احل الله والنسا الاربع
او ما ملكت اليمين فاولئك هم المتجاوزون من الحلال الى الحرام فمن زنا فهو عاد قوله تع والذين هم
لاماناتهم وعهدهم راعون اي والذين هم لما ائتمنوا عليه فيما بينهم وبين الله وبين الناس حافظون حتى
يودوه على وجهه والرعي هو القيام على اصلاح ما يتولاه كما قال صلى الله عليه وسلم الا كلكم راع وكلكم
مسئول عن رعيته وقال ابو العالية يا امركم ان تودوا الامانات الى اهلها وقرا ابن كثير لامانتهم بالتوحيد
لانه مصدر واسم جنس يقع على الكثير والامانة قد تكون من العبيد كالوديعة وغيرها وتكون من
الله وعن عبده كالصيام والاغتسال من الجنابة والصلوة فيجب على المومنين الوفا بجميع حقوق الامانات
قوله تع وعهدهم راعون العهد يشتمل على طاعة الله التي يجب الوفا بها وعلى جميع العقود والايمان
والنذور قوله تع والذين هم على صلواتهم يحافظون اي يواظبون على الصلوات ويجتهدون في اقامتها
لمواقيتها بما ئيتها وسننها وادابها وقوله تع اولئك هم الوارثون الى اهل هذه الصفات التي ذكرها
الله من اول هذه السورة الى ههنا هم الوارثون الذين يرثون يوم القيمة منازل اهل النار من الجنة
التي كانت لهم لو اطاعوا الله ورسوله قال صلى الله عليه وسلم ما منكم احد الا وله منزلان منزل
في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله قوله تع الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون الفردوس في اللغة هو البستان الجامع لمحاسن اجناس الكروم وغيرها وقال
عكرمة الفردوس هو الجنة بلغة الحبشة وفي الحديث ان حارثة بن سراقة قتل يوم بدر فقالت
امه يا رسول الله ان كان من اهل الجنة لم ابك عليه وان كان من اهل النار بالغت في البكا عليه فقال يا
ام حارثة انها جنان كثيرة وان ابنك لفي الفردوس الاعلى من الجنة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون الى آخر الايات العشر وقال
مجاهد وحط العشر من سورة المومنين ورث الفردوس وقال ابن عباس الفردوس خير الجنان
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل غرس الفردوس بيده فقال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث
قالوا ما الديوث يا رسول الله قال الذي يقر في اهله الفواحش قوله تع ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين اي خلقنا ادم من سلالة سللت من طين والسلالة ما سل من الشيء اي نزع وانتزع
من سلالة من طين اي خلقنا ادم من سلالة سللت من طين والسلالة ما سل من الشيء اي نزع وانتزع
منه يقال للنطفة سلالة والولد سليل وسلاله قال مجاهد السلالة هي المني من ادم وقال عكرمة
هو الماء يسل والطين سلا والمراد بالانسان ولد ادم الذي هو من الطين قوله تعالى وهو اسم جنس
يقع على الجميع والمعنى خلقنا ابن ادم من سلالة من طين اي من صفوة ما ادم الذي هو من الطين قوله تع
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين اي ثم خلقنا من ابن ادم من نطفة في موضع حريز يعني الرحم يمكن فيه الما
بان هيي لاستقراره الى بلوغ امده الذي جعل له وانما سمي المني سلالة لانه سل من اصلاب الرجال
وترايب النسا ثم يكون قراره في ارحام الامهات قوله تع ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرنا
النطفة دما منعقدا محمرا صيرنا الدم لحما بلا عظم والمضغة هي القطعة الصغيرة من اللحم
وقوله تع فخلقنا المضغة عظاما اي حولنا المضغة عظاما ثم البسنا العظام لحما ليكون اهدى
في المنظر وليكون اللحم وقاية للعظم قرا ابن عامر فخلقنا المضغة عظما مكسورا العظم لحما قوله تعالى
ثم انشاه خلقا آخر اي خلقنا فيه الروح بعد ان لم يكن فتم خلقناه ذكرا وانثى الى ان اعطيناه

النهم والتميز لياخذ ثدي امه عند الحاجه فيرتضع ويبكي اذا تضرر شيء وقال مجاهد معنى
قوله ما اشهاه خلقا اخر ان سويناه شبابه وقال قتاده يعني اينعنا شعره واسنانه
وقيل معناه اعطيناه العقل والفهم وربيناه حالا بعد حال الى ان بلغ ان يتعلق
البلاد قيل اذا اجتمع الماء المتحلل منه الولد فاول الحالات ان يزيد مخ ويستحيل ذلك الماء
علقة وهو دم غليظ جامد مع صيرورته مضغة وفي تلك الحاله تظهر الاعضاء النفيسه كالقلب
والدماغ والكبد والعلق اول عضو متكون ثم الدماغ ثم الكبد ثم تتميز بعضها عن بعض
وتتخطط الاطراف ثم تصير لحما على عظام وعدد عظام البدن مايتان واربعون عظما
وانفخ فيه الروح لاربعة اشهر انقسم دم الحيض ثلثة اقسام قسم يتغذى به الولد وقسم
تختبس الى النفاس وقسم يصعد الى الثدي وانما منع الروح في الجنين لاربعة اشهر لانه يكون
نطفة اربعين يوما ثم يكون علقة اربعين يوما ثم يصير مضغة اربعين يوما ثم ينفخ فيه الروح ويكون
الولد في بطن امه معتمدا على رجله واضعا يديه على ركبتيه وظهره الى وجه الام ووجهه الى ظهرها
حتى لا تتادى الام نفسه ٥ وانما خلق الله عينيه في راسه لتكون مشرفة على جميع الاعضاء
في الجهات كلها كالطليعة للعسكر واصلح المواضع للطلايع المكان المشرف وجعلها في كهفين
حراسة لها وتوفيرا لضوئها وجعل لها الحدب لتدفع ما يطير اليها وخلق الله الانف
لينحصر فيه الهوا المستنشق لتروح الرئه والدماغ وخلق الفم وعالجمع الكلام وخلق اللسان
الة للنطق ولتقليب الطعام الممضوغ والمضغ يكون في جانبي الفم حراسة لادوات النطق
وخلق الشفتين غطا للفم والاسنان وتحديدا للعاب ومعينا على الكلام وحالا في الصوره
والاسنان تقطع والانياب تكسر والاضراس تطحن وخص الفك الاسفل بالتحريك لان تحريك الاعلى
احسن لان الاعلا يشتمل على الاعضا الشريفه فلم يحاط بها في الحركه لان الحركه تضعفها وجعل
ما اذن مرة مملا تقيم فيها الهوام واد اخل الاذن دابة لم يكن لها هم الا التحرج وجعل ما العين
ما لحا ليلا تذوب وجعل ما الفم علقا ليطيب طعم المطعم وخلق الله الاصابع الة لفعل الاشيا
كالكتابة والصياغة والخياطه وجعلها على الكف لتحفظ ما يحصل فيه ولم يخلق الاصابع
خاليه من العظام لتكون افعالها قويه ولم يجعل عظامها مجوفه لتكون اقوى على المضغ والحركا
وجعل القلب مضغة لطيفة لانه اعدل الاماكن وادخلها فلذلك جعل القلب في الجانب الايسار ليبعد عن الكبد
والرئة وطا القلب وقاية له وهو بيت النفس ومنزل التعجب ٥ وخلق الله الاسما كثيره
اللطايف ليطول سير الغذا فيها فلا يحتاج الانسان الى الغذا في كل وقت وخلق الله
القدم اخمص لتمسك الماشي في الدرج ٥ قوله عز وجل فتبارك الله احسن الخالقين اي احسن
المصورين المحولين من حال الى حال ومعنى قوله عز وجل تبارك الله اي استحق العظيم والثنا وقيل
دام ولم يزل ولا يزال وقوله احسن الخالقين لا تقتضي ان يكون معه خالق اخر كما قال اصحاب
الجنه يوم مستقر واحسن مقيلا ٥ وقال احسن الخالقين اي احسن المقدرين فان
الخلق هو التقدير كما قال لبيد مخبرا عن عيسى الى احلق لكم من الطير اي اقدر لكم من الطين قال ابن عباس
كان عبد الله بن سرح كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرا البقرة وال عمران فلما املا عليه هذه الاية فلما بلغ الى قوله خلقا اخر
خطر بباله فتبارك الله احسن الخالقين فلما املاها عليه الى صلى الله عليه وسلم كذلك فقال عبد الله او محمد انبئ
يوحا اليه وانا انبي نوحا الى فلحق عبد الله فمات كافرا قوله عز وجل ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد الحياه والخلق
الحسن والصوره الحسنه ميتون عند انقضا اجالكم فرا اشهب العقيلي لما يموتون الا لف والميت

والميت الذي لم تفارقه الروح وهو ميت والميت الذي فارقه الروح فلذلك
لم يخفف لقوله انك ميت وانهم ميتون وقوله عز وجل ثم انكم يوم القيمه تبعثون يعني من قبوركم للجزا
والحساب ٥ قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اي سبع سموات سميت طرائق لان بعضها فوق
بعض طريقه بعد طارقت نعلي اذا ركبت جلدا على جلد وقال سبع طرائق لان الطاء والراء والقاف
وقوله عز وما كنا عن الخلق غافلين اي وما كنا عن حفظ السموات وعن انزال المطر على العباد وقت
الحاجه غافلين ولو جازت الغفله علينا لسقطت السموات بعضها على بعض ٥ قوله عز وانزلنا
من السما ما بقدر فاسكناه في الارض اي انزلنا المطر السما بقدر الحاجة اليه اي بقدر ما
يكفيهم للمعيشة وقيل بقدر بعلمه الله وقوله عز فاسكناه في الارض اي جعلنا شكناه ومستقره
في الارض مثل العيون والغدران والركايا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انزل الله
من الجنه خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر
العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله من عين واحده من اسفل درجة من درجها على حامل
جبريل وذلك قوله عز فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل
فرفع من الارض القرآن والعلم والحجر الاسود وهذه الانهار الخمسة فيعود ذلك الى السما وذلك قوله
تعالى وانا على ذهاب به لقادرون ٥ فاذا رفعت هذه الاشيا من الارض فقد ذهبها خير الدين والدنيا
قوله عز فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب اي احدثنا لكم بذلك المطر بساتين من نخيل وكروم
وانما خصتا بالذكر لانهما اشرف الثمار وقوله عز لكم فيها فواكه كثيرة اي لكم في البساتين فواكه كثيرة سوى
النخيل والاعناب ومنها ما كلون ومنها ما لا كلون ياحاة الله لكم ما كلونها صيفا وشتا قوله عز وشجرة تخرج من طور
سيناء اي وانبتنا بذلك المطر شجرة وهي الزيتونه تخرج من جبل سيناء قيل معنى سيناء البركة كانه قال من جبل
البركة وقرى طور سيناء بفتح السين واختلفوا في المراد بالطور فقال بعضهم هو الجبل الذي ناجا
موسى ربه عند بعض الاصل شجر الرمان وذلك الجبل اي اول ما انبتت منه وقال بعضهم هو جبل
بالشام كثير الاشجار والثمار قيل المراد بقوله اول شجر نبت في الارض بعد الطوفان قوله عز تنبت
بالدهن وصيغ للاكلين والباء التي تدخل على المفعول زائدة كقوله تنبت بالدهن ومعنى الدهن
ان كسرت الباء وضمت الباء وكسر الباء ومعناه معنى الاول والباقي قوله عز وصبغ للاكلين
ونبت الشيء وانبت بمعنى واحد قال الشاعر ٥

رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم ٥ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ٥

وجوز ان يكون الباء زايدة على قراءة من ضم التاء كقوله ولا تلقوا بايديكم قوله عز وصبغ للاكلين يعني الادام لان الخبز ادام
يصبغ به الخبز يقال صبغ وصباغ كما يقال لبس ولباس ٥ قوله عز وان لكم في الانعام لعبرة اي
لعظة ودلالة على وحدانيتنا لواعيهم وكتدللهم تشفيكم مما في بطونها يعني اللبن ولكم فيها منافع
كثيرة من الاولاد والاوبار والاصواف والاشعار والركوب على الابل ومنها تاكلون يعني لحومها
وقوله عز وعليها وعلى الفلك تحملون اي تحملون على الابل في البر وعلى السفن في البحر وهذا كقوله عز وحملناهم
في البر والبحر يقال الله جعل للناس مركبين مركبا لينا ليس البر ومركبا يابسا كالبحر ٥ قوله تعالى
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اي ارسلناه اليهم ليدعوهم الى عبادتنا فقال يا قوم اعبدوا الله ما
لكم من اله غيره ٥ افلا تتقون عبادة غيره قال الملا من قومه اي الاشراف منهم والرؤساء قالوا
لشفقائهم ما هذا الذي يدعوكم الى التوحيد الا بشر مثلكم اي ادمي مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اي

في قصة نوح عليه السلام

انزل الله تعالى من الجنة خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند الى آخره

يتقدم عليكم بدعوى النبوة ليكون له الفضل عليكم فتكونوا له تبعا ولو شاء الله ان يرسل الينا
رسولا من عنده لارسل ملائكة من عنده ما سمعنا بمثل هذه الدعوة في ابائنا الاولين ولا ارسل اليهم
بشرا ان هو الا رجل به جنة اي قالوا ما نوح الا رجل به جنون فتربصوا به حتى حين اي فانتظروا
حتى يموت فنستريح منه فلما يئس من ايمانهم قال رب انصرني بما كذبون اي اعني عليهم بتكذيبهم اياي
وجحودهم نبوتي والمعنى انصرني باهلاكهم جزاء لهم بتكذيبهم ۞ قوله تعالى فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا
ووحينا اي ارسلنا اليه جبريل وامرناه ان يعلمه صنعة الفلك ليصنعها بمرأى منا فاذا جاء امرنا
بنجاتك واهلاكهم ونبع الماء من تنور الخابزة ۞ وعن علي رضي الله عنه ان معنى قوله تعالى وفار التنور اي طلع
الفجر وقوله تعالى فاسلك فيها من كل زوجين اثنين اي احمل في السفينة من كل حيوان ذكرا وانثى كما روي
ان الله تعالى حشر اليه جميع الحيوان حتى اخذ من كل جنس زوجا ويقرا من كل زوجين بالتنوين فعلى هذه
القراءة يكون الفعل واقعا على زوجين واما على القراءة الاولى فالفعل واقع على اثنين قوله تعالى واهلك
معناه واحمل فيها اهلك الا من سبق عليه القول اي الا من حق عليه العذاب منهم بكفره وهو ابنه كنعان
وامرأته واهلة ۞ قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تسألني نجاة الذين ظلموا من اهلك انهم مغرقون
مع الاجانب ۞ قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك اي اذا اعتدلت في السفينة راكبا واستقر بك
ومن معك الفلك في الماء فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا اي انزلني
من السفينة موضعا مباركا وقال بعضهم اراد به الانزال في السفينة وهو الاقرب لانه انما امر بهذا
الدعاء في حال استوائه على السفينة فاقتضى ان السفينة هي المنزل دون منزل اخر وقراءة العامة منزلا
بضم الميم على المصدر اي انزالا مباركا وقرا ابو بكر بفتح الميم وكسر الزاي اي موضعا مباركا قال
مقاتل يعني بالبركة انهم توالدوا وكثروا وقوله تعالى وانت خير المنزلين اي انت خير المنزلين في الدنيا والاخرة
وهذا اللفظ سنة لكل من اراد ان ينزل منزلا ۞ قوله تعالى ان في ذلك لايات معناه ان في امر نوح والسفينة
وهلاك اعداء الله لدلالات على قدرة الله ووحدانيته وان كنا لمبتلين اي وما كنا الا مبتلين بارسال الرسل
اليهم اي مختبرين اياهم كي نرى طاعة المطيعين ومعصية العاصين قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا
اخرين اي ثم خلقنا من بعد هلاك قوم نوح قوما اخرين يعني عادا فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا عليه
السلام فان اول نبي بعد نوح هود عليه السلام فقال لهم اعبدوا الله الى اخر الاية فقال الملا من قومه الذين كفروا
وكذبوا بلقاء الاخرة اي جحدوا البعث والنشور واترفناهم في الحيوة الدنيا اي متعناهم في الدنيا
واعطيناهم من نعيم العيش ووسعنا عليهم ونعمناهم قوله تعالى ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه
اي قال اشراف قوم هود ورؤساؤهم الذين جحدوا بالبعث والنشور ومتعناهم في الحيوة الدنيا
ما هذا الا بشر مثلكم اي ادمي مثلكم ياكل من الطعام الذي تاكلون منه ويشرب من الذي تشربون
فليس هو اولى بالرسالة منكم ۞ قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات
هيهات لما توعدون معناه لئن اطعتم ادميا مثلكم انكم اذا لمغبونون وهذا القول منهم دليل على
غاية جهلهم حيث عبدوا اصناما لا تضر ولا تنفع ولم يعدوا ذلك خسرانا والاصنام اجسام مثلهم
بل دونهم ثم عدوا عبادة الله وطاعة هود خسرانا قالوا ايعدكم انكم اذا متم وصرتم ترابا
وعظاما بالية ان تخرجوا من قبوركم هيهات هيهات اي بعدا بعدا لما تخوفون من البعث بعد الموت
وهذه كلمة استنكار واستبعاد ويقرا هيهات بسبع قراءات بالنصب والكسر والرفع والتنوين
وغير التنوين والسكون فمن نصب جعلها مثل اين وكيف وقيل لانها اذا تان مثل خمسة عشر
وبعلبك ومن رفعه جعله مثل منذ وقط وحيث ومن كسره جعله مثل امس قال الشاعر

صح ويقرا هيهات بسبع قراءات

تذكرت

٤٨

تذكرت اياما مضين من الصبا وهيهات هيهات اليك رجوعها ۞ وقال اخر ۞
لقد باعدت ام الحمارس دارها وهيهات من ام الحمارس هيهاتا ۞ ومعنى هيهات بعد الامر
جدا حتى امتنع وهو اسم سمي به الفعل وهو بعد كما قالوا صه بمعنى اسكت ومه بمعنى لا تفعل
وليس له اشتقاق وفيه ضمير مرتفع عائد الى قوله مخرجون والتقدير هيهات اي هو الاخراج
والمعنى بعد اخراجكم للوعد الذي توعدون قال ابو عمرو اذا وقفت فقل هيهاه بالهاء وقال الفراء
كان الكسائي يختار الوقف عليها بالهاء وانا اختار التاء لانها ليست هاء التانيث ۞ وروي عن سيبويه
انه قال هي بمنزلة علقاة يعني في التانيث فاذا كان كذلك كان الوقف بالهاء قوله تعالى ان هي الا حيوتنا
الدنيا اي قالوا ما هي الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يموت قوم ويحيى قوم اخرون
وما نحن بمبعوثين بعد الموت وقوله تعالى ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اي قالوا ما هود الا رجل
اختلق على الله كذبا بانه رسول الينا وانا نبعث وما نحن له بمؤمنين اي بمصدقين فيما يقول قوله تعالى
قال رب انصرني بما كذبون اي قال هود رب اعني عليهم بتكذيبهم اياي قال الله تعالى عما قليل ليصبحن
نادمين على تكذيبهم اي عما قليل من الزمان والوقت يعني عند الموت وعند نزول العذاب بهم
ليصبحن نادمين على الكفر والتكذيب فاخذتهم الصيحة بالحق اي صاح بهم جبريل صيحة
واحدة ماتوا عن اخرهم وقوله تعالى بالحق اي باستحقاقهم العذاب بكفرهم وقوله تعالى فجعلناهم غثاء اي
صيرناهم بعد الهلاك كغثاء السيل وهو ما يكون على وجه السيل من القصب والحطب والحشيش والاشجار
اليابسة المتفتتة البالية اذا جرى السيل رايت ذلك مخالطا زبد السيل والمعنى صيرناهم هلكى
فيبسوا كما يبس الغثاء من نبت الارض وقوله تعالى فبعدا للقوم الظالمين اي بعدا من رحمة الله للقوم الكافرين
قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي ثم خلقنا من بعد هلاك قوم هود اهل اعصار اخرين
فسكنوا ديارهم الى ان هلكوا ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي لا تموت امة قبل اجلها
ولا يتاخر موعدهم عنه وقوله تعالى من امة من ههنا صلة قوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى اي بعضها
في اثر بعض مترادفين كلما جاء قوما رسولهم كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك والتعذيب
وجعلناهم احاديث لمن بعدهم من الناس يتحدثون بامرهم وشانهم ويتمثل بهم في الشر ۞ قرا ابن كثير
وابو عمرو تترا بالتنوين وقرا الباقون بغير تنوين مثل سكرى وشكوى فمن نون كان الالف فيه كالالف في
رايت زيدا وعمرا فاذا وقفت كانت الفا يعني يوقف عليه بالالف ومن لم ينون كتبها بالياء قوله تعالى
ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين ظاهر المعنى ۞ وقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما
عالين اي تكبروا عن الايمان بالله وعبادته وكانوا قوما قاهرين للناس بالبغي والتطاول عليهم كما قال
تعالى ان فرعون علا في الارض وقال مقاتل معنى قوله قوما عالين اي متكبرين عن توحيد الله تعالى ۞
قوله تعالى فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا اي ليس لهما فضل علينا وقومهما لنا عابدون يعني بني اسرائيل لنا
مطيعون فكذبوهما فكانوا من المهلكين بتكذيبهما قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة
لكي يهتدوا به من الضلالة قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية اي جعلنا ولادة عيسى من غير اب
دلالة على التوحيد والبعث ولم يقل ايتين لان معنى الاية فيهما واحد وقيل معناه كل واحد
منهما اية كما قال كلتا الجنتين اتت اكلها اي اتت كل واحدة اكلها وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب

والازلام رجس ولم يقل ارجاس وفيل معناه جعلنا شانهما واحدا لان عبدة الاوثان عبدت من غير تمييز ذكر ٥ قوله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين اى جعلناها مأوى لهما الى بقعة ذات استواء واستقرار وماء جار ظاهر والربوة المكان المرتفع من الارض ٥ واختلفوا فى هذه البقعة فقال قتادة هى من المقدس وهو ارفع موضع من الارض واقربه موضع الى السماء ثمانية عشر ميلا وقال ابو هريرة هى رملة فلسطين وروى الحسن وابن المسيب انها دمشق وقوله تعالى ذات قرار اى مستوية يستقر عليها ساكنوها وهى مع ذلك ساحة واسعة والمعين الماء الجارى الظاهر الذى تراه العيون بخلاف العين المركية تعين اذا سألت بالماء ٥ قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدى والكلبى ومقاتل الخطاب فى اول هذه الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم وخص الانبياء بذكر بلفظ الجماعة لما فى الخطاب من تضمن ان الرسل جميعا امروا بهذا الخطاب وقيل لهم كلوا من الطيبات اى من الحلال وامرهم الله ان لا ياكلوا الا حلالا قال الحسن اما والله ما عنى بهذا غيركم ولا امركم ولا اياكم بشىء الا وقد امر به المرسلين وقوله واعملوا صالحا اى اعملوا بما امركم الله به واطيعوه فى امره ونهيه وقوله تعالى انى بما تعملون عليم ظاهر المعنى ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب له ٥ وروى ان عيسى كان ياكل من غزل امه وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول اجعل رزقى فى تحت ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف امرى وقيل ان رزقه من الغنيمة واطيب الطيبات الغنيمة قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة اى دينكم دين واحد وملتكم ملة واحدة وقيل جماعتكم جماعة واحدة وكلكم عباد الله وانا ربكم فاتقون اى فاتقوا عذابى وافعلوا ما امرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه فان الكوفيون وابن عامر هذه امتكم بكسر الهمزة على الابتداء والباقون بنصبها مع التشديد وخفف ابن كثير النون مع فتح الهمزة وشدد النون معناه وبان هذه امتكم امة واحدة وقيل واعلموا ان هذه امتكم امة واحدة اى ملتكم ملة واحدة وهى دين الاسلام ومن خفف مع الفتح جعل ان صلة وتقديره وهذه امتكم وقيل يكون مخففة من الثقيلة كقوله واخر دعواهم ان الحمد لله ٥ قوله تعالى فتقطعوا امرهم بينهم زبرا معناه انتم اهل ملة واحدة فلا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا فتقطعوا امرهم بينهم زبرا اى فرقا دينا وقيل معناه كتبا مختلفة دينوا بها فكفروا بها سواها كاليهود امنوا بالتوراة وكفروا بالانجيل والفرقان والنصارى امنوا بالانجيل وكفروا بالقرآن وقرئ زبرا بفتح الباء ومعناه قطعا وجماعات ومنه زبر الحديد قطعه وقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون اى كل طائفة بما عندهم من الاعتقاد معجبون فاتركهم فى ضلالتهم وجهالتهم الى ان ياتيهم ما وعدوا به من العذاب وقال الزجاج معنى الاية ان الحق والباطل عند المعاينة فى القيمة وقيل كل حزب من المشركين واليهود والنصارى بما عندهم من الدين اصوب من دين غيرهم وانهم على الحق فذرهم فى غمرتهم حتى حين اى فى ضلالتهم وجهالتهم وغفلتهم حتى يروا العذاب بالسيف او بالموت يعنى كفار مكة ٥ قوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين اى ايظنون ان امدادنا اياهم فالمال والبنين مسارعة منا لهم فى الخيرات لكرامتهم علينا ومنزلتهم عندنا بل لا يشعرون ان ذلك استدراج لهم

واملا

واملا الى حين ٥ قوله تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى حذرون من عذابه والاشفاق الخوف يقال انا مشفق من هذا الامر اى خائف والذين هم بايات ربهم يومنون اى يصدقون بالقرآن انه من عند الله والذين هم بربهم لا يشركون بعبادة غيره والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اى والذين يتصدقون بالاموال ويعملون ما عملوا من الصالحات وقلوبهم فزعة خائفة ان لا يقبل الله منهم ذكر قال مجاهد المعنى يعطون ما اعطوا من شفق ماله وقلبه وجل وعن عايشة رضى الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة الاية فقال يا ابنة الصديق الذين يصومون ويحافون ان لا يقبل منهم ويصلون ويفرقون ان لا يقبل منهم وتصدقون ويفرقون ان لا يقبل منهم وقال الحسن والذين يوتون ما اتوا اى يعملون ما عملوا من البر وهم يرون انهم لا ينجيهم من عذاب الله قال الزجاج وقلوبهم وجلة لانهم الى ربهم راجعون اى لانهم يوقنون برجوعهم الى الله او لانهم يسارعون فى الخيرات اى لاجل هذه الصفة هم الذين يسارعون فى الاعمال الصالحة وهم لها سابقون اى الى الجنة سابقون كقولهم ماء دافق اى مدفوق ومعنى سابقون فى الجنة اى من اجل مسارعتهم فى الخيرات سابقون فى الجنة ٥ قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها اى الا طاقتها فى العمل فمن لم يستطع ان يصل فليصم فاعلا ولدينا كتاب ينطق بالحق اى وعندنا ملكين يكتبان المقربين كتاب يشهد لكم وعليكم بالحق يريد صحايف الاعمال وقيل يعنى اللوح المحفوظ وهو كل ما هو مكتوب سبق فى علم الله ينطق بالحق اى يبين الصدق وهم لا يظلمون اى لا ينقصون من ثواب اعمالهم ولا يزاد على سيئاتهم ٥ قوله تعالى بل قلوبهم فى غمرة من هذا اى بل قلوب اهل مكة فى غفلة وجهالة من هذا الذى تقدم ذكره من اعمال البر وقيل من القرآن ولهم اعمال خبيثة لا يرضاها الله والمعاصى والخطايا دون اعمال المومنين هى لها عاملون ويجوز ان يكون قوله من هذا اشارة الى الكتاب الذى ينطق بالحق اى بل قلوبهم فى غفلة من ذكر الكتاب واعمالهم التى عملوها محصاة فيه ولهم اعمال من دون ما هم عملة لابد ان يعملوها وهو ما سبق فى علم الله انهم يعملونه والغمرة الغفلة التى تغطى القلوب وتغلب عليها قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون اى حتى اذا اخذنا اغنياءهم ورؤساءهم بالقتل يوم بدر وقيل بالجوع حين دعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا العظام والجيف والكلاب والاولاد والقد ٥ قوله تعالى اذا هم يجارون اى يضجون ويضرعون بالتوبة وقيل يجرعون ويستغيثون واصل الجوار رفع الصوت بالتضرع ٥ قوله تعالى لا تجاروا اليوم وعيدهم كالاستهزاء مثل قوله لا تركضوا وارجعوا وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون اى لا تمنعون من عذابنا وقوله تعالى وقد كانت اياتى تتلى عليكم اى تقرا عليكم فى الدنيا يعنى القران فكنتم على اعقابكم تنكصون اى ترجعون مدبرين وتعرضون عن الايمان به وقوله تعالى مستكبرين به اى متعظمين بحرمة الله الكعبة وقيل بحرم الله انه لا يظهر عليكم احد فالكناية تعود الى الحرم وهو كناية عن غير مذكور والمعنى مستكبرين فى البيت الحرام لامنهم فيه من حولهم سامرا اى الناس فى مواطنهم ٥ قوله تعالى سامرا تهجرون اى سمارا تهجرون القران والنبى صلى الله عليه وسلم والهجر الحق بالاعراض عنه وقد يعاد هجر المريض اذا هذى فى كلامه والسمر الحديث بالليل كانوا يجتمعون حول الكعبة فى اوايل الليالى يلغطون الى صلى الله عليه وسلم وفى الاسلام والمسلمين وانما وحد سامرا لانه فى موضع المصدر قال الحسن ومقاتل المعنى تهجرون القران وبرفضونه ولا تلتفتون اليه كما قال تعالى قد كانت اياتى تتلى عليكم الاية ويجوز ان يكون معناه تهجرون وهو الكلام القبيح يقال هجر يهجر اذا قال غير الحق وهو قول السدى والكلبى وقتادة ومجاهد وكانوا اذا دخلوا البيت سبوا النبى صلى الله عليه وسلم

والقران ويقال ايضا في هذا المعنى اهجر اهجارا اذا افحش في منطقه قرأه نافع تهجرون بضم التاء
اي تحشون في الكلام وتقولون الخنا وذلك انهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم والهجر هو
الفحش من الكلام يقال في المثل من كثر هجره وجب هجره ٥ قوله تع افلم يدبروا القول اي حسن لفظه ونظمه وكثرة فوايده ومعانيه مع سلامته
من التناقض والاختلاف فيعلموا انه من عند الله ويقال معناه افلم يتدبروا القران فيعرفوا ما فيه
من العبر والدلالات على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تع ام جاهم ما لم يات اباهم الاولين
معناه ام جاء هؤلاء ما لم يات اباهم اي الم يعلموا ان الرسل قد ارسلوا الى من قبلهم فبين تعالى انه
ارسل اليهم كما ارسل الى من قبلهم والمعنى اجاهم ما لم يات اباهم الاولين فانكروه واعرضوا عنه
ويحتمل ان يكون معناه بل جاهم ما لم يات اباهم الاولين فانكروه فكذلك لم يات اباهم
رسولهم بالصدق والامانة مثل الطهارة الذكوة قال ابن عباس كانوا يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم
صغيرا وكبيرا صادقا والسنتهم تسميه بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالاعراض عنه بعد ما عرفوا صدقه
وامانته وقوله ام لم يقولوا به جنة اي قالوا ان محمدا مجنون ليسعدوا الوحي وتقرنوا عنه وقد كذبوا
في ذلك قال المجنون يهذي ويقول ما لا يفعل بل جاهم النبي صلى الله عليه وسلم بالحق اي القران الذي لا
تخفى صحته وحسنه على احد وانكرهم للحق كارهون قوله تع ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات
والارض ومن فيهن قال معاذ والسدي الحق الذي هو الله والمعنى لو جعل مع نفسه كما يحبون شركا
لفسدت السموات والارض لان الحق يدعو الى التجانس والهوى يدعو الى التنافر والتباغض والرياح وجوران يكون
المراد بالحق القران اي لو نزل القران بحسب شرك واثبات الهة لفسدت السموات والارض
ومن فيهن كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل معناه ولو وضع الحق على اهوائهم لهلك اهل
السموات والارض لان الحق يدعو الى التجاوز والهوى يدعو الى القبايح ولو حمل الهوى متبوعا لتنافست الامور
في الظلم والجهالات فتختلط الامور اتم الاختلاط ولم تؤمن الوعد والوعيد فادى ذلك الى فساد
كل العالم وقوله تع بل اتيناهم بذكرهم اي اعطيناهم
القران الذي فيه عزهم وشرفهم وامروا بالعمل بما فيه نهيهم عن القران معرضون وهو ذكر لهم وشرف لهم
لكم ولقومك وقوله تع ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير معناه ام تسالهم على تبليغ الرسالة جعلا فينثقلون لذلك وقوله
تع فخراج ربك خير اي ما اعد الله لك من الاجر والثواب في الاخرة خير لك من الدنيا والاخرة وهو خير الرازقين
اي افضل المعطين واصل الخرج والخراج الضريبة والغلة كخراج العبد والارض وقال النضر
بن شميل سالت ابا عمرو العلاء الفرق بين الخرج والخراج فقال الخراج ما لزمك ووجب عليك اداؤه
والخرج ما تبرعت به من غير وجوب ٥ قوله تع وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اي طريق واضح
يرضاه الله وهو الاسلام ٥ قوله تعالى والذين لا يومنون بالاخرة عن الصراط لناكبون يعني وان
الذين لا يصدقون بالقيمة عن دين الحق لناكبون اي مايلون عادلون ومنه النكباء وقيل معناه انهم
في الاخرة عن صراط الجنة يسقطون بمنة وتيسيرة ٥ قوله تع ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
للجوا في طغيانهم يعمهون اي لو رحمناهم وكشفنا ما بهم من الشدة التي اصابتهم لاقاموا على كفرهم
والنحط الذي احلهم سبع سنين للجوا في طغيانهم اي لتمادوا في ضلالتهم يتحيرون ويترددون

وقيل

وقيل معناه لو رحمناهم في الاخرة فردناهم الى الدنيا لعادوا الى الكفر كما كانوا قال الله تع ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب الذي اصابهم يدعوة النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سنين كسني يوسف فجاعوا
حتى اكلوا الوبر بالدم فما استكانوا لربهم اي فما خضعوا لربهم وما تضرعوا ولا انقادوا لامر الله وما رغبوا
الله في الدعاء ولو كشف عنهم العذاب لم يشكروا والاستكانة طلب السكون والتضرع طلب كشف البلاء
من القادر عليه ٥ قوله تع حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قيل اذا قتل يوم بدر وقيل انه عذاب الاخرة
اذا هم فيه مبلسون اي آيسون متحيرون والابلاس الاياس مع التحير وقيل الاصابهم من الجوع ما اصابهم
حارثة بن مضرب حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
قال بلى قال فانك قد قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فانزل الله تع هذه الاية ٥ قوله تع وهو الذي انشاكم
السمع والابصار والافيدة اي خلق لكم السمع تسمعون به والابصار تبصرون بها والقلوب تعقلون بها
فشكركم قليل ما تصنع اليكم قليلا ٥ والافئدة هي القلوب قوله تعالى وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم
في الارض والية تحشرون اي تجمعون الى موضع الحساب والجزاء قوله تع وهو الذي يحيي ويميت اي يحسكم في
ارحام امهاتكم ويميتكم عند انقضاء اجالكم وله اختلاف الليل والنهار اي له ملك اختلافهما ومرورهما
يوما بعد ليلة وليلة بعد يوم افلا تعقلون ادلة الله تعالى فتستدلون بها على وحدانيته قوله تعالى
بل قالوا مثل ما قال الاولون اي لم تعقلوا ادلة الله تعالى ولم يستدلوا بها علينا بل كذبوا بالبعث كما كذب اباؤهم
قبلهم والمعنى كذبت قريش بالبعث مثل ما كذب الاولون قالوا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اانا لمبعوثون
بعد الموت ٥ قوله تع لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل اي خوفنا هذا الذي نخوفنا به من قبل ان
نخوفنا به ان هذا الا اساطير الاولين اي ما هذا الذي نخوفنا به ما هذا الا احاديث الاولين قل لهم يا محمد
لمن الارض ومن فيهن من الخلق والعجايب اخبروا ان كنتم تعلمون فعاينتها تدلكم على ان خالقها ومدبرها
قادر على البعث قال تعالى سيقولون لله قل لهم يا محمد افلا تذكرون فتستدلون على ان من له ملك السموات والارض
وما بينهما قادر على البعث والنشور قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون عقابه على انكار البعث ومن بيده
لله فمعناه كانه قال لمن السموات ومن فيهن سيقولون لله ٥ قوله تع قل من بيده ملكوت كل شيء اي من الذي خزائن كل شيء
وهو يغيث ولا يغاث منه من اراد به سوءا اخبروا ان كنتم تعلمون سيقولون لله ملكوت
كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل لهم يا محمد فانى تسحرون اي تصرفون عن الحق الى ما ليس له اصل
ولا حقيقة وقد القى اليكم حقايق الادلة والمعنى بقوله فانى تسحرون اي كيف تخيل لكم الحق باطلا والصحيح
فاسدا ٥ قوله تع ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله هذا رد على اليهود في قولهم عزير ابن الله وعلى النصارى في قولهم
المسيح ابن الله وعلى من قال من المشركين الملئكة بنات الله وما كان معه من اله رد على عبدة الاوثان
وقوله تع اذا لذهب كل اله بما خلق معناه لو كان معه الهة لانفرد كل اله بخلقه لانه لا يرضى بان يضاف
خلقه وانعامه الى غيره ولعلا بعضهم على بعض اي لطلب بعضهم على بعض ثم بعض فلم ينتظم امرها كما لا ينتظم
امر بلد فيه ملكان قاهران قوله تع سبحان الله اي تنزيها له عما يصفون من اتخاذ الولد والشريك ٥

عالم الغيب والشهادة من خفضه جعله نعت الله ومن رفعه كان خبر مبتدا محذوف تقديره هو
عالم قراءة الخفض هي قراءة ابن كثير وابي عمرو وابن عامر وقراءة الباقين بالرفع ومعنى الآية عالم ما
غاب عن العباد وما علمه العباد فتعالى عما يشركون قوله تعالى قل رب اما ترينى ما يوعدون معناه
قل يا محمد رب ان تريني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل ببدر وقيل معناه قل يا محمد يا رب
ان تريني ما يوعدون من العذاب فلا تجعلني معهم قوله واما على ان نريك ما نعدهم لقادرون اي
نحن قادرون على تعذيبهم لكن الامهال لحكمة تقتضيهم ذلك قوله ادفع بالتي هي احسن السيئة
يعني بالاحسان الاعراض والصفح وبالسيئة اذى المشركين اياه وهذا قبل الامر بالقتال والمعنى
اذكرهم المقالة والحجة على طريق التلطف في الاستدعاء الى الحق كما قال ادع الى سبيل ربك قوله
نحن اعلم بما يصفون اي بما كذبون وما يقولونه من الشرك فيجازيهم عليه قوله تعالى وقل رب اعوذ
بك من همزات الشياطين اي اعتصم بك وامتنع بك من همزاتهم ونفخهم الناس الى المعاصي والاغواء
ويقال الهمز هي الوسوسة الشاغلة عن امر الله تعالى واعوذ بك رب ان يحضرون عند القراءة
وعند الموت وعند القبض وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قام الى الصلاة فهلل وكبر ثلاثا
وقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفثه ونفخه فسئل عن همزه فقال هو
احدث الشيطان للانسان حتى يصرع او جن وسئل عن نفثه فقال هو الشعر وسئل عن نفخه
فقال انه الكبر قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون اخبر الله ان هؤلاء
الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت والمعنى حتى
اذا عاين احدهم الموت واعوانه قال رب ارجعون الى الدنيا وانما قال ارجعون على لفظ
الجماعة لان الله تعالى لما خبر عن نفسه بما خبر به عن الجماعة كما في قوله انا نحن نحيي ونميت وامثاله
وكذلك العرب تخاطب الرجل الواحد بلفظ الجماعة كما يقول الرجل لآخر انتم تفعلون كذا ونحن نفعل
كذا ومنه قوله ارجع عني ولم تقتلوه قوله تعالى لعلي اعمل صالحا قال ابن عباس معناه
اشهد ان لا اله الا الله واعمل بطاعة الله فيما تركت اي فيما مضى من عمري قال الله تعالى كلا لا ترجع
الى الدنيا ولا يجوز ان يكون لعلي ههنا للتمني لان الله تعالى لم يتمن لذلك مع عرضه على الرجعة
والنجاة من الموت والعذاب وانما المعنى لكي اعمل صالحا وكلا كلمة ردع وزجر وتنبيه
اي لا يكون له ذلك قوله انها كلمة هو قائلها اي مسئلة الرجوع الى الدنيا كلمة هو قائلها
عند موته ولا فائدة له في ذلك قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون اي من
امامهم حاجز ومحال بينهم وبين الرجوع الى الدنيا وهم فيه الى يوم يبعثون والقبر
حاجز وكل فصل بين شيئين برزخ قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ
قال ابن عباس يعني النفخة الاولى وقيل هي النفخة الثانية وقوله ولا انساب بينهم يومئذ قال الحسن
وانما ان انسابهم لعلامة بينهم كما قال يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه ولكنهم لا ينتفعون بانسابهم
ولا يتعاطفون عليها فكانهم لا انساب لهم وقيل معناه لا تفاخر بينهم كما يتفاخرون في الدنيا ولا
يتساءلون كما يتساءل العرب في الدنيا ما اي فيم انت وقيل لا يسأل بعضهم بعضا عن خبره وحاله كما كانوا
في الدنيا لشغل كل واحد منهما بنفسه ولا يسأل بعضهم بعضا ان حمل شيء من ذنوبه قوله تعالى ومن ثقلت موازينه
يعني بالطاعات فاولئك هم المفلحون وقيل من ثقلت موازينه كلمة التوحيد فاولئك هم المفلحون قال صلى الله عليه وسلم
لو وضعت السموات السبع وما فيهن والارضون السبع وما فيهن وما فوقهن وتحتهن في كفة وكلمة لا اله الا الله

٥١

٢ وكعة لرحمت تجميع دلك قوله تعالى ومن رحمت مواريثه يعني كلمة الشرك فاولئك الذين خسروا انفسهم وهم فيها
خالدون ثم عظم المعنى وقوله تعالى تلفح وجوههم النار اي تلفح وتضرب وجوههم النار وقيل
اللفح هو الاحراق يقال لفحته النار اذا احرقته وتاثير اللفح اعظم من تاثير النفخ والنفخ
قد ذكر في قوله تعالى نفحة من عذاب ربك قوله تعالى وهم فيها كالحون الكلوح تقلص الشفتين
عن الاسنان حتى تبدو الاسنان قال الحسن تغلظ شفاههم وترتفع شفته العليا وتنزل
شفته السفلى فتظهر الاسنان فهو اقبح ما يكون قال صلى الله عليه وسلم تشويه النار حتى
تبلغ شفته العليا فتبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقال ابن
مسعود الم تر الى الراس المشموط بالنار كذا بدت اسنانه وقلصت شفتاه قوله تعالى
الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون اي تجحدون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا اي
معاصينا وكنا قوما ضالين في الدنيا فلم نهتد قرا الكوفيون غيرها عاصم شقاوتنا والالف
وفتح الشين وهما بمعنى واحد والشقوة هي المضرة اللاحقة في العاقبة والسعادة هي
المنفعة التي يكون في العاقبة والشقوة بفتح الشين بمنزلة الفعلة الواحدة وبكسر الشين
في هذا دليل على الكثرة واللزوم قوله تعالى ربنا اخرجنا منها اي من النار الى الدنيا فان عدنا
الى التكذيب والمعاصي فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون اخسؤا كلمة الاهانة
ومذلة وهي في الاصل لطرد الكلاب تقول العرب خسأت الكلب اذا طردته فخسأ
اي تباعد قال الزجاج معناه تباعدوا تباعد سحط وابعدوا ابعد الكلب ولا تكلمون
٢ رفع العذاب عنكم ولا تسألوني الخروج من النار فاني لا ارفع عنكم العذاب ولا اهون
عليكم قال عبد الله بن عمر ان اهل جهنم يدعون مالكا اربعين عاما فلا يجيبهم ثم يقول
انكم ماكثون ثم نادوا ربهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فلا يجيبهم مقدار
عمر الدنيا ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فييئس القوم عند ذلك ويختم على افواههم
فلا يتكلمون بعد ذلك ابدا ويكون لهم زفير وشهيق فيرتكم فيها الحميم وشهيق البغال وعواء
كعواء الكلاب قوله تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا اي يقال لهم انه كان
طائفة من عبادي يقولون ربنا امنا وهم الانبياء والمومنون وهذا تعليل لاستحقاقهم
العذاب بما عاملوا الانبياء والمومنين باتخاذهم سخريا وقوله تعالى فاتخذتموهم سخريا اي
تسخرون منهم وتستهزءون بهم وامالهم وحمزة والكسائي بضم السين ههنا وفي ص وقرا
الباقون بكسرها وهما لغتان ولم يختلفوا في الزخرف انه بالضم لانه بمعنى التسخير
قوله تعالى حتى انسوكم ذكري اي حتى اذا انسيتم ذكري لاشتغالكم بالسخرية منهم وبالضحك
فنسب الانساء الى عباده المومنين وان لم يعلموا لما انهم كانوا السبب فيه قوله تعالى اني
جزيتهم اليوم بما صبروا اي على اذيتكم واستهزائكم انهم هم الفائزون في الجنة قرا حمزة والكسائي
انهم على الاستيناف وقرا الباقون بالفتح على معنى جزيتهم بالفوز قوله تعالى كم لبثتم في الارض
عدد سنين اي كم لبثتم في القبور وقيل المكث في الدنيا يقول الله تعالى ذلك للكفار يوم البعث
فيرون انهم لم يلبثوا الا يوما او بعض يوم لعظيم ما هم فيه من العذاب فسئلوا لذلك وقيل
تلحقهم دهشة وحيرة فينسون ذلك قوله تعالى فاسئل العادين يعني الملائكة الذين كانوا يحصون
عليهم اعمالهم وقرا ابن كثير قل كم لبثتم على فعل الامر قوله تعالى ان لبثتم الا قليلا اي قال الله تعالى ما

لتسم الا قليلا في جنب لبثكم في العذاب مولاه ٥ افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى اظننتم انما خلقناكم
للعبث تاكلون وتشربون وتفعلون ما تريدون ولم تؤمروا ولا تحشرون للحساب ولا ترجعون الا
موضع ٥ تملكون فيه لانفسكم ضرا ولا نفعا وقال ابن عباس معناه افحسبتم انما خلقناكم عبثا كما
خلقنا البهائم ٥ مولاه لا ثواب لها ولا عقاب عليها كما قال الحسن للانسان ان يترك سدى اى هملا كالنهار
وقوله تعالى الملك الحق اى هو الملك الذى تحق له الملكية لانه تملك غيره وكل ملك غيره ملكه مستعار
له لانه لا يملك الا بتمليك الله اياه فكانه لا يعتد بملكه فى ملك الله ٥ مولاه تعالى لا اله الا هو رب العرش
الكريم سمى العرش كريما لكثرة خيره بمن حوله تعالى الله الكريم اى كثير الخير مولاه تعالى ومن يدع مع الله
الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه اى من يدع مع الله الها اخر لم ينزل لعبادته كتابا
ولا بعث بها رسولا ولا حجة له عليه فانما حسابه عند ربه فهو جازيه ما يستحق كما قال تعالى
ثم ان علينا حسابهم وقوله ٥ انه لا يفلح الكفرون اى لا يسعد من جحد وكذب ولا يامن ولا ينجو من
عذاب الله الكفرون مولاه تعالى وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين يحتمل ان يكون امرا للنبى صلى
الله عليه وسلم بالاستغفار لامته ويحتمل ان يكون امرا بالاستغفار لنفسه ليعلم غيره اله احوج
ما يكون الى الاستغفار منه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انى لاستغفر الله كل يوم سبعين مرة ويروى
مائة مرة ٥ وعن ابن مسعود انه سمع شابا يقرا سورة النور حتى اذا بلغ انا انزلناها وفرضناها
وفرضنا فيها فرائض مختلفة علينا وعلى من بعدنا فرضا لازما لا عذر لاحد فيه الا ما اوجبه الله
عليه او رسوله ٥ مولاه تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال سيبويه معناه
فيما فرض عليكم الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والالف واللام فى الزانية
والزانى بمعنى الذى كما قال تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايمانهما ٥ مولاه ولا تاخذكم بهما
راقة فى دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فلا تعطلوا الحدود ولا تسقطوها ولا تهملوها
ولا تاخذكم بهما رحمة فتمنعوا اقامة الحد وتخلوا بمقدار عدده وصفته فانه ليس من صفات المومنين
تضييع حدود الله ومولاه تعالى فى دين الله قال ابن عباس فى حكم الله كقوله فى دين الملك اى فى
حكمه ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فلا تعطلوا الحدود وقرا ابن كثير راقة بفتح
الهمزة وانما ذكر الضرب بلفظ الجلد لئلا يبدح ولا يبلغ به اللحم ٥ واختلف العلماء فى قوله
ولا تاخذكم بهما راقة فقال اكثرهم ان معناه لا تاخذكم الراقة بهما فتعطلوا الحدود ولا تهملوها
شفقة عليهما وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى
وقال الزهرى وعبد الملك والحسن معناه اجتهدوا فى الجلد ولا تخففوا كما تخفف فى حد
الشرب بل يوجع الزانى ضربا ولا تخفف راقة له كانه قال لا تاخذكم بهما راقة فتخففوا الضرب
بل اوجعوهما ضربا ٥ مولاه وليشهد عذابهما طائفة من المومنين اى لتكن اقامة الحد عليهما
بحضرة جماعة من المومنين ليستوفى الزجر بهما ويبلغ الشاهد الغايب فيرتدع الناس عن مثله
ويرتدع المضروب ويستحى فلا يعود الى مثل ذلك واختلفوا فى مبلغ عدد الطايفة
فقال الزهرى اقله ثلثة وقال ابن زيد اربعة بعدد شهود الزنا وقال قتادة نفر من المسلمين ٥
وفى الخبر ان اقامة حد فى ارض خير لاهلها من مطر اربعين يوما ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ستة خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الاخرة فاما التى

الزمان

الزمان ان يقول قايل لا يحل الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وقد رجم
الشيخ والشيخة اذا زنيا فاجلدوهما البتة ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده
ولولا ان الناس يقولون زاد عمر فى كتاب الله لكتبت ذلك على حاشية الكتاب واجمعت الامة
على رجم المحصن اذا زنا ٥ واما الاحصان فى هذا الموضع فيكون خرابا لعفاعا قلا
مسلما قد تزوج بالغا كان صحيحا وطى زوجته فى وقت كان جامعا له على صفة
الاحصان وهذا قول ابى حنيفة ومحمد فانهما يعتبران هذه الشروط السبعة فى احصان
الزنا واما ابو يوسف فلا يجعل الاسلام من شرايط الاحصان ولا يشترط كونهما
على صفة الاحصان وقال الدخول فى النكاح الصحيح يجعل الرجل البالغ العاقل المسلم
محصنا بالدخول بزوجته الامة والصبية والكتابية ويجعل الزوج الرقيق محصنا
بالدخول فى النكاح الذى بينهما اذا اعتقا بعد ذلك وان لم يوجد الدخول بعد النكاح
بعد العتق الى ان زنا واحد منهما فهما غير محصنين عبدة ٥ وعن ابى هريرة رضى الله عنه
ان رجلا من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انشدك الله الا قضيت
لى بكتاب الله فقال الخصم الاخر وهو يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقال صلى الله عليه وسلم
قل فقال ان ابنى كان عسيفا على هذا فزنا بامراته وانى اخبرت ان على ابنى الرجم وافتديته
منه بمايه شاة ووليدة فسالت اهل العلم فاخبروانى على ابنى مايه جلده وتغريب عام وان
على امراة هذا الرجم فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاقضين بينكما بكتاب الله تعالى
الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك جلد مايه وتغريب عام واغد يا انيس على امراة
هذا فان اعترفت فارجمها فاعترفت فامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرجمت ٥ مولاه ولا تاخذكم بهما راقة فى دين الله ان كنتم تومنون بالله واليوم اى لا تاخذكم
بهما رحمة تمنع من اقامة الحد وتخل بمقدار عدده وصفته فانه ليس من صفات المومنين
تضييع حدود الله ومولاه تعالى فى دين الله قال ابن عباس فى حكم الله كقوله فى دين الملك اى فى
حكمه ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر فلا تعطلوا الحدود وقرا ابن كثير راقة بفتح
الهمزة وانما ذكر الضرب بلفظ الجلد لئلا يبدح ولا يبلغ به اللحم ٥ واختلف العلماء فى قوله
ولا تاخذكم بهما راقة فقال اكثرهم ان معناه لا تاخذكم الراقة بهما فتعطلوا الحدود ولا تهملوها
شفقة عليهما وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير والنخعى والشعبى
وقال الزهرى وعبد الملك والحسن معناه اجتهدوا فى الجلد ولا تخففوا كما تخفف فى حد
الشرب بل يوجع الزانى ضربا ولا تخفف راقة له كانه قال لا تاخذكم بهما راقة فتخففوا الضرب
بل اوجعوهما ضربا ٥ مولاه وليشهد عذابهما طائفة من المومنين اى لتكن اقامة الحد عليهما
بحضرة جماعة من المومنين ليستوفى الزجر بهما ويبلغ الشاهد الغايب فيرتدع الناس عن مثله
ويرتدع المضروب ويستحى فلا يعود الى مثل ذلك واختلفوا فى مبلغ عدد الطايفة
فقال الزهرى اقله ثلثة وقال ابن زيد اربعة بعدد شهود الزنا وقال قتادة نفر من المسلمين ٥
وفى الخبر ان اقامة حد فى ارض خير لاهلها من مطر اربعين يوما ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ستة خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الاخرة فاما التى

سورة النور مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ سورة انزلناها جبريل عليه السلام بها وقرا طلحة بن مصرف سورة بالنصب على معنى انزلنا
انزلناها كما تقول زيدا ضربته وكذا ان يكون نصبا على الاغراء اى عليكم سورة ٥ انزلناها اى هذه
وفرضناها احكاما وفرضنا العمل بما فيها ومن قرا بالتشديد اراد انا فرضنا على من بعدنا
احكامها وفرضنا فيها فروضا ان الحسن ومجاهدا وابن كثيرا وابا عمرو قرضناها بالتشديد اى
فصلناها وبينا ها واوجبنا فيها احكاما وفرائض مختلفة علينا وعلى من بعدنا فرضا لازما لا عذر لاحد فيه
فرضناها لكثرة ما فيها من الفرايض قال مجاهد معنى الامر بالحلال والنهى عن الحرام ٥
مولاه وانزلنا فيها ايات بينات اى دالات واضحات على وحدانيتنا واحكامنا لكى
تتعظوا فتعملوا بما فيها ٥ مولاه الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة قال سيبويه معناه وفيما فرض عليكم الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة
والالف واللام فى قوله فاجلدوا الجلد فى اللغة ضرب الجلد يقال جلده اذا ضرب
جلده ورأسه اذا ضرب راسه وبطنه اذا ضرب بطنه ومعنى الاية الزانية
والزانى اذا كانا حرين بالغين عاقلين بكرين غير محصنين فاضربوا كل واحد منهما مائة ضربة
واما اذا كانا مملوكين فحد كل واحد منهما خمسون جلدة فى الزنا لقوله تعالى فى الاماء فاذا
احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب يعنى اذا اعتقن
فعليهن نصف حد الحرايرو اذا كان الزانى محصنا لحديث الرجم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجم ماعز بن مالك الاسلمى وزناه وكان قد احصن وكان عمر رضى الله عنه يقول انى لاخشى ان طال

في الدنيا يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر ۝ واما اللاتي في الاخرة فيوجب السخط
وسوء الحساب والخلود في النار وقال صلى الله عليه وسلم اعمال امتي تعرض في كل جمعة مرتين
فاشتد غضب الله على الزناة ۝ وعن وهب بن منبه قال مكتوب في التوراة الزاني لا يموت
حتى يفتقر والقواد لا يموت حتى يعمى فان قيل لم بدا الله بذكر الزانية قبل ذكر الزاني فقال
تعالى الزانية والزاني وبدا بذكر السارق قبل ذكر السارقة في اية السرقة فقال والسارق والسارقة
قيل لان الرجل هو الذي يسرق غالبا والمراة هي السبب في الزنا غالبا فاخرج الخطاب في
الموضعين على الاغلب ۝ قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة قال ابن عباس نزلت هذه الاية
في قوم من المهاجرين دخلوا المدينة ولم يكن لهم مسكن ولا مال ياكلون منه ولا اهل ياوون اليهم
وفي المدينة نساء بغايا مسافحات يكرين انفسهن ويضربن الرايات على ابوابهن يكتسبن
بذلك وكان اولئك المهاجرون الفقراء يطلبون معايشهم بالنهار وياوون الى المسجد بالليل فقالوا لو
تزوجنا منهن فعشنا معهن الى يوم يغنينا الله عنهن وقصدوا ان يتزوجوهن ويتركوا منازلهن
وياكلوا من كسبهن فشاوروا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية فنهوا ان يتزوجوهن
على ان يخلوهن والزنا والمعنى لا يرغب في نكاح الزانية الا زان مثلها ونظيره قوله تعالى الخبيثات
للخبيثين اي ميل الخبيث الى الخبيث وميل الطيب الى الطيب وقد يقع الطيب مع الخبيث
لكن الاعم والاغلب ما ذكرناه ۝ قوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين اي حرم على المؤمنين تزويج
تلك البغايات المعلنات بالزنا وفيه بيان ان من تزوج بامراة منهن فهو زان فالتحريم
كان خاصة على اولئك دون الناس ومذهب سعيد بن المسيب ان التحريم كان عاما عليهم وعلى غيرهم
ثم نسخ التحريم بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فان تزوج الرجل امراة وعاين منها الفجور لم يكن ذلك
تحريما بينهما ولا طلاقا ولكنه يؤمر بطلاقها تنزها عنها ويخاف عليه الاثم في امساكها لان الله تعالى
شرط على المؤمنين نكاح المحصنات من المؤمنات ۝ وروي ان رجلا قال يا رسول الله ان
امراتي لا ترد يد لامس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فقال اني احبها واخاف ان طلقتها
ان اصيبها حراما فقال له امسكها اذا الا ان هذا الحديث فيه خلاف الكتاب لان الله تعالى
انما اذن في نكاح المحصنات ثم نزل في القاذف لامراته اية اللعان وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم
التفريق بينهما ولا يجتمعان ابدا فكيف يامره بالوقوف على عاهرة لا يمتنع ممن ارادها والحديث الذي
ذكر لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان صح فتاويله انها امراة ضعيفة الراي في تضييع مال زوجها
فهي لا تمنعه من طالب ولا تحفظه من سارق وهذا التاويل اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم واحرى بحديثه ۝
ويحتمل ان يكون قوله وحرم ذلك على المؤمنين اشارة الى الزنا ۝ وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده ان هذه الاية نزلت في مرثد الغنوي كان قد امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان يحمل ضعفة المسلمين
من مكة الى المدينة وكانت له صديقة في الجاهلية يقال لها عناق فلقيته بمكة فدعته الى نفسها فابى
وقال ان الاسلام قد حال دون ذلك فقالت له فانكحني فقال حتى اشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسعت به الى المشركين فهرب الى المدينة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم وشاوره في تزوجها فانزل الله
هذه الاية وبين ان نكاح المشركة زنا لانها لا تحل له وفرق بين الزنا وبين الشرك على طريق المبالغة
في الزجر عن الزنا حين كان القوم يالفون الزنا الفا شديدا وكان يجب بظاهر هذه الاية ان يكون للزاني

ان

٥٣

ان يتزوج المشركة وللزانية ان تتزوج المشرك ولا خلاف ان ذلك غير جائز وان نكاح المشركات
وتزويج المشركين منسوخ بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات وبقوله ولا تنكحوا المشركين ۝ وذهب بعض
المفسرين الى ان معنى الاية الزاني لا يطا الا زانية اي لا يزني حين يزني الا بزانية مثله وكذلك
الزانية لا يزني بها الا زان مثلها حتى اذا طاوع احدهما الاخر فهما سواء في استحقاق الحد
وعقاب الاخرة ۝ فكان المراد بالنكاح الوطي ۝ قوله تعالى والذين يرمون المحصنات اي يرمونهن
بالزنا ثم لم ياتوا باربعة شهداء على صحة قذفهم اياهن بالزنا فاجلدوهم ثمانين جلدة والمحصنات
الحرائر المسلمات العاقلات البالغات العفيفات عن فعل الزنا وفي ذكر عدد الاربعة من الشهود
دليل على ان المراد القذف بصريح الزنا لان هذا العدد لا يشترط الا في الزنا ولا يقبل في ذلك
شهادة النساء وفي الاية دليل ان من قذف جماعة من المحصنات لم يضرب الا حدا واحدا ۝
واذا كان القاذف عبدا فحده النصف كما بينا في حد الزنا ۝ قوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا
يعني المحدودين في القذف لا تقبل شهادتهم ابدا واولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن طاعة
الله برميهن اياهن زورا وكذبا قوله تعالى الا الذين تابوا اي ندموا على قذفهم وعزموا على ترك
المعاودة واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم فان الله غفور لمن تاب منهم رحيم بمن تاب على التوبة
قال ابن عباس هذا الاستثناء لا يرجع الى الشهادة وانما يرجع الى الفسق وقال ان توبته
فيما بينه وبين الله مقبولة ۝ واما شهادته فلا تقبل ابدا وهو قول شريح والحسن وابراهيم والى
هذا ذهب ابو حنيفة واصحابه وذهب بعض العلماء الى ان الاستثناء راجع الى الفسق والى رد
الشهادة ويكون معنى قوله تعالى ابدا اي ما دام على القذف ولم ينته عنه ۝ واجمعوا جميعا
ان هذا الاستثناء لا يرجع الى الجلد وذلك يقتضي ان يكون مقصورا على ما يليه وهو الفسق ۝
واجمعوا ان المقذوفة اذا ماتت ولم يطالب بحد القذف ولم يحد القاذف ثم تاب فانه
يجوز قبول شهادته لان على اصلنا ان الحاكم اذا اقام الحد على القاذف فقد حكم بكذبه وابطل
حينئذ شهادته ولو جعل بطلان الشهادة حكما معلقا بسمة الفسق ولم يجعل حكما على حياله
مرتبا على الجلد لبطلت فايدة قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا من كتاب الله لان كل فاسق لا تقبل
شهادته الا بعد توبته عن الفسق ۝ قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا
انفسهم الاية وذلك ان الله سبحانه لما انزل الاية التي قبل هذه الاية في قذف المحصنات وشرط
فيها الاتيان باربعة شهداء والا جلد ثمانين جلدة قراها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على
المنبر فقال عاصم بن عدي الانصاري يا رسول الله جعلني الله فداك ارايت ان راى رجل منا
مع امراته رجلا على بطنها فان اراد ان يخرج من بيته فيجي باربعة شهداء قضى الرجل حاجته
وخرج وان هو عجل فقتله قتلتموه وان تكلم بذلك جلدتموه وان سكت سكت على غيظ شديد
فقال صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شاء اراد ان يقول شاهدا فاشار عليه جبريل بالسكوت
فامسك لئلا يتسارع احد من الرجال الى قتل ازواجهم وقال ابن عباس لما نزل والذين يرمون
ازواجهم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وقراها النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر
يوم الجمعة فقال عاصم بن عدي مقالته التي ذكرناها وقال يا رسول الله كيف لنا بالشهداء
ونحن اذا التمسناهم قضى الرجل حاجته وخرج وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وكانت له
امراة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما فقال لقد وجدت شريك بن سحماء على بطن امراتي

خولة فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الاخرى فقال يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بالسوال
الذي سالت في الجمعة الماضية في اهل بيتي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذاك قال يا رسول الله اخبرني
عويمر انه راى شريك بن سحما على بطن امراته خولة وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بني عم
عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعا فقال لعويمر اتق الله في زوجتك وحليلتك وابنة
عمك ولا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رايت شريكا على بطنها فقال صلى الله
عليه وسلم للمراة اتقي الله واخبرني بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمر رجل غيور وانه راني
وشريكا يتحدث فحملته الغيرة على ما قال ٥ وروى عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة قال سعد بن عبادة والله
لو اتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي ان اقتله ولا اهيجه ولا احركه حتى اتي باربعة
شهدا ولم ات بهم حتى يفرغ من حاجته ويذهب فان قلت بما رايت ضربتم ظهري ثمانين جلدة
فقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه يا رسول الله فانه
رجل غيور ما تزوج امراة قط الا بكرا ولا طلق امراة واجترى احد منا ان يتزوجها قال سعد بن
عبادة يا رسول الله بابي وامي انت والله اني لاعرف انها من الله وانها لحق ولكن عجبت من ذلك فقال
صلى الله عليه وسلم ان الله يابى الا ذلك فقال سعد صدق الله ورسوله فلم يلبثوا الا يسيرا حتى جا هلال
بن امية الواقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع اصحابه فقال يا رسول الله اني جيت اهلي عشا
فوجدت رجلا مع امراتي يزني بها رايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اتى به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال يا رسول الله اني لارى الكراهة في وجهك
لما اتيتك به والله يعلم اني لصادق وما قلته الا حقا واني لارجو ان يجعل الله لي فرجا فهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضربه الحد فاجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد بن عبادة
الان يجلد هلال فبينما هم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يامر بضربه اذ نزل عليه جبريل
فامسكوا عن الكلام حين عرفوا ان الوحي قد نزل فلما فرغ تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم الى اخر الايات فقال صلى الله عليه وسلم
ابشر يا هلال فان الله قد جعل فرجا فقال قد كنت ارجو ذلك من الله فقال صلى الله عليه وسلم ارسلوا
اليها فجات فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كذب علي يا رسول الله فقال هلال
والله يا رسول الله ما قلت الا حقا واني لصادق فقال صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان احدكما كاذب
فهل منكما تائب فقال هلال والله يا رسول الله ما كذبت فقال صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما
فقيل لهلال اشهد بالله اربع مرات انك لمن الصادقين فقال هلال اشهد بالله اني لمن
الصادقين فيما رميتها به قال ذلك اربع مرات فقيل له عند الخامسة اتق الله يا هلال
فان عذاب الدنيا اهون من عذاب الاخرة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس وان هذه
الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله ما يعذبني الله عليها
كما لم يجلدني عليها رسول الله فشهد الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فيما رماها به من الزنا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قيل للمراة اشهدي انت فقالت
اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
عند الخامسة اتقي الله فان الخامسة هي الموجبة وان عذاب الله اشد من عذاب الناس فتلكات

ساعة

ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا افضح قومي فشهدت الخامسة ان غضب الله عليها
ان كان من الصادقين فيما رماها به من الزنا ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان
الولد لها ولا يدعى لاب ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جات به كذا وكذا فهو لزوجها
وان جات به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجات به غلاما احمر كانه جمل اورق على الشبه
المكروه وكان بعد ذلك اميرا بمصر لا يدرى من ابوه ٥ وعلى القول الاول ان القصة
بين شريك بن سحما وعويمر قالوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمر بالملاعنة فقام فقال
اشهد بالله ان خولة بنت قيس زانية واني لمن الصادقين فيما رميتها به وقال في الثانية
اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين وقال في الثالثة اشهد بالله
انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين وكان عويمر قد اعتزلها اربعة اشهر لم يقربها
فظهر بها الحبل فعلم انه من غيره ثم قال في الخامسة ان لعنة الله على عويمر يعني نفسه
ان كان من الكاذبين فيما قال فامره النبي صلى الله عليه وسلم بالقعود وقال لزوجته قومي فقامت
فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وان عويمر لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد
بالله انه ما راى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني
حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد بالله ما راى علي فاحشة
قط وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة ان غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من
الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الايمان لكان لي في امرها
راي ولكان لي ولها شان ثم قال ان جات بالولد صهيبا اسمح يضرب الى السواد فهو
لشريك بن سحما وان جات به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به
قال ابن عباس فجات به اشبه خلق الله بشريك بن سحما ٥ وعن الضحاك عن ابن عباس قال لما
نزل قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الاية قال عاصم بن عدي يا رسول الله لو وجدت
على بطن امراتي رجلا فقلت لها يا زانية اتجلدني ثمانين جلدة الا ان اتي باربعة شهدا وان
مضيت لاربعة شهدا قضى الرجل حاجته ومضى فقال صلى الله عليه وسلم هكذا انزل يا عاصم
قال فخرج سامعا مطيعا فلم يصل الى منزله حتى استقبله هلال بن امية يسترجعه
فقال ما وراك قال شر وجدت شريك بن سحما على بطن امراتي خولة يزني بها فرجع معه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فبعث اليها فجات فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
ما تقولين قالت يا رسول الله ان شريك بن سحما كان ياتينا فينزل بنا فربما تركه زوجي عندي
وخرج ولم ينكر عليه من ليل ولا نهار فلا ادري انه الان ادركته الغيرة ام بخل علي
بالطعام فانزل الله تعالى اية اللعان والذين يرمون ازواجهم ولم يكن شهدا الا
انفسهم فاقامه النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر وقال له يا هلال انت الشاهد
انك رايتها تزني فقال اشهد بالله لقد رايته على بطنها يزني بها واني لمن الصادقين
اشهد بالله ما قربتها منذ اربعة اشهر وان حملها هذا الذي في بطنها من شريك بن سحما
واني لمن الصادقين اشهد بالله ما برئت منه ولا برئ منها واني لمن الصادقين الى ان قال

في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من ذلك فقال القوم
آمين فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ويحك ان كنت الممت بذنب فأقري به فان الرجم بالحجارة
في الدنيا أيسر عليك من غضب الله في الآخرة وان غضبه عذابه فقالت يا رسول الله كذب
فاقامها مقامه فقالت اشهد بالله ما انا بزانية وانه لمن الكاذبين ما رآه على بطني
اشهد بالله لقد بريت من الزنا وبرئ شريك بن سحماء مني وانه لمن الكاذبين اشهد
بالله لقد قربني منذ اربعة اشهر وان ما في بطني لهلال وانه لمن الكاذبين وقالت في الخامسة
ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ثم فرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
المتلاعنان لا يجتمعان ابدا قوله تعالى ويدرأ عنها العذاب اي يدفع عنها العذاب
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين وقرأ حفص والخامسة بالنصب كانه قال
وتشهد الخامسة وقرئ فشهادة احدهم اربع شهادات بالرفع في قوله اربع على انه
خبر المبتدأ وقرئ بالنصب على معنى فشهادة احدهم ان تشهد اربع شهادات قوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته محذوف الجواب تقديره لولا فضل الله عليكم ورحمته
لفضحكم بما ترتكبون من الفواحش ولعاجلكم بالعقوبة من غير امهال وليبين الصادق من
الكاذب فيقام الحد على الكاذب وان الله تواب حكيم اي تواب على من رجع عن معاصي
الله حكيم فيما فرض من الحدود قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا
لكم بل هو خير لكم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يخرج الى سفر اقرع بين
نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة
فاقرع بيننا في غزوة غزاها وهي غزوة بني المصطلق فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك بعدما انزل الحجاب وكنت احمل في هودجي وانزل فيه حتى اذا فصل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ورجع ودنونا من المدينة فلما كان ذات ليلة قمت حين
آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى الرحيل فلمست صدري
فاذا عقد قد انقطع وكان من جزع اظفاري فرجعت لالتمس عقدي وحبسني ابتغاؤه فاقبل
الرهط الذين كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون
اني فيه وكن النساء اذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام ولم يستنكر
القوم ثقل الهودج حين رفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا
ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت
منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم يفتقدونني فيرجعون الي فبينا انا جالسة
في مجلسي غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش
فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فاتى الي فعرفني حين رآني وقد كان
رآني قبل ان يضرب الحجاب فما استيقظت الا باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي
بجلبابي فوالله ما كلمني بكلمة غير استرجاعه فاناخ راحلته فوطئت على يدها وركبتها
وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعدما نزلوا وقت الظهيرة فهلك من هلك

ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم

رحلي

اظفاري

في شأني

في شأني وخاض عبد الله بن ابي وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
الاسدية في ذلك وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي بن سلول فقدمت المدينة
فاصابني مرض حين قدمتها شهرا والناس يخوضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشيء من
ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يزورني في وجعي لا ارى منه اللطف الذي كنت ارى منه
اذا مرضت من قبل ذلك انما كان يدخل ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا اشعر بالشر
حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج
الا من ليل الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف وامرنا امر العرب الاول في التبرز فانطلقت
انا وام مسطح وهي عاتكة بنت ابي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وامها بنت صخر
بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن عبد المطلب فاقبلنا حين فرغنا من شأننا
فبينا نحن في الطريق عثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت اتسبين
رجلا شهد بدرا قالت اي هنتاه اولم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فاخبرتني بقول اهل
الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلم ثم قال كيف تيكم قلت اتأذن لي ان آتي ابوي وانما قلت ذلك حينئذ لاتيقن الخبر من
قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت ابوي فقلت لامي يا اماه ماذا يتحدث الناس فقالت
اي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن
عليها قلت سبحان الله او قد تحدث الناس بهذا قالت نعم قال فمكثت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع
ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعلي بن ابي طالب حين
استلبث الوحي واستشارهما في فراق اهله فاما اسامة فاشار عليه بالذي يعلم من براءتها
وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم اهلك وما نعلم الا خيرا واما علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بريرة جارية عائشة فقال اي بريرة هل رأيت من شيء يريبك في امر عائشة قالت
والذي بعثك بالحق نبيا ما رأيت عليها امرا قط اغمصته عليها اكثر من انها حديثة السن تنام
عن عجين اهلها فتأتي الدجن فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن ابي
بن سلول وهو على المنبر فقال يا معاشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني اذاه في اهلي فوالله ما
علمت من اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا فقال سعد بن معاذ الانصاري يا رسول
الله انا اعذرك منه ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا امرك
فقام سعد بن عبادة الخزرجي وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت
لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال
لسعد بن عبادة كذبت انت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الاوس
والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخفضهم حتى سكتوا قالت عائشة
فبكيت يومي لا يرقأ لي دمع وابواي يظنان ان البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وانا
ابكي استأذنت علي امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك اذ دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس قالت ولم

٥ بجلس عندي منذ قيل لي ما قيل وقد لبثت شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء قالت فتشهد رسول
٥ الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة
٥ فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه
٥ ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه
٥ قطرة فقلت لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله
٥ فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
٥ وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم هذا حتى استقر
٥ في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت
٥ لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقوني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا ما قال أبو يوسف
٥ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا والله
٥ أعلم حينئذ أني بريئة وأن الله مبرئ براءتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى
٥ ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى
٥ الله عليه وسلم في منامه رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه
٥ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى تغشاه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي
٥ حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أمي قومي
٥ إليه فقلت والله ما أقوم إليه ولا أحمد إلا الله سبحانه الذي أنزل براءتي فأنزل الله عز وجل إن الذين
٥ جاءوا بالإفك عصبة منكم وهي عشر آيات فلما أنزل الله براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه وكان ينفق على
٥ مسطح لقرابته وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله تعالى
٥ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم قال
٥ أبو بكر بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي فأعاد إلى مسطح النفقة وقال لا أنزعها منه
٥ أبدا ٥ ثم إن الخبر بلغ إلى صفوان فقال سبحان الله والله ما كشفت قط كنف أنثى
٥ قتل شهيدا في سبيل الله وزاد في آخره قالت وقتل صفوان المعطل لحسان
٥ بن ثابت ضربه بالسيف وقال حس ضربه ٥

٥ تلقى ذباب السيف مني فإنني ٥ غلام إذا هوجيت لست بشاعر ٥

٥ ولكنني أحمي حمايي وأتقي ٥ من الباهت الرامي البراء الظواهر ٥

فصاح حسان واستعان بالناس على صفوان وحا حسان إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم استغاث به على صفوان في ضربته إياه فسأله النبي صلى الله عليه وسلم
أن يهب له ضربة صفوان إياه فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم فعوضه عنها حائطا
من نخل عظيم وجارية رومية فراع حسان ذلك الحائط من منعوته في ولايته
بمال عظيم ٥ وقال حسان بن ثابت في براءة عائشة ٥

٥ حصان رزان ما تزن بريبة ٥ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ٥
عقيلة حي من لؤي بن غالب ٥ كرام المساعي مجدها غير زايل ٥
حليلة خير الناس دينا ومنصبا ٥ نبي الهدى والمكرمات الفواضل ٥

٥ مهذبة قد طيب الله خيمها ٥ وطهرها من كل شين وباطل ٥
٥ فإن كان ما قد جاء عني قلته ٥ فلا رفعت سوطي إلي أناملي ٥
٥ فكيف ودودي ما حييت ونصرتي ٥ لآل رسول الله زين المحافل ٥
٥ له رتب عال على الناس فضلها ٥ تقصر عنها سورة المتطاول ٥

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رموا عائشة فجلدوا جميعا ثمانين ثمانين ٥
قوله يعني الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم وهم أربعة حسان ومسطح وعبد الله بن أبي سلول
وحمنة بنت جحش وقيل العصبة من الواحد إلى الأربعين والإفك في اللغة هو
الكذب وقوله لا تحسبوه شرا لكم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعائشة
وفي ما للمتهمين بالكبر والغم الشديد والمعنى لا تحسبوا شركم بل هو خير لكم لأنكم تؤجرون
على ما قيل لكم من الأذى وبما كتب لكم من الثواب في الآخرة على الصبر وعاتب الله سبحانه
طهارة عائشة وبراءتها بآيات تتلى في المحاريب إلى يوم العيد ٥ قوله تعالى لكل امرئ منهم ما
اكتسب من الإثم أي لكل أمرئ من الخائضين في هذا الأمر جزاء ما اكتسب من الإثم وقوله تعالى
والذي تولى كبره منهم أي تولى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وهو عبد الله بن أبي هو الذي
بالغ في إشاعة هذا الحديث وكان أهل النفاق يجتمعون عنده ويشيعون ذلك فأمر له بعذاب
عظيم يضعف في مقابلة كل عذاب يكون في الدنيا قرأ حميد الأعرج وتعوب كبره بضم الكاف
قال أبو عمرو بن العلاء هو خطأ لأن الكبر بضم الكاف في الوجه والسن ومنه الحديث الوجاء
للكبر ٥ وروى ابن أبي مليكة عن عائشة قالت في حديث الإفك بعد ما ذكرت واختصرت
بالزمام فمر رجل بالمنافق فقال عبد الله بن أبي بن سلول من هذه فقالوا عائشة
قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة بيسكم بانت مع رجل حتى أصبحت
ثم جاء يقود بها وشرع في ذلك أيضا حسان ومسطح وحمنة ثم قال تعالى
تعالى له عذاب عظيم يريد في الدنيا الجلد بما نيل حده وفي الآخرة يصيره الله إلى النار ٥
قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي هلا إذ سمعتموه أيها
العصبة الكاذبة أي هلا إذ سمعتم قذف عائشة بصفوان ظن المؤمنون والمؤمنات
من العصبة الكاذبة يعني حمنة بنت جحش وحسان ومسطحا بأنفسهم خيرا قال الحسن ما هلك
دينهم لأن المؤمن كنفس واحدة ألا ترى إلى قوله تعالى فسلموا على أنفسكم ولا تقتلوا أنفسكم
والمعنى هلا إذ سمعتم قذف عائشة ظن المؤمنون الذين هم كنفس واحدة في ما جرى عليها
من الأمور بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين أي كذب ظاهر بين ٥ وروي أن المراد بهذه
الآية أبو أيوب الأنصاري وامرأته أم أيوب قالت له يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول
الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب البين أتراك يا أم أيوب كنت تفعلين ذلك قالت لا
والله ما كنت أفعله قال فعائشة والله خير منك فسبحان الله هذا بهتان عظيم فأنزل الله
هذه الآية والمعنى هلا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا كما فعل أبو أيوب
وامرأته قالا أيظن خيرا ٥ وقوله تعالى لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء أي هلا جاء العصبة الكاذبة

على قذفهم عايشة باربعة شهدا يشهدون بانهم عاينوا منها ذلك فاذ لم ياتوا بالشهدا
فاولئك عند الله هم الكاذبون اخبر الله تعالى انهم كاذبون في قذفها يعني انهم كاذبون في الظاهر
والباطن وكفى بهذا براة لعايشة رضي الله عنها فمن جوز صدق اولئك في امر عايشة
صار كافرا بالله لا محالة لكونه رد شهادة الله لها بالبراة قوله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا منة
الله وانعامه عليكم في الدنيا والاخرة بتاخير العذاب عنكم وقبول التوبة لمن تاب
لمسكم فيما خضتم فيه من الافك عذاب عظيم هايل في الدنيا والاخرة لا انقطاع له ٥
قوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم قال الكلبي وذلك ان الرجل منهم كان يلقى الرجل فيقول
بلغني كذا وكذا ويتلقونه تلقا وقال الزجاج يلقيه بعضكم الى بعض وتقولون بافواهكم
ما ليس لكم به علم ولا بيان ولا حجة وتحسبونه هينا اي تظنون ان ذلك القذف سهل
لا اثم فيه وهو عند الله عظيم في الوزر والعقوبة قرا ابي اذ تتلقونه بتاين وقرات
عايشة اذ تلقونه بكسر اللام وتخفيف القاف من الكذب والولق الكذب يقال ولق فلان
اذا استمر على الكذب وولق فلان السير اذا استمر ٥ قوله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم
ما يكون لنا ان نتكلم بهذا معناه هلا قلتم حين سمعتم ذلك لا يحل لنا ان نتكلم بهذا وقوله سبحانك
اي تنزيها لله تعالى عن ان تكون امراة نبيه زانية ٥ وقوله تعالى هذا بهتان عظيم اي كذب عظيم
يقال بهته يبهته بهتا وبهتانا اذا اخبره بالكذب عليه وقوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مومنين اي ينهاكم الله ويخوفكم ويحرم عليكم ان تعودوا لمثل هذا القذف
ان كنتم مومنين لان قذف المحصنات لا يكون من صفات المومنين وقوله تعالى لمثله اي الى مثله
وقوله تعالى ويبين الله لكم الايات اي الامر والنهي والله عليم بمقالة الكاذبين في امر عايشة
حكيم فيما شرع من الاحكام قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم
عذاب اليم فيه بيان ان العزم على الفسق فسق وان على الانسان ان يحب للناس ما يحب لنفسه
وان يكون في قلبه سلامة للمومنين كما يكون مامورا بكف اللسان والجوارح ومعنى الاية
ان الذين يحبون ان يفشو ويظهر الزنا في الذين امنوا بان ينسبوه اليهم ويقذفوهم به لهم
عذاب اليم في الدنيا يعني الجلد والاخرة يعني عذاب النار يريد بذلك المنافقين والله يعلم
ما خضتم فيه من الافك وما فيه من سخط الله وانتم لا تعلمون ذلك فحد رسول الله
صلى الله عليه وسلم جميع قاذفي عايشة ٥ قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف
رحيم محذوف الجواب تقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب وعاقبكم
فيما قلتم في امر عايشة ومحبتكم اشاعة الفاحشة فيها وان الله رؤف رحيم اي رؤف
بكم رحيم فلم يعاقبكم في ذلك ٥ قال ابن عباس يريد مسطحا وحسان وحمنة قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا طرق الشيطان ولا تعملوا بتزيينه
ووسوسته في قذف عايشة ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر اي يامر بعصيان
الله وكل ما يكره الله مما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقيل الفحشا القبيح من القول
والعمل والمنكر الفساد الذي ينكر العقل صحته ويزجر عنه قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم

ورحمته

ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اي ما صلح منكم من احد ابدا وقيل معناه ما طهر منكم
احد من ذنب ولا صلح امره بعد الذي قال في عايشة ما قال ولا قبل توبة احد منكم
ابدا ولكن الله يزكي من يشا اي يطهر من يشا من الاثم بالرحمة والمغفرة فيوفقه للتوبة والله
سميع عليم اي سميع لمقالتكم عليم بما في نفوسكم من الندامة والتوبة وقيل معناه سميع لمقالة
الخايضين في امر عايشة وصفوان عليم ببراتهما ٥ قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
اي لا يحلف ذووا الغنا والسعة منكم ان يعطوا ذوي القرابة والمساكين والمهاجرين من مكة
الى المدينة نزل ذلك في ابي بكر رضي الله عنه حين بلغته مقالة مسطح واصحابه في خوضهم في امر
عايشة حلف بالله لا ينفق عليه قيل انه دعاه وقال له اغذوك يا مسطح بمالي وتوذيني في ولدي
والله لا انفق عليك ابدا وكان مسطح ابن خالة ابي بكر رضي الله عنه وكان مسطح من المهاجرين البدريين
فلما نزلت هذه الاية تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان
يغفر الله لي اطيع ربي وارغم انفي وارد النفقة عليه وقوله تعالى ان يوتوا اولي القربى معناه ان لا
يوتوا فحذف لا ٥ قال ابن عباس قال الله تعالى لابي بكر رضي الله عنه قد جعلت فيك يا ابا بكر الفضل
والمعرفة بالله وصلة الرحم وجعلت عندك السعة فتعطف على مسطح فله قرابة وله هجرة
وله مسكنة وقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم قال مقاتل قال النبي
صلى الله عليه وسلم لابي بكر اما تحب ان يغفر الله لك قال بلى قال فاعف واصفح قال قد عفوت
وصفحت لا امنعه معروفي ابدا بعد اليوم وقد جعلت له مثلي ما كان قبل اليوم قوله تعالى
ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات لعنوا في الدنيا والاخرة معناه ان الذين
يقذفون العفايف عن ما قذفن به كغفلة عايشة عن ما قيل فيها ٥ المومنات بالله ورسوله
لعنوا في الدنيا اي عذبوا في الدنيا بالحد وفي الاخرة بعذاب النار ٥ وسميت عايشة غافلة
لانها قذفت بامر لم يخطر ببالها واصاب كل واحد من قاذفيها داهية في الدنيا اما ابن
ابي فقد مات كافرا ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه ٥ واما حسان فقد دخل على
عايشة رضي الله عنها بعد ما ذهب بصره في اخر عمره وانشدها في بيتها ٥
٥ حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ٥
فقالت له انك لست كذلك فلما خرج من عندها قيل لعايشة ان الله وعدهم بعذاب في الدنيا
والاخرة فقالت اوليس هذا عذاب يعني ذهاب بصره ٥ واختلف المفسرون في هذه الاية
لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم فقال مقاتل هذه الاية خاصة في عبد الله بن ابي
المنافق ورميه عايشة وقال ابن جبير هذا الحكم خاصة فيمن قذف عايشة فمن قذفها
فهو من اهل هذه الاية وقال الضحاك والكلبي هذا في عايشة وفي جميع ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم خاصة دون ساير المومنات قال ابن عباس هذه الاية في شان امهات
المومنين خاصة ليس فيها توبة ٥ واما من قذف امراة مومنة من غيرهن فقد جعل الله
له توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا الى قوله الا الذين تابوا
قال فجعل الله لهولا توبة ولم يجعل لاوليك توبة ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من اشاع على رجل مسلم كلمة فاحشة وهو منها بري يريد ان يشينه بها في الدنيا كان حقا على الله
ان يذيبه بها في النار وايما رجل جا في شفاعة في حد من حدود الله تعالى فعليه لعنة الله
الى يوم القيمة قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون

قال الكلبي يشهد عليهم يوم القيمة ألسنتهم بما تكلموا به من الفرية في قذف عائشة وأيديهم وأرجلهم قال ابن عباس تنطق بما عملت في الدنيا وهذا عامة في القاذفين وغيرهم ◦ وابن حمزة والكسائي يوم يشهد بالياء لتقديم الفعل قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق أي يوفيهم جزاءهم على قدر أعمالهم ويعلمون أن الله هو الحق المبين أي ذو الحق المبين يقضي بحق ويأخذ بحق ويعطي بحق قال ابن عباس وذلك عند الله من أبي رسول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيمة أن الله هو الحق المبين وقرأ مجاهد يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على أنه نعت لله وقصد به قراءة أبي يوفيهم الله الحق دينهم وقوله هو المبين أي يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا قوله ◦ الخبيثات للخبيث معناه الكلمات الخبيثات للخبيث من الرجال أي لا يتكلم بالكلمات الخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيبات من الكلام إلا الطيب من الرجال والنساء وقيل معناه أن الخبيث من القول لا يليق إلا بالخبيث من الناس وكل كلام أنما يحسن على الإضافة فيضاف سيء القول إلى من يليق به ذلك وكذلك الجميل من القول وعائشة لا يليق بها الخبيثات لأنها طيبة فيضاف إليها طيبات الكلام من الثناء الحسن وما يليق بها وقال بعضهم معنى الآية الخبيثات من النساء للخبيث من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء وهذا بين ◦ عائشة رضي الله عنها قالت لقد أعطيت تسعا لم تعطهن امرأة غير أن كنت رأيت جبريل في راحته ◦ ما أعطيت إلا شهرا واحدا وكان يمكث عندي شهرا ◦ وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا ولم يتزوج بكرا غيري ◦ وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري ودفن في بيتي ونزل عليه الوحي وأنا وأبي في لحافه ◦ وأنا ابنة خليفته وصديقته ونزل عذري من السماء وخلقت طيبة لطيب ◦ ووعدت مغفرة ورزقا كريما ◦ قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها والإذن أمر بالتحفظ عن الهجوم على ما لا يؤمن من العورات وإلى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال للرجل الذي قال له أستأذن على أختي قال أفلا تستأذن إذا دخلت منها ما تكره أي إذا تدخل عليها وهي متكشفة فترى ما تكره ومعنى قوله حتى تستأنسوا أي حتى تستأذنوا ودليل الاستئناس هو الاستعلام ليعلم من في الدار وذلك يكون بقرع الباب أو التنحنح وحفق النعل وكان أبي بن كعب وابن عباس والأعمش يقرؤونها حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها وقيل إن الآية تقديم وتأخير تقديره حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وهو أن تقول السلام عليكم أأدخل ◦ وروي أن أعرابيا جاء إلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أألج فقال صلى الله عليه وسلم لخادمة له يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه فإنه لا يحسن يستأذن فقولي له تقول السلام عليكم أأدخل ◦ وعن زينب امرأة ابن مسعود أنها قالت كان عبد الله إذا رجع من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق وعن أبي أيوب قال قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كراهة أن يقعد على بيوتنا ويرى أمر أبكرهه ◦ وعن أبي أيوب قال قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الاستئناس نريد قوله تعالى حتى تستأنسوا قال يتكلم الرجل بالتكبيرة والتسبيحة والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت ◦ وروى أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه أتى إلى عمر رضي الله عنه فقال السلام عليكم أأدخل فلم يؤذن له ثم قال السلام عليكم هذا أبو موسى فلم يؤذن له ثم قال السلام عليكم هذا الأشعري فلم يؤذن له فذهب فوجه عمر في أثره فسأله عن صنيعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع فقال عمر رضي الله عنه لتأتيني على بينة والا عاقبتك فانطلق أبو موسى وأتاه بأبي سعيد الخدري فشهد له فقال له أبي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ولا تكونن عذابا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر وما علمت أنما سمعت شيئا فاجبت أن أتثبت ◦ وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمي قال نعم قال إنها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها وهي عريانة قال لا قال فاستأذن عليها ◦ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم حل لهم أن يفقؤوا عينه ◦ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى رجلا اطلع في حجرته وبيد النبي صلى الله عليه وسلم مدرى يحك به رأسه فقال لو علمت أنك تنظر لطعنت بها عينك ◦ إنما جعل الاستيذان من أجل النظر ◦ قوله تعالى لعلكم تذكرون أي لكي تذكروا ذلك الاستيذان خير لكم من الدخول بغير إذن لكي تذكروا ذلك ◦ وقوله تعالى فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وذلك لو كان معناه فإن لم تجدوا في البيوت أحدا من سكانها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وجدوا البيوت خالية لم يجز دخولها أيضا إلا الإذن صاحبها وقوله تعالى وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم أي إذا أمرتم بالانصراف فانصرفوا ولا تقفوا على باب المستأذن فلعل صاحب البيت لا يرضى أن يقع بصر المستأذن على أحد من حرمه وذلك لو لم يقل لكم صاحب الدار ارجعوا لكن في هذا ما يدل على ذلك وجب الرجوع أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم الاستيذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع وروي الاستيذان ثلاث مرة يستصغون ومرة يستصلحون ومرة يأذنون أو يردون ◦ وقوله هو أزكى لكم أي الرجوع أطهر وأنمى لدينكم من الجلوس على أبواب الناس والله بما تعملون عليم أي عالم تعملون من الرجوع بادرتم وغيره إذن عالم ◦ فلما نزلت آية الاستيذان قالوا فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فأنزل الله تعالى ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة لغير استيذان وقيل أراد بذلك المواضع التي لا تختص بسكناها أحد دون أحد مثل الخانات والرباطات التي تعد للمسافرين يستظلون فيها من الحر والبرد ويدخل في هذا أخذ ما جرت العادة بأخذه مثل النوى والخرق الملقاة في الطرق ويجوز أن يكون المراد بالبيوت في هذه الآية حوانيت التجار التي للاسواق وقوله تعالى فيها متاع لكم أي منافع مرافقا الحر والبرد والاستمتاع بها وقال مجاهد كانوا يصغون في طرق المدينة قبابا وامتعة في سوق ليس فيها أحد وكانت الطرق إذ ذاك آمنة فأحل لهم أن يدخلوها لغير أذن وقال عطاء معناه بالمتاع هو قضاء الحاجة من الخلاء والبول ◦ قوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون أي تخفي عليه من أعمالكم قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم أي قال لهم

يغضوا ابصارهم عن النظر الى ما لا يحل لهم واختلفوا في قوله تعالى من فقال بعضهم هي صلة
اي يغضوا ابصارهم وقيل هي ثابتة في الحكم لان المومنين غير مامورين بغض البصر اصلا وانما
امروا بالغض عن ما لا يحل قوله تعالى ويحفظوا فروجهم يعني عن الحرام قال صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي ستا
من انفسكم اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا وعدتم وادوا اذا ايتمنتم
واحفظوا فروجكم وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم وقال صلى الله عليه وسلم النظر الى محاسن
المراة سهم مسموم من سهام ابليس فمن رد بصره ابتغاء ثواب الله عز وجل ابدله الله بذلك ما يسره
قوله تعالى ذلك ازكى لهم اي اطهر واصلح عند الله ان الله خبير بما يصنعون في الفروج والابصار
قوله تعالى وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن اي قل لهن يكففن ابصارهن عما لا يجوز ويحفظن فروجهن
عن الحرام وقيل يحفظن فروجهن اي يستترن حتى لا يرى فروجهن احد وقوله تعالى ولا يبدين
زينتهن الا ما ظهر منها اي لا يبدين مواضع زينتهن الا ما ظهر من موضع الزينة والزينة زينتان
ظاهرة وباطنة فالباطنة المخانق والمعاضد والقلادة والخلخال والسوار والقرط والمعاصم
واما الزينة الظاهرة الكحل والخاتم والخضاب فليس على المراة بحكم هذه الاية ستر وجهها وكفيها
في الصلوة وفي غير الصلوة ويجوز للاجانب من الرجال النظر الى وجهها وكفيها لغير الشهوة فاما النظر مع
الشهوة فلا يجوز الا في اربعة مواضع اذا اراد ان يتزوج امراة او يشتري جارية او يتحمل الشهادة
لها او عليها او القاضي يقضي لها او عليها وعن ابن مسعود ان الزينة الظاهرة هي الجلباب والملاءة
يعني الثياب لقوله تعالى خذوا زينتكم اي ثيابكم وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر اذا غزلت ان تظهر الا وجهها
ويديها وقبض على الذراع قوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن الخمر جمع الخمار
وهو ما يغطي به المراة راسها
يسترن بذلك شعورهن

قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن اراد
في الصلوة والمعنى لا يظهرن مواضع الزينة التي الا لازواجهن
او ابائهن او ابا ازواجهن او ابنائهن او ابنا ازواجهن او اخوانهن في النسب او الرضاع او
بني اخوانهن وكل ذي رحم محرم منهن او نسائهن يعني نسا اهل دينهن وهن المسلمات ولا يحل
لمسلمة ان تتكشف بين يدي يهودية او نصرانية او مجوسية او مشركة وقيل المراد بذلك
العفايف من النسا اللاتي يكن اشكالا لهن ولا ينبغي للمراة الصالحة ان تنظر اليها المراة
الفاجرة لانها تصفها عند الرجال فلا تضع جلبابها ولا خمارها عندها ولا يحل لامراة
مومنة ان تتكشف ايضا عند امة مشركة او كتابية الا ان تكون امة لها فذلك قوله تعالى او ما
ملكت ايمانهن وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى ابي عبيدة اما بعد فقد بلغني ان نسا
يدخلن الحمامات منهن نسا اهل الكتاب فامنع من ذلك فلما اتى الكتاب الى ابي عبيدة قام في ذلك
المكان مبتهلا وقال اللهم ايما امراة دخلت الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود الله
وجهها يوم تبيض الوجوه قوله تعالى
فان الى ان المراد به العبيد
لا يغرنكم قوله او ما ملكت ايمانهن فانها نزلت في الاما دون العبيد وعن مجاهد مثل ذلك عند محارمها وكان سعيد بن المسيب يقول
كانهما ذهبا الى ان المراد بقوله او نسائهن الحرائر والمراد بقوله او ما ملكت ايمانهن الاما

والولايد

٥٩

والولايد والصغار من الذكور من المماليك قوله تعالى او التابعين غير اولي الاربة من الرجال
يعني الذين يتبعون النسا من الاجرا العمال الذين لا حاجة لهم في النكاح وانما يخدمون القوم
لينالوا من طعامهم والاربة فعلة من الارب وهو الحاجة كالمشية من المشي قال الحسن هم
قوم طبعوا على غير شهوة لا يشتهون ولا يعرفون ما يشتهي من النسا ولا يشتهيهم النسا
يعني لا يشتهون ولا يشتهون وقال سعيد بن جبير هم المعتوهون وقال عكرمة هم
المجبوبون وقال الحكم بن ابان هم المخانيث الذين لا ارب لهم في النسا ولا تقوم لهم شهوة
وعن عائشة رضي الله عنها ان مخنثا كان يدخل عليهن وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فسمعه
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول في صفة امراة انها اذا اقبلت اقبلت باربع واذا ادبرت
ادبرت بثمان فقال صلى الله عليه وسلم او هذا الخبيث يعرف هذا الكلام لا اراه يدخل عليكن
وقال مجاهد وعكرمة والشعبي هم الذين لا ارب لهم في النسا وقال قتادة هو الذي يتبعك
لاجل ان يصيب من طعامك ولا همة له في النسا وقال مقاتل هو الشيخ الهرم الذي لا
يستطيع غشيان النسا ولا يشتهيهن واما الخصيان فهم على وجهين ان كان خصيا
قد جف ماوه فهو من غير اولي الاربة وان كان لم يجف فهو من اولي الاربة كما روي عن عائشة
انها قالت ان الخصا مثلة وانه لا يحل ما حرم الله قوله تعالى غير اولي الاربة قرا اكثر القرا
بخفض غير على الصفة للتابعين وقرا ابن عامر وعاصم بنصبه على الاستثنا ويكون غير
بمعنى الا وقيل على الحال قوله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا يعني الصغير
الذي لا رغبة له في النسا ولم يبلغ مبلغا يطيق اتيانهن وقد يذكر الطفل بمعنى الجماعة
والمراد به ههنا او الجماعة من الاطفال واما الصبي الذي قد ظهرت له رغبة في النسا
فحكمه حكم البالغ لقوله صلى الله عليه وسلم في الصبيان مروهم بالصلوة اذا بلغوا سبعا واضربوهم
عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع قوله تعالى ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما
يخفين من زينتهن قال الحسن كانت المراة تمر على المجلس وعليها الخلخال فتضرب احدى
رجليها بالاخرى ليعلم القوم ان عليها الخلخال فنهين عن ذلك لان ذلك مما يحرك الشهوة لان سماع
صوت الزينة بمنزلة ابدا الزينة وفي هذا دليل ان صوت المراة عورة لان صوت خلخالها
اقل من صوتها واما ما سوى مواضع الزينة فلا يحل النظر اليه الا للزوج خاصة
قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون اي توبوا الى الله عما كنتم تعملون في الجاهلية
من الخصال المذمومة واعملوا بطاعة الله فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم تفلحون وقوله تعالى
ايها المومنون قرا ابن عامر بضم الها ومثله يايها الساحر وايها الثقلان وينبغي ان لا
يوخذ بقراته قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم اي زوجوهم والايم
اسم للمراة التي لا زوج لها والرجل الذي لا امراة له يقال رجل ايم وامراة ايم كما يقال
رجل بكر وامراة بكر وقال الشاعر فان تنكحي انكح وان تتايمي مدا الدهر ما لم تنكحي اتايم
ويقال الايم في النسا كالعزب في الرجال وجمع الايم الايامى قوله تعالى والصالحين من عبادكم
وامائكم اي زوجوا عبيدكم واماكم وهذا امر ترغيب واستحباب وفائدة ذكر الصالحين
ان المقصود من النكاح العفاف والصالح هو الذي يتعفف وقيل الصلاح ههنا الايمان ثم
رجع الى الاحرار فقال ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله حث على النكاح لئلا يمتنعوا منه

بسبب الفقر فان الله هو المغني ۝ والمغني ان يكونوا فقرا لا سعة لهم في التزويج يغنهم الله من فضله
اي يوسع عليهم عند التزوج واختلفوا في الاية قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الاية فقال بعضهم هذا الامر
على الحتم والايجاب اوجب الله النكاح على من استطاعه وتاولها الباقون على انه امر استحباب
وندب وهو المشهور الذي عليه الجمهور وقيل يجب على المراة والرجل ان يتزوجا اذا تاقت انفسهما
اليه لان الله تعالى امر به ورضيه وندب اليه وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تناكحوا تكثروا فاني
اباهي بكم الامم حتى بالسقط وقال صلى الله عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي وهو النكاح لانه
ينتفع بدعا ولده من بعده ومن لم تتق نفسه اليه فاحب الينا ان يتخلا لعبادة الله ۝ وعن ابي
نجيح السلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ما يتزوج به ولم يتزوج فليس منا
وقال صلى الله عليه وسلم من ادرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فاحدث اثما قالا ثم
بينهما ۝ وقال صلى الله عليه وسلم اذا تزوج احدكم عج الشيطان يا ويله عصم ابن ادم مني ثلثي
دينه وقال صلى الله عليه وسلم مسكين مسكين رجل ليست له زوجة مسكينة مسكينة امراة ليس
لها زوج قالوا يا رسول الله وان كانت غنية من المال قال وان كانت غنية من المال ۝ وقال شراركم
اعزابكم وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يلعنهم الله من فوق عرشه رجل يحصر نفسه عن النساء
فلا يتزوج وهو يقدر على ذلك ولا يتسرا خشية ان يولد له ۝ ورجل تشبه بالنسا وامراة
تشبهت بالرجال ورجل يتهزا بالمساكين يقول لهم تعالوا حتى اعطيكم فاذا اتوه قال لهم
ليس معي شي ويقول للاعمى احذر الحجر قبلك او احذر الدابة وليس قبله شي ۝ وروي ان رجلا
يقال له عكاف بن وداعة الهلالي جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا عكاف الك زوجة
قال لا قال ولا جارية قال لا قال وانت صحيح موسر قال نعم والحمد لله قال تزوج فانك من
اخوان الشيطان اصنع ما يصنع المومنون فان من سنتنا النكاح شراركم اعزابكم وما
للشيطان سلاح ابلغ من النسا ويحك يا عكاف انهن صواحبات يوسف وصواحبات داود
وصواحبات كرسف قالوا يا رسول الله ومن كرسف قال رجل كان يعبد الله على ساحل
من سواحل البحر ثلثين عاما يصوم النهار ويقوم الليل لا يفتر فقدر عليه ان كفر والعياذ بالله من
سبب امراة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة ربه وتداركه الله عز وجل بعد ذلك بما سلف
منه ويحك يا عكاف تزوج فانك من المذبذبين قال زوجني من شيت يا رسول الله فزوجه على
امراة يقال لها كريمة بنت كلثوم الحميري ۝ وعن عياض بن غنم الاشعري قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة وقال صلى
الله عليه وسلم تزوجوا الابكار فانهن اعذب افواها وانتق ارحاما واثبت مودة وارضى باليسير
واذا اراد احدكم ان يتزوج امراة فيسال عن شعرها كما يسال عن وجهها فان الشعر احد
الجمالين وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الزرق فان فيهن يمنا اي سعادة ۝ وعن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم نسا امتي بركة اصبحهن وجها واقلهن مهرا ۝
وقال صلى الله عليه وسلم اعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف وليولم احدكم عليه ولو بشاة ۝
وعن معاذ بن جبل قال حضرت ملاك رجل من الانصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب
النبي صلى الله عليه وسلم واملك الانصاري ثم قال له على الالفة والخير والطير الميمون فجاوا بسلال
فيها فاكهة وسكر فلم ينتهبوه فقال صلى الله عليه وسلم الا تنتهبون قالوا يا رسول الله انك نهيتنا
عن النهبة يوم كذا وكذا فقال انما نهيتكم عن نهبة العساكر ولم انهكم عن نهبة الولايم ثم

قال

قال الا فانتهبوا ۝ وقال صلى الله عليه وسلم مسوا بالاملاك فانه افضل في اليمن واعظم في البركة ۝
وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان عندي جارية من الانصار في حجري فزوجتها فدخل النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يسمع غنا فقال يا عايشة الا تغنون عليها فان هذا الحي من الانصار يحبون الغنا ۝
قوله تعالى ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله قال صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكى
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر فقال عليك بالباة وقال عمر رضي الله عنه ابتغوا الغنا
في النكاح فالله تعالى يقول ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم اي واسع لخلقه عليم
بهم ۝ قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله اي ليطلب الذين
لا يجدون نكاحا العفة عن الزنا والحرام والمعنى من لا يجد سعة للنكاح من مهر ولا نفقة
ولا يجد شيا يشتري به امة فليتعفف عن الزنا حتى يجد ما يكفيه لذلك وفي هذا بيان
انه لا عذر لاحد في السفاح ۝ قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا معناه الذين يطلبون الكتابة من عبيدكم وامايكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم
رشدا وصلاحا وصدقا ووفا وامانة وقدرة على الكسب وهذا امر استحباب في العبد
الذي يقدر على الاكتساب ويرغب في الكتابة ۝ فاما الذي لا يقدر على الكسب او لا يرغب
في الكتابة فلا يكون في كتابته الا قطع حق المولى عنه من غير نفع يرجع اليه ومعنى الكتابة
ان يكاتب مملوكه على مال يسلمه اليه نجوما فيعتق باداية وان كانت الكتابة حالة جاز
عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا يجوز الا منجما واقله نجمان فصاعدا قوله تعالى
واتوهم من مال الله الذي اتاكم ۝ اختلفوا في معنى ذلك فروي عن علي رضي الله عنه انه قال يحط
عن المكاتب ربع الكتابة وعن ابن عباس يحط عنه شي ۝ وعن عبد الله بن زيد الانصاري انه قال
هذا خطاب للايمة ان يسلموا الى المكاتبين ما فرض الله لهم في قوله تعالى وفي الرقاب وهذا
اقرب الى ظاهر الاية لان الايتا في اللغة هو الاعطا دون الحط قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم
على البغا ان اردن تحصنا قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي بن سلول كانت له
جواري حسان مسيكة واميمة ومعاذة كان يكرههن على الزنا ليكتسبن له بالفجور
وكذلك كان اهل الجاهلية يصنعون فاتت الجواري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون
اليه ذلك فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في ست جواري لعبد الله بن ابي بن سلول
وهن معاذة ومسيكة واميمة وعمرة وقتيلة واروى فجاته احداهن ذات يوم بدينار
وجات اخرى ببردة وقال لهما ارجعا فازنيا وكان يوجرهن على الزنا فلما جا الاسلام قالت
معاذة لمسيكة ان هذا الامر الذي نحن فيه قد ان لنا ان ندعه فقال لهما عبد الله بن ابي بن سلول
امضيا فازنيا فقالتا والله ما نفعل ذلك قد جا الله بالاسلام وحرم الزنا ثم مضتا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشكتا عليه فانزل الله هذه الاية ومعناها ولا تكرهوا اماكم على البغا اي على
الزنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا من كسبهن وبيع اولادهن وقوله تعالى ان اردن تحصنا يعني
اذ اردن تحصنا خرج الكلام على وجه الحال لا على الشرط ونظيره قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق ويجوز ان يكون معناه ان الكلام قد تم عند قوله على البغا ثم ابتدا بالشرط فقال
ان اردن تحصنا وجوابه محذوف تقديره ان اردن تحصنا فقد اصبن ومثله قوله صلى الله عليه وسلم
لعايشة ادفيني قالت اني حايض فقال صلى الله عليه وسلم وان ولم يزد عليه واراد بذلك
وان كنت حايضا فلا باس بذلك ومعنى قوله تعالى ان اردن تحصنا اي اردن تعففا وتزويجا ۝

قوله ومن يكرههن اى من يجبرهن على الزنا ولا تقدر المكرهة على الدفع عن نفسها
بوجه من الوجوه ليم تاثم وان صبرت على الامتناع حتى قتلت كان اعظم لاجرها وان قتلت
دفعا عن نفسها كان شهيدة كذلك وقوله فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اى غفور لمن تاب
منهن ومات على التوبة وغفور لمن تاب من اكراههن على الزنا رحيم بهن ۞ قوله تعالى ولقد
انزلنا اليكم اٰيات مبينات اى انزلنا اليكم القرآن اٰيات ظاهرات واضحات لتعملوا بها وقيل
يعنى بذلك ما ذكر في هذه السورة من الحلال والحرام وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اى
وانزلنا فيها مثلا اى خبر من اخبار الذين مضوا من قبلكم لتعتبروا وموعظة للمتقين عن السرك
والفواحش ۞ قوله الله نور السموات والارض اى الله هادى اهل السموات واهل الارض بالاٰيات
المبينات لا هادى لهم غيره فبنوره الخلق يهتدون وبهداه من الضلالة يحذرون وقال الحسن
ملك يدبر السموات والارض وقال الضحاك معناه الله منور السموات والارض وقال
مجاهد معناه الله مدبر الامور في السموات والارض وقال الحسن وابو العالية الله مزين
السموات والارض يعنى مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبياء
والعلماء والمومنين قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابن عباس مثل نوره الذى
اعطاه المومنين وقال السدى مثل نور الذى في قلب المومن وكان ابى بن كعب يقرا مثل نور المومن
وقيل كان يقرا مثل نور امرء وقوله تعالى كمشكاة فيها مصباح المشكاة في لغة الحبشة
كوة غير نافذة والمصباح هو السراج في القنديل من الزجاجة الصافية وقيل المشكاة
عمود القنديل الذى فيه الفتيلة وقال مجاهد هي القنديل وقال الزجاج النور في الزجاج
وصوله الى ما بين منه وكل شيء وضوء يزيد في الزجاج ويتضاعف حتى يعظم منه ما يقابله
مثله ۞ قوله تعالى فيها مصباح اى سراج واصله من الضوء ومن ذلك الصبح ورجل صبيح الوجه
اذا كان وضيا وفرق قوم بين المصباح والسراج فقالوا المصباح دون السراج والسراج
اعظم من المصباح لان الله تعالى سمى الشمس سراجا وقال في غيرها من الكواكب ولقد زينا السما
الدنيا بمصابيح ثم وصف الله الزجاجة التي فيها المصباح فقال الزجاجة كانها كوكب
دري شبه القنديل الذى يكون فيه السراج بالكوكب الدرى وهو الشديد الضوء والبياض
كبارك وقوله تعالى دري نسبه الى انه كالدر في صفائه وحسنه كان الكوكب درء يضا فرا
ابو عمرو والكسائي دري بكسر الدال مهموز ممدود وهو فعيل من الدرء بمعنى الدفع يعالج
درايدرا اذا دفع فكانه رمى الشياطين بالرجوم التي يدفع ابصار الناظرين اليه ويقال كانه رجم به الشياطين
فدراهم اى دفعهم بسرعة في الانقضاض وذلك اضوا ما يكون وقرا حمزة وابو بكر مضموم الدال
مهموز ممدود وقال اكثر النحاة هو لحن لانه ليس في كلام العرب شيء على هذا الوزن وقرا
الباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همز فنسبوه الى الدر في صفائه وبهائه ۞
قوله تعالى توقد من شجرة مباركة فيه اربع قراآت قرا نافع وابن عامر بيا مضمومة يعنون المصباح وقرا حمزة
والكسائي وخلف تا مضمومة يعنون الزجاجة وقرا ابو عمرو وتوقد بالتا وفتحها وفتح الواو مشددا بمعنى
الماضي وقرا ابن محيصن تا مفتوحة وتشديد القاف مثل قراءة ابي عمرو الا انه رفع الدال بمعنى الفعل الماضي
بمعنى تتوقد الزجاجة قوله تعالى من شجرة مباركة اى من زيت شجرة مباركة فحذف المضاف واراد بالشجرة
المباركة شجرة الزيتون يورك لها فيها ولعل الشجرة شيء يورى عصنه من اوله الى اٰخره مثل الزيتون
والرمان قوله تعالى لا شرقية ولا غربية اى ليست تشرق عليها الشمس فقط من دون ان تغرب عليها
ولا غربية تغرب عليها فقط من دون ان تشرق عليها بل هي شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين جميعا
لا يظلها جبل ولا شجر ولا اكمة بحيث يحول بين الارض وبين وقوع الشمس عليها في جميع النهار واذا
كان على هذه الصفة كان انضرها واجود لزيتها واتم لضيائها واصح لثمرها وقال الحسن اراد
بهذه الشجرة شجرة في الجنة لان اشجار الدنيا لا تخلو اما ان تكون شرقية او غربية ۞ وسميت شجرة الزيتون مباركة
لانها كثيرة البركة والمنافع لانه ما من نبي الا وقد دعا لها بالبركة وهو ادام ودهان ووقود يخطب بها ويدهن بها ويغسل
برمادها الابريسم ۞ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة
مباركة قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اى يكاد زيت هذه الشجرة ودهنها يتلالا ويشرق
من روعة الشمر وصفايه وان لم تصبه نار اى وان لم يوقد عليها فكيف اذا استصبح به قال المفسرون
هذا مثل للمومن فالمشكاة والمصباح هو الايمان والقران والزجاجة صدر المومن ومعنى قوله يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار اى يكاد قلب المومن يعمل بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاءه العلم ازداد به تمسكا
على هدى وقيل المشكاة والزجاجة صدره والمصباح الايمان والقران في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي
الاخلاص قوله تعالى نور على نور يريد هو نور السراج ونور الزجاج ونور الدهن ونور الكوكب فكان
الزيت والسراج والزجاج والكوكب نور على نور في مشكاة لاشرقية ولا غربية لشعاع السراج فيها وكذلك
الايمان في قلب المومن نور على نور وقال في المعراة في قلبه نور وصدره نور وسمعه نور وبصره نور وكلامه
نور وعمله نور واذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا قال صدق واذا حكم عدل فهو يتقلب في الانوار ومصيره
يوم القيمة الى النور كما قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وباٰيمانهم وقيل هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى
الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة وهي شجرة
النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم يضيء اى يبين للناس ولو لم يكلم به كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو
لم تمسسه نار وقال ابن عمر في هذه الاٰية المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح
النور الذى جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية اى لا يهودي ولا نصراني يوقد من شجرة مباركة يعنى بالشجرة
ابرهيم الخليل عليه السلام نور على نور يعنى النور الذى جعل في ابرهيم والنور الذى جعل في محمد صلى الله عليه وسلم
وقال محمد بن كعب المشكاة ابرهيم والزجاجة اسمعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم سماه الله مصباحا
كما سماه سراجا فقال عز وجل وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وقوله تعالى توقد من شجرة مباركة يعنى ابرهيم
سماه مباركا لان اكثر الانبياء كانوا من صلبه لا شرقية ولا غربية يعنى ان ابرهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وانما قال الكتب لان النصارى يصلون قبل المشرق واليهود قبل المغرب
وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يعنى يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان يوحى

اليه وقوله تعالى نور على نور اي نور نبي من نسل نبي ۝ وقال الضحاك يعني بالمشكاة عبد المطلب شبهه
بها ويعني بالزجاجة عبد الله وبالمصباح النبي صلى الله عليه وسلم كان في صلبهما فورث النبوة من
الشجرة المباركة وهي ابرهيم توقد من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية بل هي مكية في وسط الدنيا ۝
ووصف بعض الفصحا هذه الشجرة فقال هي شجرة الرضوان وشجرة الهدى والايمان اصلها نبوة وفرعها
مروة واغصانها تنزيل وورقها تاويل وخدمها ميكال وجبريل ۝ وقيل انما شبه الله قلب المومن بالزجاجة
لان ما في الزجاجة يرى من خارجها فكذلك ما في القلوب يبين على الظاهر في الاعمال والاقوال بالزجاجة
وكما ان الزجاجة تنكسر بادنى شي فكذلك القلب يفسد بادنى افة تحله ۝ وقوله تعالى يهدي الله لنوره
من يشا اي يوفق الله للاسلام ويدل بادلته من يشا ليعرفوا بذلك امر دينهم قوله تعالى ويضرب الله الامثال
للناس اي يضرب الله الاشباه للناس في القران تقريبا للشي الذي اراده الى الافهام وتسهيلا لسبيل
الادراك على الانام كما شبه المعرفة في قلب المومن بالمصباح في الزجاجة وقوله تعالى والله بكل شي عليم
اي عليم بكل شي من مصالح العباد ۝ قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع يعني ذلك المصباح في بيوت وقيل
معناه توقد في بيوت وهي المساجد اذن الله في رفعها يعني في رفع بنايها كما قال تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد
من البيت ويستدل بهذه الاية انه لا يوذن في رفع شي من الابنية فوق الحاجة غير المساجد التي يصلي فيها
المومنون ويستضي بنور قناديلها العابدون وقال الحسن معنى قوله اذن الله ان ترفع اي تعظم وتصان
عن الانجاس واللغو من الاقوال والافعال وعن التكلم بالخنا ويذكر فيها اسمه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراكم وسل سيوفكم واقامة حدودكم وجمروها
في الجمع واجعلوا على ابوابها المطاهر ۝ قال ابن عباس المساجد بيوت الله عز وجل في الارض وهي تضي لاهل
السما كما تضي النجوم لاهل الارض ۝ قوله تعالى ويذكر فيها اسمه اي ويذكر في المساجد اسم الله تعالى وتوحيده وقوله
تعالى يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال اي تصلي لله تعالى في تلك البيوت الصلوات المفروضة بالغدو اي
صلاة الغداة وقوله تعالى والاصال يعني العشيات والاصيل ما بين العصر الى الليل وسميت الصلاة
تسبيحا لاختصاصها بالتسبيح وقرا ابن عامر يسبح بفتح البا على ما لم يسم فاعله ثم فسر من يصلي فقال
رجال كانه قيل من يسبح فقيل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اي لا تشغلهم تجارة ولا بيع
عن طاعة الله وعن اقامة الصلاة في تلك البيوت وعن اعطا الزكوة قال الفرا التجارة لاهل الجلب
والبيع ما باعه الرجل على يده وخص قوم التجارة هنا بالشرى لذكر البيع بعدها والمعنى لا تشغلهم
ذلك عن حضور المساجد لاقامة الصلوات واتمامها واذا حضر وقت الزكاة لم يحبسوها عن وقتها ۝
قوله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار اي يفعلون ذلك خوفا من يوم ترجف فيه القلوب
وتدور حدق العيون حالا بعد حال من الفزع والخوف رجا ان يجزيهم الله احسن ما عملوا في دار الدنيا
ويزيدهم من فضله بغير استحقاق والله يرزق من يشا بغير حساب اي بغير حصر ولا نهاية قوله تعالى
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ما حتى اذا جاه لم يجده شيا معناه ان اعمال الكفار قد
احبطوها بكفرهم كسراب بارض مستوية ملسا يظنه العطشان ما يرجو به النجاة حتى اذا جا ذلك
السراب ليشرب فيجي لم يجده مايل راى ارضا بيضا لا ما فيها فييس ويتحير كذلك الكافر في عمله
ييس في الاخرة عن عمله الذي كان يعمله ويعتقده برا ينقطع عنه طمعه عند شدة حاجته اليه
ثم يجد ضد ذلك من العقاب كما قال تعالى ووجد الله عنده اي عند عمله يعني قدم على الله فوفاه حسابه
اي جازاه بعمله والسراب هو الشعاع الذي يترائى للعين وقت الهاجرة في الفلوات كانه ما وليس بما
والقيعة جمع قاع نحو جار وجيرة وهو ما انبسط من الارض وفيه تكون السراب وقيل معناه ان الكافر

يحسب

٦٢

يحسب ان عمله يغني عنه او ينفعه فاذا اتاه الموت واحتاج الى عمله لم يجده شيا اي لا
منفعة فيه ووجد الله عنده بالمرصاد عند ذلك فوفاه جزا عمله والله سريع الحساب اي حسابه
سريع كلمح البصر او اقل لانه تعالى لا يتكلم بالة حتى يشغله سمع عن سمع وسيل علي رضي الله عنه كيف يحاسبهم
في حالة واحدة فقال كما يرزقهم في حالة واحدة قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه
موج هذا تخيير في المثل والمعنى ان مثل اعمال الكفار ايضا في الدنيا ومثل قلوبهم في حياتهم في
الدنيا كمثل ظلمات في بحر لجي اي عميق كثير الما يعلوه موج ومن فوق ذلك الموج موج ومن فوق الموج
الاعلا سحاب وهذا حد الكلام ثم ابتدا فقال ظلمات بعضها فوق بعض اراد به ظلمة البحر
وظلمة الموج الادنا وظلمة الموج الاعلا وظلمة السحاب وظلمة الليل قال المفسرون اراد
بالظلمات اعمال الكفار وبالبحر اللجي قلب الكافر وبالموج ما يغشى عليه من الجهل والشك والحيرة
وبالسحاب الرين والختم والطبع على قلبه قال ابي بن كعب في هذه الاية الكافر يتقلب في خمس من
الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة وقلبه ظلمة ومصيره يوم القيمة الى
ظلمة كما قال تعالى ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا وقوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي اذا اخرج
يده من هذه الظلمات لم يرها ولم يقارب ان يراها من شدة الظلمات فكذلك الكافر لا يبصر الحق والهدى
وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اي من لم يهده الله فما له من ايمان ومن لم يجعل الله له نورا في
الدنيا فما له من نور ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلقني من نوره وخلق ابا بكر من
نوري وخلق عمر وعايشة من نور ابي بكر وخلق المومنين من امتي من نور عمر وخلق المومنات من امتي من نور
عايشة فمن لم يحبني ويحب ابا بكر وعمر وعايشة فما له من نور فنزل عليه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ۝
قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض من العقلا وغيرهم والطير صافات معناه الم تعلم
ان الله يسبحه اي ينزهه من في السموات والارض من العقلا وغيرهم وكنى عن الجميع بكلمة من تغليبا للعقلا
على غيرهم ويقال اراد بالاية العقلا وهذا عموم اريد به الخصوص في اهل الارض وهم المومنون وقوله تعالى
والطير صافات اي وتسبح له الطير باسطات اجنحتها في الهوا والصف في اللغة هو البسط ويسمى
القديد صفيفا لانه يبسط وخص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السما والارض وهي خارجة
عن جملة من في السموات والارض ۝ قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه اي كل من هولا قد علم الله صلاته
وتسبيحه قال المفسرون الصلاة لبني ادم والتسبيح عام لما سواهم من الخلق وفيه وجوه من التاويل
احدها كل مصل ومسبح قد علم الله تعالى صلاته وتسبيحه والثاني ان معناه كل مصل ومسبح قد علم صلاة
نفسه وتسبيح نفسه والثالث قد علم كل منهم تسبيح الله وصلاته والله عليم بما يفعلون من الطاعة
وغيرها وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض اي له تقديرهما وتدبيرهما وتصريف احوالهما والى الله المصير ۝
قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا اي ينشيه ويسوقه سوقا رفيقا قطعا قطعا ثم يولف بينه اي يجمع بين
قطع السحاب المتفرقة والسحاب جمع واحده سحابة والتاليف ضم بعضها الى بعض حتى يجعله قطعة واحدة
قوله تعالى ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق يخرج من خلاله اي فترى المطر يخرج من وسطه

واثنايه والخلال جمع الخلل مثل الجبال والجبل والليث الودق المطر كله شديده
وهيئته وخلال السحاب مخارج القطر منه وقرا ابن عباس والضحاك من خلاله وقوله ع وينزل من
السماء من جبال فيها من برد اى من جبال فى السماء وتلك الجبال من برد قال ابن عباس اخبر
الله ان فى السماء جبالا من برد ومفعول الانزال محذوف تقديره وينزل من السماء بردا من جبال
برد فيها وانما حذف تعويلا على دلالة علم ومن الاولى لابتداء الغاية لان ابتداء الانزال من السما
والثانية للتبعيض لان ما ينزله الله بعض تلك الجبال التى فى السماء والثالثة لتبيين الجنس لان
جنس تلك الجبال كما تقول خاتم من حديد ٥ وكان عمر رضى الله عنه يقول جبال السماء اكثر من جبال
الارض وقوله ع فيصيب به من يشاء اى فيصيب بالبرد من يشاء اهلاكه وهلاك زرعه ويصرفه عمن
يشاء ولا يضره فى زرعه وثمرته وقوله ع يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اى يكاد ضوء برق السحاب
يذهب بالابصار من شدة ضوءه وبريقه ولمعانه لان من نظر الى البرق خيف عليه ذهاب البصر
قرا ابو جعفر يذهب بالابصار بضم الياء ولنا فى الهاء قولان ٥ يعالى يقلب الله الليل والنهار اى يقلبهما فى
الذهاب والزيادة والنقصان ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار اى ان فى ذلك التقليب وما ذكر لعبرة
لذوى العقول من الناس ٥ يقال فلان صاحب نظر اى صاحب عقل وقوله ع والله خلق كل دابة من ماء
اى من النطفة من الذكر والانثى والحيوان ما اعجب لانه ليس شئ الا وهو اشد طوعا من الماء لان
الماء لا يمكن امساكه بيده ولا ان يثنى عليه او يتخذ منه شئ والمعنى فى انه خلق كل حيوان يشاهد فى الدنيا
ولابد حمل الحى والمملكة فى هذا لانا نشاهدهم وقوله تعالى فمنهم من يمشى على بطنه كالحيات والهوام والحيتان
وانما قال فمنهم من تغليبا للعقلاء ولو كان لما لا يعقل لقال شئ ما يمشى على بطنه ٥ ومنهم من يمشى على
رجلين كالانسان والطير ومنهم من يمشى على اربع كالبهائم والسباع ٥ والدابة اسم لكل حيوان من تمييز
او غيره وقوله ع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ظاهر المعنى قرا الكوفيون غير عاصم والله خالق
على الاسم وقوله ع لقد انزلنا اى بينات معجزات يعنى القرآن هو المبين للهدى والاحكام والله يهدى من يشاء
الى صراط مستقيم اى يرشد من يشا الى دين الاسلام الذى هو دين الله وطريق رضاه وجنته وقوله ع
ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك يعنى المنافقين يقولون صدقنا بتوحيد
الله وبالرسول محمد صلى الله عليه وسلم واطعنا فيما حكما ثم يتولى فريق منهم اى يعرض طائفة منهم من بعد ذلك
اى من بعد قولهم امنا وما اولئك الذين اعرضوا عن حكم الله ورسوله بالمؤمنين وقوله ع واذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم سمعناه واذا دعوا الى كتاب الله وسنة رسوله ليحكم بينهم الرسول فيما اختصموا فيه اذا
فريق منهم معرضون عن ما يدعون اليه ورد هذه الاية فى بشر المنافق وخصمه اليهودى حين اختصما
فى ارض فحمل اليهودى يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وحمل المنافق يجره الى كعب الاشرف
يقول الذى يحمل انى خيف علينا ان ذلك لعوقه ع واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون
عن الكتاب والسنة وقوله ع وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين يعنى ان يكن لهم القضاء على غريمهم ياتون
الى النبى صلى الله عليه وسلم مسرعين مطيعين سامعين لحكمه والاذعان الاقرار مع خضوع الانقياد له وقال
الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة وقوله تعالى فى قلوبهم مرض امرتابوا ام يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ وذلك اشد ما يكون فى الذم كما جاء فى المبالغة
فى المدح ٥ الشتم خير من ركب المطايا وانذى العالمين بطون راح ٥ يعنى اى ذلك وقوله ع
امرتابوا اى اشكوا فى القرآن ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله الحيف هو الميل فى الحكم والظلم

بل

فائدة لغوية

البَرَدُ

بل اولئك هم الظالمون لانفسهم باعراضهم عن الحق ٥ وقوله ع انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا نصب قول على خبر كان واسمها ان يقولوا سمعنا واطعنا
وذلك ان عليا رضى الله عنه باع من عثمان رضى الله عنه ارضا بالمدينة لاينابها المسجد فاتبعه عثمن فقد موا
عثمن على ما صنع وقالوا له لا تذهب فى خصومتك مع على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
يحكم له فلم يقبل منهم عثمن وتكلما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لعلى رضى الله عنه فاقام عثمن
ان يرضوا بقضايه فقال عثمن رضى الله عنه سمعنا واطعنا اى سمعنا قولك يا رسول الله واطعنا امرك
ورضينا حكمك وقضيتك وان كان ذلك فيما يكرهونه ويضرهم ٥ وقوله ع واولئك هم المفلحون يعنى
الراضين بقضاء الله ورسوله للما نزل هذه الاية اقبل عثمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله والله ليس شئ اخرج من ارضى كلها الى املكها واد فعها اليه فانول الله ع ومن يطع
الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم لتخرجن معناه
ومن يطع الله ورسوله فيما شاه وسره ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بعد فلم يعص
الله فاولئك هم الفائزون برضى الله وجنته ٥ وقوله ع واقسموا بالله جهد ايمانهم اى حلفوا
بالله وما الغوا فى القسم لئن امرتهم لتخرجن من اموالهم كله لفعلوا ولهم لا تقسموا اى لا تحلفوا وترك الكلام
ههنا ثم قال طاعة معروفة اى هذا القول منكم يعنى القسم طاعة حسنة وقال بعضهم هذه الاية
نزلت فى المنافقين كانوا حلفوا لئن امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالخروج الى الجهاد ليخرجن ولم يكن فى نيتهم
الخروج فقيل لهم لا تقسموا طاعة معروفة امثل منكم ما لا تصدقون وقوله ع ان الله خبير بما تعملون
يعنى علم ما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ثم قال تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم اى ان اعرضوا عن طاعة الله
وطاعة رسوله فانما على الرسول ما حمل من التبليغ واداء الرسالة وعليكم ما حملتم من الطاعة وان
تطيعوه تهتدوا اى تصيبوا الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين اى ليس عليه الا ان يبلغ ويبين
لكم قوله ع وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض نزلت هذه الاية
فى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فانهم وعدوا بالنصر والتمكين بعد ما كانوا مدة قبل الهجرة لا يمكنهم اظهار الاسلام ولا اذن لهم فى القتال
ولذلك بعد ما هاجروا الى المدينة واتتهم الانصار من العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون الا
مع السلاح ولا يصبحون الا فيه فجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اهكذا حالنا
ابدا فانزل الله هذه الاية وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض اى ليورثنهم
ارض المشركين من العرب والعجم كما استخلف بنى اسرائيل بارض مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة بها وورثهم
ارضهم وديارهم وجعلهم شكانا وملوكا وقوله ع وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم اى وليوسعن لهم فى
البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على جميع الاديان وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقوله ع يعبدوننى لا يشركون
فى موضع نصب على الحال اى لا فعلن ذلك فى حال عبادتهم وقوله ع ومن كفر بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون وقوله ع واقيموا الصلوة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ظاهر المراد وقوله
ع لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض اى لا تحسبن كفار مكة يا محمد فائتين عذاب الله او فوتونا هربا
فقدرة الله ع محيطة بهم وماواهم النار ولبئس المصير قوله ع يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت

وليوسعن

ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات اي ليستاذنكم في الدخول عليكم عبيدكم واماوكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي من احراركم من الرجال والنسا والمعنى ليستاذنكم عبيدكم واماوكم
والذين لم يبلغوا الحلم من صغار اولادكم من الاحرار في الدخول عليكم في ثلثة اوقات من الليل
والنهار يكون الغالب فيها كشف العورات من بين الاوقات الثلاثة فقال من قبل صلاة الفجر
اي وقت القيام من المضاجع والتهيي للصلاة بالطهارة وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة وهو وقت
القيلولة ومن بعد صلاة العشا اراد به بعد العشا الاخرة وهذه الاوقات الثلاثة ثلث عورات
لكم لان الانسان يضع ثيابه في العادة ○ من قرا ثلث عورات بالرفع فمعناه هذه الاوقات الثلاثة عورات
لكم ومن قرا ثلث بالنصب جعله بدلا من قوله ثلث مرات قال السدي كان اناس من الصحابة يعجبهم ان يواقعوا
نساهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا الى الصلاة فامرهم الله تعالى ان يامروا الغلمان والمملوكين
ان يستاذنوا في هذه الثلث الساعات ○ قوله تعالى ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي لا جناح عليكم
ولا عليهم في ان لا يستاذنوا في غير هذه الاوقات الثلاثة يعني الخدم والغلمان جناح اي حرج بعدهن
اي بعد مضي هذه الاوقات وقوله تعالى طوافون عليكم اي هم طوافون عليكم يدخلون ويخرجون ويذهبون
ويجيئون ويترددون في احوالهم واشغالهم بغير اذن يريد انهم خدمكم فلا باس ان يدخلوا في غير
هذه الاوقات بغير اذن ○ قال مقاتل معناه يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الموالي وقوله تعالى
كذلك يبين الله لكم الايات اي كما بين لكم الدلالات والاحكام في امر الاستيذان والله عليم بمصالح
العباد حكيم فيما حكم من استيذان الخدم في تلك الاوقات الثلاثة دون ساير الاوقات ○ قوله تعالى واذا
بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا معناه اذا بلغ الاطفال من احراركم وعبيدكم فليستاذنوا
في جميع الاوقات وفي عموم الاحوال كما استاذن المذكورون من قبلهم على ما بينه الله في كتابه
يعني بقوله كما استاذن الذين من قبلهم الاحرار الكبار الذين امروا بالاستيذان على كل حال في قوله
حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها فليس للعبد البالغ ان يدخل منزل مولاه ولا للولد البالغ
ان يدخل على امه وعلى ذات محارمه في كل وقت الا باذن ○ قوله تعالى والقواعد من النسا اللاتي لا
يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة معناه والقواعد من النسا
اللاتي قعدن عن الحيض من الكبر وهن العجايز اللاتي لا يردن النكاح لكبرهن فليس عليهن حرج في ان
يضعن ثيابهن يعني الجلباب والردا والقناع الذي فوق الخمار لا كل الثياب وقوله تعالى غير متبرجات
بزينة التبرج هو ان تظهر المراة محاسنها من وجهها وجسدها والمعنى من غير ان يردن
بوضع الجلباب ان ترى زينتهن قال مقاتل ليس لها ان تضع الجلباب تريد بذلك ان تظهر
قلادتها وقرطها وما عليها من الزينة وقوله تعالى وان يستعففن خير لهن معناه وان يستعففن
فلا يضعن الجلباب والملاءة والقناع فهو خير لهن من ان يضعن والله سميع لمقالة العباد عليم
باعمالهم [illegible] المراة قاعد اذا قعدت عن الحيض فاذا اردت قاعدة بالقيام اراد به جالسة والجمع فيهما
جميعا قواعد قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وذلك ان المسلمين
كانوا اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم المفاتيح ويقولون لهم قد احللنا لكم ان تاكلوا
مما في بيوتنا وكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل الله تعالى قوله تعالى لا تاكلوا اموالكم

بينكم

بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم فنزلت هذه الاية رخصة لهم ومعناها نفي الحرج
عن الزمنا في اكلهم من بيوت اقاربهم او بيت من يدفع اليهم المفتاح اذا خرج للغزو وخلفه يحفظ ماله
لانهم كانوا يتحرجون ان ياكلوا ما يحفظونه فاعلمهم الله تعالى انه لا جناح عليهم في ذلك وذهب الحسن
الى ان معنى الاية ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج في ترك الخروج الى الجهاد ○
قوله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي ولا حرج عليكم في ان تاكلوا من بيوتكم اراد بها بيوت
ابنايهم ونسلهم وانما اضاف بيوت الابنا اليهم لانهم من انفسهم كما قال صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك ○
ولهذا انه لم يذكر بيوت الابنا فقال او بيوت ابايكم او بيوت امهاتكم ولم يقل او بيوت ابنايكم فعلم ان المراد
بقوله ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اي بيوت ابنايكم وازواجكم وبيت المراة كبيت الزوج قوله تعالى
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم ○
اخرج الكلام على وفق العادة لان الغالب من حال هولا انهم تطيب انفسهم بذلك فجاز الاكل من بيوتهم
بغير اذن لدلالة الحال فاما اذا علم ان صاحب البيت لا تطيب نفسه بذلك لم يحل له ان يتناول شيا
من ذلك قوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه يعني بيوت عبيدكم وامايكم وذلك ان السيد يملك بيت عبده ○
والمفاتح معناها الخزاين كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب اي خزاين الغيب ○ وقيل معناه المفاتح التي
تفتح بها الخزاين يعني بذلك الوكلا والامنا والعبيد الذين يملكون امر الخزاين وتكون مفاتحها بايديهم
ليس عليهم في الاكل جناح اذا كان الاكل يسيرا مثل ان ياكل من تمر حايط يكون قيما عليه او يشرب من لبن ماشية
يكون قيما عليها وقال السدي الرجل يولي طعامه غيره يقوم عليه فلا باس ان ياكل منه وقوله تعالى او صديقكم يعني
صديقا يسره ان تاكل من طعامه وانما اطلقه على عادة الصحابة رضي الله عنهم كما روي في سبب نزول هذا ان
مالك بن يزيد والحرث بن عمرو كانا صديقين فخرج الحرث غازيا وخلف مالك بن يزيد في اهله وماله وخزاينه
فلما رجع من الغزو راى مالكا مجهودا فقال ما اصابك فقال لم يكن عندي شي ولم يحل لي ان اكل من مالك فنزل
قوله تعالى او صديقكم قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا سبب نزول هذا ان بني كنانة وهم حي
من العرب كان الواحد منهم يجوع اياما ولا ياكل حتى يجد ضيفا ياكل معه واذا لم يجد احدا لم ياكل شيا
وربما كانت معه الابل محفلة فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاعلم الله تعالى ان الرجل منهم اذا اكل وحده
فلا اثم عليه ومعنى اشتاتا متفرقين ويستدل من هذه الاية ان للجماعة في السفر ان يخلطوا طعامهم فياكلوا جميعا
او ياكل كل واحد منهم من زاده ولا حرج عليهم في ذلك والغرض من هذه الايات نفي الحرج عن ما تطيب به الانفس ○
وعن ابن عباس رضي الله عنه في سبب نزول هذه الايات ان الله تعالى لما انزل قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنا والعميان والعرج وقالوا قد نهانا الله عن اكل المال
بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطيب من الطعام والاعرج لا يستطيع المزاحمة والمريض لا يستوفي حقه
من الطعام فانزل الله هذه الايات والمعنى ليس عليكم في مواكلة الاعمى والاعرج والمريض حرج وقال
الضحاك كان العرجان والعميان يتنزهون عن مواكلة الاصحا لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم
وكان اهل المدينة لا يخالطهم في طعامهم اعمى ولا اعرج ولا مريض تقذرا فانزل الله هذه الايات ○
قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض لان المومنين
كنفس واحدة وقيل هذا في دخول الرجل بيت نفسه والسلام على اهله ومن في بيته قال قتادة اذا دخلت

بيتك فسلم على اهلك فهم احق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين ومن السنة اذا دخل الرجل بيت نفسه ان يسلم على اهله فانه يزداد بذلك بركة
في بيته واهله قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلكم واذا طعمتم طعاما فاذكروا اسم
الله عليه فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته واذا ذكر اسم الله على طعامه قال لجنده من الشياطين
لا مبيت لكم ولا عشاء وان لم يسلم حين يدخل بيته ولم يذكر اسم الله على طعامه قال الشيطان لجنده
ادركتم العشاء والمبيت قوله تعالى تحية من عند الله اي افعلوا ذلك تحية امركم الله بها لكم فيها البركة
والمغفرة والثواب ۝ كذلك يبين الله لكم الايات اي هكذا يبين لكم الدلالات والاحكام لعلكم تعقلون اي
لكي تعقلوا ۝ قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى
يستاذنوه في الاية ثنا على المؤمنين واذا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على امر جامع اي في امر طاعة يجتمعون
عليه نحو الجمعة وصلاة العيدين والجهاد واشباه ذلك لم يذهبوا حتى يستاذنوه قال المفسرون كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقوم
بحيال النبي صلى الله عليه وسلم حيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن يشاء منهم قال مجاهد واذن
الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله نزل في
عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجوع من غزوة تبوك الى المدينة لعلة كانت به
قوله تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم قيل ان هذا منسوخ بقوله تعالى عفا الله عنك لم
اذنت لهم وقوله تعالى واستغفر لهم الله اي استغفر لهؤلاء المستاذنين اذا استاذنوك لعذر بهم ان الله
غفور للناس رحيم بهم ۝ قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي ادعوه بالخضوع
والتعظيم وقولوا يا رسول الله ويا نبي الله في لين وتواضع وخفض صوت ولا تقولوا يا محمد ويا ابا القسم
كما يدعو بعضكم بعضا باسمه ۝ قوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا اراد به المنافقين كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب الناس يوم الجمعة عابهم في خطبته وسماهم رجسا فاذا سمعوا ذلك نظروا
يمينا وشمالا فان ابصرهم احد لم يقوموا وان لم يبصرهم احد قاموا فخرجوا من المسجد يتسللون والتسلل
الخروج في خفية واللواذ ان يستتر بعضهم ببعض ثم يمضي يقال لاوذت بفلان ملاوذة ولواذا قال
ابن عباس هو ان يلوذ بغيره فيهرب من المسجد من غير استيذان قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان
تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة اي ليحذر الذين يعرضون عن امر الله تعالى ويخالفون في امره
ان تصيبهم فتنة اي يصيبهم عذاب اليم في الاخرة اي بلية او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة قوله تعالى الا ان لله
ما في السموات والارض اي له كل ذلك ملكا وقدرة واحاطة قد يعلم ما انتم عليه اي قد يعلم ما
يبديه كل متكلم وما يخفيه وقوله تعالى ويوم يرجعون اليه معناه يعلم ما انتم عليه من الايمان والنفاق
ويعلم يوم يرجعون اليه يعني يعلم يوم يبعثون متى هو فينبئهم به بما عملوا اي يخبرهم ويجزيهم بما عملوا
في دار الدنيا والله بكل شيء عليم من اعمال العباد وغير ذلك ۝ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي ۝

سورة الفرقان

مكية وهي ثلثة الاف وسبعمائة وثلثة وثلثون حرفا والف وثمانمائة
واثنان وتسعون كلمة وسبع وسبعون اية ۝ قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان دخل الجنة بغير
حساب ۝ بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده اي عظمت وكثرت بركات الله والبركة هي الخير الكثير وقيل معناه تبارك اي تعالى

وقوله

وقوله تعالى الذي نزل الفرقان اي الذي نزل جبريل بالقران على عبده محمد صلى الله عليه وسلم
ليكون للعالمين نذيرا اي معلما بموضع المخافة والفرقان هو البيان الذي يفرق به بين الحق
والباطل ويزجر عن القبائح ويدعو الى المحاسن ويعني بالعالمين الجن والانس قوله تعالى الذي
له ملك السموات والارض اي لله خزائن السموات والارض والقدرة على اهلها ولم يتخذ
ولدا كما قالت اليهود والنصارى والمشركون ولم يكن له شريك في الملك فيعاونه على ملكه
وخلق كل شيء فقدره تقديرا اي قدر طوله وعرضه ولونه ورزقه واجله قوله تعالى والذين
اتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون معناه واتخذ كفار مكة من دون الله الهة
يعبدونها وهي الاصنام لا يقدرون ان يخلقوا شيئا وهم ينحتون ۝ ما من شيء يكون من ذهب او فضة او
صفر او خشب الا والله خالقها ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا اي لا تملك الاصنام لانفسها دفع
ضر ولا جر نفع لانها جماد لا قدرة لها ولا تملك موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا تملك ان تميت احدا ولا
ان تحيي احدا ولا تملك بعثا للاموات فكيف يعبد هؤلاء من لا يقدر على ان يفعل شيئا من هذا ويتركون
عبادة ربهم الذي يملك ذلك كله يقال انشر الله الاموات فنشروا اي احياهم فحيوا ۝ قوله تعالى وقال
الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون اي قال الذين كفروا ما هذا القران الا كذب
اختلقه محمد من تلقاء نفسه واعانه على اختلاقه قوم اخرون من اهل الكتاب يعنون جبرا مولى لقريش
ويسارا ابا فكيهة مولى لبني الحضرمي وعداسا مولى لحويطب بن عبد العزى كان هؤلاء يقرؤون التوراة
قبل ان يسلموا فلما اسلموا راوا التوراة تشبه القران وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بهم ويتعاهدهم
فمن ذلك قال الكفار واعانه عليه قوم اخرون قوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا اي قال الكفار
هذه المقالة شركا وكذبا حين زعموا ان القران ليس من الله والمعنى فقد جاءوا بظلم وزور في ما قالوا
فلما سقطت الباء افضى اليه الفعل فنصبه والزور وضع الباطل في موضع الحق ۝ قوله تعالى وقالوا
اساطير الاولين اي قال النضر بن الحرث واصحابه هذا القران احاديث الاولين في دهرهم كما كنت
احدثكم عن الاعاجم اكتتبها محمد اي انتسخها من عداس وجبر ويسار فهي تقرا عليه بكرة واصيلا
اي امر ان تكتب له فهي تقرا عليه غدوة وعشيا ليحفظها قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض لا يخفى عليه اي قل لهم يا محمد انزل القران الذي يعلم السرائر في السموات
والارض لا يخفى عليه شيء فيهما انه كان غفورا لمن تاب وامن رحيم بمن مات على التوبة قوله تعالى وقالوا ما
لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق اي قال المشركون على وجه الذم والتعيير للنبي صلى
الله عليه وسلم ما لهذا الرسول ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الطرق كما نمشي لطلب المعيشة والمعنى
انه ليس بملك ولا ملك لان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون والملوك لا يتسوقون وقالوا هلا انزل عليه
ملك يكون معه شريكا في النبوة او يلقى اليه كنز ينتفع به او تكون له جنة ياكل منها اي من ثمارها
يعني بستانا ياكل من ثمره ومعنى قوله تعالى او يلقى اليه كنز اي ينزل اليه مال ينفقه ولا يحتاج الى طلب
المعاش وقوله تعالى ياكل منها قرا حمزة والكسائي وخلف بالنون اي ناكل نحن من جنته وقال الظالمون
ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي قال المشركون للمؤمنين ما تتبعون الا رجلا مخدوعا مغلوبا على
عقله قد سحر وازيل عنه الاستواء قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا معناه انظر يا محمد

كيف ضربوا لك الامثال يعني مثلوم بالمسحور والمحتاج وضل بمعناه انظر كيف وصفوا
لك الاشباه انك ساحر وكاهن وكذاب وشاعر ومجنون فضلوا عن الصواب والهدى واخطوا
في التشبيه فلا يستطيعون سبيلا الى طلاحدوك طريقا الى الزام الحجة ولا مخرجا لانفسهم باثبات
العذر في ترك الايمان ٥ وذلك انهم جعلوا تعذرهم في ذلك اشياء ليست بعذر اما اكل الطعام فانه
كان في الرسل قبله فلم يكن ذلك عذرا في ترك الايمان بهم ولو انزل ملكا لكان يحتاج الى ان ينزل من السما
ويتردد في الارض ليبلغ الرسالة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولو جعل الملك
شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم معاونا له في الانذار اذى ذلك الى استصغار كل واحد منهما وانه لا
يكون واحد منهما قائما بنفسه واذا الرسالة واما الكنز فانه قد وجد مع كثير من الفراعنة
ولم يوجب ذلك اتباعهم وعدم مع كثير من الانبيا الذين اقترحوا عليهم بر سالتهم وكذلك الجنات ولان
الانبيا صلوات الله عليهم انما يبعثون لتزهيد الناس في الكنوز والجنان وترغيبهم في الاخرة
فكيف يجوز ان يمنعوا الناس عن ذلك ويشغلوا انفسهم ٥ وقوله يعني مثال العذر اشاحل لك خيرا من
ذلك جنات تجري من تحتها الانهار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ملك انزل من السما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يخيرك بين ان يعطيك خزائن كل شيء ومفاتيح كل شيء لم يعطها احدا قبلك ولا يعطيها احدا
بعدك من غير ان ينقصك شيئا مما ادخر لك في الاخرة وبين ان يجمعها لك في الاخرة فقال صلى الله عليه وسلم
بل يجمعها لي في الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم خيرني جبريل بين ان اكون نبيا ملكا وبين ان اكون نبيا
عبدا اشبع يوما واجوع يوما احمدك الله اذا شبعت وافتقر اليه اذا جعت فكان صلى
الله عليه وسلم اذا اكل جلس جلسة العبد ويحصف النعل ويرقع الثوب ويركب الحمار العاري
ويردف خلفه وكان قد اعتاد ذكر الدنيا عن نفسه ويتوارى اعجابا كل المحب للمصدق بدار الخلود
وهو عمل الدار الغرور ومعنى الاية تبارك ربنا ان شاء يجعل لك خيرا مما قالوا في الدنيا من جنان وقصور
وان شاء يجعل لك قصورا في الدنيا ان يوشا جعل لك افضل من الكنز والبستان الذي ذكروا
ويجعل لك جنات تجري من تحتها الانهار في الدنيا لانه قد شاء ان يعطيه في الاخرة ٥
وقوله ويجعل لك قصورا من قرأ بالجزم كان المعنى ان شاء جعل لك جنات ويجعل لك قصورا في الدنيا
وانما جعل ذلك له لكمة التي اوجبت ذلك وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم ويجعل بالرفع على
الاستيناف بمعنى ويجعل لك قصورا في الجنة في الاخرة ٥ والقصور هي البيوت المشيدة سميت
القصر لانه قصر وامنع من الوصول اليه ٥ وعن ابن عباس قال الماير المشركون برسول الله
صلى الله عليه وسلم بالفاقة فقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لطلب المعاش
تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فنزل جبريل عليه السلام مقرئا اياه فقال له يا رسول الله ربك يقرئك
السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق لطلب
المعاش في الدنيا فبينما جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ افتقد رضوان خازن الجنان فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سفط من نور مثله فقال يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويقول
لك هذه مفاتيح خزائن الدنيا مع ما انه لا ينقص لك مما ادخر لك في الاخرة جناح بعوضة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لجبريل مستشيرا ما ترى يا رضوان لا حاجة لي فيها العفو احب الي

وان اكون عبدا صابرا شكورا وجاء من السما فرفع جبريل راسه فاذا السموات قد فتحت
ابوابها الى العرش واوحى الله الى جنان عدن ان تدلى اعصانها واذا عرفه من زبرجدة خضرا لها
سبعون الف باب من ياقوتة حمرا فعال جبريل ما جهد رفع بصرك فرفع فرأى منازل الانبيا وعرفهم واذا
له منازل قد فضل بها من دونهم واذا منادي ينادي ارضيت يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم قد رضيت ٥
وقوله بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا معناه لا يستطيعون سبيلا الى الزام
الحجة واثبات العذر وكيف كذبوا بالساعة واعتدنا بالمكذب بقيام الساعة نارا مستعرة اذا رأتهم
النار من مكان بعيد من مسيرة خمسمائة عام سمعوا للنار غليانا وتغيظا كتغيظ بني ادم وصوتا كالزفير
عند شدة التهابها واضطرابها واما قال اذا رأتهم وهم يرونها على معنى انها كانها تراهم رؤية العضبان
الذي يزفر غيظا فيقال انها لتزفر زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه ٥ وقوله واذا القوا
منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا قال ابن عباس ضيق عليهم كما تضيق الزج في الرمح قال صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم ليستكرهون كما يستكره الوتد في الحائط والمعنى اذا طرحوا في جهنم في مكان
ضيق من النار مقرنين اي مغللين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل معناه مقرنين باقرانهم من الجن
والانس يقولون واثبورا ه والهلاكاه وفي الخبر انهم اذا القوا على باب جهنم وتضايق عليهم كتضايق الزج
في الرمح فيدعون هنالك الويل والثبور فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فان سبب الثبور دايم
لا ينقطع ٥ وقوله قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي قل اذلك المسعر والعذاب خير ام جنة
الخلد التي وعد المتقون وهذا على طريق التعجب والتبعيد له على طريق الاستفهام لانه ليس في السعير خير ٥
وقوله كانت لهم جزاء ومصيرا اي كانت الجنة للمتقين جزاء ومرجعا في الاخرة لهم فيها ما يشاؤن خالدين
اي لهم في جنة الخلد ما يشاؤن كان ذلك الخلود وعدا على ربك وعدا مسؤلا وذلك ان المؤمنين سالوا ربهم في الدنيا
حين قالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك يعني الذي اعطاه الله للمؤمنين جنة الخلد وعدا واجبا وذلك
ان المسؤل واجب وان لم يسأل كالدين وبطيء قول العرب لمن اعطيك الفا وعدا مسؤلا يعني انه واجب
كان تسأله وقيل معنى الوعد المسؤل ان الملكة تسأل لهم ذلك يقولون ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
وقوله يوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله يعني كفار مكة وسائر المشركين ممن كان يعبد غير الله يعني الذين
يعبدون الملكة وعزيرا وعيسى والاصنام فيقول الله للكفار لم اذا عبدتم غيري فيقولون لانهم امرونا
بعبادتهم فيقول الله للملكة ولعيسى ولعزير على وجه التبكيت والتقريع للكفار انتم اضللتم عبادي هؤلا حتى
عبدوكم او انتم امرتموهم بعبادتكم ام هم ضلوا السبيل واخطأوا الطريق هو كما في نفسه ويطيرها قوله تعالى
واذ قال الله يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقوله تعالى قالوا سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء اي قالوا تنزيها لك من ان نعبد غيرك وما ينبغي لنا ولعابدينا ان نتخذ من
دونك من اولياء فكيف يجوز لنا ان نامرهم بعبادتنا ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر اي تركوا ذكرك ولكن طولت
اعمارهم وامهلتهم في الكفر حتى اغتروا بذلك وتركوا التوحيد والطاعة ونسوا القرآن وكانوا قوما بورا
اي هلكى فاسدين القلوب ٥ والبور هو الهلاك والماير الفاسد والدرس الباير هي الى عز وجل عن

الزراعة وقيل معناه وكانوا قوما بورا اى فاسدين هالكين وقد غلب عليهم الشقاء والخذلان
ومنه بوار السلعة والايم اذا كسدا او فسدا قرا ابو جعفر وابن كثير ويعقوب ويوم
نحشرهم بالياء وقوله ع ما كان ينبغي ان تتخذ قرا الحسن وابو جعفر نتخذ بضم النون وفتح الخاء
وقوله ع فقد كذبوكم بما تقولون اى بما لكم للكفار حينئذ فقد كذبوكم بما تقولون اى لكم المعبودون
بقولكم الهتهم شركائه ومن قرا بما يقولون بالياء فالمعنى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دونك اولياء قال عكرمة والضحاك والكلبي ياذن الله للاصنام في الكلام وتخاطبها
فيقول انتم اضللتم عبادي هؤلاء اى امرتموهم بعبادتكم ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اولياء ولكن متعتهم واباءهم اى اطلت اعمارهم ورسعت عليهم
الرزق حتى نسوا الذكر اى تركوا القرآن فلم يعملوا بما فيه وقيل حتى نسوا الايمان والتوحيد
وكانوا قوما بورا يقول الله للمشركين بعد تكذيبكم بما تقولون وقوله ع فما يستطيعون صرفا ولا نصرا
اى لا يقدرون على صرف العذاب عن انفسهم ولا على نصر انفسهم ودفع العذاب والبلاء الذي هم
فيه ولا ان ينتصروا من معبوديهم وقوله ع ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا اراد بالظلم الشرك
اى ومن يشرك بالله منكم نذقه في الاخرة عذابا شديدا وقوله ع وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا
انهم لياكلون الطعام ومشون في الاسواق اى ياكلون كما انت ومشون في الاسواق وهذا الاحتجاج
عليهم في قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ومشي في الاسواق قوله ع وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
اى بليّة ابتلى الشريف بالوضيع والغني بالمولى فاراد الشريف ان يسلم وراى الوضيع قد اسلم
قبله انف وقال اسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقعد عن اسلامه وصنع عن الاسلام
فذلك افتتان بعضهم ببعض وقال الكلبي وقيل الفتنة ههنا هي العداوة التي كانت بينهم في الدين
وما كان المؤمنون يقول مراد الكفار اتصبرون ايها المؤمنون على اذاهم حتى تصلوا الى ثواب
الصابرين فاصبر بعضكم لبعض فتنة يقول الفقير لو شاء الله اغناني مثل فلان ويقول السقيم
لو شاء الله اصحني مثل فلان ويقول الاعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان وكان ربك بصيرا
بالاغنياء والفقراء وبمن اغنى ومن افقر واوجبت الحكمة غناه واوجبت الحكمة فقره قوله ع وقال
الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا اى قال الذين لا يخافون البعث بعد الموت
هلا انزل علينا الملئكة رسلا او نرى ربنا فيخبرنا انك رسوله قال الله ع لقد استكبروا في انفسهم
اى لقد تعظموا في انفسهم حيث سالوا ما لم تسالهم امة قط وعتوا عتوا كبيرا
حين قالوا او نرى ربنا والعتو مجاوزة القدر في الظلم وقيل العتو اشد الكفر والمعنى وجاوزوا
الحد مجاوزة شديدة قوله ع يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين اعلم الله ع ان الوقت الذي
يرون فيه الملئكة هو يوم القيمة وان الله حرمهم البشرى في ذلك اليوم تقول يوم يرون الملئكة
يعني يوم القيمة لا بشرى يومئذ للمجرمين اى لا بشارة لهم بالجنة والثواب ويقولون حجرا محجورا
اى يقول الملئكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله وقيل تقول الملئكة
للمجرمين حجرا محجورا اى حراما محرما عليكم البشرى بخير وقيل حرام عليكم الجنة وقيل تقول لهم
الملئكة حرم عليكم سماع البشرى حراما محرما وكان العرب اذا اراد الرجل منهم ان يحرم

شيا يطلب منه قال حجرا محجورا اليعلم السايل بذلك انه لا يريد ان يفعل والحجر في اللغة هو المنع ومنه الحجر
على الصبي ويجوز ان يكون حجرا محجورا من قول الكفار للملئكة اى قالوا للملئكة بعدا لنا وسحقا منكم وقال مجاهد معنى عوذا
عوذ اعاذ ايستعيذون من الملئكة قوله ع وقدمنا الى ما عملوا من عمل جعلناه هباء منثورا اى عمدنا الى اعمالهم
الى عملوا في الدنيا التي كانوا يعتقدون بها طاعة فجعلناه في الاخرة بمنزلة الهباء المنثور والهباء ما يقع في
الكوة من شعاع الشمس فيقبض القابض عليه فلا يحصل على شيء وقال هو التراب الذي يسطع من حوافر الدواب
يرى ولكن لا يقدر عليه وقال ابن مسعود الهباء المنثور الذي تطيره الرياح كانه دخان والمعنى جعلناه باطلا
لا ثواب له كانهم لم يعملوه لله وانما عملوه للشيطان قوله ع اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
اى اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا من هؤلاء المشركين المفتخرين باموالهم واحسن موضعا عند القيلولة
من منازل الكفار قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيمة حتى يقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار قوله ع
ويوم تشقق السماء بالغمام قرا ابو عمرو والكوفيون بالتخفيف على الحذف والتخفيف هنا وفي سورة ق وقرا
الاخرون بالتشديد فيهما على معنى تتشقق السماء عن الغمام والباء وعن يتعاقبان يقال رميت بالقوس وعن
القوس ومعنى الاية ويوم تتصدع السماء لنزول الملئكة في الغمام بامر الله كما تقدم ذكره في قوله ع هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة وهو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة وقوله ع ونزل الملئكة
تنزيلا اى ينزل اهل كل سماء على حدة منها الى الارض لكرام المؤمنين واهانة الكفار واهوال يوم القيمة وقال ان
الغمام سحاب ابيض فوق السموات السبع كما روى في الخبر ان دعوة المظلوم ترفع فوق الغمام فعلى هذا يكون المعنى
ويوم تشقق السموات السبع ويظهر الغمام قرا ابن كثير ونزل الملئكة بنونين ونصب الملئكة قوله ع الملك يومئذ
الحق للرحمن اى الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيمة وكان يوما على الكافرين عسيرا اى عسرا ذلك اليوم
لشدته ومشقته وهو يهون على المؤمنين قوله ع ويوم يعض الظالم على يديه يندم في الدنيا على معصية الله
يريد ان يؤمن فقال له ابي خلف وكان صديقا له اصبوت يا عقبة اى امنت لئن امنت لم اكلمك ابدا فامتنع عقبة من الايمان
حتى قتل يوم بدر كافرا وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف يوم احد وقيل ان عقبة بن ابي معيط
كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما فدعا عليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم وقدم
ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا اليه الناس ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام
قال صلى الله عليه وسلم ما انا باكل من طعامك يا عقبة حتى تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله فعل عقبة
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقبة خليلا لامية بن خلف يومئذ غائبا
فلما اخبر باسلام عقبة وكان صديقه قال له اصبوت يا عقبة فقال لا والله ما صبوت ولكن ابى اخاك
على ما بعلم ولكني صنعت طعاما فابى ان ياكل من طعامي الا ان اشهد له فاستحييت فشهدت له فاكل من بقي
ولم يطعم قبل شهادته له وليس في نفسي دلك فقال ابي بن خلف لما بزق في وجه عقبة يا عقبة صبوت الى
قبل بزق فيه وهم بقتل عقبة دلك فقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه
في وجهه وشعث شعثين فاخرج خديه وكان اثر دلك فيه حتى الموت وعن عطاء عن ابن عباس كان ابي
بن خلف جالس النبي صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه من عند رأس موسى فلما اراد عقبة بن ابي معيط ان يؤمن
بالنبي صلى الله عليه وسلم زجره ابي بن خلف وكان خليلا له فقال له وجهي من وجهك حرام ان تابعت محمدا
صلى الله عليه وسلم فلم يوف واتبع رضى ابي بن خلف فانزل الله هذه الاية ويوم يعض الظالم على يديه يعني

عقبة من اذى يعض على يديه تندما وتحسرا واسفا على ما فرط فى جنب الله قال عطاء يا كل
يديه حتى تذهبا الى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال يأكل كلما نبتت يده اكلها ندامة على ما فعل وذمه
يوم القيمة ثم يقول على وجه التحسر يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا اى ليتنى اتبعت الرسول وسلكت
طريقه وانخاطر طريق الهدى ما ولطنا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا يعنى ابى خلف لقد اضلنى عن الذكر
بعد اذ جاءنى اى لقد صرفنى عن القران بعد اذ دعانى محمد صلى الله عليه وسلم اليه وكان الشيطان للانسان
خذولا ابتداء الكلام اى كان الشيطان للانسان كثير الخذلان يتبرا منه فى الاخرة وقوله ويقول
يا ليتنى اتخذت فلانا اى عقبة بن ابى معيط اليمانى وقتل عقبة يوم بدر صبرا كافرا وحكم الله تعالى
فى كل متجابين اجتمعا على معصية الله وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال جليس السوء كمثل الكير
ان لم يحرق ثيابك علق بك رائحته ودخانه واشد بعضهم فى ذلك
تجنب قرين السوء واحرم خلاله وان لم تجد عنه محيصا فذاره
واحبب حبيب الصدق واحذر مراءة تسل سه صفو الود مالم تمارة قوله يا ويلتى يا ويل قومى
اتخذوا هذا القران مهجورا اى ويقول الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القران يعنى قريشا
اتخذوا هذا القران مهجورا اى هجروا تلاوته والعمل به وقالوا انه سحر وشعر وقالوا هو
اساطير الاولين وتركوا الايمان به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا ولم تعاهده
ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه قوله يا
وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك يا محمد اعداء من مشركى قومك كذلك جعلنا لكل نبى عدوا
من المجرمين اى من كفار قومه فلا يكبرن عليك كفرهم ولا تشق عليك فان الانبياء قبلك قد كذبوا وكفى بربك هاديا لك
والخلق وناصرا لك على اعدائك واستصب قوله كفى اما على الحال او على التمييز قوله يا ويلتى وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القران جملة واحدة وذلك انى صلى الله عليه وسلم لما تحداهم بالقران وامرهم ان ياتوا بسورة
مثله تعجبوا من ذلك لانهم البحة فجعلوا يطلبون الشبهة فقالوا لو كان نبيا لانزل عليه القران
جملة واحدة كما انزلت التوراة والانجيل والزبور والمعنى ان الكفار قالوا هلا انزل عليه القران جملة واحدة
فى وقت واحد كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود فبين الله ان ذلك ليس
بشبهة كما قال كذلك لنثبت به فؤادك اى كذلك انزلناه لنقوى به قلبك فنزداد به بصيرة
وتسهل عليك حفظه وحفظه فان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يقرا ولا يكتب فجلا موسى وعيسى وبعلم
كان الله تعالى يعلم ان القوم يسالونه عن اشياء يودونه فانزل الجواب عقيب السوال فكون احسن
موقعا واداعا الى الانقياد وابلغ فى الزام الحجة وقوله ورتلناه ترتيلا اى فرقناه تفريقا يعنى انزلناه
ترتيلا اذا كان متفرقا غير منظوم واسنان مرتلة اذا كانت منضدة ومنه قوله ورتل القران ترتيلا اى فرق
الحروف بعضها من بعض قال ابن عباس بيناه وبيناه تبيينا وقال المبرد فصلناه تفصيلا
قوله يا ويلتى يا ويلتا موضع الاحساك بالحق والحس يعبر به عن الاستيصال والاهلاك يقال حسه حسا اى استاصله
امر الاحساك الذى هو الحق والذى هو احس تفسير امرهم والمعنى لا ما ويلتك يعنى المشركين مثل صرنا
لك فى ابطال امرك ومحاصمتك الاحياك الذى هو الحق لنرده بحصومتهم وبطلانه كيدهم واحسن
تفسير اما ابو بكر الحسل والمفسر كسف المعنى المعطا قوله مع الذين كفروا على وجوههم الى جهنم

قال مقاتل هم كفار مكة وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه شر خلق الله تعالى الله يعز او يذكر سرمكانا اى منزلا
ومصيرا واضل طريقا يعنى المؤمنين وقوله يحشرون على وجوههم الى جهنم اى يسحبون على وجوههم فى النار
وعن انس ان رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة قال ان الذى امشاه على رجليه
فى الدنيا قادر ان يمشيه على وجهه يوم القيمة وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيمة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على اقدامهم وصنف على وجوههم قوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا اى اعطينا موسى التوراة وجعلنا معه اخاه
هرون معينا يعينه على تبليغ الوحى والوزير فى اللغة هو الذى يرجع الى رايه والوزر ما يلتجا اليه
قوله فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعنى فرعون وقومه فادعوهم الى الايمان فعلما ذلك
فلم يجيبوا امرهم فدمرناهم اى اهلكناهم اهلاكا كما قال وقد عبرة لمن اعتبر قوله وقوم نوح
لما كذبوا الرسل اغرقناهم اى واذكر قوم نوح حين كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل فاغرقناهم بالطوفان وجعلنا
اهلاكهم للناس عظة وعبرة ودلالة على قدرتنا واعتدنا للظالمين اى للكافرين عذابا اليما فى الاخرة سوى
عذابهم فى الدنيا قوله وعادا وثمود اى واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا اى واهلكنا عادا وثمود
واصحاب الرس فاما قصة اصحاب الرس فسيأتى بيانها وقال السدى باتاكية ونبيهم حنظلة وانما سموا
اصحاب الرس لانهم قتلوا نبيهم ورسوس فى ملكهم البير والرس والدس واحد قال مقاتل والسدى
هم اصحاب الدس والرس بئر قتلوا فيها نبيا فغار بهم فخسف بهم الى الهاوية وهم الذين ذكرهم الله فى سورة يس
وقيل هم اصحاب الاخدود الذين حفروه وقال عكرمة هم قوم رسوس نبيهم اى دسوس فى البير وروى ان
رجلا سال على رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن اصحاب الرس ان كانت منازلهم
وبم ذا هلكوا ومن نبيهم فانى اجد فى كتاب الله ذكرهم ولا اجد خبرهم فقال على رضى الله عنه لقد سالت شيئا
عن حديث ما سال عنه احد قبلك ولا احد ثانية احد بعدى وكان من قصتهم انهم كانوا بوثنا يعبدون
شجرة صنوبر كان عرسها ما فات من موج على شفير جارية وانما سموا اصحاب الرس لانهم رسوا
نبيهم فى الارض وذلك قبل سليمن بن داود وكانوا اثنى عشر قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد
المشرق وكان ملكهم يسمى تركون بن عامور بن يافث بن سارب بن نمرود بن كنعان وكان اعظم مدائنهم
اسفندیار وبها العين والصنوبرة وهى شجرة عظيمة وكانوا قد حرموا ما العين وهى عين عذبة كثيرة
الماء فلا يشربون منها ولا يشفون انعامهم ومن فعل ذلك منهم قتلوه ويقولون هى حياة الهتنا فلا يتبعى لاحد
ان ينقص حياتها وقد جعلوا فى كل شهر عيدا يجتمع اليه اهل كل قرية ويضربون على الشجرة شاة من حرير
فيها من انواع الصور ثم ياتون بسنا وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ثم يوقدون النار ويشوون اللحم فاذا
سطع الدخان والقتار خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترضى عنهم وكان الشيطان
يجى فيحرك اغصانها ويصيح من ساقها انى قد رضيت عنكم عبادى فطيبوا نفسا وقروا عينا فعند ذلك
يرفعون رؤسهم من السجود ويضربون الدفوف ويشربون الخمور فلما راى نبيهم ما هم فيه من الغى والضلال قال
ما دمتان عبادك ابوا الا الكفر بى وعبدوا الشجرة لا تنفع ولا تضر فابعث عليهم شجرتهم ما درت فاصبحوا وقد يبست شجرتهم
فهالهم ذلك وقالوا ان هذا الرجل الذى زعم انه رسول رب السماء والارض سحر الهتكم وابيس شجركم وقال
طائفة منهم بل غضبت الهتكم حين رات هذا الرجل يعيبها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحبثت وغضبت
لكى تغضبوا لغضبها وتنتصروا لها فاجتمع رايهم على قتله فطرحوه فى بئر ضيقة الرأس عميقة القعر وجعلوا

على راسها صخرة عظيمة وقالوا انما عرضنا ان ترضى عنا الهتنا اذا رات انا قد قتلنا من كان يعيبها
ودفناه تحت كسرها فتعود لها نضرتها ونورها وخضرتها كما كانت فبقوا عامة يومهم يسمعون انين
نبيهم عليه السلام وهو يقول يا رب قد ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعفي وقلة حيلتي وعجل قبض
روحي ولا تؤخر اجابة دعوتي فمات من ساعته فقال الله تعالى يا جبريل ان عبادي هؤلاء غرهم حلمي وامنوا
مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي وانا المنتقم ممن عصاني واني حلفت لاجعلنهم عبرة ونكالا فارسل
الله عليهم ريحا حمراء عاصفا تتوقد فذعروا منها وانضم بعضهم الى بعض حتى صاروا تحت شجرة واشتد
حرها وبعث الله سحابة سوداء تالفت عليهم كالقبة تلتهب فذابت ابدانهم كما يذوب الرصاص في النار
نعوذ بالله من غضبه ۝ قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا اي واهلكنا قرونا كثيرة بين عاد الى اصحاب الراس ممن
لم نسمه لك وقوله تعالى وكلا ضربنا له الامثال اي وكلا من هؤلاء بينا لهم ما يحتاجون اليه في امر دنياهم فلم يجيبوا
وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكناهم بالعذاب اهلاكا والتبار هو الهلاك وكل شيء كسرته فقد تبرته يقال
للمكسر من الذهب والزجاج تبر قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء افلم يكونوا يرونها معناه
ولقد اتى مشركوا مكة على قريات قوم لوط التي امطرت عليهم الحجارة افلم يكونوا يرونها حين مروا في ديارهم
فيخافوا ويعتبروا بل كانوا لا يرجون نشورا اي كانوا لا يخافون البعث والنشور اخبر الله تعالى ان الذي جراهم
على التكذيب انهم لا يصدقون بالبعث قوله تعالى واذا راك الذين ان يتخذونك الا هزوا اي اذا راك كفار مكة
ابو جهل واصحابه ما يتخذونك الا هزوا اي مهزوا به يستهزؤن بك ويقولون على وجه الاستهزاء اهذا
الذي بعثه رسولا الينا ان كاد ليضلنا عن الهتنا اي لقد كاد يصرفنا عن عبادة الهتنا لولا ان صبرنا
على عبادتها قال الله تعالى وسوف يعلمون يوم القيمة من اضل سبيلا اي من اخطا طريقا عن الهدى والدين
والحجة هم ام المؤمنون قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه اي ارايت من عبد الاصنام يهوى نفسه
عجب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم من نهاية جهلهم حين عبدوا ما دعاهم اليه الهوى فقال ارايت من اتخذ الهه
هواه قال ابن عباس معناه ارايت من ترك عبادة الهه وخالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي قال
مقاتل وذلك ان الحرث بن قيس السهمي هوى حجرا فعبده وقال سعيد بن جبير كان اهل الجاهلية يعبدون
الحجر فاذا راوا احسن منه اخذوه وتركوا الاول وقوله تعالى افانت تكون عليه وكيلا اي كفيلا حافظا تحفظه
من اتباع هواه وعبادة ما يهوى اي لست كذلك انما بعثت داعيا لا حافظا قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون اي اتظن يا محمد ان اكثرهم يسمعون سماع تدبر وتفكر او يعقلون ما يعاينون من الحجج
ان هم الا كالانعام يسمعون صوتا ولا يعقلون حقيقته وهذا مثل قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وقوله تعالى بل هم اضل سبيلا اي بل هم اضل من الانعام لان الانعام اذا زجرت
انزجرت وهم لا ينزجرون ولان الانعام يفهم بعض ما تسمع لانها تتادى على صفة فتقف وتتادى على
صفة فتسير ۝ قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا معناه الم تر الى صنع ربك
كيف بسط الظل من وقت غروب الشمس الى وقت طلوعها من المشرق الى المغرب وقيل من طلوع الفجر
الى طلوع الشمس ولو شاء لجعل الظل ساكنا اي دائما لا يزول على ان لا تطلع الشمس ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا اي دليلا على الظل بمعنى انه لولا الشمس لما عرف الظل فان الظل يتبع الشمس في طوله وقصره
فان ارتفعت الشمس في اعلا ارتفاعها قصر الظل وذلك وقت صلاة الضحى الى ان تبلغ الشمس في الارتفاع
مبلغا تزول عنده الشمس ولا ينتقص الظل بعد ذلك بل ياخذ في الزيادة فيكون الوقت وقت صلاة
الظهر الى ان يصير ظل كل شيء مثله او مثليه على اختلاف المذاهب فيكون الوقت وقت صلاة العصر

فما

فما دامت الشمس تنحط يصير الظل طويلا بحسب ذلك الانحطاط والظل تابع للشمس التي هي دليله
ويقال معنى الاية جعلنا الشمس مع الظل دليلا على توحيد الله وكمال قدرته قوله تعالى ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا اي اذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضا خفيا اي سلطنا الشمس عليه حتى تنسخه
شيئا فشيئا وتنقصه نقصا خفيفا لا يستدرك بالمشاهدة قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا
اي يستر كل شيء بظلمته كاللباس الذي يستر البدن والنوم سباتا اي راحة لابدانكم يقال
سبت اذا تمدد فاستراح ومن ذلك يوم السبت لان اليهود كانوا يستريحون فيه بقطع اعمال
الدنيا والسبات قطع العمل وجعل النهار نشورا اي تنتشرون فيه لمعايشكم وحوائجكم والنشور
ههنا بمعنى التفرق والانبساط في التصرف قوله تعالى وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته
اي ارسل الرياح ينشر بها الغيم وتبسطه في السماء قدام المطر وانما قيل في الرحمة رياح لانها
تجمع الجنوب والشمال والصبا وقيل في العذاب ريح لانها واحدة وهي الدبور وهي عقيم لا تلقح
قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا يعني المطر وهو طاهر ومطهر من الانجاس والاحداث لنحيي به بلدة
ميتا اي لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها اشجار ولا ثمار ولا مرعى ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي
كثيرا اي نسقي بذلك الماء كثيرا من خلقنا من الانعام والاناسي جمع انسي مثل كرسي وكراسي ويقال
هو جمع انسان واصله اناسين كما يقال بستان وبساتين وسرحان وسراحين ۝ قوله تعالى ولقد
صرفناه بينهم ليذكروا اي صرفنا المطر فقسمناه بينهم على ما توجبه الحكمة ليتذكروا نعم الله تعالى
فيشكروها فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا به كلما انزل الله المطر يقولون مطرنا بنوء كذا وعن
ابن عباس انه قال ما عام بامطر من عام ولكن الله يقسمه على من يشاء من عباده ۝ وقال صلى الله عليه وسلم
ما سنة بامطر من اخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف
الله الى الفيافي والقفار قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي لو شئنا لبعثنا في
كل قرية نذيرا ينذرهم ولكن بعثناك يا محمد الى القرى كلها رسولا لعظم كرامتك علينا وليكون كل الثواب
والكرامة لك خاصة فلا تطع الكافرين فيما يطلبون منك من ان تعبد الهتهم ومداهنتهم وجاهدهم به
اي بالقران جهادا كبيرا شديدا قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج
اي وهو الذي ارسل البحرين في مجاريهما يقال مرجت الدابة اي ارسلتها في المرج ترعى واراد بقوله
هذا عذب فرات النيل والانهار العظام والفرات ما يكون في غاية العذوبة واراد بالملح الاجاج
التي يكون ماؤها في غاية المرارة ويقال في غاية الحرارة من قولهم اججت النار اذا اوقدتها وتاججت
النار اذا توقدت ويقال ملح ولا يقال مالح الا لما يلقى فيه الملح ۝ قوله تعالى وجعل بينهما برزخا اي حاجزا
يمنع كل واحد من تغيير الاخر وهو ما بين العذب والملح من الاراضي ويقال اصل المرج الخلط ومن
ذلك المرج لانه يكون فيه اخلاط من النبات ومنه قوله تعالى في امر مريج اي مختلط فالملح والعذب
في مراى العين مختلطان وفي قدرة الله منفصلان لا يغير احدهما طعم الاخر ۝ وجعل بينهما برزخا
اي حاجزا من قدرة الله تعالى وحجرا اي مانعا يمنع من اختلاطهما وفساد احدهما بالاخر ومعنى قوله تعالى
وحجرا محجورا اي حراما محرما ان يفسد الملح العذب ۝ قوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا اي خلق
من النطفة انسانا وخلقا كثيرا فجعل من هؤلاء البشر انسابا واصهارا وكان ربك قديرا على ما اراد ۝
قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ان عبدوه ولا يضرهم ان تركوا عبادته وتركوا عبادة الله تعالى
الذي خلقهم ورزقهم وكان الكافر على ربه ظهيرا اي وكان الكافر عونا للشيطان على ربه بالمعاصي لانه
يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لان عبادتهم للاصنام معاونة للشيطان والظهير هو المعين

قال المفسرون اراد بالكافر ابا جهل قوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي مبشرا بالجنة ونذيرا من النار
قل ما اسالكم عليه من اجر اي على القران وتبليغ الوحي وقوله تعالى الا من شاء اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
بانفاق ماله فعل ذلك والمعنى لا اسالكم لنفسي اجرا ولكن لا امنع من انفاق المال في طلب مرضات الله وجنته
قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت اي فوض امورك اليه وسبح بحمده اي احمده منزها له عن ما لا يجوز في صفاته وذلك
نحو ان تقول الحمد لله رب العالمين او الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده ويجوز ان يكون معناه صل بامره هو
المحمود في توفيقه اياك كما يقال افعل هذا بحمد الله وكفاية بذنوب عباده خبيرا فهو اولى ان يراقب من غيره
قوله تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فسال به خبيرا
اي فسال بسؤالك اياه خبيرا والخبير ههنا هو الله عز وجل ويقال معناه فسال الخبير بذلك يعني ما ذكر من
خلق السموات والارض والاستواء على العرش وقيل في معناه فسال عالما بما تسال عنه ولا تسال غيره واذا
سالت حاجتك فسال عالما بما يصلحك فانك اذا سالته اخبرك بالحق في صفاته وفي كل ما سالت عنه قوله تعالى
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن اي اذا قيل لكفار مكة اسجدوا للرحمن قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة
يعنون مسيلمة وقوله تعالى انسجد لما تامرنا استفهام انكار اي لا نسجد للرحمن الذي تامرنا بالسجود له
وزادهم نفورا اي وزادهم ذكر الرحمن تباعدا من الايمان كما قال تعالى في قصة نوح فلم يزدهم دعائي الا
فرارا قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا البروج منازل الكواكب السبعة الشمس والقمر والمشتري
والمريخ وزحل وعطارد والزهرة وهي اثنا عشر برجا فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان
بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والجدي والدلو بيتا زحل وقوله تعالى وجعل فيها سراجا
يعني الشمس وقمرا منيرا وقرا حمزة سرجا اراد الشمس والكواكب معها والمعنى وجعل في السماء شمسا
تضيء بالنهار وتقطع كل شهر برجا من البروج الاثني عشر وجعل فيها قمرا يضيء بالليل ويقطع كل برج في
يومين وثلث قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اي يخلف كل واحد منهما
صاحبه يذهب احدهما ويجيء الاخر فهو عظة لمن اتعظ او اراد ان يشكر انعام الله تعالى قال ابو عبيدة
الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفة للنهار والنهار خلفة لليل لان احدهما يخلف الاخر ويأتي بعده
قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اي عباده الذين رضيهم واثنى عليهم هم الذين يمشون على
الارض بالسكينة والهوينا متواضعين من مخافة الله حلماء عقلاء علماء لا يجهلون وان جهل عليهم
وان كلمهم الكفار بالسفه والفحش قالوا سدادا من القول وقيل يقولون في جواب السفيه سلام عليكم
وقال قتادة معنى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي كانوا لا يجاهلون اهل الجهل وقال
مقاتل قالوا سلاما اي قولا يسلمون فيه من الاثم قال الحسن هذه صفة نهارهم اذا انتشروا في الناس
وليلهم خير ليل كما قال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما اي يصلون بالليل طلبا للثواب وعن ابن عباس
قال من صلى بعد العشاء ركعتين او اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما قوله تعالى والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما دائما والغرام اللزوم يقال لصاحب الدين غريم
لانه يلازم المديون ويقال للمديون الغريم لان اللزوم يثبت عليه والمغرم بالنساء الملازم لهن
قال الزجاج ان عذابها كان غراما الغرام اشد العذاب انها ساءت مستقرا ومقاما اي ان جهنم بئس
موضع قرار واقامة هي قال الحسن كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم قوله تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا الاسراف هو الانفاق في معصية الله تعالى والقتر منع حق الله والقوام هو
الوسط بين الاسراف والتقتير قرا اهل المدينة والشام يقتروا بضم الياء وكسر التاء وقرا الكوفيون

يقتروا

يقتروا بفتح الياء وضم التاء وقرا الباقون يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وكلها لغات صحيحة
فالاسراف النفقة في معصية الله وان قلت والاقتار منع حق الله وعن الحسن ان معناه
لم ينفقوا في معاصي الله ولم يمسكوا عن فرائض الله وقيل معناه لم يضيقوا في الانفاق وكان
انفاقهم بين الاسراف والاقتار لا اسرافا يدخل به في حد التبذير ولا تضييقا يصير به في حد المانع
لما يجب وهذا هو المحمود من النفقة وعد عمر رضي الله عنه من السرف ان لا يشتهي الرجل شيئا الا اكله وقال
كفى بالمرء سرفا ان ياكل كل ما يشتهي وقال قتادة الاسراف النفقة في المعصية والاقتار الامساك عن
حق الله والقوام من العيش ما اقامك واغناك قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر قيل ان رجلا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الذنب اكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك فانزل الله تعالى
هذه الاية تصديقا لذلك والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا يزنون وفي الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث معان زنا بعد احصان وكفر بعد
ايمان وقتل نفس بغير حق قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما اي من يفعل شيئا مما تقدم ذكره
يلق اثاما اي يلق عقوبة فعله ويقال الاثام واد في جهنم من دم وقيح وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لو ان صخرة عشراء قذف بها في جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفا ثم ينتهي الى غي واثام قيل
وما غي واثام يا رسول الله قال بئران يسيل فيهما صديد اهل النار وهما اللتان قال الله فسوف
يلقون غيا ويلق اثاما وروي ان اثاما واد في جهنم فيه حيات وعقارب في فقارة احداهن مقدار
سبعين قلة من السم كل عقرب منهن مثل البغلة الموكفة قوله تعالى يضاعف له العذاب يوم القيمة
ويخلد فيه مهانا تفسير لقي الاثام بقوله يضاعف له العذاب الاية ومن رفع يضاعف ويخلد
وهو ابن عامر فهو على الاستيناف والقطع عن ما قبله قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال ابن عباس نزلت هذه الاية بمكة وكان المشركون قالوا ما يغني عنا
الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فنزلت هذه الاية ومعناها
الا من تاب من الكفر والمعصية وامن بالله وعمل عملا صالحا بعد الايمان والتوبة فاولئك يمحو الله سيئاتهم
بالتوبة ويثبت لهم مكانها حسنات وهذا هو معنى التبديل لا ان تصير السيئة بعينها حسنة
وعن ابن عباس انه قال قرانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع الله الها اخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة
الاية ثم نزل قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الاية فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرح بشيء مثل فرحه بها وبقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال قتادة ومعناها الا من تاب من ذنبه
وامن بربه وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه وقال ايضا في معنى يبدل الله سيئاتهم حسنات التبديل
في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه وقال الحسن ابدلهم الله بالعمل السيئ
العمل الصالح وبالشرك اخلاصا واسلاما وبالفجور احصانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين قوله تعالى
ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا اي من تاب من الشرك وعمل صالحا ولم يكن من القبيل الذين
قتلوا وزنوا فانه يتوب الى الله متابا اي يعود اليه بعد الموت متابا حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا
فالتوبة الاولى رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله للجزاء والمكافاة قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور
قال اكثر المفسرين الزور ههنا بمعنى الشرك وقال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك
بالله وقال قتادة لا يشهدون الزور لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية لا يشهدون
الزور اللهو والغناء واعياد اليهود والنصارى والمجوس وقال علي بن ابي طلحة يعني شهادة الزور وكان

عمر رضي الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الاسواق وعن مجاهد المتكلمين انه قال يقال يا ايها الذين كانوا يتزهون انفسهم عن سماع اللهو ومزامير الشيطان ادخلوا رياض المسك بما يقول الملكة اسمعوا اعبادي تمجيدي وثنائي وتمجيدي واخروهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قوله ومروا اذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا امروا بالقول والفعل الذي لا فائدة فيه مروا مستكرمين صائنين انفسهم عن الخوض في ذلك امر من المعروف ناهين عن المنكر بما قدروا عليه من قول او فعل عجزوا عن الفعل ومن اظهار كراهة وتغيير وجه اذا عجزوا عن القول قوله والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا معناه والذين اذا وعظوا بآيات ربهم اي بالقرآن لم يعاملوها معاملة الاصم الذي لا يسمع والاعمى الذي لا يبصر ولكنهم سمعوا وابصروا واتعظوا بها وحرصوا اشد حرص لكي يستبصروا بها امروا به وتهوا عنه والخرور هو السقوط قوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الذرية تكون واحدا وجمعا فكونها للواحد قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وكونها للجمع قوله ذرية ضعافا وقوله قرة اعين معناه يقولون هب لنا من ازواجنا وذرياتنا ما آنسنا بهم في الدين فتقر اعيننا بطاعتهم اجعلهم صالحين فتقر اعيننا برؤيتك وقال الحسن ما من شيء اقر لعين المسلم من ان يرى ولدا او ولد ولده مطيعين لله وقوله واجعلنا للمتقين اماما اي نقتدي بنا في الخير والمعنى اجعلنا صالحين تأتم بنا المتقين فتلتئم المتقين حتى يأتم بنا من بعدنا وقال الفراء اماما وقال ابن بحر يقال انما رسول رب العالمين للاثنين يعني انه من الواحد الذي يراد به الجمع وفي الحديث من رزق اماما فوفق لان يأتم به كما يأتم الامام المتقين قوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا اي على مر الخصال هم الذين يجزون الغرفة في الجنة بصبرهم على الطاعة وعن المعصية وعلى مكاره الزمان ومحن الدنيا والغرفة هي العلية المرتفعة قال معاذ معناه يعني غرف الجنة وقال عطاء هي غرفة من زبرجد والدر والياقوت قوله ويلقون فيها تحية وسلاما اي تتلقاهم الملكة في بكرة العشي بالتحية والسلام من الله ويقرأ اهل الكوفة ويلقون بفتح الياء والتخفيف وقوله حسنت مستقرا ومقاما اي حسنت بكم الغرفة في المستقر والمقام قوله قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم اي قل لهم ما يصنع بكم ربي وهو لا يحتاج اليكم لولا دعاؤكم اياه الى الاسلام والى طاعته لتتقوا انتم بذلك وقال بعضهم اي وزن وقدر لكم عند ربي لولا دعاؤكم وعبادتكم اياه وقيل معناه ما يفعل بعذابكم يا اهل مكة لولا عبادتكم غير الله فقد كذبتم يا اهل مكة فسوف يكون جزاء تكذيبكم لزاما اي اثرا واخذا لا بد لي قتلا اراد به يوم بدر واللزام بنصب اللام مصدر اضاف الخطاب بقوله فقد كذبتم لاهل مكة اي ان الله دعاكم الى الرسول الى توحيده وعبادته فقد كذبتم الرسول ولم تجيبوا دعوته فسوف يكون تكذيبكم لزاما يلزمكم فلا تعطون التوبة قتلوا يوم بدر واتصل به عذاب الآخرة لازما لهم سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة فانها نزلت بالمدينة وهي مئتان واحد وسبع وعشرون آية واربعمائة وخمس وسبعون كلمة ومائتان وسبع وتسعون حرفا والف ومائتان وتسع وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين اول السورة قسم وهو من اسماء الله تعالى والالف من اسمه الله واللام من اسمه جبريل والميم من اسمه الرحمن وقيل الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقوله تلك آيات الكتاب المبين اي هذه آيات الكتاب المبين انزلت لتكون آية لرسولي قوله لعلك باخع نفسك اي لعلك قاتل نفسك لان لا يكونوا مؤمنين وكان حريصا على اسلامهم فانزل الله هذه الآية اي لعلك قاتل نفسك لترك الايمان قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اخبر الله تعالى انه لو اراد ان يترك الناس يستحقون على الايمان ثواب الطاعة لقدر على ذلك ولكنه لم يفعل لانه اراد منهم ان يؤمنوا اختيارا ليستحقوا على المدح والثواب

فاذا جاء الالجاء ذهب المدح والثواب وقوله فظلت اعناقهم اي رؤساؤهم وكبراؤهم خاضعين اي اذلاء منقادين لا يلوون اعناقهم الى معصية قال قتادة المعنى لو شاء الله لانزل عليهم اية يذلون لها فظلت جماعاتهم لها خاضعين والاعناق الجماعات يقال جاءني عنق من الناس اي جماعة ولو كان المراد الاعناق التي هي الجارحة لقال خاضعات قوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين اي ما اتى خبر من عند الله الى النبي صلى الله عليه وسلم شيء من القرآن الا كانوا معرضين عن ذلك قوله وقد كذبوا اي بالقرآن فسيأتيهم اخبار ما كذبوا به قوله اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم معناه اولم يروا اهل مكة الى الارض كم انبتنا فيها من كل صنف حسن في المنظر من النبات بعد ان كان يابسا هامدا لا نبات فيها والزوج هو الصنف والضرب الحسن والمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انباته الا رب العالمين وانبت اي اخرج واصفر واخضر وحلو وحامض مما يأكل الناس والانعام والكريم في اللغة هو المحمود فيما يحتاج الله تعالى بخساسة كلمة اذا اطاب حملها وكثر وبانه كريمة اذا اخرج اللبن قوله ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين قد علم الله اي في اختلاف الوان النبات لدلالة على وحدانية الله وكمال قدرته وما كان اكثرهم مؤمنين قد علم الله اي قد سبق في علم الله ان اكثرهم لا يؤمنون وان ربك لهو العزيز الرحيم اي المنتقم من اعدائه الرحيم بأوليائه قوله واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا تتقون اي اتتقون الله فتؤمنون به وتتركون الكفر والمعصية وظلموا انفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بني اسرائيل بارتسامهم سوء العذاب ثم اخبر عنهم فقال قوم فرعون الا تتقون عقابي في مقامهم على الكفر وترك الايمان قال موسى اني اخاف ان يكذبون في الرسالة ويقولون لست من عند الله ويضيق صدري فلا ينطلق لساني للعقدة التي فيه فارسل الى هرون حتى يكون معي نعينا بوزارتي في اظهار الدعوة وتبليغ الرسالة ولهم علي ذنب اي دعوى ذنب يعني الوكزة التي وكزها القبطي فمات بها فاخاف ان يقتلون بسببه قوله كلا اي لا يقتلونك كلا لا يقتلونك فاذهبا انتما وآياتي اي بما اعطاكما المعجزة انا معكم مستمعون اي ما قال لهما معكم لانه اجراهما مجرى الجماعة والمعنى نسمع ما تقولانه وما تجيبونكما به وقيل معنى قوله كلا اي قال الله لموسى لا تدع عن هذه المقالة اي عن هذا الظن وهذا الخوف فاذهبا يا شاي لا يقتلنا انا معكم مستمعون اي سامعون لجحودهم وتكذيبهم قوله تعالى وائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين اي رسول رب العالمين الملك لتؤمن بالله وتطلق بني اسرائيل عن الاستعباد وترسلهم معنا الى الارض المقدسة والرسول يذكر ويراد به الجمع كما تقول العرب ضيف وعدو ومنه قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقيل انما قال رسول رب العالمين ولم يقل رسولا لانه اراد به المصدر اي رسالة وتقديره ذوا رسالة رب العالمين كقول الشاعر لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر وانا رسالة اي برسالة وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين وقوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل اي بان ارسل معنا بني اسرائيل الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة الف وثلثمائة فانطلق موسى وهرون بالرسالة الى مصر فلما بلغا دار فرعون لم يؤذن لهما في الدخول عليه الا بعد مدة فدخل البواب وقال لفرعون هنا انسان يدعي انه رسول رب العالمين وقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه واديا رسالة الله بغير فرعون موسى لانه نشأ في بيته فقال له الم نربك فينا وليدا اي صبيا صغيرا ولبثت فينا من عمرك سنين وهي ثلثون سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وانت من الكافرين اي من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي ايانا كيف تقتل ولدنا وليدا مثل هذا الذي كافأناه ان رفعنا منا نفسا وكفرت نعمتنا اياه وروي ان موسى عليه السلام

لما انطلقوا الى مصر لتبليغ الرساله وكان هرون يومئذ بمصر النبي وكل واحد منهما يصاحبه فانطلقا
كلاهما الى فرعون واديا جميعا الرساله وعرفوه موسى قال له فرعون الم نربك فينا وليدا
اى صغيرا ومكث عندنا سنين من عمرك وفعلت فعلتك اى قتلك القبطي وانت من الكافرين اى الجاحدين
لنعمتي وتربيتي قال موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اى من الجاهلين لا اعلم ان تلك الفعلة وانا مما
لم يأتني من الله نبي ولا يجوز ان يكون المراد بهذا الضلال عن الهدى لان ذلك لا يجوز على الانبياء وقيل معناه
وانا من المخطئين وقيل من الناسين نظيره قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وقوله تعالى
ففررت منكم لما خفتكم اى هربت منكم الى مدين لما خفتكم على نفسي ان تقتلوني بالذي قتلته فوهب لي ربي
حكما اى نبوة وقيل فهما وعلما وجعلني من المرسلين الكرام والى قومك اى بعثكم لي وجعلني رسولا اليهم
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل قال المفسرون وهذا انكار من موسى ان يكون ما ذكره فرعون
منعه على موسى واللفظ لفظ خبر وفيه تبكيت للمخاطب على معنى انك لو كنت لم تستعبد بني اسرائيل
لكانت امي مستغنية عن قذفي اليم فلا تمن علي بما كان بلاؤك تسببا له وقيل معناه ان فرعون
لما قال لموسى الم نربك فينا وليدا قال له موسى تلك نعمة تمنها علي لانك عبدت بني اسرائيل
اى استعبدتهم ولو لم تستعبدهم لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم فيقال استعبدت فلانا واعبدته
وتعبدته وعبدته اى اتخذته عبدا وقيل معنى الآية انك تمن علي بتركك وايتك استعبدت بني اسرائيل
وابطلت نعمتك علي بإساءتك الي باستعبادك اياهم وقال احدب انبرائهم وانفقت على من شئت
منها وكانت امي هي التي ربتني فاي نعمة لك علي وقوله ان عبدت في موضع كان وجهان احدهما
النصب بنزع الخافض والثاني الرفع على البدل من نعمة قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين
اى قال له فرعون واي شيء رب العالمين الذي تدعوني اليه فقال رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين ان المسحي للربوبية من يكون بهذه الصفة وان هذه الاشياء التي ذكرت ليست
بعضكم فلما قال موسى ذلك تحير فرعون ولم يرد جوابا يستمر به هذا القول فقال لمن حوله الا تستمعون
مقالة موسى فقال موسى ربكم ورب اباءكم الاولين ان المسحي للربوبية من يكون رب الكل كل عصر
وزمان اي الذي خلق اباءكم الاولين وخلقكم من اباءكم فلم يعبد فرعون على جواب فقال لجلسائه
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ما هذا الكلام صحيح اذ زعم ان له الها غيري فلم يستقل موسى
بالجواب عن ما نسبه اليه من الجنون ولكن استمر على تاكيد الحجة والزيادة في الابانة فقال رب
المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون يوحد الله قال كيف دوي عقول لم تحم عليكم ما اقول
فلم تجبه فرعون بل سقط محمد بل تهدده وقال له لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
اي لاحبسنك مع محبوسة في السجن طمع بجهله انه يخافه وينزع عبادة الله منه ويعبد فرعون
الها وكان سجن فرعون اشد من القتل لانه كان اذا حبس الرجل طرحه في مكان وحده لا يسمع فيه صوتا
ولا يبصر فيه ضوءا وكان يهوي به في الارض قال موسى لفرعون حين توعده بالسجن اولو جئتك بشيء
مبين يعني افتسجنني ولو جيئتك بامر ظاهر تعرف به صدقي وكذبك فقال فرعون على وجه التعجيز
فات به ان كنت من الصادقين فاتاه بما يكذبه رسول الله فالقى موسى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين اي حية

صفراء ذكر عظيم اعظم ما يكون من الحيات قال فرعون فهل غيرها وفي يده مرجعة فاذا
هي بيضاء بيضاء نورانية لها شعاع كشعاع الشمس قال فهل كيف سعي العصى ثعبانا في هذه
الارض وسعاها جانا في اهتزازها حتى كانها جان والجان الخفيفة فلما اما سعاها ثعبانا
لعظم جثتها وسعاها جانا لسرعة مشيها وحركتها وفي ذلك ما يدل على عظم الآية فلم يكن عند
فرعون دفع لما شاهد الا ان قال هذا لساحر عليم يموه علينا وهم اصحابه انه لا صحة له ودليل قوله تعالى
قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم قال ابن عباس وكان الملا الذين حوله خمسمائة من اشراف قومه
عليهم الاسورة فقال لهم ان هذا الساحر حاذق بالسحر يريد ان يلقى الفرقة والعداوة بينكم
ويخرجكم من بلادكم بسحره فاذا نامرون اي ماذا تشيرون علي في امره ولو تفكروا لعلموا الجهال في قوله
ذلك لعلموا انه ليس باله لافتقاره الى رايهم ولكنهم لفرط جهلهم موه عليهم قوله تعالى يريد ان يخرجكم
اي قال له الملا اخرم وامر اخيه لانتاظرهما الى ان تبعث الى المدائن الشرط يحشرون السحرة
ليصنع السحر مثل ما صنع موسى ولا شك له علم بحجة تجمع السحرة لميقات يوم معلوم اي لميعاد
يوم زينتهم وهو يوم عيدهم وقيل للناس اجمعوا الشطر والى السحرة لعلنا نتبع السحرة اي نتبع دينهم
ان كانوا هم الغالبين لموسى وقيل المراد وابا السحرة موسى وهرون ان كانا هما الغالبين على سحرهم
وقوله تعالى فلما جاء السحرة قال لهم فرعون ائن لنا لاجرا اي جعلا ان كنا نحن الغالبين لموسى قال نعم وانكم مع ما
اعطيكم من الاموال لمن المقربين في الرتبة والمنزلة والدخول علي قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اي
اطرحوا ما بايديكم ما تريدون طرحه من الحبال والعصي وهذا امر تهديد لا امر تحقيق فالقوا حبالهم
وعصيهم وقالوا بعزة فرعون اي بسعته انا لنحن الغالبون لموسى وامتلا الوادي حيات فهابه
ذلك فقيل لموسى الق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة تلقف ما صنعوا من السحر اي تاخذه
موسى فعادت عصى كما كانت ولم يوجد لما تلقفته اثر فسجد السحرة عند ذلك لله تعالى لما علموا ان ذلك
ليس بسحر وانه من عند الله وقالوا اسما برب العالمين قال لهم فرعون اباي تعنون فقالوا رب موسى
وهرون قال امنتم له قبل ان اذن لكم اي صدقتم به قبل ان اعلمكم بذلك فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين وكان فرعون اول من قطع وصلب قال ابن عباس اول من سن ذلك
سجودهم لله كانهم القوا قوله تعالى قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون اي قالوا لا ضير علينا في ان
يصنع بنا في الدنيا حتى ثوابه في الآخرة انا ادار جعنا الى ربنا مؤمنين لما حدث حتى ظهر الطالم
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي يتجاوز لنا شركنا وسحرنا ان كنا اول المؤمنين اي بان كنا اول المؤمنين
في زماننا او في اهل مملكتنا وقيل اول المؤمنين اي من القبط ٥ قوله تعالى واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي اي بني اسرائيل ليلا انهم متبعون اخبرهم ان فرعون وقومه سيتبعونهم وانه سيحيق بهم ما يردهم
فاسري بهم موسى ليلا الى البحر فارسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون الناس ويجمعون له الجيش
ثم قال فرعون لقومه ان هؤلاء لشرذمة قليلون يعني موسى واصحابه والشرذمة الفئة القليلة
والشرذمة في كلام العرب القليل من كل شيء من الناس والاموال روي ان هؤلاء الذين استقلهم فرعون

كانوا وسد ستمائة الف وسبعين الفا وكان هامان على مقدمة فرعون وبعة الذا لف وفرعون
في اكثر خمسة الاف الف ه قوله تعالى وانهم لنا لغايظون اى لفاعلون ما نغيظنا لاظهارهم
خلاف ديننا واخذهم حلينا وقتلهم ابكارنا وذلك انه تع اوحى الى موسى ان اجمع اولاد بني اسرائيل
كل اهل اربعة ابيات في بيت نحرادي نحوا اولاد الضان واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر
الملئكة لا يدخلون بيتا على بابه دم وسامرهم بمعنى ابكارا لذ فرعون ثم اسر بعبادي بمعنى ذلك فلما
اصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه فقتلوا ابكارنا واخذوا اموالنا فخرج في طلبهم فوله تع
وانا لجميع حذرون قرا الكوفيون وابن عامر حاذرون اى لقناى شاكون في السلاح دوو اداة
وقوم دكراع وبنو اسرائيل لا سلاح لهم وقرا الباقون حذرون اى متيقظون خايفون شرهم ه
قوله تع فاخرجناهم من جنات وعيون يعني فرعون وقومه من بساتين وعيون جاريه وكنوز اى
وخزائن مدخره من الذهب والفضة ومقام كريم اى مجالس رفيعة من مجالس الملوك والرؤساء ه
كذلك بعلناها بهم واورثناها ارضهم وديارهم واموالهم بني اسرائيل وذلك انه تعالى رد بني اسرائيل الى مصر
بعدما اغرق فرعون وقومه واعطاهم جميع ما كان لقوم فرعون من الاموال والعقار والمساكن وقوله
تعالى فاتبعوهم مشرقين يعني قوم فرعون ادركوا موسى واصحابه حين بزغت الشمس وقوله تعالى فلما تراءى
الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون اى فلما وافى الفريقان وتقابلا تحشر كل فريق صاحبه
وعاين بعضهم بعضا قال اصحاب موسى سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم قال كلا ظهم موسى كلا اي
لن يدركونا وقيل معناه كلا ارتدعوا وارجروا عن هذه المقالة ان معي ربي ناصري وحافظي سيهدين
الى طريق النجاة منهم قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فصار فيه اثني عشر طريقا
لكل سبط طريق وقيل الماء جرى فكان بين كل طريق طاقة من الماء كالطود العظيم اى كالجبل
العظيم وهذا البحر هو الذي تلتزم به يسلك الناس فيه من اليمن ومكة الى مصر ه قوله تعالى وازلفنا
ثم الاخرين يعني قوم فرعون اى قربناهم الى الهلاك وقد ناهم في البحر وادنينا بعضهم من بعض
وجمعناهم فيه بايسر نا الى ان سلك بنو اسرائيل البحر فكان ذلك سببا قربهم من البحر حتى اقتحموه
ويسمى المرد لغة مرد لغة لاجتماع الناس فيها فلما تكامل اخر جنود فرعون في البحر انطبق عليهم
فغرقوا جميعا واخبر موسى ومن معه اجمعين بالغرق فذلك الاخرين ه قوله تع
ان في ذلك لاية اى في الانفلاق الذي صار سببا لخلاص بني اسرائيل وفي الانطباق الذي كان سببا لغرق فرعون
لاية على توحيد الله تع وصدق موسى وما كان اكثرهم مؤمنين اى لم يكن قوم فرعون مع وضوح
الادلة لهم على وحدانية الله وان ربكم هو العزيز الرحيم اى العالم المنتقم من الكفار الرحيم بعباده
ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من قتل ابكارهم وغيره من ملكت يا موسا الى فرعون
على عظائم يوسف فلذلك قال وما كان اكرم موسى وقيل معنى قوله تع وان ربك هو العزيز في انتقامه
من اعدائه حين اغرقهم الرحيم بالموسى حين انجاهم قوله تع واتل عليهم نبا ابرهيم اى اقرا يا محمد على قومك
خبر ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اى نقيم عليها
عابدين متمسكين على عبادتها قال بعض العلماء انما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل

قال

قال هل يسمعونكم اذ تدعون اى هل يسمعون دعاءكم ان دعوتموهم او ينفعونكم ان عبدتموهم او يضرونكم
ان لم تعبدوهم وقال ابن عباس معناه او يضرونكم او يكشفون عنكم الضر قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون فنحن نقتدي قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
اى قال لهم ابرهيم افرايتم هذا الذي تعبدونه انتم واباؤكم المتقدمون فانهم عدو لي اى فاني اعاديهم
واتبرا منهم وقوله تع الا رب العالمين روي انهم كانوا يعبدون الله مع الاصنام فتبرا ابرهيم من جميع
ما يعبدونه الا من عبادة الله وانما قال عدو لي على التوحيد في موضع الجمع على معنى ان كل واحد منهم
عدو لي وقال الزجاج قوله تع عدو في موضع المصدر كانه قال فانهم ذوو عداوة وقوعت الصفة موقع
المصدر كما وقع المصدر موقع الصفة في رجل عدل ه ويجوز ان يكون قوله تع الا رب العالمين استثناء
منقطع ومعناه ولكن رب العالمين الذي خلقني ليس بعدو لي وهو يهدين اى يرشدني الى الحق وذلك انهم
كانوا يزعمون ان اصنامهم هي التي تهديهم فقال ابرهيم رد الذي خلقني فهو يهدين الى الدين والرشد كما
تعبدون وقوله تع والذي هو يطعمني ويسقين اى هو رازقي لي عند طعامي وشرابي فهو الذي يشبعني
اذا جعت ويرويني اذا عطشت واذا مرضت فهو يشفين اى يعافيني من المرض وذلك انهم كانوا يعولون
المرض من الزمان والاغذية والسفار الاطباء والادوية فاخبر ابرهيم ان الذي امرض هو الذي يسقي وهو الله
عز وجل وفعل ابرهيم واذا امرضني لادبه تعالى وحسن ان كان المرض بخلق الله وقضائه ولانه اذا مرض
الله قوله تع والذي يميتني ثم يحيين اى يحيني في الدار الاخرة للبعث والذي اطمع ان يغفر
لي خطيئتي يعني قوله تع انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وذكر لفظ الطمع لان ذلك اقرب الى
حسن الادب ن قال بعض المفسرين يعني الكذبات الثلاث قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة
هي اختي وزاد الحسن والكلبي قوله ايضا للكوكب هذا ربي قال الزجاج ان الانبياء يشبه ان يقع منهم الخطية
هذا اذا لم يكونوا معصومين لانهم معصومون وقوله تع يوم الدين اى يوم الجزاء والحساب وقوله تعالى رب
هب لي حكما الحكم هو الذي يردع عن القبيح والحكمة هي العلم المقرون بالعمل الصالح
اى بالنبوة فيما قيل في الدرجة والمنزلة والثواب ه والصلاح هو الاستقامة على ما امر الله به قوله تع
واجعل لي لسان صدق في الاخرين اراد به الثناء الحسن اى اجعل لي ثناء حسنا في الذين يأتون بعدي الى يوم
القيمة وقد استجاب الله دعاءه حتى احبه اهل الاديان كلهم وقيل معناه واجعل في ذريتي اي يقوم بالحق
ويدعو اليه وهو محمد ص فجعله الله من نسله كما وعده فانهم هم الذين اظهروا شريعته وفضائله قوله تع واجعلني من ورثة
جنة النعيم اى ادخلني الجنة واجعلني من الذين يرثون الفردوس واغفر لابي انه كان من الضالين اى عن الحق
المنكرين واما دعا ابرهيم لابيه لموعدة وعدها اياه فلما بين له انه عدو لله تبرا منه وكان هذا الدعاء
قبل ان تبرا منه والضال هو الذاهب عن طريق الحق ه قوله تعالى ولا تخزني يوم يبعثون اى لا تفضحني ولا
تهتك ستري يوم القيمة يوم سعة الحلق وقيل معناه لا تعذبني يوم يبعثون الخلايق واما قال ذلك مع علمه
انه لا يخزيه اما على طريق التعبد واما جايزا لغير على الانبياء في مثل هذا الدعاء ثم فسر ذلك اليوم فقال
يوم لا ينفع مال ولا بنون اى لا ينفع ذا المال ماله الذي كان له في الدنيا ولا سعيه بنوه ولا يواسيه شيء
من طاعاتهم ولا يحملون عنه شيئا من معاصيه وقوله تع الا من اتى الله بقلب سليم يعني من الشرك والنفاق وانه ينفعه
سلامة قلبه وقيل القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن ه وقيل الكافر والمنافق مريض ه وقال اهل المعاني

في تفسيره هذه الآيات اقوالا غير هذا لبعضهم معنى الذي خلقني فهو يهدين اي الذي خلقني في الدنيا على
فطرته فهو يهدين في الاخرة الى جنته ۞ وقوله هو والذي هو يطعمني ويسقين اي يطعمني اذا طعام شئا
ويسقين اذا شراب شئا قال مجاهد كنت سقيم فصححت سقين الشوري لكنه وكان يشتق المرض الى السبب كقولهم من
الزمل ۞ وعن الحجاج عن عبد الكريم قال خرجت من بلخ في طلب ابرهيم ادهم فوجدته بحمص فسلمت عليه ولبثت
معه يوما ثم قلت له كيف تجدك فقال العلل نفسك فانا وعلتي الى شئ من طعام فعلت نعم فاخذ ثمانية ارغفة وثلاثة اجرية خل فجعلها واعطانيه
فاكلته ثم اقبل علي وانشا يقول ۞ اخلط المرار بالزلال وكلة ۞ واترك النفس عند مقام الشوال ۞ وقال
ابو بكر الوراق معناه يطعمني بالاطعام ويسقيني بالشراب يشبعني في دنيا ويرويني من عين الآخرة كما قال صلى الله عليه وسلم
اني ابيت يطعمني ربي ويسقين ۞ وقال علي بن قادم كان عبد الله بن ابي نعيم لا ياكل الا بالشبهة الا مرة
فبلغ ذلك الحجاج فدعاه وادخله بيتا واغلق عليه ثلثة عشر يوما ثم فتحه ولم يشك انه قد مات
فوجده قايما يصلي فقال له يا فاسق اتصلي بغير وضوء فقال ما احتاج الى الوضوء مر ما كل وشرب فاما
على الطعام الذي ادخلتني عليه فهو الذي اقامني بين يدي ربي ۞ وقال ذو النون المصري معنى قوله هو يطعمني ويسقين اي
يطعمني طعام المعرفة ويسقين شراب المحبة انشا يقول ۞ شراب المحبة خير الشراب ۞ وكل شراب سواه سراب ۞
وقال ابو يزيد البسطامي ان الله شرابا يعالج به شراب المحبة اذا خرج لافاضل عباده فاذا وصلوا اتصلوا فهم في
مقعد صدق عند مليك مقتدر ۞ وقال الجنيد يحشر الناس يوم القيمة عراة الا لبس التقوى وجياعا الا
من اكل طعام المعرفة وعطاشا الا من شرب شراب المحبة ۞ وقوله وإذا مرضت فهو يشفين قال جعفر الصادق
اي اذا مرضت بالذنوب فهو يشفيني بالتوبة وقال بعضهم مرض عبد الله اذا مرضتي مقاساة الخلق شفاني
بذكره والانس به وقوله هو والذي يمتني ثم يحيين قال اهل الاشارة يميتني بالعدل ويحييني بالفضل يميتني بالمعصية
ويحييني بالطاعة يميتني بالفراق ويحييني بالتلاق يميتني بالجهل ويحييني بالعقل يميتني بالخذلان ويحيين بالتوفيق
وقوله هو والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اي قدرت واذنبت لهم حتى نظروا اليها وقوله هو ورثت للمحرم للعارف اي اطهرت
ولشقت للضالين عن الهدى وقيل للضال في ذلك اليوم على وجه التوبيخ اينما كنتم تعبدون من دون الله اي
ان الهتكم التي تعبدونها من دون الله هل يدفعون العذاب عنكم او هل ينتصرون لانفسهم اي يدفعون
عن انفسهم ثم يؤمر بهم فيلقون في النار فذلك قوله هو فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون
قال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال ابن قتيبة ألقوا على رؤسهم وقال مقاتل قذفوا في اسافلها هم والغاوون
قال السدي يعني الآلهة والمشركون واعطاهم كفار مكة وكفار الجن والانس والهتهم وذريته ابليس حتى صاروا
كتيبة واحدة وطرحوا في النار قوله هو قالوا وهم فيها يختصمون اي قال الكفار وهم فيها يختصمون اي في
النار مع الهتهم ورؤسائهم تالله ما كنا الا في ضلال مبين وقوله هو اذ نسويكم برب العلمين اي تالله ما كنا
الا في ضلال مبين حيث سويناكم برب العالمين فاعطمناكم وعبدناكم وقد لنا كم به يقرون على انفسهم بالخطا
وما اضلنا عن الهدى الا المجرمون يعني الشياطين وقيل اولونا الذين اقتدينا بهم فما للنا من شافعين يشفعون لنا
من الملكة والنبيين والمومنين حين يشفعون لاهل التوحيد ولا صديق حميم اي ولا ذي قرابة يهمه
امرنا والحميم القريب الذي يوده ويودك ۞ قال ابن عباس ان المومن ليشفع يوم القيمة للمومن المذنب
والصديق الصاحب الذي يصدق في المودة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليقول في
الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في النار فيقول الله هو اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من
بقي للنا من شافعين ولا صديق حميم فما قالوا فلولا لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنكون من المومنين المصدقين

بالتوحيد

عليه ولياه
في كبكبوا فيها هم

ما التوحيد لتحل لنا الشفاعة كما حلت لاهل التوحيد وقوله هو ان في ذلك لاية اي في اخبار قصة
ابرهيم واختصام اهل النار وتبري بعضهم من بعض لعبرة وعظة للخلق الآخرين بعدهم وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم اي العالم على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال الى ان يومنوا
والمنعم عليهم بعد التوبة قوله هو كذبت قوم نوح المرسلين قال الزجاج دخل التاء ههنا
وقوم مذكورون لان المراد بالقوم الجماعة اي كذبت جماعة قوم نوح نوحا ومن قبله من الرسل اذ قال
لهم اخوهم نوح الا تتقون عذاب الله بتوحيده وطاعته وكان اخوهم من النسب لا من جهة الدين
اني لكم رسول امين على الرسالة فيما بيني وبينكم وقيل معناه كنت امينا فيكم قبل اليوم فكيف
تتهموني اليوم فاتقوا الله فيما امرتكم به واطيعون فيما ادعوكم اليه وقيل واطيعون فيما امركم
به من الايمان بالتوحيد وما اسالكم على الدعاء الى التوحيد من اجر ما اجري وثوابي الا على رب
العالمين وقيل ما اسالكم على تبليغ الوحي والرسالة مالا يقصدكم عن القبول مني وتعتدوني في الطمع
وقوله هو فاتقوا الله واطيعون اي اتقوا عذاب الله واطيعوا امري وتكرير فاتقوا الله كان في الاول
اتقوا الله واطيعون كما في رسولا امين والباقي اتقوا الله واطيعون في لا اسالكم عليه اجرا فعالوا له
انومن لك واتبعك الارذلون اي اتؤمن لك ونصدقك ودراتبعك سفلتنا وهم الارذلون الاقلون وكان فيمن
نوح ضعفاء قومه وفقراؤه وكان اكثر من اتبعه يختصون بصناعات خسيسة مثل الحوك والحياكة فلذلك
قال له اشراف قومه واتبعك الارذلون ويقرا واتباعك الارذلون وهي قراءة يعقوب اي اشياعك واهل
دينك قال الزجاج والصناعات لا تضر في باب الديانات وقال عطاء يعنون بالارذلين المساكين الذين
ليس لهم مال ۞ وقوله هو ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي قال نوح ما اعلم اعمالهم وصنايعهم ولم اكلف
ذلك وانما كلفت ادعوهم ولا اسال عما كانوا يعملون ولا اطلب علم صنايعهم وانما العيب في المعاصي
لا في حياكة الصناعة وقوله هو ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي ما حسابهم مما يعملون الا على ربي
لو تشعرون اي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم لصنايعهم وقيل انهم نسبوا قومه الذين امنوا به الى النفاق
واضمار الكفر فقال ان حسابهم الا على ربي اي ما جزاؤهم الا على ربي لو تشعرون وما انا بطارد المومنين
اي لا اطردهم من عندي مع اظهارهم الايمان لتسبب فقرهم وطعنكم عليهم وقوله هو ان انا الا نذير مبين اي ما
انا الا معلم ومواضع المخافة لتحذروها فمن قبل قرنته ومن زرده ناعدته ولم اكلف علم ما في الضمائر وقوله
تعالى قالوا لئن لم تنته يا نوح اي لئن لم تنته عما تقول لتكونن من المقتولين بالحجارة قال ابن عباس قومي كذبون
فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاقض بيني وبينهم قضاء تكون فيه نجاتي وهلاك عدونا فاما نجيناه ومن معه في السفينة
المملوة من الناس والبهايم والسباع والطير وذلك قوله تعالى في الفلك المشحون اي الذي قد ملئ حمادكر يا من
جميع الحيوان وقوله هو ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد نجاة نوح ومن معه اغرقنا الباقين قوله هو ان ربك
لاية اي في اغراق الكفرة ونجاة المومنين السفينة لعلامة تدل على وحدانية الله هو وكمال قدرته
وما كان اكثرهم مومنين اي وما كان اكثر قوم نوح مومنين مع قيام الحجة وان ربك لهو العزيز الرحيم اي لهو
القادر على اخذ الاعداء المنتقم منهم الرحيم بالاولياء المنعم عليهم ۞ قوله هو كذبت عاد المرسلين يعني
القبيلة لانه اريد بعاد القبيلة والمسمى كذبت عاد هودا وحده المرسل اذ قال لهم اخوهم هود الا
تتقون عبادة غير الله اني لكم رسول امين ارسلني الله اليكم وايتمنني على الرسالة فاتقوا

الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين ۝ قوله تعالى اتبنون بكل ريع اية تعبثون الريع هو المكان المرتفع قال ابن عباس معناه اتبنون
بكل شرف وقال المقاتل والكلبي والضحاك اتبنون بكل طريق اية اي بنيانا وعلما متمرا عن سائر الابنية
تعيثون لمن تمر في الطرق والمعنى اتبنون بكل طريق بنيانا المرتفعة بنيانا للتشرف على المارة
للسخر واسهم وتعبثون بهم وقيل معناه قوله تعبثون اي تبنون ما تستغنون عنه ولا تسكنونه
عبثا منكم سمي بناءهم عبثا لانهم كانوا يبنون في البنايين فوق الحاجة ويقصدون به كثرة التفاخر
والتكاثر ۝ ومن ذلك يسمى كل لعب لا لذة فيه عبثا والذي يكون فيه لذة لعبا ۝ وقال الوالبي عن
عباس اتبنون بكل ريع اي بكل شرف وقال قتادة والضحاك بكل طريق ۝ وعن ابي بحيح الريع الثنية
الصغيرة وقيل المنظرة وقال عكرمة بكل واد ۝ قوله تعالى وتتخذون مصانع قال ابن عباس هي الابنية
وقال مجاهد المصانع تصورن مشيدة وقيل هي الحصون وقال عبد الرزاق المصانع عند نابلغة اليمن القصور
واحدتها مصنعة وقال الكلبي هي القصور والحصون وقيل هي المباني التي يصنعها الناس من البساتين
وغيرها وقيل هي مجامع الماء هي الحياض واحدها مصنعة ومنه قوله لعلكم تخلدون اي كانكم
تخلدون اي تستوثقون في بناء المصانع كانهم يخلدون فيها فلا يموتون ولعل ثانية في الكلام بمعنى كان
من قوله لعلك باخع نفسك اي كانك قاتل نفسك ان لم يؤمنوا وقيل معناه تتخذون كي كما ان تخلدوا
وانتم لا تخلدون قوله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين اي اذا بطشتم بمن دونكم بطشتم متكبرين ومتجبرين
من غير رأفة ولا رحمة بالسوط وبالسيف تقتلون على الغضب ۝ والمعنى اذا عاقبتم قتلتم والبطش هو الاخذ بالشدة والجبار
هو العاتي المتقدم بعمل يخلد به جبار اذا كانت لا تنالها الايدي وهو صفة مدح لله تعالى لان هذا المعنى
حقيقة فيه وهو صفة ذم لغيره لانه كذب فيه قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اتقوا عقاب الله
باصلاحكم على ما انتم عليه واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من النعمة والخير امدكم بانعام وبنين فيه بيان
بعض النعم وقوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي اني اعلم انه سينزل بكم عذاب عظيم ان لم تؤمنوا
يريد به العذاب الذي اهلكوا به وقوله تعالى قالوا سواء علينا او عظت ام لم تكن من الواعظين اي سواء
علينا وعظتنا ام لم تعظنا فلا نترك هذه العادة وقوله تعالى ان هذا الا خلق الاولين اي ما هذا العذاب
الذي تقول يا هود الا كذب الاولين وهذا قول ابن مسعود ومجاهد والخلق والاختلاق هو الكذب ومنه
قولهم وتخلقون افكا وقرئ خلق الاولين بضم الخاء واللام اي عادة الاولين والمعنى ما هذا الذي نحن فيه الا
عادة الاولين وقيل انا يعيشون ما عاشوا لا نموت ولا نبعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نفعل
فكذبوه بالعذاب في الدنيا فاهلكناهم بالريح قوله تعالى فكذبوه فاهلكناهم اي كذبوا هودا بعد وضوح
الحجة فاهلكناهم بريح صرصر عاتية وقوله تعالى في ذلك لاية اي في اهلاكنا اياهم معجزة لهم باضعف
الاشياء وهي الريح لدلالة على وحدانيتنا وصدق نبوة هود وما كان اكثرهم مؤمنين بالله فانه لم يؤمن منهم
الا قليل وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين الى قوله اتتركون فيما ههنا ظاهر المعنى ۝
قوله تعالى اتتركون فيما ههنا امنين اي كان لهم صالح اتتركون في الدنيا آمنين من الموت والعذاب تاكلون
وتشربون وتتمتعون فلا تكلفون وقوله تعالى في جنات وعيون اي اتظنون انكم تتركون في بساتين ومياه

طلعها هضيم اي ثمرها نضيج مدرك ناعم والنضيج هو الرخص
اللين اللطيف النابع ۝ وتنحتون من الجبال بيوتا اي تنقبون في الجبال بيوتا فرهين اي اشرين
بطرين وقرا ابن عامر والكوفيون فارهين بالالف اي حاذقين بنحتها ماخوذ من قولهم فره
الرجل فراهة وهو فاره والفارهة والفاره بمعنى واحد ۝ وقيل الفاره الهائم قوله تعالى وهيئ
بدل من الحاء والفرح في كلام العرب الاشر والبطر ومنه قوله ان الله لا يحب الفرحين قوله تعالى
ولا تطيعوا امر المسرفين اي امر رؤسائكم وكبرائكم الذين يفرطون في الشرك والمعاصي
وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة وهم الذين يفسدون في الارض بالمعاصي
ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله فيما امرهم ۝ قوله تعالى انما انت من المسحرين اي قد لهم
يوميا اما انت ممن سحر مرة بعد مرة فلا نؤمن بك وقيل المسحر هو المعلل بالطعام والشراب
والمسحر مجرى الطعام يقال اصابتنا سحرة اي شرقة والمعنى لست ملكا انما انت بشر مثلنا
لا تفضلنا في شيء فلست بملك ولا رسول قال زيادة ان كنت من الصادقين انك رسول الله
الينا ۝ قال ابن عباس سالوه ان يجمع لهم ناقة جمعاء عشراء من كدية ملساء فتضع وهم
ينظرون وترد هذا الماء فتشرب يوم شربها ويحلبون يوم ورودها لبنا مكان الماء الذي كانت تشربه
تلك الصخرة كما تتمخض المراة الحامل عند الولادة فخرجت منها ما قة على الصفة التي سالوها
لا نظير لها في التوق وكان لهم شرب يوم ولها شرب يوم معلوم اي اجعلوا الشرب بينها وبينكم مناوبة لها شرب يوم
ولكم شرب يوم معلوم ۝ قوله تعالى ولا تمسوها بسوء اي لا تعقروها ولا تنوحوها ولا تضربوها ولا تطردوها عن ماء ولا مرعى
عذاب يوم عظيم فعقروها يوم الاربعاء واقتسموا لحمها فلما عقر الفاوتمان اية منزل ثم
اصبحوا نادمين على قتلها فاخذهم العذاب في اليوم الثالث وهو يوم السبت صاح بهم
جبريل فماتوا اجمعين ۝ قوله تعالى ان في ذلك لاية اي في اخراج الناقة من الصخرة وفي اهلاكهم
بعقرها لعلامة وعبرة لمن بعدهم ولم يكن اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون الى قوله تعالى انا لمنجوك والذكران من
العالمين ظاهر المعنى ۝ قوله تعالى انا لنجوك والذكران من العالمين معناه انكم تفعلون الفاحشة
وتتركون ما احل لكم ربكم من فروج نسائكم بل انتم قوم عادون اي متجاوزون الى الظلم
والحرام ۝ قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي لئن لم تسكت يا لوط عن الانكار
علينا وتقبيح افعالنا لتخرجن من ارضنا قال لوط اني لعملكم من القالين اي من المبغضين والقلى
هو البغض الشديد اللازم الذي لا يفارق صاحبه ۝ قوله تعالى رب نجني واهلي مما يعملون
اي خلصني واهلي وعفوه اعمالهم الخبيثة حتى لا نراهم ولا نرى اعمالهم فنجيناه واهله

اى خلصناهم من العذاب الذى وقع بهم وهو عجبناه والمكذ اى بجيناه وبنائه ٥ وقوله تعالى
الا عجوزا يعنى امراته والهمه فاهلكناها من الغابرين اى الباقين فى موضع العذاب فهلك معهم
وكانت تدل المشركين على اضيافه قوله تعالى فدمرنا الاخرين اى اهلكناهم بالخسف والحصب وهو ان الله
تعالى خسف بقراهم كما روى ان جبريل رفعهم بلادهم حتى بلغ بهم الى السماء ثم قلبها عليهم وجعل عالمها سافلها
وقوله وامطرنا عليهم مطرا اى امطرنا على شذادهم ومسافريهم حجارة فسامطر المنذرين اى فبئس
مطر الذين انذروا فلم يؤمنوا وقوله تعالى ان فى ذلك لاية اى فى اهلاكنا اياهم لدلالة وعبرة لمن بعدهم
وان ربك هو العزيز الرحيم قوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين اختلفوا فى الايكة قال بعضهم
هو اسم مدين وقال بعضهم الايكة اسم لمدينة اخرى غير مدين وكان شعيب مبعوثا الى كل
واحدة من المدينتين غير انه كان اخا مدين ولم يكن اخا الايكة ولذلك لم يقل فى هذه الاية اذ قال
لهم اخوهم وانما قال اذ قال لهم شعيب وقيل الايكة الغيضة ذات الشجر الملتف وجمعه ايك وقيل
الايكة شجر الدوم وهو المقل وكان شجرهم الدوم وتقرا الايكة بغير الف وفتح التاء وقوله تعالى اوفوا
الكيل ولا تكونوا من المخسرين اى اتموا الكيل اذا كلتم ولا تكونوا من الذين يبخسون حقوق الناس فى
الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم وقد تقدم تفسيره وقوله تعالى واتقوا الذى خلقكم والجبلة
الاولين اى اتقوا الله الذى خلقكم وخلق الجبلة الاولى اى وخلق الخلق الذين من قبلكم والجبلة بكسر الجيم
والباء وضمهما الخلق الكثير وقوله تعالى قالوا انما انت من المسحرين اى من المعللين فمثلنا ممن له سحر
وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فيما تقول وقوله تعالى فاسقط علينا كسفا من السماء
اى جانبا من السماء ان كنت من الصادقين فى انك مبعوث الينا وان هذا العذاب نازل بنا وهذا
اذا اقرات كسفا باسكان السين ٥ واما اذا فتحتها فهو جمع الكسفة وهى القطعة وقوله تعالى
قال ربى اعلم بما تعملون اى هو اعلم بعملكم وبما تستحقون من العذاب ووقت الاستحقاق
فينزل بكم العذاب على ما توجبه الحكمة فكذبوه اى كذبوا شعيبا بعد ظهور المحجة واخذهم
عذاب يوم الظلة انشا الله سحابة عليهم حتى اظلتهم فى يوم حر شديد فاجتمعوا تحتها مستجيرين
بها مما الهم من الحر فاطبقت عليهم وامطرت عليهم نارا فاهلكتهم قال المفسرون وذلك ان الله تعالى
كان قد حبس عنهم الريح سبعة ايام وسلط عليهم الحر حتى اخذ انفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا
ماء وكانوا يدخلون الاسراب ليبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها اشد حرا من الظاهر
فخرجوا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة اظلتهم من الشمس فوجدوا الها باردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى
اجتمعوا كلهم تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وكان من اعظم يوم فى الدنيا وذلك قوله تعالى
انه كان عذاب يوم عظيم والظلة هى السحابة الى اظلتهم قال قتادة بعث الله شعيبا الى
امتين اصحاب الايكة واهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين
فاهلكوا بالصيحة صاح بهم جبريل فهلكوا جميعا قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين اى وان
القران لمنزل رب العالمين نزل به الروح الامين يعنى جبريل وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع وحفص نزل
بالتخفيف ورفع الجلالة يعنون نزل جبريل بالقران وقرا الباقون بالتشديد والنصب اى نزل
الله بالقران جبريل وهو امين وقوله تعالى على قلبك اى قراءته فاوعه قلبك كى لا تنساه وقوله تعالى

لتكون

لتكون من المنذرين اى من المعلمين موضع المخافة بلسان عربى مبين اى لتنذر العرب بلغتهم
ليكون ذلك اقرب الى فهمهم واقطع لعذرهم وقوله تعالى وانه لفى زبر الاولين يعنى ان ذكر القران
مذكور فى كتب الاولين وان لم يرد به غير القران لانه يتضمن خبر محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران
عليه ولو كان مذكورا بعينه فى الكتب لبطل التخصيص ولكنه تذكر فى الكتب المتقدمة
انه سيبعث نبيا فى آخر الزمان صفته كذا وسينزل عليه كتابا صفته كذا كما قال تعالى
تجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وهذا معنى قوله تعالى انها لفى الصحف
الاولى اى مذكورة فى الصحف الاولى اذ الناس فى الغالب يؤثرون الله سابق على الاجوة وان الاجوة
خير وابقى ٥ قوله تعالى اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل روى ان سبب نزوله ان اهل
مكة بعثوا الى اهل الكتاب يستخبرونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وعن ما يدعى والرسالة
ويصفون لهم نعته وصفته فاخبرهم اهل الكتاب ان ذكره عندهم وانه نبى مبعوث
فاتبعوه والمعنى اولم يكن لاهل مكة علامة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علماء بنى اسرائيل
مثل عبد الله بن سلام واصحابه قال الزجاج فى قراءة من قرا اية بالنصب فقوله ان يعلمه
اسم كان واية خبرها والمعنى اولم يكن لهم علم علماء بنى اسرائيل ان محمدا نبى حق علامة ودلالة
على نبوته قال عطية كان علماء بنى اسرائيل الذين امنوا منهم عبد الله بن سلام وابن يامين
وثعلبة واسد واسيد وقرا ابن عامر اولم تكن لهم بالتاء رفعا قال الفراء جعل اية
هى الاسم وان يعلمه خبر كان قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين اى لو نزلنا القران
على رجل العجمى لا ينصح قراءته عليهم بغير لغة العرب ما امنوا به وقالوا ما نفقه هذا
فذلك قوله ما كانوا مؤمنين وفى هذا بيان معانيهم والاعجم والاعجمى بمعنى واحد وهو الذى
فى لسانه عجمة ومنه العجماوات وهى البهائم واما العجمى فهو منسوب الى العجم افصح او لم يفصح ٥
وعن ابن مسعود انه سئل عن هذه الاية وهو راكب ناقة فاشار الى ناقته وقال هذه من
الاعجمين كانه ذهب الى ان معنى الاية انه لو نزل بها القران على البهائم فانطقها
به فقرات عليهم ما امنوا به ثم ذكر الله سبب تركهم الايمان فقال كذلك سلكناه فى قلوب
المجرمين قال ابن عباس معناه سلكنا الشرك والتكذيب فى قلوب المجرمين اذا قراه عليهم
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو مجلز يعنى مشركى مكة اخبر الله تعالى انه ادخل الشرك فى قلوبهم
فلم يؤمنوا الا عند نزول العذاب حتى لم ينفعهم وهو قوله تعالى لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم يعنى عند الموت فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فى الدنيا فيتمنوا الرجعة والنظرة وهو
قوله تعالى فيقولوا هل نحن منظرون انوبخ ونصدق فلما اوعدهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا
متى العذاب فكذبوا فقال الله تعالى افبعذابنا يستعجلون قوله تعالى افرايت ان متعناهم
سنين يعنى افرايت يا محمد ان امهلنا كفار مكة سنين يوم بدر فحل بهم العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يتمتعون به فى تلك
المدة اعمارهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يتمتعون به فى تلك

السنين والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعم الدنيا فاذا اتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم
شيا ويكون كانهم لم يكونوا في نعيم قط وهذه موعظة ما ابلغها ٥ يحكى عن عمر
بن عبد العزيز كان اذا قعد للقضا كل يوم ابتدا بهذه الاية فوعظ بها نفسه ثم ذكر هذه
الابيات ٥ تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ٥ كما اغتر باللذات في النوم حالم ٥
حياتك يا مغرور سهو وغفلة ٥ وليلك نوم والردى لك لازم ٥
قوله تع وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اي ما اهلكنا من قرية بالعذاب في الدنيا الا
لها رسل ينذرونهم بالعذاب انه نازل بهم والمعنى الا لها منذرون قبل الهلاك ونظيره
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تع ذكرى اي موعظة وتذكيرا وما كنا ظالمين فنعذب
من غير ذنب ونعاقب من غير تذكير وانذار ويجوز ان يكون ذكرى في موضع نصب على معنى الا لها
مذكرون ذكرى ويجوز ان يكون في موضع رفع على معنى ذلك ذكرى اي ذلك موعظة لهم قوله تع
وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ٥ قال مقاتل قالت قريش انما يجي
بالقران الشياطين فيلقيه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تع وما تنزلت به الشياطين اي
بالقران وما ينبغي لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون اي لا يقدرون على ذلك انهم عن
السمع لمعزولون اي انهم عن استماع القران محجوبون لانهم يرجمون بالنجوم ٥ قوله تعالى
فلا تدع مع الله الها اخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره والمعنى كل من دعا
مع الله الها اخر كان من المعذبين قوله تع وانذر عشيرتك الاقربين اي رهطك الادنين
وهم بنو هاشم وبنو المطلب خاصة فلما نزلت هذه الاية نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ال
غالب يا ال لوي بن كعب يا ال مرة يا ال كلاب يا ال قصي يا ال عبد مناف فاتوه فقالوا له ما
تريد قال ارايتم لو حدثتكم ان جيشا اظلكم اكنتم تصدقوني قالوا نعم قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد واني لا املك لكم من الله شيا الا ان تقولوا لا اله الا الله ثم قال يا معشر
قريش اشتروا انفسكم من الله فاني لا اغني عنكم من الله شيا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من
الله شيا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيا يا صفية عمة محمد لا اغني عنك
من الله شيا يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيا ٥ وعن ابن عباس قال لما نزل قوله تع
وانذر عشيرتك الاقربين صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وقال يا صباحاه
فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك قال ارايتكم ان اخبرتكم ان العدو مصبحكم او
ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال
ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا جميعا فانزل الله تع تبت يدا ابي لهب وتب الى اخرها ومعنى
الاية عرف قرابتك يا محمد انك لا تغني عنهم من الله شيا ان عصوه والفايدة في تخصيص
الاقربين بالانذار انهم كانوا اقرب اليه كما قال تع قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وكما
ان الاولى بالانسان في البر والصلة ان يبدا بالاقرب فالاقرب ٥ قوله تعالى
واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين اي اكرم من اتبعك من المومنين والن لهم

القول

القول واظهر لهم المحبة والكرامة قوله تع فان عصوك فقل اني بري مما تعملون اي ان عصاك الاقربون
من عشيرتك فقل اني بري مما تعملون من الكفر وعبادة غير الله ٥ وتوكل على العزيز الرحيم اي فوض
امرك اليه وثق به فانه العزيز في نقمته الرحيم بهم حين لم يعجل عليهم بالعقوبة قوله تع الذي
يراك حين تقوم اي توكل على الله العزيز اي الغالب القادر على ان يكفيك كيد اعدائك الرحيم
بالمومنين خاصة فكيف لا تفوض امورك اليه وهو الذي يراك حين تقوم الى الصلوة ويرى
قيامك وركوعك وسجودك وتضرعك في المصلين مع الجماعة والمعنى انه يراك اذا صليت وحدك
ويراك اذا صليت في الجماعة راكعا وساجدا وقايما انه هو السميع العليم اي السميع لقولك
العليم بما في قلبك ٥ قوله تع هل انبيكم على من تنزل الشياطين اي قل لاهل مكة هل اخبركم
على من تنزل الشياطين وهو راجع الى قوله تع وما تنزلت به الشياطين ثم اخبر فقال تنزل
على كل افاك اثيم اي على كل كذاب فاجر قال قتادة هم الكهنة مثل مسيلمة وغيره وقوله تعالى
يلقون السمع واكثرهم كاذبون معناه ان الشياطين يسترقون السمع من كلام الملايكة ثم يضيفون
الكذب الى ذلك فيلقونه الى الكهنة وقوله تع واكثرهم كاذبون يعني لانهم يخلطون به كذبا كثيرا
وهذا كان قبل ان يوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا ٥
قوله تع والشعرا يتبعهم الغاوون قال ابن عباس يريد شعرا المشركين وذكر مقاتل اسماهم
فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهبيرة بن وهب المخزومي
ومسافع بن عبد مناف الجمحي وابو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وامية بن ابي الصلت الثقفي
تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون
اشعارهم ويروون عنهم حتى يهجون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فذلك قوله تع يتبعهم الغاوون يعني
الذين يروون هجا المسلمين وسب الصحابة وقال قتادة ومجاهد الغاوون هم الشياطين كما قال تع
حاكيا عنهم فاغويناكم انا كنا غاوين وقيل الغاوون كفار الجن والانس وفي الحديث لان يمتلي
جوف احدكم قيحا حتى يصير جاريا احب الي من ان يمتلي شعرا واراد به الشعر المذموم قوله تعالى
الم تر انهم في كل واد يهيمون اي في كل فن من الكذب يتكلمون وفي كل لغو يخوضون يمدحون بباطل
ويشتمون بباطل فالوادي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو
وباطل وغلو في مدح او ذم ٥ وقوله تع وانهم يقولون ما لا يفعلون اي يقولون فعلنا وفعلنا
وهم كذبة ويصفون انفسهم بما ليس فيها قوله تع الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثنا لشعرا
المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وردوا
هجا من هجاه ٥ روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لحسان بن ثابت اهجهم ومعك روح القدس ٥
وقوله تع وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا يعني انهم كانوا يذكرون الله كثيرا في اشعارهم
ويناضلون عن النبي صلى الله عليه وسلم بالسنتهم وايديهم من بعد ما هجاهم الكفار والانتصار بالشعر
جايز في الشريعة بما يجوز ذكره فيها كما قال تع في اية اخرى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
وروي ان كعب بن مالك قال يا رسول الله ما تقول في الشعر فقال ان المومن يجاهد بسيفه ولسانه

والذي نفسي بيده لكانما ينضحونهم بالنبل وقال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقالت عائشة
الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذوا الحسن ودعوا القبيح ٥ وعن الشعبي قال كان ابو بكر
رضي الله عنه يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي اشعر الثلاثة ٥ قوله تعالى وذكروا
الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم وانتصروا من بعد ما
ظلموا اي انتصروا من المشركين لانهم بدؤا بالهجاء ثم اوعد شعراء المشركين فقال وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون اي سيعلم الذين اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
اي منقلب ينقلبون قال ابن عباس الى جهنم يخلدون فيها والمعنى سيعلمون الى اين مصيرهم
وهو نار جهنم فعلى هذا يكون قوله تعالى اي منقلب منصوبا بدلا من المصدر ولا يجوز ان يكون
منصوبا بقوله وسيعلم لان ايا لا يعمل فيه ما قبله لانه من حروف الاستفهام وموضع حروف
الاستفهام صدر الكلام فكان انتصاب قوله اي منقلب على معنى المصدر او بقوله ينقلبون ٥
وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم ولوط واسحق ويعقوب وموسى
وعيسى وبعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم ٥ سورة النمل اربعة الاف
وسبعمائة وتسع وتسعون حرفا والف ومائة وتسع واربعون كلمة وثلث وتسعون اية ٥
بسم الله الرحمن الرحيم ٥ طس قال ابن عباس طسم اسم من اسماء
الله اقسم به ان هذا القران تلك الايات التي وعدتم بها وقال قتادة هو اسم من اسماء القران
وقيل هو اسم السورة ٥ وقوله تعالى وكتاب مبين معناه وايات الكتاب المبين بالحلال والحرام وقوله
تعالى هدى وبشرى يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال اي جعلنا هذه الايات هادية مبشرة
للمؤمنين ويجوز ان يكون هدى في موضع رفع اي هو هدى والمعنى هدى اي بيان من الضلالة
لمن عمل به وبشرى بما فيه من الثواب للمصدقين به انه من عند الله ثم نعتهم فقال الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة الاية ظاهرة المعنى ٥ قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا
لهم اعمالهم فهم يعمهون اي زينا لهم ضلالتهم حتى راوها حسنة فهم يعمهون اي يترددون فيها متحيرين
اولئك الذين لهم سوء العذاب اي اشده وهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم خسروا انفسهم
واهليهم وصاروا الى النار ٥ قوله تعالى وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم اي لتعطا القران وحيا
من عند الله تعالى انزله بعلمه وحكمته قوله تعالى اذ قال موسى لاهله اي واذكر اذ قال موسى لامراته
اني انست نارا اي ابصرتها وكانت امراته يومئذ ابنة شعيب عليه السلام فقال لها حين ضل الطريق
اني ابصرت نارا فامكثوا ههنا حتى اتيكم من عند النار بخبر الماء والطريق فان لم اجد احدا يخبرني عن
الطريق اتيتكم بشعلة نار وهو قوله تعالى او اتيكم بشهاب قبس والشهاب خشبة فيها نار ساطع
لعلكم تصطلون اي لكي تصطلوا من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء يقال صلي بالنار واصلى
بها اذا استدفا والمعنى او اتيكم بالشعلة المقتبسة من النار لكي تدفؤا من البرد والشهاب هو
النور المستطير ومنه قوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب والقبس والجذوة كل عود اشتعلت في طرفه نار

قرا

٧٨

قرا اهل الكوفة بشهاب قبس منون على البدل او النعت للشهاب قوله تعالى فلما جاءها نودي ان بورك من في النار
ومن حولها معناه فلما جاء موسى الى النار التي راها نودي نداء الوحي ان بورك من في طلب النار وهو موسى
ومن حولها من الملئكة وهذه تحية من الله تعالى لموسى بالبركة كما حيا ابرهيم بالبركة على السنة الملئكة
حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وقيل ان المراد بالنار هو النور
وذلك ان موسى عليه السلام راى نورا عظيما لذلك ذكره بلفظ النار ومن في النار هم الملئكة
لان النور الذي راه موسى كان فيه ملئكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها هو موسى
لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها واهل اللغة يقولون بورك فلان وبورك عليه وبورك له وعليه
بمعنى واحد والمراد بالبركة ههنا ما نال موسى من كرامة الله له بالنبوة قوله تعالى وسبحان الله رب
العالمين كلمة تنزيه عن ما نطق المشبهة ان الله تعالى كان في تلك النار تعالى الله عما يقولون علوا
كبيرا قوله تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم اي ان الداعي الذي يدعوك انا الله العزيز في ملكي
الحكيم في امري وقضائي ٥ فان قيل بم ذا عرف موسى ان ذلك النداء من الله حتى جعل يدعو
الناس الى نبوة نفسه قلنا انما عرف نبوة نفسه بالمعجزة وذلك انه راى شجرة خضراء اخضر ما يكون
من الشجر في انضر ما يكون لها شعاع مرتفع الى السماء في الهوى والنار تلتهب في اوراقها واغصانها
فلا النار تحرق الاوراق ولا رطوبة الشجرة والاغصان تطفي النار فلما راى ذلك بخلاف العادة علم
انه لا يكون ذلك الا من صنع الله قوله تعالى والق عصاك اي وقيل له الق عصاك من يدك فالقاها
فاهتزت فلما راها تهتز كانها جان اي تضطرب كانها جان والجان الحية البيضاء الخفيفة
السريعة السير شديدة الاضطراب يقال لها الضئيلة وانما شبهها بالجان في خفة حركتها
وسرعة استتارها عن الاعين وشبهها في موضع بالثعبان لعظمها ٥ قوله تعالى ولى مدبرا ولم
يعقب اي اعرض موسى هاربا من الخوف من الحية ولم يعقب اي لم يرجع ولم يلتفت الى شيء وراه
يقال عقب فلان اذا رجع فقال الله له لا تخف اي لا تخف من ضررها اني لا يخاف لدي المرسلون
اي لا يخاف عندي وفي حكمي من ارسلته الا من ظلم من المرسلين بارتكاب الصغيرة ثم تاب من بعد ذلك
فاني غفور رحيم به وكان السبب في هذا الاستثناء ان موسى كان مستشعرا خيفة لما كان منه من
قتل القبطي فامنه الله تعالى بهذا الكلام ٥ والصغاير والكباير من الذنوب تسمى ظلما ولذلك
قال موسى اني ظلمت نفسي ويقال ان قوله الا من ظلم استثناء منقطع ومعناه لكن من ظلم فانه يخافني
الا ان يتوب ويعمل صالحا فاني اغفر له وارحمه والمعنى الا من ظلم نفسه بالمعصية ثم بدل حسنا
اي توبة وندما بعد سوء عمله فاني غفور رحيم كانه قال لا يخاف لدي الانبياء والتائبون
وقال بعضهم الا ههنا ولا كانه قال لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد
سوء ٥ قوله تعالى وادخل يدك في جيبك فيه بيان ان الله اراد اعطاءه اية اخرى في ذلك
المكان ومعنى تخرج بيضاء من غير سوء اي بيضاء لها شعاع من غير برص والجيب جيب القميص
وقوله تعالى في تسع ايات اي في تسع ايات اظهرها بين الايتين والايات التسع قلب العصا حية وجعل
يده بيضاء وما اصاب ال فرعون من الجدب بواديهم ونقص الثمرات في مزارعهم وارسال الطوفان

الذي راه

خضراء

بمعنى

والجراد والقمل والضفادع والدم فهذه الايات التسع ۝ قوله ثم الى فرعون وقومه
اى كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن طاعة الله قوله ثم فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اى فلما
جاء فرعون وقومه الايات التسع مبصرة اى دلالة واضحة قالوا هذا سحر مبين كذبوا بالايات
التسع كلها ونسبوا موسى الى السحر قوله ثم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم اى جحدوا بالسنتهم
وانكروا تلك الايات وعلموا بقلوبهم ان تلك الايات ليست من جنس افعال السحرة وانها لتدبير
اى علموا يقينا انها من الله لكن جحدوا بها تجبرا وتكبرا او ذلك قوله ظلما وعلوا اى شركا
وتكبرا عن ان يؤمنوا فانظر ايها المحمدي كيف كان عاقبة المفسدين في الارض بالمعاصي كيف اهلكهم
الله بالغرق في اليم ۝ قوله ثم ولقد اتينا داود وسليمان علما اى اعطينا هما معرفة الدين
واحكام الشريعة وقيل علما بالقضاء بكلام الطير والدواب وتسبيح الجبال فقابلا تلك النعمة
بالشكر فقالا الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة والكتاب والانبياء الحديد وتسخير الشياطين
والجن والانس على كثير من عباده المؤمنين قوله ثم وورث سليمان داود اى ورث نبوته وعلمه وملكه
وذلك انه كان لداود تسعة عشر ابنا ذكرا فورث سليمان ملكه ومجلسه ومقامه ونبوته
من بينهم ۝ وعن ابي هريرة قال نزل كتاب السماء الى داود عليه السلام مختوما في عشر مسايل ان سأل
ابنك عنها فاراه جهنم فهو الخليفة من بعدك فلما قعد داود يستعين فتسأل وتستعين خبرا واطبس
سليمان منهم وقال له يا بني انه نزل كتاب من السماء في عشر مسايل اردت ان اسألك عنهن فان انت
اخبرتنهن فانت الخليفة من بعدي فقال سليمان اسأل يا ابه عليه السلام عن ما بدا لك وما توفيقي
الا بالله قال اخبرني يا بني ما ابعد الاشياء وما اقرب الاشياء وما انس الاشياء وما اوحش الاشياء
وما القايمان وما المختلفان وما المتباغضان وما الامر الذي اذا ركبه الرجل جمد اخره
وما الامر الذي اذا ركبه الرجل ندم اخره فقال سليمان اما اقرب الاشياء فالاخرة واما ابعد
الاشياء فاتكاد الدنيا واما انس الاشياء لجسد فيه روح واما اوحش الاشياء جسد لا روح
فيه واما القايمان فالسماء والارض واما المختلفان فالليل والنهار واما المتباغضان فالموت
والحياة واما الامر الذي اذا ركبه الرجل جمد اخره فالحلم على الغضب واما الامر الذي اذا
ركبه الرجل ندم اخره فالجرءة على الغضب فقال الجاثم فاذا هذه المسايل سواء على ما
نزل من السماء فقال القسيسون والاحبار لن نرضى حتى نسأله عن مسئلة فان هو اخرجها
فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان لي وما توفيقي الا بالله فقالوا اما الشيء الذي اذا اصلح صلح كل شيء
منه واذا افسد فسد كل شيء منه فما هو فقال القلب اذا اصلح صلح كل شيء منه واذا افسد فسد
كل شيء منه فقالوا صدقت انت الخليفة من بعدك ودفع اليه داود وقضيت الملك وما ترك العبد
وعن محمد بن كعب عن ابيه قال اعطى سليمان ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعمائة سنة
وسبعة اشهر ملك اهل الدنيا كلهم من الجن والانس والشياطين والدواب والطير والسباع واعطي
علم كل شيء ومنطق كل شيء ۝ قوله ثم وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير صوت منه قال الفراء منطق
اى صوته وكلامه جعله كمنطق الرجل اذا فهم قال مقاتل كان سليمان جالسا اذ مر به طاير فقال لجلسايه
هل تدرون ما قال هذا الطاير قالوا الله قال لي السلام عليك ايها الملك المسلط على بني اسرايل

ومر سليمان ذات يوم على بلبل نوح شجرة تحرك راسه وذيله وينصب فقال لاصحابه هل تدرون
ما يقول هذا البلبل قالوا الله اعلم قال انه يقول الكل نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وعن الكلبي
قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا الله قال انه يقول الدرا للموت وابنوا للخراب
وصاحت فاختة عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قال لتذكر الخلق لم تخلقوا وصاح هدهد فقال انه يقول
كما تدين تدان وصاح طاووس عندك فقال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عنده فقال
انه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح خطاف عنده فقال انه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت
حمامة فقال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سماواته وارضه وصاح قمري فقال انه يقول سبحان
ربي القدوس وصاح باز فقال انه يقول سبحان ربي وبحمده والضفدع يقول كل سبحانك الاوجهه
والقطاة تقول من سكت سلم والحداة تقول سبحان المذكور بكل مكان ۝ وعن مكحول قال صاح دراج
عند سليمان عليه السلام فقال اتدرون ما يقول قالوا الله قال انه يقول الرحمن على العرش استوى ۝ وعن
الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الديك يقول في صياحه اذكروا الله يا غافلين ۝ وعن الحسن
بن علي رضي الله عنه قال اذا صاح الذكر قال يا آدم عش ما شيئت آخرك الموت واذا صاح العقاب
قال في البعد من الناس انس واذا صاح الفنزر قال الهي العن مبغضي آل محمد ۝ وروي ان كوثما من اهل
العراق من اهل الكتاب وفد على ابن عباس رضي الله عنه فقالوا له انت ابن عم الذي يزعم انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نعم قالوا انا قوم قد قرانا الكتب وعرفنا ما فيها وعن نسألك عن سبعة اشياء فان انت
اخبرتنا بها امتا وصدقنا قال سلوني نفعا ولا تسألوني تعنتا قالوا اخبرنا ما يقول القنبر و
صفيره والزرزور والدراج وما يقول الديك في صياحه والضفدع في نقيقه والحمار في نهيقه
والفرس في صهيله فقال اما القنبر فانه يقول اللهم العن مبغضي آل محمد واما الزرزور
فانه يقول اللهم اسألك قوت يوم بيوم يا رزاق ۝ واما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى واما الديك
فانه يقول اذكروا الله يا غافلين ۝ واما الضفدع فانه يقول سبحان المعبود في لجج البحار واما الحمار
فانه يقول اللهم العن العشار واما الفرس فانه يقول سبوح قدوس رب الملكة والروح فقالوا
ما ان عباس نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وحسن اسلامهم ۝ قوله ثم واوتينا من كل شيء
يعني من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعني الملك والنبوة وتسخير الرياح والجن والشياطين وقوله ثم ان هذا
لهو الفضل المبين اي الزيادة الظاهرة على ما اعطى غيره ۝ قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس
والطير اي جمع له من كل جنس جموعه من الجن والانس والطير والحشر جمع الخلق من موضع الى موضع ومنه
المحشر لعرصات يوم القيمة قال ابن عباس كان عسكر سليمان ماية فرسخ خمسة وعشرون فرسخا للانس وخمسة
وعشرون فرسخا للجن وخمسة وعشرون فرسخا للسباع وخمسة وعشرون فرسخا للطير ووجه تسخير الطير له
ان الله زاد في عقولها حتى كانت تفهم ما يقال لها وتراد منها وتقبل الادب وتخاف وتحذر ۝ وكان
لسليمان عليه السلام الف فرس من قوارير على الخشب لها اجنحة صحيحة وسعاة سرته فيأمر الريح العاصف
فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك
انه لا يتكلم احد من الخلائق الا جاءته الريح فاخبرته به ۝ قوله ثم فهم يوزعون اي يدفعون اي يحبس اولهم على
صنف من جنوده وزعة ترد اولاهم على اخراهم ليجتمعوا ويتلاحقوا وهو من الوزع الذي هو الكف

ومر

يقال وزعته أزعه وزعا والشيب وازع اى مانع قال اللث والوازع فى العرب الموكل بالصفوف
يزع من تقدم منهم ومعنى الاية فهم يوزعون اى كان يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وكانوا يجمعون
ويفرقون ويقومون فى تسييرهم على مراتبهم والايزاع هو المنع من الدكاك والوازع هو القيم بامر
الجيش ومن ذلك قول الحسن لابد للناس من وزعة اى من سلطان يكفهم ويقال لابد من وزعة اى من منع
الناس عنه واصل الوزع الكف والمنع ومنه الحديث ان الله ليزع بالسلطان اكثر مما يزع
بالقران قوله حتى اذا اتوا على واد النمل اى سارا جميعا حتى اذا وصلوا الى واد كثير النمل
قال كعب هو واد بالطايف وقال السدى وغيره هو بالشام قال ثعلبة لا صحابها على وجه
التحذير منها النمل ادخلوا مساكنكم اى منازلكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده اى لا يكسرنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون بذلك اى وهم لا يعلمون بحطمكم ووطيئكم فطارت الريح بكلام النملة فاخذته
فاذن سليمان عليه السلام فلما سمعه تبسم ضاحكا من قولها وكان اكثر ضحك الانبياء عليهم السلام التبسم
ونصب قوله موضحكا على الحال وكسئ ضحكه من قولها التعجب وذلك ان الانسان
اذا راى ما لا عهد له به عجب وضحك قال مقاتل حمدربه حين علمه منطق الطير وسمع كلام
النملة فقال رب اوزعنى اى الهمنى اشكر نعمتك يقال فلان موزع بكذا اى مولع به وقيل معناه
وفقنى لشكر نعمتك التى انعمت بها على والدى وفقنى لان اعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك
فى عبادك الصالحين فى الجنة قال قتادة لم يسئل ربه ذا عرف النملة سليمان وعلى اى سبيل كانت معرفتها
به قلنا انها كانت مامونة بطاعته فلا بد من ان تخرج من امرت بطاعتهم ولا يمتنع ان يعرف الدواب
والبهائم هذا الضرب كما تعرف كثيرا من منافعها ومضارها والنملة فيما نرى الفهم فوق هذا فانا نشاهد
صنيعها فى ادخار رزقها وحفظه وتفهيم بعضها بعضا حتى انها تكسر ما تجمع من الحبوب نصفين لئلا تنبت الا
الكزبرة فانها تكسر اربع قطع لانها اذا كسرت نصفين نبتت فالذى هداها الى هذه الامور هو
الذى الهمها ان سليمان عليه السلام نهاها عن الحطمة وقيل ان سليمان سمع نملة تقول
للجنس وكان الطير صنف سليمان السمرة ظله فاحب ان يقف على ما قالت فلما دنا منها
لم يرها ولم يعلموا بوقوفه حتى سمعها تقول ما ارى الهدهد اى ما للهدهد
لا اراه اعصانى لحظته فلم يره من الطير ام كان من الغايبين واختلفوا فى سبب تفقده عن حال الهدهد
قال ابن عباس كان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يراه من الزجاج وكان سليمان اذا احتاج الى الماء
فى مسيره امر الهدهد حتى ينظر الى اقرب موضع من الماء فيحفر به فيامر الشياطين بحفر ذلك الموضع
فلما ظهر الماء احتاج فى ذلك اليوم الى الماء فلذلك تفقده عن حال الهدهد قال عكرمة قلت لابن عباس كيف
يرى الهدهد الماء وان صيانا ياخذونه بالفخ فلا يرى الخيط والشبكة قال ابن عباس ما القى الهدهد الكلمة
على لسان الشيطان الا تعلم انه اذا جاء القدر ذهب البصر وعن سعيد بن جبير ان ابن عباس
سيل عن تفقد سليمان للهدهد وقال انه كان يعرف مسافة الماء قال له نافع بن الازرق تزعم ان الهدهد
يعلم مسافة الماء ان الصبى يضع له الفخ فيغطى عليه شئ من التراب فيجى فيقع فيه فقال ويحك اما علمت
ان القدر يحول دون البصر وروى انه قال اذا جاء القضاء والقدر ذهب الذكاء وعمى البصر وقال
وهب كان سبب تفقده له لاخلاله بنوبته كما يتعرف الوالى عن رعيته وقال كانت الطير تظله
من الشمس كلها تقف الهوا مصطفة موصولة الاجنحة او متعاونة فلما اخلى الهدهد مكانه
بان لكل لوقوع الشمس عليه فلذلك تعرف عن حاله ن قوله لاعذبنه عذابا شديدا قال المفسرون
تعذيبه اياه ان ينتف ريشه ثم يلقيه فى الشمس او يجعله مع ضدة ولا من سباع الارض ويقال

هو

هو قص جناحه وقيل ان يعاقب بما لا يجرى عليه القلم على وجه التاديب كما يودب الاب ولده
الصغير وقيل تعذيبه ان يتفرد عشه ويدعه يتمعط فى حر النمل فيلدغ وقيل معناه
لاشدن رجليه والقيه فى الشمس وقيل لاطيبنه بالقطران واجعله فى الشمس وقيل لافرقن بينه
وبين الفه وقيل لامثلنه من ظهر حتى يدوله مع اولاد بحته اى لاقطعن خلقه اولياتين بسلطان مبين
اى بحجة ظاهرة توجب عذره فى غيبته **وقصته** ان سليمان عليه السلام لما فرغ من بنايت
المقدس عزم على الخروج الى الارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب الجن والانس والشياطين والطيور
والوحوش ما تبلغ معسكره مايه فرسخ وامر الريح فحملتهم فلما وافى الحرم اقام به ماشاء الله
ان يقيم وكان يحج كل يوم مدة اقامته بمكه خمسة الاف بالغداة ويذبح خمسة الاف ثور وعشرين الف شاة
واقام بمكه حتى قضى نسكه ثم سار الى الارض اليمن فوافا صنعا وقت الزوال واحب النزول بها لصلى
ويتغدا فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد يدله على الماء فلما نزل سليمان قال الهدهد ان سليمان
قد اشتغل بالنزول فارتفع الهدهد الى جهة السماء فطار يمنا وشمالا فراى خضرة بساتين مارب ارض
بلقيس فمال الى جهة الخضرة فالتقط هدهد من هذا سبا فقال له من اين اقبلت واين ترتيد
قال اقبلت من الشام من عند نبى الله سليمان عليه السلام قال له وما سليمان قال ملك الجن والانس والشياطين والطير
والوحش ثم قال له الهدهد وسليمان انت امرى اقبلت قال ارض هذه البلاد قال ومن ملكها قال
امراة تعال لها بلقيس ملكت اليمن كلها وتحتها اثنى عشر الف قايد مع كل قايد مايه الف مقاتل لهل
اسطخر معى حتى تنظر الى ملكها قال اخاف ان يفقدنى سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الى الما
فقال له الهدهد بلقيس اراد صاحبك يسير اتاتيه بخبرها الملكة فانطلق ونظر الى بلقيس وملكها
وما رجع الا وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل على وقت العشاء طلب الهدهد فلم يجده
ماء فسال الانس عن الماء قالوا ما نعلم هنا ما فسال الجن والشياطين فلم يعلموا فتفقد الطير
فلم يجده ودعا بعفريت الطير فسئله عن الهدهد فقال ادرى اين ذهب فغضب سليمان عند
ذلك وقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتينى بسلطان مبين فكث غير بعيد فجاء الهدهد
وقال له على الهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه حتى التزق بالهوا وارتفع حتى نظر الى الدنيا
كالقصعة بين يدى احدكم ثم انقض انقضاضا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فابصر العقاب
حين يريده فلما راى الهدهد ذلك علم ان العقاب يقصده بسوء فناشد الله فقال له بحق الذى قواك
واقدرك على الارتمتى ولا تتعرض لى بسوء فولى العقاب عنه وهو قوله تعالى اكلك ايمانك ايى الله قد
حلف ليعذبنكا وليذبحنك ثم طار امتوجها نحو سليمان فلما وصل اليه قال له العقاب بالاسك
به تاتينى الهدهد فلما قرب اليه الهدهد رفع راسه وارخا ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا
لسليمان فلما دنا منه قال له اين كنت عذبنك عذابا شديدا او لاذبحنك فقال له الهدهد ياسى الله اذكر وقوفك
بين يدى الله سبحانه وتعالى فلما سمع ذلك سليمان ارتعدت فرايصه وعفى عنه ثم قال له ما ابطاك عنى
فقال احطت بما لم تحط به وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اى لم يلبث الا يسيرا حتى جا الهدهد
فقال احطت بما لم تحط به اى علمت شيا من جميع جهاته وقيل معناه اطلعت على ما لم تطلع عليه وعلمت
ما لم تعلم به وجيتك بما لم تجيء به الجن ولم تعلم به الانس ولعل ما تبلغه انت ولا جنودك
وهو قوله تعالى وجيتك من سبا بنبا اى بخبر صدق لا شك فيه قال الزجاج من لم يصرفه فلانه
اسم مدينة فتعرف بمعاذب اليمن منها ومن صنعا مسيرة ثلثة ايام ومن صرفه فلانه اسم

البلد ويكون مذكرا سمي به مذكر وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سبا فقال كان رجلا له
عشرة من البنين تأمن منهم ستة وتشاءم اربعة وسنذكر اسماءهم وقصتهم في سورة سبا ان شاء الله تعالى
قراءة عاصم ويعقوب فكت بفتح الكاف وقراءة العامة بضم الكاف وهما لغتان وقوله تعالى اني وجدت
امرأة تملكهم واسمها بلقيس بنت السرح وقيل شراحيل بن ذي جدن وكان ملكا عظيم الشان وكان
قد ملك ارض اليمن كلها وكان يقول الملوك الاقاليم ليس احد منكم كفوا لي وأبا ان تزوج منهم فزوجوه امرأة من
الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت بلقيس ولم تكن له ولد غيرها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان
احد ابوي بلقيس جنيا فلما مات ابوها ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها
فاطاعها قوم وعصاها اخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم فافترقوا في اهل مملكته كل فرقة
منهم استولت بملكها على طرف من ارض اليمن ثم ان هذا الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في اهل
مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته ونحرهن فاراد اصحابه ان يخرجوه فلم يقدروا فلما رأت بلقيس
ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الى ذلك وقال والله ما منعني ان ابتدأك
بالخطبة الا الياس منك فعالتني رغبة الملك لانك كفو كريم فاجمع رجال قومي واخطبني اليهم
فجمعهم وخطبها اليهم فعالوا الان انها تفعل هذا قال انتهاي الى ان ابتدتني فذكروا لها ذلك فعالت نعم اني
احب ذلك لاجل الولد ولعلمها ان كثيرا كرهه لذلك فالان قد رضيت فزوجوه منه فلما زفت اليه
حرمتهن ياس نفسه من خدمتها وجمعها فلما باتت سقته الخمر حتى سكر ثم حز رأسه وانصرفت من الليل
الى منزلها فلما اصبح الناس راوا الملك قتيلا ورأسه منصوبا على باب دارها فعلموا ان تلك المتاجه
كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها انت حرة هذا الملك غير فعالت لولا العار
والشنار ما قتلته ولكن عمد فساده فاخذني الحمية حتى فعلت ما فعلت فملكوها فاستتبت امرها كما قوله تعالى
واوتيت من كل شيء فاي عظام زينة الدنيا من المال والجنود ولها عرش عظيم اي سرير ذهب طوله
ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا وارتفاعه في السماء ثلثون ذراعا مرصع بانواع الجوهر
والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر قوائمه من الزبرجد الاخضر قال مجاهد وكان طولها اثني عشر
الف قيل والقيل بلغتهم الملك تحت يدي كل قيل الف مقاتل وقيل كان سرير ها له اربع قوائم قائمة
من ياقوت احمر وقائمة من زمرد وقائمة من در وصفائح السرير من ذهب
وعليه سبعة ابيات كل بيت مغلق قوله تعالى وجدتها وقومها قال الحسن كان القوم مجوسا
وكانوا يسجدون للشمس من دون الله تعالى فزين لهم الشيطان اعمالهم اي حسن لهم
قبيح اعمالهم فصدهم عن السبيل اي عن الطريق فهم لا يهتدون الى طريق الحق قوله تعالى الا يسجدوا
لله الذي يخرج الخبأ في السموات والارض يجوز ان يكون ابتداء خطاب من الله ويجوز ان يكون من قول
الهدهد او من قول سليمان قرأ الكسائي والاعرج ويعقوب وحميد والوحصفي الا يا اسجدوا
بالتخفيف على معنى الا يا هؤلاء اسجدوا واجعلوه امرا من امر الله مستانفا وحذفوا الهاء من الكتابة
بدلالة ياء على ما قبلها في القراءة اسجدوا وهو وضع حرم على الامر والوقف عليه الا يا ثم يبتدئ اسجدوا وان
وفي قراءة عبد الله هلا يسجدوا لله وقرأ الباقون ان لا يسجدوا بالتشديد على معنى وزين لهم الشيطان
ان لا يسجدوا وقوله تعالى الذي يخرج الخبأ في السموات والارض الخبء كل ما غاب عن الادراك وهو بمعنى
المخبوء مصدر وقع موقع المفعول كالخلق بمعنى المخلوق والعلم بمعنى المعلوم وخبوء السموات الامطار
وخبوء الارض النبات فعلى هذا يكون في معنى قوله تعالى ويعلم ما يخفون وما يعلنون اي يعلم

ما يخفون

ما يخفون في قلوبهم وما يعلنون بالسنتهم وفي قراءة الكسائي بالتاء على الالتفات خطابا لقراءة تخفيف
الا يا اسجدوا قوله تعالى الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اراد بالعرش ههنا السرير الملكي عظمه الله
ورفعه فوق السموات السبع وجعله اعظم من السموات والارض ومن اعظم كل خلق وجعل الملكة تجلس عليه
وترفع اعمال العباد اليه اي هو الله الذي يستحق العبادة لا غير وهو رب العرش لا ملكة سبا لان عرشها
وان كان عظيما بالنسبة الى عرش الله تعالى العظيم فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان للهدهد سننظر
اصدقت فيما اخبرتنا به من هذه القصة ام كنت من الكاذبين فيما بعد بكتب سليمان كتابا وختمه بخاتمه
ودفعه الى الهدهد وقيل كتب كتابه ولوذجه كما ذكرنا في سورة النمل فالقه اليهم اي الى اهل سبا وقوله تعالى ثم تول عنهم
اي انصرف عنهم وهذا على التقديم والتاخير تقديره فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم ثم تول عنهم
عنهم بعد الجواب ومعنى فانظر ماذا يرجعون ماذا يردون من الجواب وقيل معناه ثم تول عنهم
اي انصرف عنهم قليلا الى حيث لا يرونك وانظر ماذا يرجعون اي يقولون ويردون ويجيبون وكان
كتاب سليمان عليه السلام من عبد الله سليمان داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد
فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وقال الزجاج كرمه سليمان عما قبل له في كتابه فلما كتب الكتاب طبعه
بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب به فاخذ الكتاب بمنقاره وذهب به فلما اغلق المرأة
الابواب دونها وبات مشت على سريرها ووضعت المفاتيح تحت وسادتها فاتاها الهدهد من الكوة وهي
نائمة مستلقية على قفاها فالقى الكتاب على وجهها وثبت على منقاره وصوته فاخذت الكتاب وكانت
كاتبة قارئة عربية من قوم شعوب من حمير يقال لهم بنو اراجيل الحميري فقرأت الكتاب وتاخر الهدهد عنها بعيدا فدعت
بذوي الرأي من قومها وهم اثنا عشر القائد منهم كل قائد في مائة الف مقاتل وقال قتادة كان الملك مائة وعشرين
ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فجاوا البها فقالت لهم اني القي الي كتاب كريم اي حسن وقيل شريف
وقيل مختوم قال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وقوله انه من سليمان اي ان الكتاب من سليمان وان المكتوب
فيه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي ان لا تتكبروا علي ولا تترفعوا علي واتوني مسلمين
منقادين طائعين وقوله تعالى ان لا تعلوا علي بدل من كتاب وموضع علي هذا القول رفع ويجوز ان يكون
نصبا على معنى بان لا تعلوا علي وقيل معنى قوله واتوني مسلمين اي مومنين بالله ورسوله من الاسلام
الذي هو دين الله وقيل مستسلمين لامري فيما ادعوكم اليه فاني لا ادعوكم الا الى حق فاطيعون
قبل ان اكرهكم على ذلك قوله تعالى قال يا ايها الملا افتوني في امري اي في حالتي هذه مشورتكم بينوا لي
ما اعمله في امري مما هو الصواب واشيروا علي واني ما كنت قاطعة امرا من الامور فيما مضى حتى
تحضروني وتشاوروني فاشيروا علي في هذا الكتاب الذي اصبح فيه فعالوا نحن اولوا قوة وعدة
في القتال لم تعلمنا بعد وقط ونحن اولوا بأس شديد في الحرب ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم وهذا
تعريض منهم بالقتال ان امرتهم بذلك فعلموا انهم اولوا الامر المراس في القتال وتركه الى امرتها بالقتال
فاتمنوه وان امرتنا بغير ذلك فعلمناه قوله تعالى فانظري ماذا تامرين اي ماذا تشيرين علينا فانه
قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اي خربوها واهلكوها وجعلوا اعز اهلها اذلة
اذا دخلوا قرية مغلوبة على غلبة وقتال افسدوها اي خربوها واهلكوها وجعلوا اعز اهلها اذلة
اي بالقتل والاسر والاستعباد واخذ المال وانتهى كلام بلقيس ههنا قال الله تعالى وكذلك يفعلون
اي كما قالت هم يفعلون ومعنى الآية انها حذرتهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم قوله تعالى

تصدقنا الهدهد

تختبر عقلها فامر بتنكير عرشها وتغييره لينظر هل تعرفه اذا رأته او تنكره وقيل لبريا
قدرة الله وعظم سلطانه وقوله ع انا اتيك به قبل ان يقوم من مقامك اى من مجلس قضائك وكان
سليمان يجلس للقضاء من الغداة الى انتصاف النهار وقام مقاما قال العفريت انا اضع قدمى عند
منتهى بصرى وليس شيء اسرع منى وانى عليه لقوى امين اى قوى على حمله امين على ما فيه من الذهب
والجواهر فقال سليمان اريد اسرع من ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا كان
يعلم الاسم الاعظم الذى اذا دعى الله به اجاب وهذا قول اكثر المفسرين وقال بعضهم هو جبريل وقيل هو
ملك من الملائكة وقوله ع انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال ابن جبير قال لسليمان انظر الى السماء فما
طرف حتى جاءه فوضعه بين يديه والمعنى حتى يعود اليك طرفك بعد مده الى السماء وقيل معناه بقدر
ما تفتح عينيك وهذا اللفظ عبارة عن المبالغة والسرعة قال محمد بن اسحق اخرق مكان عرشها حدث
هو ثم بعث من يدى سليمان ومثل هذا روى عن ابن عباس وقال الكلبى خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم
فغار عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسى سليمان وقال اهل المعانى لا ينكر من قدرة الله ان يعدمه من حيث
كان ثم يوجده حيث كان سليمان بلا فصل لدعا الذى عنده علم من الكتاب وكون ذلك كرامة للولى ومعجزة للنبى
واختلفوا فى ذلك الدعا الذى دعا به آصف فعال مقاتل ومجاهد ياذا الجلال والاكرام وقال الكلبى ياحى يا قيوم
وقيل ان سليمان له قد رايتك ترجع شفتيك فما قلت قال قلت اللهم الهى والها كل شىء الها واحدا لا اله الا انت اتيت به
وقال بعضهم هو يا الهنا واله كل شىء يا ذا الجلال الاكرام لا اله الا انت وقال الحسن اسم الله الاعظم يا الله يا رحمن
وذلك انه لا يسمى احد بهذين الاسمين على الاطلاق غير الله عز وجل قوله ع فلما راه مستقرا عنده اى فلما رأى
سليمان العرش مستقرا عنده ثابتا بين يديه قال هذا من فضل ربى اى هذا التمكن من حصول المراد من فضل الله
وعطاياه ليبلونى اى ليختبرنى ويمتحننى على شكر النعمة ام اكفر اى ام اترك شكرها ومن شكر
فانما يشكر لنفسه اى من شكر نعمة ربه فانما منفعة شكره راجعة الى نفسه بمعنى ان ثواب شكره يعود اليه
ومن ترك شكر نعمته فان ربى غنى عن شكره كريم بتفضل على من يشكره قوله ع نكروا لها عرشها اى غيروا عن سريرها وزيدوا فيه وانقصوا منه حتى ينظر الهتدى الى معرفته
ام تكون من الذين لا يهتدون قوله ع فلما جاءت قيل لها اهكذا عرشك اى فلما جاءت بلقيس الى سليمان قيل لها اهكذا
سريرك فجعلت تعرف وتنكر وعجبت من حضوره عند كمال سرعة سيره فقالت كانه هو وقال مقاتل عرفته ولكنها
شبهت عليهم كما شبهوا عليها ولو قيل لها آهذا عرشك لقالت نعم قيل لها فانه عرشك فيما اعتى عنك اغلاق
الابواب وكانت قد خلفته وراء سبعة ابواب لما دخلت والمفاتيح معها فلم تنكر ولم تنكر فعلم سليمان
كمال عقلها وقال عكرمة كانت حكيمة قال ابن قتيبة هو خشيت الكذب فلم تقل نعم ولا قالت لا لانه كان
يشبه سريرها وشكت فى وصوله الى سليمان فى هذا الوضع وسكت ايضا لما اخذوا ثانيه
بالتغيير قوله ع واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هذا من قول سليمان عليه السلام وقومه اى قالوا واعطينا
العلم بالله وبملكها وسريرها من قبل مجيئها وهو ما اخبره الهدهد من شانها وقصتها وقالوا واوتينا العلم
بصحة نبوة سليمان بالآية فى العرش وكنا مسلمين طائعين منقادين لامر الله وقيل اوتينا العلم بالله
من قبل ان نعلم ان سليمان على الحق قوله ع وصدها ما كانت تعبد من دون الله اى منعها من الايمان بالله العادة التى كانت
عليها من عبادة الشمس والمعنى وصدها عن الايمان والتوحيد الذى كانت تعبد من دون الله وهو الشمس لانها
نشأت فى قوم لم يكونوا يعرفون الا عبادة الشمس لانها كانت فى المجوس قوله ع انها كانت من قوم كافرين

وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون وذلك انها لما قدرت امرها قويت الملاطفة
بالهدايا وكانت من اولاد الملوك تعرف عادتهم وحسن موقع الهدايا عندهم فان كان هو الاول وكانت
بلقيس امراة كيسة اريبة فقالت بهذا القول اختبار السليمان امكن هو او من نبى فان كان ملكا
قبل الهدية وترك الوصول الى ملكها وان كان نبيا لم يرض بالهدية ولا يرضيه الا ان تتبعه فهنالك
الهدايا من المسك والعنبر والعود وغير ذلك واهدت له اضا خمسمائة عبد وخمسمائة جارية والهدية
له ايضا صحائف الذهب ○ قوله ع فلما جاء سليمان اى فلما جاء رسولها الى سليمان بهديتها قال له سليمان
المتدوننى بمال فانا اكثر اهل الدنيا مالا ولست ممن يرغب فى المال ولا ممن يفرح بما اتاه من المتاع
والعلم والملك خير مما اتاكم من المال بل انتم بهديتكم تفرحون اى اذا اهدى بعضكم الى بعض فرح بذلك
واما انا فلا افرح لانكم اهل مفاخرة ومكاثرة فى الدنيا وفى الخبر ان سليمان عليه السلام لما علم بالهدايا
قبل وصولها اليه امر ان تصنع له لبنات من الذهب احسن واجود ما كان مع رسولها وامر ان تلقا ملك
اللبنات بين قوائم الدواب حتى تروث وتبول عليها فلما راى ذلك الرسول استحقر الهدية التى كانت معه
وكانت بلقيس قد قالت لرسولها اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره
فانا اعز منه وان نظر اليك بوجه طلق وانه نبى مرسل فيه فهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا
ومعه الهدهد مسرعا الى سليمان فلما وصل الرسول الى سليمان وجده قاعدا فى مجلسه على سريره وعلى يمينه اربعة
الاف كرسى من ذهب وعن يساره مثل ذلك وقد اصطفت الانس صفوفا وفواسح واصطفت الجن والشياطين
والوحوش والسباع والهوام والطير كذلك صفوفا وفواسح عن يمينه ويساره فلما راوا السباطين
نظروا الى منظر فظيع ففزعوا منهم فعالجهم الشياطير جوزوا اثلاثا بين عليكم فكانوا يمرون على كل كردوس
من الجن والانس والطير والوحش حتى وقفوا بين يدى سليمان على البساط فنظر اليهم نظرا حسنا فوجه طلق وقال
ما وراءكم فاخبره برسلهم بما جاوا به من الهدية واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه سرا فقال لرسولها ارجع اليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها اى بعساكر لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم من بلادهم اذلة مغلولة ايديهم الى اعناقهم
وهم صاغرون اى مهانون فلما اخبرها الرسول بذلك قالت قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة ولا ينبغى
لنا مخالفته فتجهزت للمسير اليه ثم عمدت الى سريرها فوضعته فى سبعة ابيات فى قلعة الابواب وجعلت
الحجوش حوله وحرجت من وجهه الى سليمان فجاء جبريل عليه السلام الى سليمان واخبره بمجيئها اليه فقال سليمان
ايكم ياتينى بعرشها اى بسريرملكها قبل ان ياتونى مسلمين اى مؤمنين وقيل صاغرين مستسلمين منقادين
وانما خص العرش بالطلب لانه اعجبه بصفته فاحب ان يراه واحب ان يعاينه به ويختبر عقلها اذا
رأته ايعرفه ام تنكره واحب ان يريها قدرة الله فى معجزة ماتى بها فى عرشها واحب ايضا ان يأخذ عرشها
قبل ان تسلم فلا يحل اخذ مالها قد مر معنى قوله ع قبل ان ياتونى مسلمين قوله ع قال عفريت من الجن
يعرف بذكر والجنى والعفريت من كل شىء المبالغ الحاذق فيه يقال رجل عفر وعفرية وعفرة بمعنى واحد
والجمع عفاريت وعفارى وقيل العفريت من الجن المارد القوى الغليظ الشديد وقيل اسم العفريت
الداهية قيل انها سارت الى سليمان فى اثنى عشر الف قيل تحت كل ملك الوف كثيرة فخرج سليمان يوما واذا
هو برى رجفا قد ثامه فقال ما هذا فاخبروه بقدوم بلقيس فقال قد رأيت مسابهذا المكان قال ابن عباس وهو
مكان بين الحيرة والكوفة بقدر فرسخ فاقبل جندا جندا سليمان على جنوده وقال ايكم ياتينى بعرشها قبل ان
ياتونى مسلمين واختلف اهل العلم فى السبب الذى لاجله امر سليمان باحضار عرشها فقال اكثرهم
لان سليمان علم انها اذا اسلمت حرم عليه مالها فاراد ان ياخذ عرشها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها
وقال قتادة انه اعجبه صفته لما وصفه له الهدهد واحب ان يراه وقال ابن زيد اراد ان

بعد الاسلام

سريره او عفاريت

تختبر

اى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت بينهم وقال بعضهم معنى قوله مع وصدها ما كانت
تعبد من دون الله اى صدها سليمان اى منعها ذلك وحال بينه وبينها فعلى هذا يكون موضع ما نصبا
وقيل مع بمعنى عن ويقال لها ادخلى الصرح وذلك ان بلقيس لما لم تسلم بما رات من الآيات اراد سليمان
ان يريها اية اخرى لتسلم فامر الجن والشياطين ان يبنوا له صرحا اى قصرا من زجاج مملس واجروا
تحته الماء وجعلوا فيه السمك والاسرد الاملس وشجرة تمرد اى ملسا لا ورق لها ففعلوا ذلك ثم
وضع له سريره في صدر الصرح فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وقيل ان سليمان
انما امر بنا الصرح لان الجن كانوا قد اخبروه ان رجلها رجل حمار وانها شعرا الرجلين فاراد
كشف ذلك لكي يتزوجها فتنشأ منه اولاد تشبهه فلا تنفر عنه وقيل ان سليمان علم بالهام
له ايضا ان في عقلها شيئا فاراد سليمان يختبر عقلها فتنكر عرشها وارادان يختبر حقيقة قولهم
ان رجلها كحافر الحمار ونظر الى ساقها فاذا هي شعر كما قالوا فقيل لها ادخلي الصرح اى القصر وقيل
صحن القصر وقال الزجاج الصرح هو الصحن يقال لكل ساحة الدار وصرحة الدار والصرح في
اللغة هو البسيط المنكشف من غير شيء ومنه صرح بالامر اذا افصح به ولم يكن عنه
والتصريح خلاف التضمين وقارورات بلقيس الصرح على لك الصفة حسبته لجة واللجة
معظم الماء وهو الماء الكثير وكشفت عن ساقيها اى رفعت ثيابها عن ساقيها حتى لا تتبل ثيابها على ما هو
العادة فيمن قصد خوض الماء وقال ابن عباس لما كشفت ساقيها راى سليمان قدما لطيفا وساقا حسنا غير
انها كانت شعر الساقين فلما راى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه لصرح ممرد من قوارير
مملس من زجاج فلا حائل واعترى عليه فلما رات السرير والصرح علمت ان ملكا سليمان
من الله عز وجل فقالت رب اني ظلمت نفسي باشراكي غيرك في عبادتك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت
التوحيد والمعنى ان بلقيس استدلت بما شاهدت على وحدانية الله وصحة نبوة سليمان بما رات
من شدة قوته وملكه من ترسل الطير له واخضاع عرشها في اسرع المدة على بعد المسافة وبنا
الصرح من القوارير على وجه الماء فلذلك قالت ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فتزوجها
سليمان عليه السلام وقيل لما اراد سليمان ان يتزوجها كره ذلك لما راى من كثرة شعر ساقها فسال
الانس ما يذهب ذلك فقالوا الموسى فعالجها فقطع ساقها فسال الجن فقالوا لا نذري ثم سال الشياطين
فقالوا لهم كيف لي ان اقلع هذا الشعر عن ساقها فقالوا نورة فكانت النورة والحمامات
من يومئذ فاتخذوا النورة والحمام وتزوجها سليمان عليه السلام فلما تزوجها احبها حبا شديدا واقرها على
ملكها وامر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلثة حصون لم ير مثلها حسنا وارتفاعا وهي سلحين وبيشون
وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بغداردا الى ملكها ويقيم عندها ثلثة ايام وولدت له اولادا
فيما ذكر وروي انه خلا جالسا الى عبد الله بن عبينة فسأله هل تزوج سليمان بلقيس فقال نعم فقلت
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعني انها لا يعلم ذلك وقوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله يعني بان اعبدوا الله وحدوه وامنوا به وبرسوله وكفروا بقوله فاذا هم فريقان يختصمون كما قال تعالى في سورة
الاعراف قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
الاية وقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون اي فاذا هم قوم سوء وكافر ومصدق ومكذب يختصمون في الدين
كل فريق منهم يقول الحق معي وقوله تعالى قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة فيه ضمير تقديره
ان الموسر او عذاب الكفر على كفرهم وتكذيبهم فاستعجل الكفرون العذاب فقال صالح عليه السلام للكفرة
الكذب لم تستعجلون السيئة قبل الحسنة اي بالعذاب قبل الرحمة ولا تستعجلون الثواب الموعود
على الايمان وقوله تعالى لولا تستغفرون الله اي هلا تستغفرون الله عن كفركم وتكذيبكم لعلكم

ترحمون

وقد جاوزه نصب على القطع تقديره فتلك سوتهم الخاوية فلما قطع منها الالف واللام نصب كقوله تعالى
وله الدين واصبا وقرأ عيسى برفع خاوية بالرفع على الخبر وقوله ان في ذلك لاية لقوم يعلمون اى ان في
اهلاكنا اياهم لدلالة ظاهرة وعبرة لمن علم توحيد الله وقدرته وقوله وانجينا الذين امنوا اى انجينا
الذين امنوا بصالح من العذاب وكانوا يتقون الشرك والعقاب وقوله ولوطا اذ قال لقومه اى واذكر
لوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة يعني اللواطة سماها فاحشة لعظم قبحها واسم تبصرون اى واسم
تعلمون انها فاحشة وقيل معناه واسم تبصرون بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون وقوله بل انتم قوم
تجهلون اى تجهلون العقاب الموعود على هذه الفاحشة وقيل تجهلون العمه وعاقبة المعاصي وقوله
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اى عن ادبار
الرجال يقولونه استهزاء بهم وقوله فانجيناه واهله الا امراته قدرنا انها كانت من الغابرين اى قدرنا
عليها ان تكون من الغابرين اى من المتخلفين فتهلك فيمن هلك لان جرمها مثل جرمهم لانها كانت راضية بافعالهم
القبيحة فحق عليها ما حق عليهم في العذاب وقوله وامطرنا عليهم مطرا اى على مسافريهم مطرا اى حجارة فساء مطر
المنذرين اى قبح مطر قوم انذروا فلم يتعظوا به وقوله قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى اى قل يا لوط عند الانجاء قل الحمد لله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل قله لجميع نبي الله
اى قل يا محمد الحمد لله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل قله لجميع نبي الله وقوله وسلام على عباده الذين
اصطفى اى سلام يعني الانبياء الذين اختارهم الله لرسالته وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الكلبي هم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته ومعنى السلام عليهم انهم سلموا
مما عذب به الكفار وقوله آلله خير امما يشركون اى قل لاهل مكة اعبادة الله افضل ام عبادة من لا يسمع ولا
يرد ولا ينفع ولا يضر دونه من الاصنام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ هذه الاية قال الله خير وابقى واجل واكرم مما تشركون به
قرأ عاصم وابن كثير وابو عمرو يشركون بالياء والباقون بالتاء وقوله امن خلق السموات والارض اى امر خلق السموات والارض وهذه اصنار
كانه قال الهتكم خير ام الذي خلق السموات والارض مما فيهما من العجايب والبدايع وانزل لكم من السماء ماء يعني
المطر فانبتنا به حدايق اى بساتين ذات بهجة اى منظر حسن وانوار والحديقة هي البستان الذي يحاط عليه
بما فيه من النخل والشجر قال ابن عباس لم يكن عليه حايط فليس بحديقة وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها هذا نفي يعني ما
قدر هم عليه والمعنى ما ينبغي لكم ذلك لانكم لا تقدرون عليه ثم قال استفهاما مقررا عليهم الله مع الله اى
هل معه معبود سواه اعانه على صنعه في خلق هذه الاشياء وقوله بل هم قوم يعدلون يعني كفار مكة قوم
يعدلون الاصنام بخالقهم يجعلهم وقيل يعدلون اى يشركون بالله غيره وقيل يعدلون عن الطريق وعن النظر في
الدلايل المؤدية الى العلم بوحدانية الله وقوله امن جعل الارض قرارا اى مستقرة لا تميد بما عليها
بل جعلها مسكنا تستقرون عليها وتنتفعون بها ولاهي تضطرب بكم ولاهي حزنة عليه مثل رواسي
الجبال وقوله وجعل خلالها انهارا اى جعل وسط الارض اوديه وعيونا من عذب وملح وجعل لها رواسي
اى جعل على الارض حبالا ثوابت وتادا لها وجعل بين البحرين حاجزا اى من الملح والعذب مانعا بلطيف قدرته
فلا يختلط احدهما بالاخر والاسم احدها على صاحبه وقوله ءاله مع الله اى اله مع الله فعل شاء من
هذه الاشياء انكر هم لا يعلمون توحيد ربهم وسلطانه وقدرته وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه
المضطر هو المكروب المجهود المدفوع الى ضيق من الامور من غرق او مرض او بلاء او حبس او كرب اذا دعاه
فكشف ضره وفرج منه فينقذه من الغرق وشفيه من المرض ويعافيه من البلاء وقال السدي المضطر
الذي لا حول له ولا قوة وقال ابن الانباري المضطر هو الذي قطع العلايق عن ما دون الله وقوله ويجعلكم خلفاء

الارض

الارض اى يأتي قوم بعد قوم ويخلق قرنا بعد قرن وكلما اهلك قرنا انشأ اخر من بعده كما قال خلفا
من قبلهم وقوله ءاله مع الله اى اله سوى الله فعل ذلك فعلا مما مدكرون اى فعلا ما متعظون وقوله
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر معناه امر من يرشدكم الى الطريق في ظلمات الليل في البر والبحار اذا سافرتم
باحلى لكم من الفلك والنجوم والمسالك وهذا كقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
ويجوز ان يكون المراد بالظلمات الشدايد وقوله تعالى ومن يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته اى قدام
المطر والنشر جمع نشور وهي الرياح التي تاتي بالسحاب وقوله ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون
اى جل وعز ان يكون له شريك وقوله ءاله من بدء الخلق ثم يعيده معناه ام من بدء الخلق ثم يعيده
من النطفة ثم بعثه للبعث والنشور وقوله تعالى ومن يرزقكم من السماء والارض اى من يرزقكم
من السماء المطر ومن الارض النبات والزرع وقوله ءاله مع الله قل هاتوا برهانكم اى حجتكم فيما تدعونه من
الهة سواه ان كنتم صادقين ان مع الله الها اخر يصنع هذه الاشياء وقوله تعالى قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله اى قل لهم يا محمد لا يعلم من في السموات والارض الممكنة والارض يعني الناس لا يعلم
احد منهم سر ما في الغيب من وقت نزول العذاب وقيام الساعة وغير ذلك مما غاب عن العباد ولا يعلمه
ذلك الا الله عز وجل وحده وما يشعرون ايان يبعثون اى ولا يدرون متى يبعثون من القبور والاصل
في ايان اى اوان ضمنا وجعلتا اداة واحدة وقال عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم
الفرية على الله لان الله عز وجل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقوله بل ادرك علمهم في الاخرة قرأ ابن كثير
قرأ ابن محيصن والحسن والاعمش بشيء من وصل الالف وقطعها ومعناهما واحد وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بل ادارك بكسر اللام وتشديد
الدال اى تدارك وتتابع علمهم في الاخرة ومنه قولهم جمع اداراكوا فيها جميعا وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
ومجاهد بل ادرك علمهم من الادراك اى بلغ وتكامل ادركه علمي اى بلغه وكنهه قال ابن عباس يريد ما
جهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الاخرة وقال السدي اجمع علمهم يوم القيمة فلم يكونوا ولم
يختلفوا وقال مقاتل بل علموا في الاخرة حين ما عاينوا ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وهو قوله
تعالى بل هم في شك منها اى بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة بل هم منها عمون اى عم علمهم
وهو اعلم العلماء بل هم منها عمون اى متحيرون وجوز ان يكون معنى ادرك علمهم اى يجيء علمهم
في شك منها بترك التامل وقوله وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا وابآؤنا اينا لمخرجون معناه وقال
كفار مكة اذا صرنا ترابا وابآؤنا ونا قبلنا فاوجل ذلك حتى قالوا ذلك حقيقة وما هذا الذي يعدنا محمد الا اكاذيب
به من البعث والنشور ووعدا ما وعدنا هذا البعث نحن وابآؤنا من قبل محمد وليس ذلك شيء ان هذا الا اساطير
الاولين وقيل معناه لقد وعدنا هذا البعث نحن وابآؤنا من قبل محمد وليس ذلك شيء ان هذا الا اساطير
الاولين اى احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها قوله قل سيروا في الارض اى قل لهم يا محمد سيروا
اى سافروا وتردوا في ارض فانظروا كيف كان اخر امر المكذبين بالرسل كيف اهلكهم الله عز وجل بانواع
العقوبات قوله ولا تحزن عليهم اى لا تحزن على تكذيبهم اياك ولا على ما يكيدونك به ولا تهتم بما يمكرون
التي صدوا عليك كاجتماعهم على قتلك واخراجك وقيل لا تحزن على كفرهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون اى لا تضيق صدرك
يا محمد بما يكيدونك ويبطلون عليك من امرك فان الله يظهرك عليهم ويعليك عليهم وقوله متى هذا الوعد
عقاب مكة وقد مضت قصتهم قوله وقل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون منه من العذاب لا يجوز ان يكون عسى في هذا الموضع بمعنى الشك وانما هو
الكذيب متى هذا الوعد الذي تعدنا به في الدنيا والاخرة ان كنتم صادقين في ذلك انه يكون
قوله وقل عسى ان يكون ردف لكم اى قل لهم يا محمد عسى ان يكون رديف لكم اى دنا لكم وقرب منكم
بعض ما تستعجلونه من العذاب لا يجوز ان يكون عسى في هذا الموضع بمعنى الشك وانما هو

والتحقيق

بمعنى الايجاب على وجه التخويف قال ابن عباس ردف لكم اي قرب لكم وقيل حضركم والمعنى
ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول للذين يستعجلون بالعذاب قد دنا لكم بعض ما تستعجلون
به من العذاب فكان بعض الذي دنا لهم القتل ببدر والقحط الذي سلط عليهم عقيب هذه الاية
حتى اكلوا الجيف والمعنى في ردف لكم اي ردفكم فادخل اللام فيه كما ادخلها في قوله تعالى لربهم
يرهبون وللرؤيا تعبرون قال الفرا اللام صلة زائدة كما تقول نقدته ونقدت له قوله تعالى
وان ربك لذو فضل على الناس قال مقاتل معناه لذو فضل على اهل مكة حين لا يعاجلهم بالعذاب
ولكن اكثرهم لا يشكرون وقيل لذو فضل عليهم بامهالهم والانعام عليهم ولكنهم لا يشكرون فضله
عليهم وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفي وتستر صدورهم من البغض والعداوة وما
يعلنون بالسنتهم من الكفر والتكذيب وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم فيجازيهم على ذلك قوله تعالى
وما من غائبة في السما والارض الا في كتاب مبين اي وما من جملة غائبة خافية على اهل السما والارض
الا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ بين فيه قوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اي يبين
لبني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كاختلاف اليهود والنصارى في المسيح وفي غيره من الانبيا وكاختلافهم
في صفة النبي صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة وقوله تعالى وانه لهدى ورحمة للمؤمنين اي وان
القران لهدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن امن به وقوله تعالى ان ربك يقضي بينهم بحكمه اي يقضي
بين المؤمنين والكافرين يوم القيمة بحكمه وهو العزيز العليم اي العزيز بالانتقام من الكفار العليم بهم
وبعقوبتهم ولا يمكن رد قضائه قوله تعالى فتوكل على الله اي ثق بالله يا محمد وفوض امورك اليه
انك على الحق المبين اي على طريق الاسلام وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى انك لا تسمع
الموتى هذا مثل ضربه للكفار شبه الله كفار مكة بالاموات يقول كما لا يسمع الميت النداء كذلك
لا يسمع الكافر النداء ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قال قتادة لو ان اصم ولى مدبرا ثم ناديته
لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه من الايمان والمعنى انهم لفرط اعراضهم عما يدعون اليه
من التوحيد كالميت الذي لا سبيل الى اسماعه وكالاصم الذي لا يسمع قوله تعالى وما انت بهادي العمي
عن ضلالتهم اي ما انت بمرشد من اعماه الله عن الهدى واعما قلبه عن الايمان وقيل معناه كما لا يمكن
ارشاد الاعما الى قصد الطريق بالامارات الدالة على الطريق كذلك لا تمكن هداية القوم الذين عميت
بصايرهم عن ايات الله وليس على الرسل عليهم سلام الا الدعا الى الله تعالى وقرا حمزة والاعمش وما انت بهادي العمي
بالتا ونصب اليا على الفعل ههنا وفي الروم قوله تعالى ان تسمع الا من يؤمن باياتنا اي ما تسمع سماع افهام الا من
يؤمن باياتنا ويطلب الحق بالنظر في القران وقال مقاتل الا من يصدق بالقران انه من الله فهم مسلمون اي
مخلصون بتوحيد الله والمعنى ما تسمع دعوتك سماع القبول الا من يطلب الحق بالنظر في ايات الله فلا يلبث
ان يسلم مع ظهور الدلايل قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم معناه
واذا وجب القول عليهم بالسخط والعذاب عند قرب الساعة اخرجنا لهم دابة من الارض وقال قتادة
اذا غضب الله عليهم ووجب ان ينزل بهم ما قال الله وحكم به من عذابه وسخطه عليهم اي على الكفار
الذين تخرج عليهم الدابة وهو قوله تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا
ينهى عن منكر قال مخلد بن الحسين لا تخرج الدابة حتى لا يبقى احد يريد ان يؤمن قالوا وتخرج الدابة من صدع
في الصفا وروي انها تخرج بين الصفا والمروة ولا تخرج الا راسها وعنقها فيبلغ راسها السحاب
فيراها اهل المشرق والمغرب فيسمعون كلامها باللسان فتقول لهم ايها الكفار مصيركم الى النار ثم تقبل
على المؤمنين فتقول ايها المؤمنون مصيركم الى الجنة فيتميز عند ذلك اهل الجنة من اهل النار ويجوز ان

يعاجلهم

خروج دابة الارض بين الصفا والمروة

يكون

يكون قوله تكلمهم من الكلم وهو الجراحة كما روي في قراءة ابن عباس تكلمهم بنصب التا وكسر اللام
اي تسمهم تكتب على جبين الكافر انه كافر وعلى جبين المؤمن انه مؤمن قال ابو هريرة انها تخرج
ومعها عصى موسى وخاتم سليمن وعن ابن عمر انه قال تنكت على وجه الكافر نكتة سودا فتفشو
في وجهه حتى يسود وجهه وتنكت على وجه المؤمن نكتة بيضا فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه
فيعرف المؤمن من الكافر بعد ذلك وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال اذا ترك الناس الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذلك الوقت وقت اشتراط الساعة وخروج الدابة قوله تعالى
ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قرا اهل الكوفة ويعقوب ان الناس بفتح الالف على وجه الحكاية
عن قول الدابة وعلى معنى اخرجنا الدابة بان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون وقرا الباقون ان بالكسر
على الابتدا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الشعب جياد مرتين
او ثلاثا قالوا ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلث صرخات يسمعها من في
الخافقين وقال بعضهم كنت مع ابن عباس بمكة فبينما هو على الصفا اذ قرع الصفا بعصاه وهو محرم
وهو يقول ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه قال ابن عباس هي دابة ذات زغب وريش لها
اربع قوائم وعن ابي هريرة قال تخرج الدابة ومعها عصى موسى وخاتم سليمن فتجلو وجه المؤمن
بالعصا وتخطم وجه الكافر بالخاتم والمخاطم هي الانوف واحدها مخطم بكسر الطا وعن حذيفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وعن ابي الزبير انه وصف الدابة فقال راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وصدرها
صدر اسد ولونها لون نمر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين من مفاصلها
اثنى عشر ذراعا معها عصى موسى وخاتم سليمن وقال صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الارض من الصفا
فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم ووبر وعن ابن عمر
انه قال تخرج الدابة من صدع في الصفا تجري كجري الفرس ثلثة ايام وما خرج ثلثها وقال
صلى الله عليه وسلم بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم
حتى يتحرك القنديل في المسجد وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة فاول ما يبدو منها راسها
ذات وبر وريش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا
اما المؤمن فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن واما الكافر فتكتب
بين عينيه كافر نكتة سودا وتكتب بين عينيه كافر وعن الحسن ان موسى عليه السلام سال
ربه ان يريه الدابة فخرجت ثلثة ايام ولياليهن تذهب في السما ولم تخرج رجلاها فنظر منها
منظرا فظيعا فقال يا رب ردها فردها قوله تعالى تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
قال مقاتل تكلمهم بالعربية فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون تخبر ان اهل مكة لم يؤمنوا
بالقران والبعث والثواب والعقاب قوله تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا الفوج
الجماعة من الناس كالزمرة والجماعة وانما يريد الرؤسا والمتبوعين والمعنى ويوم نجمع من كل امة
جماعة من المكذبين بالرسل وقوله تعالى فهم يوزعون اي يحبسون ليتلاحقوا ويساقون الى الموقف لاقامة

المحة عليهم وقيل نجس اولهم على اخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى النار وقال ابن عباس يوزعون اى يدفعون
قوله تع حتى اذا جاؤها قال اكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما اى حتى اذا جاؤا الى موقف الحساب قال
الله لهم اكذبتم بآياتى استفهام بمعنى الانكار عليهم والوعيد لهم قال ابن عباس معناه اكذبتم انبيائى وحجتى
فرايضى وحدودى ولم تحيطوا بها علما اى ولم تخبروا حتى تفقهوا وتسمعوا وقيل بمعناه ولم تحيطوا
بها علما انها باطل والمعنى اكذبتم بآياتى غير عالمين بها ولم تفكروا فى صحتها بل كذبتم بها جهلا بتغيير علم
وقوله تع امّ ماذا كنتم تعملون اى ماذا كنتم تعملون حين لم تحيطوا علما ولم تتفكروا فيها وهذا توبيخ لهم
وان كان بلفظ السؤال ٥ قوله تع ووقع القول عليهم بما ظلموا اى وجب العذاب عليهم بما اشركوا فهم
لا ينطقون بحجة عن انفسهم بل ختم على افواههم ونظيره قوله تع هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
قوله تع الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا اى مضيئا لطلب المعاش وقوله تعالى ان
فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون اى فى ما ذكرناه من اختلاف الليل والنهار لدلالات للمؤمنين والكافرين
لكنه خص المؤمنين لانهم هم الذين ينتفعون بالذكر ٥ قوله تع ويوم ينفخ فى الصور قال ابن عباس يعنى
النفخة الاولى وهى نفخة الصعق يفزع من فى السموات ومن فى الارض اى ماتوا من شدة الخوف كقوله
تع فصعق من فى السموات ومن فى الارض والمعنى بلغ منهم الفزع الى ان ماتوا ٥ وقوله تع الا من شاء الله
قال ابن عباس يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ٥ وقال الكلبى ومقاتل يعنى حملة العرش
واسرافيل وملك الموت ٥ وقوله تع وكل اتوه داخرين اى كل الخلائق تأتى الى موضع المحاسبة اذ الصاغرين
واما النفخة الثانية فتسمى نفخة البعث ويقال ينفخ فى الصور ثلث نفخات الاولى
نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق وهو الموت والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ٥ وعن عبد الله
بن عمر قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصور فقال هو قرن ينفخ فيه وقال مجاهد هو
كهيئة البوق ٥ وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تع لما فرغ من خلق السموات والارض خلق
الصور واعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يا رسول
الله وما الصور قال قرن قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بالحق ان عظم دارة فيه كعرض السموات
والارض فينفخ فيه ثلث نفخات النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث
لرب العالمين وامر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول اه ايتها نفخة الفزع فيفزع منها اهل السموات
واهل الارض الا من شاء الله وامره ان يمدها ويطيلها وهو الذى يقول الله تع وما ينظر هؤلاء الا صيحة
واحدة مالها من فواق ويسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وتزيح الارض بأهلها
رجافكون كالسفينة الموثقة فى البحر تضربها الامواج وتلقيها الرياح او كالقنديل المعلق ترجحه
الرياح وهو قوله تع يوم ترجف الارض وهى الراجفة فلو رأيتها حسبتها واجفة ابصار يومئذ خاشعة
فتميد الارض بالناس على ظهرها فتدهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الطفل وتطير الشياطين
هاربة من الفزع حتى يأتى الاقطار فتلقاها الملئكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين
ينادى بعضهم بعضا وهو قوله تع يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم فبينما هم كذلك اذ تصدعت
الارض وتصيرت السماء كالمهل ومسخ وتنتثر نجومها وتكسف شمسها وقمرها ثم يأمر الله اسرافيل
ان يمد نفخة الصعق فيصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قوله تع وكل اتوه داخرين
قرأ اهل مكة وحمزة وخلف اتوه مقصورا على الفعل يعنى جاؤه وقرأ الباقون بالمد وضم التاء وقوله تع داخرين

اى صاغرين قوله تع وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى تحسبها ما هى واقفة مستقرة
مكانها وتظنها ساكنة لا تتحرك وترى العين وهى تسير فى الهواء سيرا بقدر مر السحاب وهو
وهى سايرة وقوله تع وهى تمر مر السحاب اى تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوى بها ٥ قوله تعالى
صنع الله الذى اتقن كل شئ نصب على المصدر كانه قال صنع الله ذلك صنعا على الاتقان والاحكام وقيل
على الاغراء اى ابصروا صنع الله الذى اتقن كل شئ اى احكم وابرم ما خلق ومعنى الاتقان اللغة الاحكام
للاشياء وقوله تع انه خبير بما يفعلون قرأ نافع وابن عامر والكوفيون بالتاء وقرأ الباقون بالياء والمعنى انه خبير بما
يفعله اعداؤه من المعصية والكفر وما يفعله اولياؤه من الطاعة ٥ قوله تع من جاء بالحسنة فله خير منها
معناه من وافى عرصات القيمة بالحسنات فله ثواب اجود وانفع منها وقيل معناه من جاء بالايمان قال ابو معشر
كان ابن عباس يحلف بالله تعالى لمن يستثنى ان الحسنة لا اله الا الله وقال زياده الحسنة هى الاخلاص والمعنى جاء بكلمة
الاخلاص لا اله الا الله يوم القيمة اى وافى يوم القيمة بالايمان فله خير منها قال ابن عباس فما يصل اليه
الخير اى له من كل الحسنة خير يوم القيمة وهو الثواب والامن من العذاب وخير ههنا اسم من غير اضافة
ليس بمعنى خير من لا اله الا الله ولكنه منها خير ٥ وقال بعضهم دخلت على على بن ابى طالب رضى الله عنه
فقال لى الا انبئك بالحسنة التى من جاء بها ادخله الله الجنة والسيئة التى من جاء بها كبه الله فى النار ولم يقبل
منه عملا قلت بلى قال الحسنة حبنا والسيئة بغضنا ٥ ومعنى خير منها ارضوان الله وقيل الاضعاف يعطيه
الله بالواحد عشر اضعاف امثالها ٥ قوله تع وهم من فزع يومئذ امنون قرأ اهل الكوفة فزع منونا يومئذ بنصب الميم
وقرأ الباقون بالاضافة واختاره ابو عبيد لانه عام ويكون شاملا للجميع فزع ذلك اليوم واذا كان منونا كان الفزع
دون فزع وقال ابو على الفارسى اذا نون جاز ان يكون لفزع واحد وهو الذى يعرض للكفرة عند الموت
تدل عليه الكفرة وان كانت مفردة الالفاظ كقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير ٥ قال الكلبى اذا اطبقت النار على
اهلها فزعوا وعند ذلك يقول اهل الجنة آمنون من ذلك الفزع ٥ قوله تع ومن جاء بالسيئة فكبت
وجوههم فى النار اى من جاء بالشرك والكبائر فكبت وجوههم فى النار قال الفراء ويقول خزنة
جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون فى الدنيا من الشرك ٥ قوله تع انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها
اى قل يا محمد لكفار مكة انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعنى مكة الذى حرمها اى الذى حرم فيها ما احل فى غيرها
من اصطياد والاختلاء والقتل والسبى والظلم وان يباح فيها احد حتى يحرج صيدها فلا اصاد صيدها
ولا اختلا خلاها وقيل معنى حرمها اى عظم حرمتها فجعل لها من الامن ما لم يجعل لغيرها وقوله تع وله كل شئ
لانه خالقه ومالكه وقال ابن عباس الى حرمها اشار الى البلدة وقوله تع وامرت ان اكون من المسلمين وان
اتلو القرآن اى وامرت ان اكون من المسلمين المخلصين لله بالتوحيد وان اتلو القرآن عليكم يا اهل مكة يريد بالتلاوة
الدعوة الى الايمان وفى الآية تعظيم لامر الاسلام وتلاوة القرآن ٥ قوله تع فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه
اى من اهتدى فانما منفعة اهتدائه راجعة الى نفسه ومن ضل اى ومن ضل عن الايمان والقرآن واخطأ الطريق اى طريق
الهدى فقل انما انا من المنذرين اى من المخوفين فليس على الا البلاغ فاما انا فقد بلغت وانذرت فلا عذر لكم
وليس على الا الانذار وكان هذا قبل ان امر بالقتال قوله تع وقل الحمد لله اى قل الحمد لله على ما اتانى من
اياته يعنى العذاب فى الدنيا والقتل بدر فيرونها حين لا ينفعهم ايمان ولا توبة فتعلمون ان ما انذركم به
وجوههم وادبارهم ويجعلهم الله الى النار وما ربك بغافل عما يعملون من الكفر والمكر والفساد وقيل عيد
لهم بالجزاء على اعمالهم ٥ وعن ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة النمل كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد من كذب وصدق بموسى وهود وشعيب وصالح ولوط وابراهيم واسحق ويعقوب

وسلم عليهم السلام وخرج مروج وهو سادس آله الا الله ٥ سورة القصص مكية الا آية
واحدة ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد الآية ٥ فاما نزلت بالجحفة بين مكة والمدينة ٥ وعدد
حروف السورة خمسة آلاف وعشرة وثمانية وأربعون حرفا والف وثلاثمائة واحدى واربعون كلمة وعمان وثمانون آية ٥
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ طسم القصص لم يرس ملك في السموات والارض الا سهد له يوم
القيمة انه كان صادقا وان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ٥

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ طسم وتقديم تفسيره وقوله ٥ نتلو عليك من نبأ
موسى وفرعون بالحق اي نقرأ عليك خبرهما نتلو نقرأ بالصدق وتنبيه للقوم يؤمنون قوله ٥ ان فرعون علا
في الارض اي تجبر وتكبر في ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا واصنافا في الخدمة والتسخير يكرم
قوما ويذل آخرين وقوله ٥ يستضعف طائفة منهم يعني بني اسرائيل ثم فسر ذلك فقال يذبح ابناءهم ويستحي
نساءهم يقتل الابناء ويترك البنات فلا يقتلون وقيل معناه يذبح آباءهم صغارا ويستبقي نساءهم للخدمة
وسبي كما زعم بعض الكهنة قالوا له ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سببا لذهاب ملكك فاراد الرجاج
والجحم من قتل فرعون اذا كان هذا الكاهن عنده صادقا فما ينفع القتل وان كان كاذبا فما معنى القتل ٥
وقوله ٥ انه كان من المفسدين يعني بالقتل والعلو المعاصي قوله ٥ ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
اي نريد ان نتم على الذين استضعفوا في الارض وهم بنو اسرائيل ونجعلهم ائمة يقتدى بهم في الخير
ونكاد فساده وكاه وملوكا ودليله قوله ٥ وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين لملك فرعون وقوله ٥ ونري فرعون
وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اي ما كانوا يخافونه من هذا المولود الذي يذهب ملكهم على يديه
وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يدي رجل من بني اسرائيل فكانوا على وجل منهم فاراهم الله منهم ما كانوا يحذرون
اي هلاكا كانوا يخافون من جهتهم مرد هلاك ملكهم على ايديهم وقرأ الاعمش وحمزة والكسائي وخلف ويرى فرعون
بالياء وما بعده ونصب ما بعده على ان الفعل لهم وقرأ الباقون بالنون مضمومة وما بعده نصب بوقوع الفعل
عليهم ٥ قوله ٥ واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه لم يرد بالوحي وحي الرسالة وانما اراد الالهام
كما في قوله ٥ واوحى ربك الى النحل وقال اراكا الله في المنام فعرفته بتعبير الرؤيا وقال بعضهم انا نها
ملكية خاطبوها بهذا الكلام واسم ام موسى يوخابذ بنت لاوي بن يعقوب ٥ قال وهب من منته
لما حملت ام موسى لموسى كتمته من جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله فلما كان السنة التي ولد فيها
موسى بعث فرعون القوابل ليفتش النساء وحملت ام موسى فلم تتبين بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها
وكانت القوابل لا يتعرضن لها فلما كان الليلة التي ولد فيها ولدته امه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليه
احد الا اخته ثم اوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم قال فكتمته ثلاثة اشهر
ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عمدت له تابوتا مطبقا ومهدت له فيه ثم القته في
البحر ليلا كما امرها الله تعالى فلما اصبح فرعون جلس في مجلسه على شاطئ النيل فمهر بالتابوت فقال لخازنه
ايتوني بهذا التابوت فاتوه به فلما وضع من يديه فتحه فوجد فيه موسى فلما نظر اليه فرعون اغتاظ وقال
وكان كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكان لفرعون امراة يقال لها آسية من خيار النساء ومن سبات الانبياء
وكان امنا للمسلمين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي قاعدة الى جنبه هذا المولود اكبر من ولد
سنة وانما امرت ان يذبح الولدان هذه السنة فدعه يكون قرة عين لي ولك لا تقتلوه

عسى

عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا فقال فرعون لها عسى ان ينفعك فاما انا فلا اريد ان ينفعه قال وهب
لو قال فرعون كما قالت امراته عسى ان ينفعنا لنفعه الله به ولكنه ابا ان يقول للشقا الذي كتبه الله عليه
فتركه فرعون ولم يقتله قوله ٥ ان ارضعيه اي ارضعيه ما لم يكن عليه الطلب فاذا خفت عليه
الطلب فالقيه في اليم اي في البحر فقالت يا رب اني اخاف عليه حيتان البحر فامرت ان تجعله في تابوت
مقير فذهبت الى نجار فامرته ان يصنع لها تابوتا على قدره فعرف النجار ذلك فذهب الى الموكلين
بذبح بني اسرائيل ليخبرهم بذلك فلما انتهى اليهم اعتقل لسانه فلم يطق الكلام فجعل يشير بيده فلم يفهموه
فقال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فرجع اليهم
ليخبرهم فاعتقل لسانه فجعل يشير اليهم بيده فلم يفهموه فضربوه واخرجوه ففعل ذلك ثلاث مرات فعرف
انه من عند الله فخر لله ساجدا واسلم وصنع التابوت وسلمه الى ام موسى فوضعته فيه والقته
في النيل قوله ٥ ولا تخافي ولا تحزني اي لا تخافي عليه الغرق والهلاك ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين الى فرعون وقومه قوله ٥ فالتقطه آل فرعون قال ابن عباس لما القته امه في البحر
اقبل تهوي به الامواج حتى كان بحيال منزل فرعون فرجت جواري فرعون يستقين الماء فابصرن
التابوت فجئن به الى امراة فرعون فذهبن به الى امراة فرعون فذلك قوله ٥ فالتقطه آل فرعون وقوله ٥
ليكون لهم عدوا وحزنا هذه لام العاقبة لان العدو لا يلتقط الولد ليكون له عدوا وانما التقطوه ليكون لهم
ولدا واللوت وابنوا الاراب ٥ وقوله ٥ وحزنا قرأ اهل الكوفة الا عاصما بضم الحاء وجزم الزاي وهما
لغتان مثل السقم والسقم ٥ قوله ٥ ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي متعمدين في الاقامة
على الكفر والمعصية يقال خطأ فلان يخطئ خطأ اذا تعمد الذنب واخطأ اذا وقع منه على غير
الصواب وقيل معناه ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا آثمين عاصين قوله ٥ وقالت امراة
فرعون قرة عين لي ولك ودلك ان فرعون هم بقتله فقالت له امراته انه ليس من ساعة ولا بني اسرائيل
وقد اتى الله به من ارض اخرى فلا تقتله ايتها الملك فهو قرة عين لي ولك وعسى ان ينفعنا في امورنا
او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ان هلاكهم على يديه وقيل وهم لا يشعرون اني فعلت ما اريد ولا
افعل ما يريدون وقوله ٥ قرة عين لي ولك مشتق من القر وهو الماء البارد ومعنى قولهم اقر الله
عينك اي ابرد دمعتك لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ٥ قوله ٥ واصبح فؤاد ام
موسى فارغا اي اصبح قلب ام موسى وهي يوخابذ بنت لاوي بن يعقوب فارغا من كل شيء الا من هم
موسى وذكره وقوله ٥ ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها اي قد كادت تظهر قصته وقصة
ولده لولا ان ربطنا على قلبها اي لولا ان شددنا على قلبها بالصبر عن اظهار
ذلك لتكون من المؤمنين اي من المصدقين بما سبق من الوعد وهو قوله انا رادوه اليك وقيل لولا ظهرت لكان
ذلك سببا لقتله والربط على القلب هو الهام الصبر وتقويته وقيل معناه واصبح فؤاد ام موسى
فارغا اي فارغا من الصبر على فراق موسى لولا ان ربطنا على قلبها للبثت به وقيل فارغا من الحزن
لعلمها بانه لم يغرق ٥ قرأ نصاله بن عبيد واصبح فؤاد ام موسى فرغا بالراي والغين معجمة غير الف
من الفرغ ٥ قوله ٥ وقالت لاخته قصيه اي قالت ام موسى لاخته واسمها مريم اتبعي اثره وانظري
اين وقع لتعلمي خبره والى من صار فذهبت في اثر التابوت فبصرت بموسى حين اخذه عن بعد فذلك
اخذوه وهم لا يشعرون انها قد جاءت لتتعرف خبره وقال ابن عباس الجنب ان تسمو ببصرك
الانسان الى الشيء البعيد وهو الى جنبه لا يشعر به وهي كانت مجانبة لتتحقق النظر اليه

وقيل سمعا لهم ٥

قاله الزمخشري ٥ وقيل ياخذ ٥

كيلا يعلم بما قصدت له وقال قتادة كانت تنظر اليه كانها لا تريده وكان يقرا عن جنب
بفتح الجيم وسكون النون وقرا النعمان بن سالم عن جانب اي عن ناحية وهم لا يشعرون انها اخته
قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل المراضع جمع مرضعة وقوله تعالى من قبل اي من قبل مجي امه
ومعنى حرمنا عليه اي منعناه وقد يذكر التحريم بمعنى المنع قال الشاعر

جات لتضرعني فقلت لها اقصري ۞ اني امرء ضرعي عليك حرام ۞ اي ممتنع

وذلك ان الله تعالى اراد ان يرده الى امه فمنعه من قبول ثدي المراضع فلما تعذر عليهم رضاعه
قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي يضمنون لكم القيام به ورضاعه وهم له
ناصحون يشفقون عليه وينصحونه قالوا لها من قالت امي قالوا ولامك لبن قالت نعم لبن اخي
هرون وكان هرون ولد في سنة لا يقتل فيها صبي قالوا صدقت فدلتهم على ام موسى فدفع
اليها لتربيه لهم فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها واتم الله لها ما وعدها وهو قوله
تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها به ولا تحزن على فراقه ولتعلم ان وعد الله برد ولدها
اليها حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله برد ولدها اليها ۞ قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى
آتيناه حكما وعلما قال مجاهد بلغ اشده اي ثلاثا وثلثين سنة واستوى اي بلغ اربعين سنة وهو
قول ابن عباس وقتادة وقوله تعالى آتيناه حكما وعلما يعني الفقه والعقل والعلم في دينه ودين آبائه
فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا ۞ وقال ابن عباس لما بلغ موسى اربعين سنة آتاه الله النبوة وقيل
الاشد منتهى الشباب والقوة والاستواء تمام الخلق واعتدال الجسم في الطول والعظم وانما يبلغ المرء
هذا الحد واثنين وعشرين سنة الى اربعين سنة ۞ قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين فيه بيان ان ايتاء العلم
والحكمة يجوز ان يكون مجازاة على الاحسان لانهما يؤديان الى الجنة التي هي جزاء المحسنين قوله تعالى ودخل المدينة
على حين غفلة من اهلها اي دخل موسى مدينة فرعون وهي مدينة يقال لها منف وكانت من مصر على فرسخين
وقوله تعالى على حين غفلة من اهلها قال ابن عباس في وقت الظهيرة عند المقيل وقد خلت الطرق وقيل دخلها
فيما بين المغرب والعشاء وقيل دخلها يوم عيدهم وكانوا مشغولين عن موضع مدينتهم باللهو واللعب
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اي من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من القبط وكان القبطي
يتسخر الاسرائيلي ليحمل له حطبا الى مطبخ فرعون والاسرائيلي يابى ذلك فاستغاثه الذي من شيعته اي
استنصره الاسرائيلي على القبطي فوكزه موسى اي ضربه بجمع كفه في صدره فقضى عليه اي قتله فوقع القبطي
ميتا وكل شيء فرغت منه واتممته فقد قضيته عليه وقضيته والوكز الضرب بجمع الكف وكان موسى
عليه السلام قد اوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش وكان من نية موسى انه لا يريد قتله ولم
يتعمد هلاكه بل قال له اولا خل سبيله فقال انما اريده ليحمل الحطب الى مطبخ فرعون فوكزه موسى فقضى عليه
اي قتله وفرغ من امره والوكز واللكز واللهز بمعنى واحد وهو الدفع ويقال وكزه بعصاه فلما قتله موسى
عليه السلام ندم على قتله وقال لم اومر بهذا ثم دفنه في الرمل وقال هذا من عمل الشيطان لاني كنت لا اريد قتله
ولكن هيج الشيطان حرتي حتى ضربته وقوله تعالى قاله عدو مضل مبين اي عدو لبني آدم مضل له مبين
عداوته لهم ثم استغفر موسى ربه فقال يا رب اني ظلمت نفسي بقتل القبطي قبل ورود الامر والاذن
لي فيه فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قوله تعالى قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين اي
بما انعمت علي بالمغفرة والعلم والحكم فلن اكون عونا للكافرين وهذا يدل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان
كافرا قوله تعالى فاصبح في المدينة خائفا يترقب اي اصبح من غد ذلك اليوم في تلك المدينة التي فعل فيها ما
فعل خائفا على نفسه من فرعون وقومه يترقب اي ينتظر عاقبة امره والترقب انتظار المكروه اي ينتظر
سوءا يناله منهم فاذا ذلك الاسرائيلي الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه على رجل آخر

فاتاه

من القبط

من القبط فقال له موسى انك لغوي مبين اي ضال عن طريق الحق بين الجدل تقاتل من لا تقاومه
وقد قتلت امس في سببك رجلا وتدعوني اليوم الى آخر ثم اقبل موسى وهم ان يبطش الثانية بالقبطي
ظن الاسرائيلي انه يريد ان يبطش به لقوله انك لغوي مبين فقال الاسرائيلي يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس ولم يكن احد من قوم فرعون علم ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى افشى عليه هذا الاسرائيلي
وسمع القبطي ذلك فاتى فرعون فاخبره وذلك معنى قوله تعالى فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال
يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وكان ايضا هذا القبطي الثاني يسخر الاسرائيلي ليحمل له حطبا
قوله تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي ما تريد الا ان تكون قتالا في ارض مصر بالظلم قال الزجاج
الجبار في اللغة الذي لا يتواضع لامر الله والقاتل بغير حق جبار ۞ وقوله تعالى وما تريد ان تكون
من المصلحين اي من الذين يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلما سمع القبطي مقالة الاسرائيلي علم ان موسى
هو الذي قتل القبطي بالامس ولم يكن احد علم ذلك قبل هذا فانطلق القبطي فاخبر فرعون فارسل فرعون
الى اولياء المقتول ان اقتلوا موسى فجاء رجل من شيعة موسى من اقصى المدينة اي من آخرها الى موسى فاخبره
بذلك وقوله تعالى يسعى اي يمشي على رجليه مسرعا وهو حزقيل بن صور يا مؤمن آل فرعون فقال له يا موسى
ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك اي ان الخواص من قوم فرعون يتشاورون في قتلك فاخرج من المدينة اني لك
من الناصحين في امري لك بالخروج ۞ قوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب اي خرج موسى من المدينة خائفا
يترقب اي ينتظر متى يلحق فيؤخذ قال عند ذلك رب نجني من القوم الظالمين اي من فرعون وقومه ۞
قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين اي لما سار نحو مدين وكان قد خرج بغير زاد ولا حذاء ولا ركوبة بل خرج
هائما على وجهه هاربا من فرعون وقومه لا يدري اين يذهب فخاف ان يخطئ الطريق ومدين اسم ماء
لقوم شعيب بينه وبين مصر ثمانية ايام سمي ذلك الماء باسم مدين بن ابراهيم عليه السلام فلما لم يكن
لموسى علم بالطريق خشي ان يذهب يمينا او شمالا فقال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي يرشدني قصد
الطريق الى مدين فلما دعا موسى بهذا الدعاء جاءه ملك على فرس فانطلق به الى مدين قال المفسرون
خرج موسى من مصر بلا زاد ولا درهم ولا ركوبة الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ولم يكن له طعام الا ورق
الشجر ۞ قوله تعالى ولما ورد ماء مدين اي لما بلغ بئرهم التي كانوا يستقون منها قال ابن عباس ورد ماءهم وانه
لتترائى خضرة ورق الشجر في بطنه من الهزال وقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون اي وجد على ذلك الماء
جماعة من الناس يسقون اغنامهم ومواشيهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان اي تحبسان غنمهما عن الماء
حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر وهما ابنتا شعيب ۞ والذود في اللغة الطرد والدفع والكف ۞ ومعنى تذودان
تدفعان ويكفان الغنم من ان يختلط باغنامهم لناس وحتى لا يقرب الماء الى ان يفرغ القوم قوله تعالى قال ما خطبكما
اي قال موسى لا تمنعي شعيب ما خطبكما اي ما شانكما لا تسقيان غنمكما مع الناس قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء
قرا الحسن وابن عامر وابو عمرو بفتح الياء وضم الدال جعلوا الفعل للرعاء اي حتى يرجع الرعاء عن الماء وقرا
الباقون يصدر بضم الياء وكسر الدال اي حتى يصدروا مواشيهم من وردهم فيخلو لنا الموضع فنسقي اغنامنا
فضل مائهم في الحوض والرعاء جمع راع قال ابن اسحق قالتا نحن امرأتان لا نستطيع ان نزاحم الرجال وابونا شيخ
كبير لا يقدر ان يسقي ماشيته من الكبر والضعف وليس له احد غيرنا فلذلك احتجنا ونحن نساء ان نسقي
الغنم فلما سمع موسى قولهما رحمهما فقام ليسقي لهما غنمهما فوجد بقربهما بئرا اخرى على راسها صخرة عظيمة
لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس فاقتلعها وحده ثم اخذ الدلو من القوم فادلاها في البئر ونزعها
وافرغها في الحوض ثم دعا بالبركة فشرب الغنم حتى روي وقيل انه زاحم القوم على بئرهم وسقى لهما غنمهما
فذلك قوله تعالى فسقى لهما اي سقى لهما اغنامهما قبل الوقت الذي كانا يسقيان فيه ثم رجع من الشمس الى الظل
اي الى ظل شجرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير اي اني لمحتاج فقير
الى ما قدرت لي من الطعام وكان خرج من مصر بغير زاد وكان لا ياكل في الايام الثمانية الا الحشيش والشجر

مدين اسم ماء بينه وبين مصر ثمانية ايام ۞

آلى ان بلغ ماء مدين فلما ادركه الجوع والعطش الشديد وكان لا يقدر على شيء سأل الله اكله الطعام قال ابن عباس
سأل الله قلوص حبتر يقتبه صلبه قال سعيد بن جبير لقد قال موسى اني لما انزلت الي من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه
ولقد افتقر الى شق تمرة وقال مجاهد ما سأل الله الا الخبز واللام في قوله رب لما انزلت بمعنى الى يقال فقير له وفقير
اليه قوله تع فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا وذلك ان موسى عليه السلام
لما سقى لهما رجعتا الى ابيهما سريعا فقال لهما انهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا اغنامنا
فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فجاءته تمشي مستحيية متثنية في مشيها تعتاد الدخول والخروج واضعة كمها على
وجهها معترضة من الحياء وكانت التي اتاه انها ابو هما الى موسى هي الصغرى منهما واسمها صفورا قال عمر
بن الخطاب في قوله تع فجاءته احداهما تمشي على استحياء قال ليست بسلفع من النساء خراجة ولا ولاجة
جاءته على استحياء واضعة ثوبها على وجهها اي مستترة بكم درعها قال اهل اللغة السلفع الجريئة
التي هي غير مستحيية وقوله تع قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي ليعطيك ذلك فلما اتاه وقص عليه
عليه السلام قصته قوله وهم ان لا يتبعها وكان بينه وبين ابيها مقدار ثلثة اميال فمر به لم يجد بدا من اتباعها
لاجل الجهد والجوع الذي به ولاجل الخوف الذي خرج لاجله فانطلق معها وكانت الريح تضرب ثوبها
فتلزقه بردفها فتصف له عجيزتها وكانت ذات عجز فجعل موسى يغض بصره ويعرض عنها ثم قال لها يا امة
الله كوني خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت ففعل ذلك ورد الله عليها ذاهبا ما كان جائيا لئلا يرى عجيزتها
الى اعجاز النساء قوله تع فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي فلما جاء موسى
الى شعيب اذ هو بالعشاء هيئا فقال له شعيب مه يا شاب لعلك جعت فقال اي والله لقد جعت جوعا ما جعت مثله قط
له وحدته وما كان منه من قتل القبطي وفراره من فرعون فقال له شعيب اجلس لا تخف نجوت من القوم الظالمين
اي نجوت من فرعون وقومه فانهم لا سلطان لهم بارضنا وليست في مملكته فجلس موسى عليه السلام فقال
له شعيب ما لك تعشى فقال اعوذ بالله فقال له شعيب ولم ذلك وانت بأرض لا خوف عليك فيها فاخبره الخبر
لما سقيت لكم وانا من اهل بيت لا نبيع شيئا من عمل الآخرة بملء الارض ذهبا فقال شعيب لا والله
ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى عليه السلام يتعشى فاذا هو بلحم كثير
احداهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين اي قالت احداهما وهي التي تزوجها موسى يا ابت استأجره
اجبر ابلنا غنمنا فان خير من استأجرت الذي يقوى على العمل ويؤدي الامانة فقال لها ابوها وما علمك
بقوته وامانته فقالت اما قوته فانه لما رأى اغنامنا محبوسة عن الماء قال لنا ارفعن عنا حتى يرد الرعاء
صخرة عظيمة لا يرفعها الا اربعون رجلا وانطلقنا به الينا فاطلقنا به فاخذ الصخرة بيده وحدها
سهلا من غير كلفة واما امانته فانه قال لي لما انطلقنا به الينا فاخذ الصخرة بيده وحدها
حتى اهيج نحوها قائما قوم لانظر الى وراء النساء وهذا المعنى قال عمر رضي الله عنه لا يصلح للامور المسلمين الا
القوي من غير عنف والرفيق من غير ضعف قال فلما ذكرت له المرأة من حال موسى ما ذكرت زاد ابوها رغبة فيه
فقال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان ترعى غنمي وتكون فيها اجيرا الى
ثماني سنين فان تممت عشرا فهو تفضل منك ليس بواجب عليك وما اريد ان اشق عليك في العشر ولا اكلفك الا العمل
المشروط والمراد بالاجل السنين قوله تع سنجدني ان شاء الله من الصالحين اي ممن وافق قوله فعله وقيل يتجاوز
ان شاء الله الوافي بالعهد المحسن الصحبة فقال موسى لشعيب ذلك الشرط بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي
وشرط علي ذلك وما اشرط لي من تزويج احداهما فلي والامر بيننا وتم الكلام ثم قال اي الاجلين قضيت
اي الثمان او العشر فرغبت منه فلا عدوان علي اي لا ظلم علي ولا حرج ولا كلفة وقال الفراء ما صلة في قوله
ايما الاجلين وقوله تع والله على ما نقول وكيل اي شهيد على ما عقد بعضنا على بعض قال ابن عباس معناه والله

شهيد

شهيد بيني وبينك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال
اوفاهما وابطأهما وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئلت عن اي الاجلين قضى موسى
فلا تخيرها وايرها وان سئلت اي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استأجره
قوله تع فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله اي فلما وفى موسى اتم الاجلين وهو عشر سنين وسار بأهله
نحو مصر قال مقاتل استأذن موسى صهره شعيبا في العود الى مصر لزيارة والدته واخيه فاذن له فسار
بأهله نحو مصر فابصر بالليل المظلم عن يسار الطريق من جانب الجبل نارا قال لاهله انزلوا ههنا اني ابصرت
نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي من عند النار بخبر واعلم لكم او قدب تلك النار وقال كان اخطأ الطريق
فاراد ان يسأل عن الطريق من بجانب عند النار وقوله تع او جذوة من النار معناه آتيكم بقطعة من
الحطب في رأسها شعلة من النار لكي تدفؤا من البرد وكانوا في شدة من الشتاء وفي قوله تع جذوة
ثلث قرأات فتح الجيم وهي قراءة عاصم وضمها وهي قراءة حمزة وكسرها وهي قراءة الباقين وقوله تعالى
لعلكم تصطلون اي تستدفئون يقال اصطلى بالنار اذا قرب منها ليسخن عليها قوله تع فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في
البقعة المباركة اي فلما اتى موسى النار نودي من جانب الوادي الايمن اذا ذهبت يمين موسى وقوله تعالى
في البقعة المباركة اي المقدسة وقوله تعالى من الشجرة اي من نحو الشجرة وهي العناب في قول ابن عباس
وقال ابن مقاتل هي عوسجة وسميت البقعة مباركة لان الله كلم موسى فيها وبعثه نبيا هناك وقوله تعالى
ان يا موسى اني انا الله رب العالمين قد تقدم تفسيره قوله تع وان الق عصاك اي ونودي يا موسى الق عصاك
مريدك وموضع ان الق عصاك نصب فلما رآها تهتز كانها جان اي فلما رآها تتحرك تحركا شديدا
الاضطراب كانها جان في الخفة مع عظمها وهي ذكر الحيات ولم يقل جانا اي صغيرا ولم يلتفت الى ما
وراءه فقال الله له يا موسى اقبل اليها ولا تخف منها انك من الآمنين من ان ينالك منها مكروه
فاخذها موسى فاذا هي عصا كما كانت وقال سعيد جانا في عروقها الا انها صارت حانا والبقعة
المباركة وثعبانا عند فرعون قوله تع اسلك يدك في جيبك اي ادخلها في جيبك تخرج بيضاء لها شعاع
كشعاع الشمس من غير برص واضمم اليك جناحك من الرهب اي ضم يدك على صدرك ليسكن
ما بك من الفزع فتصير امنا مما كنت تخافه وهذا الان من شان الخايف اذا رهب وتعلق وكون ضم يده
الى نفسه في معنى السكون قال مجاهد كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرأ ابن كثير
وجناح الانسان عضده وقال الدبري كل جناح وقال بعضهم معنى قوله تع واضمم يدك الى جناحك اي سكن
روعك وضم الجناح هو السكون ومنه قوله تع واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق وكذلك
قوله تع واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اي لمن تبعك على دينك فهو ولي وان خالفك فهو برئ
العصا وقوله تع من الرهب قرئ من الرهب ايضا وهما لغتان مثل الرشد والرشد وقال ابن عباس
الرهب متصل بقوله من الامنين وقوله تعالى فذانك برهانان من ربك معنى اليد والعصا حجتان من الله تع
لموسى على صدقه والمعنى هما حجتان من ربك ارسلناك بهما الى فرعون وملائه اي اشراف قومه انهم كانوا
قوما فاسقين اي خارجين عن طاعة الله تعالى قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فذانك بالتشديد وهي لغة قريش وقرأ
الباقون بالتخفيف قال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك قوله تع قال رب
اني قتلت منهم نفسا يعني القبطي الذي قتله فاخاف ان يقتلوني به واخي هرون هو افصح مني لسانا
اي ابين مني كلاما واحسن بيانا وكان في لسان موسى عقدة من قبل الجمرة التي تناولها ولذلك قال فرعون
ولا يكاد يبين وقوله تع فارسله معي ردءا اي عونا ومصدقا لي يقال فلان ردء فلان اذا كان ناصره

ويشد ظهره وقرا نافع ردا من غير همز طلبا للخفة وقوله تعالى يصدقني قرا عاصم وحمزة يصدقني
بضم القاف وقرا الباقون بالجزم على الجواب للامر ومن رفعه كان صفة للنكرة جوابا للمسئلة تقديره
ردا مصدقا لي والتصديق لهرون في قول الجميع وقال مقاتل لكي يصدقني فرعون اني اخاف ان يكذبون
قوله تعالى قال سنشد عضدك باخيك اي قال الله لموسى سنعينك ونقويك وننصرك باخيك وشد
العضد كناية عن التقوية ٥ وقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا اي حجة بينة تدل على النبوة فلا يصلون
اليكما بقتل ولا سوء ولا اذى انتما ومن اتبعكما الغالبون لمن خالفكما وقوله تعالى باياتنا موضعه التقديم
والمعنى ونجعل لكما سلطانا باياتنا اي بما نعطيكما من المعجزات قوله تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا بينات
يعني المعجزات فلم يقدروا على دفع تلك الايات الا ان قالوا هذا سحر مفترى اي مخترع افتريته من قبل
نفسك ولم تبعث به وما سمعنا بهذا الذي تدعونا اليه في اباينا الاولين قوله تعالى وقال موسى ربي
اعلم بمن جاء بالهدى من عنده اي هو اعلم بالمحق منا وبمن يدعو الى الضلالة اي انا الذي جئت بالهدى
من عند الله ٥ وقرا ابن كثير قال موسى بغير واو ٥ وقوله تعالى ومن تكون له عاقبة الدار اي وهو اعلم بمن
له الجنة انه لا يفلح الظالمون اي لا يسعد من اشرك بالله ٥ قوله تعالى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله
غيري اي قال فرعون لخواص قومه ما علمت لكم من اله غيري وهذه احدى كلمتيه اللتين اخذه الله بهما والاخرى
قوله انا ربكم الاعلى وقوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين اي اتخذ لي اجرا واجعل لي صرحا اي قصرا
طويلا متسعا مرتفعا لعلي اطلع الى اله موسى اي اصعد اليه ظن بجهله انه يتهيا له ان يبلغ بصرحه
الى السماء وظن ان اله موسى جسما يشاهد كما تقول المشبهة تعالى الله عن ذلك قال المفسرون لما امر فرعون
وزيره هامان ببناء الصرح جمع خمسين الف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الاجر والجص وينحر الخشب
والابواب ويضرب المسامير وقوله تعالى واني لاظنه من الكاذبين اي في ادعائه الها غيري وانه رسوله
وهذا اعتراف من فرعون بالشك لانه شاك لا يدري ما في السماء ولو كان الها لم يجهل ولم يشك والمبطل
تظهر عليه المناقضة ٥ قوله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق اي تعظموا عن الايمان ولم
ينقادوا للحق وقوله تعالى في الارض اي في ارض مصر بغير الحق اي بالباطل والظلم وظنوا انهم الينا لا يرجعون
اي لا يردون الينا بالبعث للحساب والجزاء ٥ قوله تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي طرحناهم
في البحر قال عطاء يريد البحر المالح بحر القلزم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين حين صاروا الى الهلاك قوله تعالى
وجعلناهم ائمة يدعون الى النار اي جعلناهم في الدنيا ائمة ضلالة وقادة في الكفر والشرك يقودون
الناس الى الشرك وهو قوله تعالى يدعون الى النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار ويوم القيمة لا ينصرون
اي لا يدفع عنهم عذاب الله واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة يعني لعنة الملائكة والمؤمنين ويوم القيمة
هم من المقبوحين اي من المشوهين في النار بسواد الوجوه وزرقة الاعين فعلى هذا يكون المعنى هم من
المقبحين وقيل معناه هم من المبعدين الملعونين من القبح وهو الابعاد قال ابو زيد يقال قبح الله فلانا
قبحا وقبوحا اي ابعده من كل خير ٥ قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى بصائر للناس يعني بالقرون الاولى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى وقوله تعالى
بصائر للناس اي اعطينا موسى التوراة من بعد ما اهلكنا الامم الماضية عظة وعبرة للناس ليبصروا
بها امر دينهم اي ليبصروا بالتوراة ويهتدوا بها وهو قوله تعالى وهدى اي من الضلالة لمن عمل به اي بالكتاب
ورحمة لمن امن به لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا بما فيه من المواعظ والبصائر ٥ وعن ابي سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة ولا اهل قرية بعذاب

من السماء

من السماء منذ انزل التوراة على وجه الارض غير اهل القرية الذين مسخوا قردة الم تر ان الله قال
ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر معناه وما كنت يا محمد بجانب الوادي الغربي اذ قضينا الى موسى الامر اي اذ
اوحينا اليه الامر بما الزمناه وقومه وما كنت من الشاهدين تلك الحالة وانما اخبرناك بذلك لتكون
معجزة لك ٥ قوله تعالى ولكنا انشانا قرونا اي خلقنا قرنا بعد قرن فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم المهلة
فنسوا عهد الله وتركوا امره وكذبوا الرسل فاهلكناهم قرنا بعد قرن وهذا الكلام يدل على انه
قد عهد الى موسى وقومه عهود في محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون
بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها ٥ قوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين كمقام موسى وشعيب
فيهم تتلوا عليهم اياتنا اي تذكرهم بالوعد والوعيد قال مقاتل والمعنى لم تشهد اهل مدين فتقرا على
اهل مكة خبرهم كخبر من شاهدهم ولكنا كنا مرسلين اي ارسلناك الى اهل مكة وانزلنا عليك هذه
الاخبار ولولا ذلك لما علمتها ٥ قوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي وما كنت يا محمد
بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى اذ نادينا موسى يا موسى اني انا الله ويا موسى اقبل ولا تخف
ولكن اوحيناها اليك وقصصناها عليك رحمة من ربك لتنذر قوما لم ياتهم رسول مخوف قبلك لعلهم
يتذكرون اي يتعظون ومعنى ولكن رحمة اي ولكن رحمناك رحمة بارسالك والوحي اليك ٥ وقوله تعالى لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتعظون ٥ واسم الجبل الذي نودي عليه موسى جبل زبير
وقرا عيسى بن عمر ولكن رحمة بالرفع على معنى ولكن هي رحمة من ربك اذ اطلعك الله عليه ٥ قوله تعالى ولولا
ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم قال مقاتل معناه ولولا ان تصيبهم العذاب في الدنيا بما قدمت ايديهم
من الكفر والمعاصي يعني كفار مكة فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك يعني القران ونكون من المؤمنين والمعنى لولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة
بكفرهم وحقيقة كشف معنى الاية بيان ان الله تعالى ارسل النبي صلى الله عليه وسلم لولا انه اذا اصابتهم
مصيبة اي عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر فيقولوا عند نزول العذاب بهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا
فنتبع كتابك ورسولك ونكون من المؤمنين لعجلنا لهم العقوبة وقيل معناه لولا اذا اصابتهم عقوبة الاخرة
فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا في الدنيا لما ارسلناك وفي الاية بيان ان الله تعالى ارسل النبي صلى
الله عليه وسلم مبالغة في الحجة وقطع المعذرة ٥ قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا اي فلما جاء اهل مكة
الحق من عندنا وهو محمد والقران قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اي هلا اعطي مثل ما اعطي موسى
يعنون هلا انزل عليه القران جملة واحدة كما انزلت التوراة على موسى جملة واحدة وهلا اعطي محمد
اليد والعصا والمن والسلوى وغير ذلك من الايات فاحتج الله عليهم بقوله اولم يكفروا بما اوتي موسى
من قبل اي فقد كفروا بايات موسى كما كفروا بايات محمد وقالوا ساحران تظاهرا اي تعاونا على السحر
والضلالة يعنون موسى ومحمدا عليهما السلام وقالوا انا بكل كافرون وقرا اهل الكوفة سحران بغير الف
يعنون التوراة والقران وقالوا انا بكل من التوراة والقران كافرون قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لكفار
مكة فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اي من التوراة والقران حتى اتبعه ان كنتم صادقين ايهما
كانا سحرين قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك اي فان لم ياتوا بمثل التوراة والقران فاعلم انما يتبعون
اهواءهم وان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وانما اثروا فيه الهوى ثم ذمهم فقال ومن اضل ممن اتبع
هواه بغير هدى من الله اي لا احد اضل ممن يتبع هواه بغير رشاد ولا بيان جاء من الله ان الله لا

يهدى القوم الظالمين ومعنى قوله فان لم يستجيبوا لك اى فان لم يجيبوك الى ما سالتهم ولا يجيبوك قوله تعالى
ولقد وصلنا لهم القول اى وصلنا الاخبار بمكة ذكر الانبياء والامم والقاصيص بعضها لبعض واخبارهم انا اهلكنا
قوم نوح بكذا وقوم صالح بكذا لكى يتعظوا بالقران ويخافوا ان ينزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم وقوله مع الدرس
اتيناهم الكتاب وجعلناه اى من قبل القران هم به يومنون اى محمد صلى الله عليه وسلم وقال السدى يعنى مسلمى اليهود
عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل يعنى مسلمى اهل الانجيل وهم الذين قدموا مع جعفر بن ابى طالب من الحبشة
لم يعنهم الله تعالى واذا يتلى عليهم يعنى القران قالوا امنا به اى صدقنا بالقران انه الحق من ربنا انا
النبى صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل فلم تعاندوا وقالوا للقران انه الحق من ربنا انا
كنا من قبل القران مسلمين مخلصين لله بالتوحيد ومحمد انه نبى حتى مر انثنى الله عليهم خيرا فعال اولئك يوتون
اجرهم مرتين عاصر وا مرة بمكة حين اذ ركوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامنوا به ومرة بالمدينة حين هاجروا
قادوه عاصر وا بين الكلمات الاولى والكلمات الثانى وقيل مرة لاتباعهم موسى ومرة لاتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة اى يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك كذا قال ابن عباس وقال مقاتل
يدفعون ما يلحقهم من اذية الكفار وشتمهم بالصفح والعفو والحلم والاحتمال ومن ذلك قوله تعالى ادفع بالتى هى احسن
يتقبلون طاعة الله وقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه اى واذا خوطبوا بالسفاهة وشتمهم المشركون
ردوا عليهم جميلا واعرضوا عن الكلام الذى لا فايدة فيه وقالوا لنا اعمالنا اى ديننا ولكم اعمالكم اى دينكم
وذلك انهم تركوا دينهم قال السدى لما اسلم عبد الله بن سلام حسد اليهود لشقوته وهو يقول سلام عليكم
لا نبتغى الجاهلين قال الزجاج لم نرد والتحية والمعنى انهم قالوا لا بينا وبينكم المتاركة والسلام وهذا قبل ان يؤمر
المسلمون بالقتال فكانهم قالوا سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم ومعنى قوله لا نبتغى الجاهلين اى لا نريد مثل اعمالهم
الجهل والسفه وقال الكلبى معناه لا نحب دينكم الذى انتم عليه قوله تعالى انك لا تهدى من احببت الاية نزلت
الى ان قال الا انه نزلت فى ابى طالب وذلك انه لما مرض مرضه الذى مات فيه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
له يا عم قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة قال لولا ان يعيرنى نساء قريش ويقلن انه حمله على ذلك الجزع عند الموت
لاقررت بها عينك وانزل الله تعالى انك لا تهدى من احببت هدايته وقيل انك لا تهدى من احببت وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه دخل على عمه ابى طالب فى مرضه الذى مات فيه وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابى امية بن المغيرة فقال له يا عم
قل لا اله الا الله اجاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابى امية او عرض ملة عبد المطلب فلم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه وهما يعاودانه على تلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم به انا على ملة
عبد المطلب وابا ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله
ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وانزل الله فى ابى طالب انك لا تهدى
من احببت ولكن الله يهدى من يشاء قال الزجاج انتدا ورد لها سبب ابى طالب وهى عامة لانه لا يهدى الا الله عز وجل
وهو اعلم بالمهديين قوله تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا اى قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان
اتبعنا لك ما دعوتنا اليه انتسا الناس علينا واخرجونا من ارضنا مكة ان تركنا ما يعبد ون من الاصنام قوله تعالى اولم
نمكن لهم حرما امنا اى ذا امن يامن فيه الناس وهو كان العرب كانت تغير بعضهم على بعض واهل مكة امنون فى
الحرم من القتل والسبى والنهب اى فكيف يخافون اذا اسلموا وهم فى حرم امنون ومعنى اولم نمكن لهم حرما امنا
اى اولم نجعله مكانا لهم وقوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا لنا ولكن تعقوب يحيى بالتا لاجل الثمرات وقرا
الباقون بالياء لقوله كل شىء ورفا معنى يجبى اى يحمل الى الحرم ثمرات كل شىء من مصر والشام واليمن والعراق وقوله تعالى
رزقا من لدنا اى رزقا هم رزقا من عندنا ولكن اكثرهم لا يعلمون انا فعلنا ذلك بنبى اهل مكة والمعنى اولم نجعل
اهل مكة وامان قبل الايمان نجبى الى الحرم ثمرات كل شىء نعمة من عندنا فكيف يجاوز زوال الله ما هم بالايمان
ولكن اكثرهم لا يعلمون انهم لا يتدبرون ولا يتفكرون ثم خوفهم بمثل عاد وامثالهم الخالية فقال وكم اهلكنا
من قرية بطرت معيشتها اى وكم اهلكنا من اهل قرية بطرتها معيشتها والبطر الطغيان عند النعمة

وقيل بطرت فى معيشتها قال عطاء عاشوا فى المطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام وقوله تعالى
فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا اى منازلهم التى كانوا يسكنونها لم يسكنها احدا لا المسافرون
ومنازل الطريق يمر بها يوما او ساعة ثم يرتحلون والمعنى لم تسكن بعدهم الا سكونا
قليلا وكنا نحن الوارثين اى لم يخلفهم احد بعد هلاكهم فى منازلهم فبقيت خرابا كقوله مساكنهم كقوله
انا نحن نرث الارض ومن عليها وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم
اياتنا معناه وما كان ربك يا محمد معذب القرى الكافرة اهلها حتى يبعث فى اعظمها قرية رسولا
ينذرهم ويدعوهم اياتنا يعنى حججنا وخص الاعظم من القرى يبعثه الرسول لانها لان الرسول اذا بعث الى الاشراف
واشراف القوم وملوكهم يسكنون المدائن والمواضع التى هى امام ما حولها وقوله تعالى وما كنا مهلكى
القرى الا واهلها ظالمون اى بالهلكهم الا بظلمهم وشركهم وقيل المراد بالقرى القرى التى حول مكة
والمراد بامها مكة تسمية القرى لان الارض دحيت من تحتها قوله تعالى وما اوتيتم من شىء فمتاع الحياة
الدنيا ومعناه وما اعطيتم ايها اهل مكة من خير فى الدنيا ومال فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تتمتعون
بها ايام حياتكم ثم تنقطع وتفنى وتمضى وما عند الله من الثواب والجنة ابقى وادوم لاهله وافضل
مما اعطيتم فى الدنيا افلا تعقلون ان الباقى افضل من الفانى العاقل الماهر وقيل افلا يعقلون خير الامرين
فتطلبوه ثم الامر من قريش كلهم قرا ابو عمرو افلا يعقلون بالياء قوله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه
استفهام بمعنى التقرير اى كمن استوى حال من وعدناه الثواب والجنة فى الاخرة فهو لاقيه وحال من متعناه
بعرض الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين العذاب والمعنى افمن وعدناه على ايمانه وطاعته الجنة والثواب
الجزيل فهو لاقيه اى مدركه كمن هو متمتع بشىء فنى وزول عن قريب ثم هو يوم القيمة من المحضرين
النار قال قتادة يعنى المشركين والكافر والملوس سمع كتاب الله فصدقه وامن بموعود الله فيه وليس كالكافر الذى يتمتع
بالدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين فى عذاب الله قال مجاهد نزلت هذه الاية فى على وحمزة وابى جهل وقال
السدى نزلت فى عمار والوليد بن المغيرة قوله تعالى ويوم يناديهم اى ينادى الله المشركين يوم القيمة فيقول اين
شركائى الذين كنتم تزعمون فى الدنيا انهم كانوا شركائى والمعنى واذكر يوم ينادى الكفار وهو يوم القيمة فيقول لهم
اين شركائى قوله تعالى ولسنا لله شركاء ولكن حرج هذا الكلام على ما كانوا يتلفظون به فيقولون هو لا شركا الله قوله تعالى
قال الذين حق عليهم القول اى حقت عليهم كلمة العذاب اى وجبت عليهم العذاب وهم الرؤساء والقادة
الذين اغوينا يعنون انفسهم واتباعهم اغويناهم كما غوينا اى اضللناهم كما ضللنا نتبرا اليك منهم ونتبين انا
بجملتنا الكفر والضلال والاضلال ما كانوا يعبدونا ما اكراه من جهتنا وكل ما كانوا يعبدونا يجحدونا ولا يستحقون
قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم اى يقال لهم استغيثوا بالذين كنتم تسمونهم شركاء الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اى لم يجيبوهم الى نصرهم ورأوا العذاب اى رأوا انفسهم فى العذاب
وقوله تعالى لو انهم كانوا يهتدون جواب لو محذوف تقديره لو انهم كانوا يهتدون فى الدنيا لما رأوا العذاب
قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين اى واذكر يوم يناديهم فيقول ما كان جوابكم لمن ارسل
اليكم من الرسل وقوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ اى التبست عليهم الاجوبة يومئذ فلم يدروا ما يقولون
من الفزع والتحير فهم لا يتساءلون اى لا يسال بعضهم بعضا فى تلك الساعة لزيد الجواب وقيل لا يسال احد
عن حال احد لاستغراق كل واحد منهم بنفسه وبحال لا يسال احد احدا ان يسد الله طاعة او يجمع بين معصيته
ومعنى قوله تعالى فعميت اى خفيت واشتبهت عليهم الانباء قوله تعالى فاما من تاب وامن وعمل صالحا اى من رجع عن الشرك
وامن وصدق بوحدانية الله وعمل بطاعته وعمل صالحا اى ادى الفرائض فعسى ان يكون من الناجين
الفائزين وعسى من الله واجب اى هو يكون من الاخرة من الفائزين قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وذلك

ان الوليد بن المغيرة كان يقول لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وابا مسعود الثقفي
فاخبر الله عز وجل انه ورسوله يحلو ما يشاء ويختار من رسالته والنبوة والرسالة اي ليس كما ان الخلق اليه يخلق ما يشاء
فكذلك الاختيار اليه في جميع الاشياء فيختار مما خلق ما شاء وقوله ما كان لهم الخيرة ابتداء كلام في الاختيار عن المشركين
وذلك انهم اختاروا الوليد المغيرة من مكة او عروة بن مسعود الثقفي من الطائف فقال الله ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم
الاختيار على الله ثم نزه الله نفسه فقال سبحان الله وتعالى عما يشركون من قرأ او يختار ما كان لهم الخيرة من غير ان يقف
على ويختار جعل ما بمعنى الذي كانه قال ويختار الذي لهم الخيرة فيصنع بهم ما هو اصلح لهم ۝ وانشد محمد بن الوراق ۝

۝ توكل على الرحمن في كل حاجة ... اردت فان الله يقضي ويقدر ۝
۝ متى ما يرد ذو العرش امرا لعبده ... يصبه وما للعبد ما يتخير ۝
۝ فكم هلك الانسان من وجه امنه ... ويخرجه الله من حيث يحذر ۝

قوله ويعلم ما تكن صدورهم اي ما تسر من الكفر والعداوة لله ولرسوله اي يعلم ما تضم قلوبهم وذلك
وما يعلنون اللسنتهم من الكفر والمعاصي ۝ قوله وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة تسبحون الحمد
لله الذي له الحكم اي الفصل بين الخلائق بحكمه لاهل طاعته بالمغفرة ولاهل معصيته بالشقاء والويل
والى الله ترجعون الى موضع جزائه ۝ قوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة اي قل
يا محمد لاهل مكة اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة لا نهار معه من الله سوى الله ما تيكم
بنهار تضيئ تتصرفون فيه وتطلبون فيه المعيشة الا تسمعون سماع قبول وتفهم فيستدل بها بذلك على توحيده
قوله تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا اي قل لهم اخبروني ان جعل الله عليكم النهار دايما الى يوم
القيمة من الله سوى الله ما تكم بليل تسكنون فيه من اركده والنصب اذا تصور اجاله لله تعالى ۝ قوله تعالى
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اي ومن نعمته عليكم ان جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا في الليل وتبتغوا
نهارا والمعنى لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله اي ولتلتمسوا في النهار من فضل الله ولعلكم
تشكرون الذي انعم عليكم بهما قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون وتقدم تفسيره
قوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا اي واخرجنا من كل امة رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وما
كان منهم فعلما كانوا برآء منكم اي فعلنا للمشهود عليهم ما كانوا برآء منكم اي تحتكم بان مشى معكم فيما انتم عليه
لله اي ان الوحدانية لله وضل عنهم اي زال عنهم وبطل في الاخرة ما كانوا يفترون في الدنيا من قولهم ان مع
الله شريكا قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال اكثر المفسرين كان قارون ابن عم موسى
من ابي اسرائيل وكان اعلم بالتوراة وقارئ عصرهم كان ابن خالته وقوله وبغى عليهم اي بكثرة ماله
والمعنى انه تطاول على موسى وقومه وجاوز الحد في التكبر عليهم والبغي في اللغة طلب العلو بغير حق
قوله وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اي اعطيناه من الاموال المحمولة ما
ان مفاتيح خزائنه كانت ثقيلة بحيث تثقل الجماعة ذوي القوة اذا حملوها وقال
بعضهم هو جمع مفتاح وهو ما يفتح به الباب وهذا قول قتادة ومجاهد وقيل مفتح جمع مفتح بكسر الميم
وهي المفتاح واما المفتاح فجمعه مفاتيح فاذا كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع سبعة مفاتيح
كل خزانة على حدة فاذا ركب حمل المفاتيح على ستين بغلا وقال ابن عباس كان تحمل مفاتحه اربعون رجلا
اقوياء ما يكون من الرجال ومعنى قوله لتنوء بالعصبة يقال ناء بحمله اذا نهض به مثقلا والمعنى يثقلهم
حمل المفاتيح فان قيل كيف قال لتنوء بالعصبة وانما العصبة تنوء بالمفاتيح اي بثقل في حملها قيل هذا
سائغ في الكلام كما يقال عرضت الناقة على الحوض وانما يعرض الحوض على الناقة والعرض الناقة على الماء
والكنوز في اللغة اسم للمال الذي يجمع بعضه على بعض واذا اطلق اريد به ما يخبأ تحت الارض وقال خيثمة

تعريف متى شرطية
تجزم فعلين فالاول
فعله يريد والثاني
فعله تاتيه
يصيبه
عبده عثمان بن
الفقير
مزيد بن عمر وخليل
علي الله عنه امينه

وجدت في الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وزنت بستين بغلا من الجلة قيل انها كانت
من جلود الابل وكانت ثقيلة فلما ثقلت عليه جعلت من الجلود ۝ قوله تعالى اذ قال له قومه
لا تفرح اي لا تبطر قومه المؤمنون من بني اسرائيل لا تفرح بالكنوز والمال ولا تأشر ولا تبطر ان الله لا يحب
الفرحين اي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم والفرح اذا اطلق اريد به المدح الذي
يخرج الى البطر ولذلك قال لا يحب الفرحين وقال انه لفرح فخور فاما ما ولد به فرح بما آتاهم الله وفضله نهو فرح
هداية النفس وهو حسن جميل ۝ قال الشاعر ۝ وليست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جازع مما عسى ان يحاولا
قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة اي والتمس بما اعطاك الله من الاموال والنعمة الجنة وهو ان يتقرب بشكر
الله فيما انعم عليه وتصدق في رضى الله وقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا اي ولا تترك ان تعمل لاخرتك
وقال الحسن امر ان تقدم الفضل وان يمسك ما يغنيه وقوله واحسن كما احسن الله اليك اي احسن
الى الفقراء والمساكين كما احسن الله اليك وقيل معناه اطع الله واعبده كما انعم عليك ولا تبغ الفساد في
الارض اي لا تعمل في الارض بالمعاصي وبخالفة موسى عليه السلام ان الله لا يحب المفسدين في الارض قوله تعالى
قال انما اوتيته على علم عندي قال قارون انما اعطانيه الله على علم عندي لما رأى ان المال حصل له بعلمه ولم يتذكر ان عطاء الله
والمعنى قال قارون انما اعطيت هذا المال على علم عندي بوجوه الاكتساب والتجارات لا يعلمها احد
غيري وقيل معناه على علم عندي بمعنى لفضل علمكم فكنت لهذا لما اعطيته وكان اقرانه للتوراة والمعنى
نضلني الله عليكم بهذا المال لفضلي عليكم بالعلم وقيل يعني علم الكيميا وقوله تعالى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله
من القرون من هو اشد منه قوة معناه اولم يعلم هذا المستكبر الذي بجهالته نفسه وما ملك الدنيا
يعني قارون ان الله قد اهلك بالعذاب من قبله من القرون الذين كذبوا رسله من هو اشد منه قوة
واكثر جمعا للمال والخدم والحشم قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون معناه لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم
في الاخرة فانهم يعرفون بسيماهم فلا حاجة بهم الى ان يسألوا عن ذنوبهم حساب واما قوله تعالى وربك ليسألنهم
اجمعين فانهم يسألون سؤال التوبيخ والتقريع وتوبيخ كما قال الحسن في معنى هذه الآية انهم لا يسألون سؤال الاخبار
ليعلم ذلك منهم وانما يسألون سؤال التوبيخ والمناقشة ۝ قوله تعالى فخرج على قومه في زينته قال السدي
خرج في جواريه على سرج مذهبة على قطف ارجوان على بغال عليهن ثياب حمر وحلي مذهب
وقال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج مذهب عليه الارجوان وسبعة اربعة الاف فارس على
الخيل عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه الجارية على بغال شهب سروجهن الذهب ولباسهن ارجوان
احمر عليهن الحلي والحلل وقال ابن زيد خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات وهذا معنى قول الحسن
في شاب صعر قال الرجاج الارجوان في اللغة ضبع احمر فروي انه كان عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر
قال وكان ذلك اول يوم رؤيت المعصفرات قوله تعالى قال الذين يريدون الحيوة الدنيا اي قال موسنوا
اهل ذلك الزمان لما رأوا تلك الزينة والجمال يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ
عظيم اي ذو نصيب وافر من الدنيا وكان المتمنون لمثل هذه الامنية العوام الذين ما عرفوا من الدنيا
ويتمنونها قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا اي قال العلماء العاملون
الراغبون في الاخرة للذين تمنوا مثل ما اوتي قارون ويلكم ثواب الله خير لكم اي اترضون عوامكم ما نالكم ۝ وانزجروا عما

فان ثواب الله في الاخرة خير لمن امن وعمل صالحا وقام بالفرائض خير مما اعطى قارون في الدنيا وخير الدنيا
وما فيها وقوله يعم ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يلقى الاعمال الصالحة يد الله وقوله يعم وعمل صالحا وقال
الكلبي لم يعط ذلك في الاخرة الا الصابرون على امر الله يعني الجنة يدل عليه قوله يعم وقال ابن عباس قوله تعالى
فخسفنا به وبداره الارض اي فخسفنا بقارون وبقصره الذي بناه عقوبة له على كفره وذلك انه لما اضاف
النعم التي اعطاه الله اياها الى فضل نفسه وعلمه ولم ينتسبها الى التفضل لله ذكر عند ذلك صار كافرا بانعم الله تعالى
وقيل سبب خسفه الله لما حسد موسى وهرون دعا امراة ذات جمال معروفة بالفجور وجعل لها الف
درهم وقيل الوف مثقال وقال لها اني اخلطك بنسائي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل
وتذكري انه راودك عن نفسك فاجابت قارون الى ذلك فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى موسى
فجعل له ان يعطيه ما اجتمعوا عليه فاقطعون خروجك لمقامهم ونتهاهم فخرج اليهم موسى فقام فيهم يعظهم
ويامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه فمانس ومن زنا
وليست له امراة جلدناه مايه ومن زنا وله امراة رجمناه حتى يموت قال له قارون وان كنت انت هو
قال وان كنتما فاقام بني اسرائيل غير عون انك فجرت بفلانة فقال موسى ادعوها فدعوها وناشدهما بالله بعد
التوبة والتوبيخ قالا في نفسها لان اصبت البوم توبة خير من ان اوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءا بها وقد عقد والمجلسا استحضر فيه قارون الخاص والعام فقال قارون للمراة ما تقولين فقالت
يا ويلاه قد عمل كل فاحشة وما بقي الا ان افترى على نبي الله صلى الله عليه وسلم اخرجت خريطتين مملوتين
دراهم وعليها خاتم قارون فقالت يا معشر الملا ان قارون اعطاني كيس الخريطتين على ان اتي جماعتكم وازعم
ان موسى راودني على نفسي وتعاد الله ان افتري على نبي الله وانا ابرا الى الله من ذلك وهذه دراهمه عليها خاتمه
معرفة بنو اسرائيل خاتم قارون فانتضح قارون من اول كذبه الفوح وغضب موسى على الارض فخسف بها حتى ساخ
بقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه اني قد امرت الارض تطيعك فمرها ما شئت
فقال موسى على الارض خذيه فاخذته الى كعبيه ثم قال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه فناشدته
الرحم تعالى يا ارض خذيه فاخذته حتى غيبت حقوته فتضرع الى موسى وناشده الرحم والبسمع تضرعه فقال
يا ارض خذيه فاخذته حتى غيبته وروي انه استغاث بموسى وناشده سبعين مرة فلم يلتفت موسى الى ذلك
فاوحى الله الى موسى ما افظك واغلظ قلبك استغاث بك قارون سبعين مرة فلم ترحمه ولم تقبله وعزتي وجلالي
لو استغاث بي واعتبه ولو دعاني لوجدني قريبا مجيبا ولو حلفوا في اي وقت حسف بداره قال بعضهم انه
خسف به معه وقال بعضهم لما خسف قارون قال بنو اسرائيل ان موسى اراد ان ياخذ دار قارون واموله
وكنوزه فدعا الله موسى فخسف بداره واموله بعد ما خسف بقارون ثلثة ايام فكان جملة ما روي ان
قارون يتجلجل في الارض هو وداره وماله كل يوم قامة لا يبلغ قعره الى يوم القيمة قوله تعالى فما كان له من فئة
ينصرونه من دون الله اي ما كان له من جند وجماعة يمنعونه من عذاب الله وما كان هو من المنتصرين اي ما كان
من الممتنعين من نزول العذاب من الخسف قوله تعالى واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي اصبح الذين تمنوا منزلته وماله بالامس حين راوه في زينته ومعناه كما
قال الشعبي يقول بعضهم لبعض بعد ما خسف به ويكانه كلمة تنبيه ومعناه اما ترون وقال مجاهد
سبيله سبيل اما تعلم وتحكى ان امراة من العرب قالت لزوجها اين لبيك تعالى له ويكانه وراها هذا
البيت يعني اما ترى انه وراها البيت وذهب بعض النحويين الى ان قول القائل ويكانه بمنزلة ويلك
اعلم وقال الخليل ويونس وي منفصولة من كان ووى كلمة تندم وتنبيه وكان في هذا الموضع بمعنى الظن
او العلم كانهم لما راوا الخسف تكلموا على قدر علمهم وقالوا كان الله يبسط الرزق لمن يشاء لولا ان من الله علينا
لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون اي اما ترى انه لا يسعد من كفر بالله قوله تعالى تلك الدار الاخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا المراد بالدار الاخرة الجنة نجعلها للذين لا يريدون علوا على
خلقي في الارض ولم يتكبروا كما تكبر قارون وقوله تعالى ولا فسادا اي ولا دعاء الى عبادة غير الله تعالى
وقيل ولا فسادا اي ولا عملا بالمعاصي وقيل هو اخذ المال بغير حق وقوله تعالى والعاقبة للمتقين اي العاقبة
الحميدة لمن اتقى عقاب الله بادا فرائضه واجتناب معاصيه وقيل للذين يعملون الكفر والعلو والفساد
وعن علي رضي الله عنه انه قال يحشر المتكبرون يوم القيمة كالذر في صور الرجال يعلوهم كل شيء الذل من كل
مكان يساقون الى النار ويسقون من طينة الخبال قد علتهم وماطينة الخبال عصارة اهل
النار والمراد بالتكبر ان يكون التكبر لامر يرجع الى الدنيا فاما ما يكون من ذلك لاداء الحق وادامته حتى
فلا يكون ذلك من التكبر في شيء واما هو نسك بالدين قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون اي ومن جاء بالسيئة فلا يراد في عقوبته الكثير
مما يستحقه والمعنى ان الذين اشركوا يجزون ما كانوا يعملون والشرك وزر اوهم النار قوله تعالى ان الذي فرض
عليك القران لرادك الى معاد سمعناه ان الذي فرض عليك العمل بالقران لرادك الى بلدك يعني مكة قال معاد الرجل بلده
وقيل معنى ان الذي فرض عليك العمل اي انزل عليك القران وقال الزجاج فرض عليك العمل بما يوجبه القران تقديره
الكلام فرض عليك احكام القران وفرائض القران لرادك الى معاد يعني مكة قال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم
الى الغار ليلا يريد المدينة ومر وجهه ذلك الى المدينة وعرف الطريق الى مكة فسار في غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع
الى الطريق فبرك الجحفة من مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة فاشتاق الى مكة وذكر مولده ومولد ابائه فاتاه
جبريل عليه السلام فقال له اتشتاق الى بلدك ومولدك قال نعم فقال ان ربك يقول لك ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد
يعني الى مكة ظاهرا عليها بعد ان اخرج منها وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية في الجحفة فليست بمكة ولا بالمدينة قوله تعالى قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو
في ضلال مبين هذا جواب للكفار بمكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك في ضلال يعني الله يقول لهم ربي اعلم من
جاء بالهدى يعني النبي عليه السلام ومن هو في ضلال مبين يعني المشركين والمعنى ان الله وان علم اني جئت بالهدى وانكم
في ضلال مبين قوله تعالى وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك معناه ما كنت بالحري ان يوحى اليك
القران وان تكون نبيا تتلو على اهل مكة فصل الا ان ربك رحمك فاراد ذلك الخير فاوحى اليك الكتاب واكرمك
بالنبوة فعلى هذا يكون استثناء منقطعا قوله تعالى ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك
اي لا يصرفنك عن العمل بايات الله بعد ما انزلت اليك وادع الى ربك الى طاعته ولا تكونن من المشركين
قال ابن عباس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اي لا تظاهر والكفار ولا توافقهم قوله تعالى
ولا تدع مع الله الها اخر اي لا تعبد احدا سوى الله تعالى ولا تدع الحلول الى احد دون الله وقوله تعالى لا اله الا
هو اي لا معبود سواه وقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو واصل وجه عن الاستقبال كانه قال الا اياه
وقال عطا معناه كل شيء هالك الا ما اريد به وجهه وكل عمل لغير الله فهو هالك الا ما كان لله وقوله تعالى له الحكم
اي الفصل بين الخلائق في الاخرة دون غيره والله مرجعون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم

ويصبح

سورة العنكبوت اربعة الاف ومايه وخمسه وسبعون حرفا والف وسبعماه وخمس وثمانون كلمه
وتسع وسبون ايه كلها مكيه وعن ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سوره العنكبوت
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين والمنافقين

بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا
امنا وهم لا يفتنون قد تقدم تفسير الم فى اول هذه الزهراوى التى هى اوائل السور وقيل ان الم
ان يكون حروف التهجى فى قول ابن عباس ولقد فتنا الذين من قبلهم واحسن ان يكون للتعليل وقوله تعالى احسب الناس
لفظه استفهام ومعناه التوبيخ والتقرير كانه قال لا تظنوا ان يقنعهم ان يقولوا امنا فقط ولا
يمتحنون بالاوامر والنواهى والتكليف ولا يختبرون بما يعلم به صدق ايمانهم قال الحسن رضى الله عنه
سنة ابتلى الله بها كل من كان قبلكم ليعلم الله الصادق من الكاذب وقيل انها نزلت فى قوم كانوا بمكة
قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم من بقى منهم بالمدينة ان لا يقبل منكم اسلام حتى تهاجروا فخرجوا
يريدون المدينة فاتبعهم المشركون فردوا بعضهم عن الخروج وقتلوا بعضهم فانزل الله تعالى هذه الآيه
وامر بها فكتب اليهم بذلك فخرجوا فلحقهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله تعالى
فيهم هذه الآيه واخبره انه لابد لهم من البلاء والمشقه فى دار الدنيا فوله ولقد فتنا الذين من
قبلهم فيه تسليه للمومنين معناه ولقد امتحنا الذين من قبلهم فليعلم الله الصادق بوقوع صدقه منه بالصبر
على ما نومر به والكاذب بوقوع كذبه منه بالجزع والمخالفه فى الفعال الذى يومر به فالله يعلم الصادق
من الكاذب قبل ان يخلقهما ولكن المقصد من الآيه قصد وقوع العلم بما يجازى عليه لان علم السعاده هو الذى يجب به
الجزا فاما علم الغيب فعلى وجوهه ولا يجب به الجزا وقال ابن عباس فى معنى قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم منهم ابرهيم
الخليل عليه السلام ابتلى بالنمرود ومنهم قوم من بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه وقال بعضهم
يعنى بنى اسرائيل اشلوا الرصاص فكان يسومهم سوء العذاب فوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا
سادا محكوما عما اطن الذين يعملون السيئات يعنى المشركين قال ابن عباس يعنى الوليد بن المغيره وابا جهل والاسود
والعاص بن هشام وغيرهم طنوا انهم لا يجازون بما عملوا فى الدنيا ان يسبقونا ويعجزونا سادا محكوما اى بئس ما حكموا لانفسهم
حيث ظنوا انهم لا يجازون بسوء اعمالهم ونزل فى عياش بن ابى ربيعه واخيه ابى جهل بن هشام وكانا اخوين لامه
عليا وحمه وعبيده بن الحارث يوم بدر فعدلوا على ابدانهم يوم بدر فوله تعالى من كان يرجوا لقاء الله اى من كان
يطمع فى الثواب ويخشى العقاب ويخاف الحساب فليبادر الى طاعة الله قبل الموت فان اجل الموت لات لمن يرجو
ولمن لا يرجو ان ثواب العمل الصالح قريب وهو السميع لمقاله الكفار والمومنين العليم بما يستحقه كل واحد
منهم وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجره هذه الآيه قال ياعلى ما فاطمه ان الله قد امرنى ان اهاجر فهاجرا فان
اجل الله لات وان حتم حاتم الله ان يستعد الانسان لاجل الله اذا كان اتيا ياساع طاعته واجتناب
معاصيه فوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اى من يعمل الخير فانما يعمل لنفسه لان الله يغنى عن العالمين اى عن اعمالهم
وعبادتهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم بالايمان والتوحيد ومعنى لنكفرن عنهم سيئاتهم
اى لنبطلنها حتى كانها لم تعمل ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى نجزيهم باحسن اعمالهم وهى الطاعه
ولا نجزيهم بمساوى اعمالهم فوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا نزل هذه الآيه فى سعد بن ابى وقاص كان
بارا بامه فلما اسلم قالت له امه حينئذ ما اسعد بن ابى وقاص قد بلغت ما ترى والله لا يطلنى

سقفت وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فابى سعد عليها فابت ان تاكل
وتقيت هى لا تاكل ولا تشرب ولا تستظل حتى تكث يوما وليله لا تاكل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت ايضا يوما
وليله اخرى لا تاكل وقالت يا سعد اندع دينك هذا اولا تاكل ولا تشرب حتى تموت فتعير بذلك ابدا فقال
سعد والله يا امه لو كان لك مايه نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشى فان شئت فكلى وان شئت فلا تاكلى
فلما راين ذلك اكلت فانزل الله هذه الآيه ومعناها ووصينا الانسان بالبر والاحسان الى والديه وقيل انه وان
طلبا منك ان تشرك فى ما ليس لك به علم فلا تطعهما فان طاعتهما فى الاشراك والمعصيه ليس من باب الاحسن وقيل هو
قال صلى الله عليه وسلم لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق وقوله ثم الى مرجعكم اى الى منقلبكم فى الاخره فاخبركم بما
كنتم تعملون فى الدنيا من الخير والشر والبر والعقوق واختلف النحاة فى نصب قوله حسنا فقال البصريون بنزع
الخافض تقديره ووصينا الانسان بالحسن كما قال وصيته خيرا اى بخير وقال الكوفيون معناه ووصينا الانسان
ان يفعل حسنا فحذفه لدلالة الكلام عليه وقيل هو على قوله تعالى قطفى مسحا بالسوق اى امسح مسحا وقيل
معناه الزمناه حسنا وقرا ابو بكر حسنا بضم الحا والسين وفى مصحف ابى احسانا بوله تعالى والذين امنوا
وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين اى فى زمرة الانبيا والاولياء وقيل هو اصل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنه الناس كعذاب الله روى ان هذه الآيه نزلت فى عياش
ابن ابى ربيعه كان اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يخاف على نفسه من امه واخويه لامه وهما ابو جهل
والحرث فخرج عياش بعد ما اظهر اسلامه كان بالمدينه فلما هجر النبى صلى الله عليه وسلم وبلغ امه الخبر حلفت على
جر عامر شديدا وامتنعت عن الطعام والشراب فخرج اخواه وقومه فى طلبه فاخذوه وقيدوه وحلفت امه
اسماء محرمه من ان حنث بالله لا اخلك من وثاقك حتى تكفر بمحمد فاقبلت تجلده بالسياط وتعذبه حتى
كفر جر عامر الضرب فانزل الله هذه الآيه قال ابن عباس والكلبى لما هاجر عياش الى المدينه حلف امه
حلفت امه اسماء محرمه من ان حنث لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل راسها ولا تدخل سقفا حتى يرجع اليها
ابنها فلما راى اباها ابو جهل وعلم انها اخوا عياش لامه جزعها وكان فى طلبه حتى اتيا المدينه
فلقياه فقال له ابو جهل قد علمت انك احب الى امك من جميع اولادها وكنت بارا بها وقد حلفت ما تاكل ولا تشرب
ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وانت ترى ان فى دينك هذا عقوق الوالدين فارجع اليها فان برك الذى تفعله بالمدينه هو
برك بمكه فاعبد ربك بها فقال له عياش ان امى حلفت على ان لا ادخل راسا ولا اكون بارا بها وقد خلعت ما تاكل والتشرب
فلما خرجوا به من المدينه اخذاه واوثقاه وضرباه كل واحد منهما مايه جلده حتى ترى ما دون جسده فلما
جر عامر الضرب وكان الحرث اشدهما عليه واسوأهما ولايه فحلف عياش بالله لئن قدر عليه لضربن عنقه فلما
رجعوا الى مكه مكثوا حينا ثم خرج ابو جهل والحرث الى المدينه فجاء عياش واسلم وحسن اسلامه
ثم ان الحرث وفر الحرث بن هشام فهاجر الى المدينه وبايع النبى صلى الله عليه وسلم وكتم عن اهله اسلامه والتحق عياش فلقيه
عياش وما ظهر قط ولم يعلم باسلامه نصر عنقه بيطل ابه كافر فقال له انه قد اسلم فقدم ولكن ارجع وكن معنا
اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فانزل الله هذه الآيه وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا الآيه ومعنى الآيه
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى طاعة الله جعل تعذيب الناس كعذاب الله فاطاع الناس خوفا منهم كما يطيع
الله من خاف عذابه قوله تعالى ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اى اذا جاء فتح من ربك ليقولن انا كنا معكم وهذه
صفه المنافقين يقول الله اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين اى بما فى قلوب الخلق من الظائمه بالايمان والانشراح
بالكفر وليعلمن الله الذين امنوا اى ليجزين الله المومنين وليعلمن المنافقين فوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم هذا قول كفار مكه ابو جهل وغيره لمن امن من قومه ليس بواجب ان يحمل احد عن احد ذنبه فقال الله تعالى ولنحملن اتبعوا دينا وملة ابائنا
ونحن الكفلا بكل شعبه تضمنتم ما لنصدق بكذب ونحمل عنكم خطاياكم ان كان عليكم فيه اثم وورد فى الخبر تحمل عنكم فلان

سقف

الفراء قوله يعم ولنحمل لفظه لفظ امير ومعناه الجزاء اى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم قوله يعم وما هم بحاملين
من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون فيما ضمنوا من حمل خطاياهم ولا يخفف ذلك العذاب عنهم قوله يعم وليحملن اثقالهم
مع اثقالهم معاصيهم اوزارا مع اوزارهم وذلك انهم يعاقبون على كفرهم وعلى اضلالهم غيرهم الى الكفر وهذا معنى قوله
صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من اوزارهم شئ ومعنى الآية
وليحملن اوزارهم التى يحملونها اوزارا عظيمة مع اوزارهم قوله يعم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون اراد به سؤال توبيخ لا سؤال استعلام تعالى علمه عن كل كائن
من العيب شئ ومن ابن علم اكم تحملون اوزار غيركم قوله يعم ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما اى مكث بين اظهرهم يدعوهم الى الايمان الف سنة الا خمسين عاما فلم يجبه الى الايمان منهم الا القليل
فاهلك الله المكذبين بالطوفان وهو الغرق وهم طالوا اى مسكون وفى الحديث ان نوحا عليه السلام ارسل
اليهم بعد ما اتى عليه مائتان وخمسون سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة وسمى العرق طوفانا
لان الماء احاط بكل شئ فى جميع الارض قوله يعم فانجيناه واصحاب السفينة اى انجيناه وحملنا العرق
ومن كان معه من المؤمنين فى السفينة وجعلناها اية للعالمين اى جعلنا السفينة عبرة لمن بعدهم
من الناس اذ عصوا رسولهم فعلنا بهم مثل ذلك قوله يعم وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه
انتصب ابراهيم عطفا على نوح بمعناه وارسلنا ابراهيم ايضا اذ قال لقومه اعبدوا الله اى وحدوا الله
واطيعوه واخشوه ذلكم خير لكم اى عبادة الله خير لكم من عبادة الاوثان ان كنتم تعلمون ذلك قوله يعم انما تعبدون من دون الله اوثانا اى اصناما تنحتونها من الحجارة والخشب وتخلقون
افكا اى تخصون اصناما وقوله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله اى انما الذين تدعون من الاصنام
لا يقدرون ان يرزقوكم وقوله يعم فابتغوا عند الله الرزق اى تمنى تاتا القادر على ذلك واعبدوه
اى اعبدوه امن ملكتم ارزاقكم واشكروا له على ما انعم عليكم من الرزق واليه ترجعون فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم وقوله تعالى وان
تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم يعنى كذبوا انبياءهم كما كذبتم نبيكم فاهلكهم الله تعالى وما على الرسول
الا البلاغ المبين اى ما عليه الا تبليغ الرسالة عن الله بلغه الذى ارسل اليهم قوله يعم اولم يروا
كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده معناه اولم تعلم ويعتبر اهل مكة كيف بدأ الله الخلق
فى ارحام الامهات من النطفة ثم من العلقة ثم من المضغة الى تمام الخلق ثم يميته ثم يعيده
بعد الموت للبعث خلقا جديدا وقوله يعم ان ذلك على الله يسير اى ان بدء الخلق واعادته هين
على الله قال العلماء الاختراع من غير احتذاء على مثال قادر على الاعادة وكانوا يقرون بان الله
هو الذى خلقهم قوله يعم قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق اى سافروا فى الارض واعتبروا وتفكروا
وانظروا اهل بلدوا حال العاصى الله واعتبروا كيف خلق الله من قبلكم ثم اهلكهم بعذاب ذلك قوله يعم
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة اى ثم ان الله بعث الخلق كما بدأه يوم القيمة ان الله على كل شئ من الاحياء
والاماتة قادر قوله ان الله على كل شئ قدير اى ان كل مقدور فالله قادر عليه قوله يعم يعذب من يشاء ويرحم من يشاء
والقصد هما الانسان قوله يعم يعذب من يشاء اى يعذب من يشاء ان كان اهلا للعذاب
ويرحم من يشاء ان كان اهلا للرحمة وقوله يعم واليه تقلبون اى ترجعون فى الآخرة قوله يعم وما انتم بمعجزين
فى الارض ولا فى السماء اى ما انتم بالهاربين من عذاب الله ههنا فى الارض ولا فى السماء فلا تفوتونه وابطل
الامهال وجوز ان يكون معناه ولا امر فى السماء مجراى ما انتم بكفار مكة بفائتين الله فى الارض حيثما كنتم او فى
السماء كيف ما كنتم قوله يعم ما لكم من دون الله من ولى ينولى امركم ويحفظكم
ولا نصير يمنع العذاب عنكم قوله يعم والذين كفروا بآيات الله ولقائه اى الذين كذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن

والبعث

والبعث بعد الموت اولئك يئسوا من رحمتى اى من جنتى فى الآخرة باعتقادهم انها لا تنفعهم واولئك
لهم عذاب اليم قوله يعم فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه اى ما كان جواب قوم ابراهيم
حين دعاهم الى الله الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه بالنار ثم قذفوه فى النار فانجاه الله من النار سالما
وجعلها عليه بردا وسلاما ولم تحرقه منه الا وثاقه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون بالله ورسله
قوله يعم وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا اى قال ابراهيم ان ما عبدتم من دون الله اوثانا هى مودة
بينكم او لكى مودة بينكم والمعنى ان الفتكم واجتماعكم على الاصنام مودة منكم فى الحياة الدنيا ثم
تنقطع عن قريب وتنعكس تلك عداوة بعد الموت تتبرأ بعضكم من بعض ويلعن العابد المعبود وكذلك
يلعن العابدون بعضهم بعضا ويكون مصيرهم فى الآخرة النار وما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله ويجوز
ان يكون ما فى قوله تعالى انما اتخذتم بمعنى الذى كانه ان الذى اتخذتموه من دون الله اوثانا مودة بينكم
ما دمتم فى الحياة الدنيا فتكون مودة رفعا لانها خبر ان وقرأ حمزة وحفص مودة بالنصب بينكم
بالاضافة على اضافة بوقوع الاتخاذ عليه وجعل اتخذ حرفا واحدا وقرأ الباقون مودة نصبا منونا بينكم
بالنصب على انه مفعول له وبينكم معناه الجمع كما فى الآية ان مودة بينكم تتوادون وتحابون على عبادتها
وتتواصلون عليها قوله يعم فآمن له لوط اى صدق لوطا بابراهيم وهو اول من صدق به وقال ابراهيم
انى مهاجر الى ربى اى الى الموضع الذى امرنى ربى بالهجرة اليه وكان مأمورا بالهجرة من كوثى وهو سواد
العراق الى الشام ونزل الكوفة فهاجر ابراهيم ومعه لوط وهو ابن اخيه وامرأته
سارة فاما هاجر ابراهيم وهو ابن خمس وسبعين سنة قوله يعم انه هو العزيز الحكيم اى المنيع ممن
عصاه الحكيم فيما حكم علينا من الهجرة قوله يعم ووهبنا له اى لابراهيم اسحق من امرأته سارة فاستثنا
ويعقوب ابن ابنه وقوله يعم وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وذلك ان الله لم يبعث نبيا من بعد
ابراهيم الا من صلبه وقوله يعم والكتاب اى وجعلنا التوراة والانجيل والقرآن فى ولده وقوله يعم
واتيناه اجره فى الدنيا اراد به الثناء الحسن وموالاة جميع الامم اياه لان جميع اهل الاديان يحبونه
وقال السدى انه اراه مكانه فى الجنة يعلم الله ان له مع ما اعطاه فى الدنيا الدرجات العلا بقوله
وانه فى الآخرة لمن الصالحين اى انه فى الآخرة مع اباءه المرسلين فى الجنة مثل ادم ونوح قوله يعم
ولوطا اذ قال لقومه اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة يعنى عملهم
الخبيث الذى لم يكن عمله احد قبلهم وقوله يعم وتقطعون السبل وذلك انهم كانوا يقطعون الطريق
على من مر بهم من المسافرين فلما فعلوا ذلك سقط الخبر فترك الناس المرور بهم وانقطع السبل وقوله تعالى
وتاتون فى ناديكم المنكر النادى المجلس والمحدث اى تاتون فى مجالسكم الفسق فعل بعضهم
بعض الفاحشة فى المجالس وقيل انهم كانوا يصفقون بايديهم ويصفرون بافواههم وقال القاسم بن محمد
هو انهم كانوا ينتضلون فى مجالسهم ويضربون بالعود والمزامير ويلعبون بالحمام وقيل فى معنى قوله
وتاتون فى ناديكم المنكر قال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا فى المجالس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
المنكر الذى كانوا ياتونه قوم لوط فعال كانوا يجلسون وعند كل رجل منهم قصعة حصى فاذا مر بهم
عابر سبيل خذفوه بها فايهم اصابه كان اولى به فقال صلى الله عليه وسلم اياكم والخذف فانه لا ينكا العدو
ولا يصيد الصيد ولكن يفقأ العين ويكسر السن فلما انكر لوط على قومه ما كانوا يفعلونه من القبائح
قالوا له استهزاء ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ان العذاب نازل بنا فعند ذلك قال لوط رب

عليه السلام

عليه السلام ردا يصرفى على القوم المفسدين اى انصرنى بتحقيق قولى فى العذاب على المفسدين العاصين
فاستجاب الله دعاءه وبعث جبريل ومعه الملكة لتعذيب قومه وهو قوله تعالى والملائكة رسلنا
ابرهيم بالبشرى اى بالبشرى باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالوا انا مهلكو اهل هذه القريه يعنون سدوم
قريه لوط انا اهلكناهم بالكبر والعمل الخبيث قال ابرهيم ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهل دينه وابنتيه زعورا واريثا الا امراته واغلة كانت فى الغابرين اى الباقين
فى المهلكين قوله تع ولما ان جاءت رسلنا لوطا سئ بهم اى ساء مجيئهم حزنا عليهم من قومه لانهم جاؤه على
هيئة الغلمان وضاق بهم ذرعا اى ضاق عليه الامر بسببهم فقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك اهلك ومنجوا
اهلك قال المبرد الكاف فى منجوك محفوضه ولم يعطف الظاهر على المضمر المخفوض فجعل الثانى على المعنى
دون اللفظ والمعنى انا مهلك اهل هذه القريه ومنجوك واهلك قوله تع انا منزلون على اهل هذه القريه رجزا من السماء اى عذابا بما كانوا
يفسقون اى بسبب فسقهم قوله تع ولقد تركنا منها اى من تلك القريه مشتملة على سمائه الفريقين
قوله تع وليست ببعيد كما قال وما هى من الظالمين ببعيد يعنى انا منزلون لهم الخزى والنكال
الله فيما اسرد منتابعا ينادى الناس بالحثه وقوله لقوم يعقلون اى يتفكرون فيما فعل الله بهم فلا يفعلون
مثل فعلهم قوله تع والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا
الله وارجوا اليوم الاخر اى واحسنوا البعث لدى وفه جزا الاعمال ولا تعثوا فى الارض مفسدين اى لا تسعوا
فى الارض بالفساد فكذبوه فى الرساله فاخذتهم الرجفه اى الزلزله فاصبحوا فى دارهم جاثمين اى مبتين
ماركين على ركبهم قوله تع وعادا وثمود اى واهلكنا عادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم اى ظهر لكم يا اهل مكه
من مساكنهم بالحجر واليمن انا فى هلاكهم حيث تمرون بها وزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فصدهم عن السبيل اى
فصرفهم عن طريق الحق وكانوا مستبصرين اى عقلاء لكنهم تمسكوا بالباطل وقيل كانوا يحسبون انهم على
الهدى قوله تع وقارون وفرعون وهامان اى واهلكنا قارون وفرعون وهامان بعد ما جاءهم موسى
بالمعجزات فتعظموا عن الايمان به وما كانوا سابقين اى لم يكونوا فاتين من عذاب الله وكلا اخذنا بذنبه
اى كل هؤلاء القوم الذين ذكرناهم عاقبناهم بذنوبهم فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعنى الحجارة وهم قوم لوط
وقيل الحاصب الريح التى فيها الحصباء وهى الحصى الصغار ومنهم من اخذته الصيحه وهم قوم صالح وشعيب
ومنهم من خسفنا به الارض يعنى قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعنى قوم نوح وقوم فرعون وما كان الله ليظلمهم
بان يهلكهم اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والمعاصى قوله تع مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا يعنى الاصنام تعبدونها اولا ترجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
وبيتها لا يغنيها عن الحر والبرد والمطر كذلك الهتهم لا ترد عنهم شيئا مما يحذره الهوام لو كانوا يعلمون ولا يملك لهم ضرا ولا
نفعا قوله تع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اى لا بيت اضعف منه مما يحذره الهوام لو كانوا يعلمون ان اتخاذهم
الاولياء سوى الله كاتخاذ العنكبوت بيتا وفيه نفع ما اتخذوهم اولياء وقوله تع ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شئ قرا ابو عمرو ويدعون بالياء الدرج الامم قبلها وقرا الباقون بالتاء ومعنى الايه انه عالم بما يعبد تحقيقا
من دونه وهو يحاربكم على كفركم وهو العزيز الحكيم وقوله تع وما يعقلها الا العالمون وتلك الامثال نضربها للناس
يعنى امثال القرآن نضربها تنبيها للناس قال ابن عباس يعنى الكفار بمكه وما يعقل الامثال الا العالمون اى العلماء
قوله تع خلق الله السموات والارض بالحق اى للحق واظهار الحق ان فى خلقها لايه للمؤمنين اى لدلاله على قدرة الله
ووحدته قوله تع اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلوة اى اقرا عليهم يا محمد ما انزل عليك من القرآن
واقم الصلوات الخمس فى مواقيتها باركانها وشروطها وسننها وقوله تع ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اى ان الصلاة
تكبيرا وتسبيحا وقراءة وقنوتا للعباده على وجه الذل والخضوع وكل ذلك يدعو العبد الى تركه وينصرف عن صده

فهى كالامر والناهى بالقول والفحشاء ما فحش من العمل والمنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة قال ابن عباس
فى الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصى الله فمن لم تنهه صلاته عن المعاصى لم يزدد من الله الا بعدا وعن انس
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا
قوله تع ولذكر الله اكبر اى ولذكر الله اياكم بالموفق والمعونه والثواب اكبر من ذكركم اياه بالطاعه وقيل
ذكر الله فى المنع من الفحشا والمنكر اكبر من الصلاه وقيل ان يكون الكبر فى معنى الكبير فى الجزا والثواب كما
قال عز وجل وانها لكبيره الا على الخاشعين قال الحكماء ذكر الله للعبد اكبر من ذكر العبد لله لان ذكر الله للعبد
احد الاستغنا وذكر العبد اياه على حد الافتقار وكل ذكر العبد لحق نفع او دفع ضر وذكر الله
للعبد للتفضل والكرم ولان ذكر العبد محلوق وذكر الله غير مخلوق وقال صلى الله عليه وسلم ذكر فى قوله تعالى
ولذكر الله اكبر اى ذكر الله على كل حال احسن وافضل والذكر ان تذكر عند ما حرم وضيع ما حرم وعند
ما احل فتاخذ ما احل وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع فى رياض الجنه فليكثر من ذكر الله عز وجل وقال
ابو الدرداء الا اخبركم بخير اعمالكم واحبها الى مليككم واعلاها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الورق والذهب
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم وخير لكم من اعطاء الدنانير والدراهم قالوا وما هو قال ذكر الله عز وجل قال الله تعالى
ولذكر الله اكبر وقال بعاذ بن جبل سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاعمال احب الى الله قال ان يموت
ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم جلسوا فى مجلس يذكرون الله فيه
الا حفت بهم الملكه وغشيتهم الرحمه وذكرهم الله فيمن عنده وروى ان رجلا اعتق رقابا وقال اخر
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هو الذى احب الى مما قلت فسئل جبريل اى ذلك افضل فقال
هذا ما تقولون فمن اعتق اربع رقاب او ما قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فانها
افضل قيط واهنيهه وقالوا ما علم شيا افضل من ذكر الله وقوله تع والله يعلم ما تصنعون اى ما
تعملون من الخير والشر لا يخفى عليه شئ قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن اى لا
تخاصموا اهل الكتاب الا بالطريقه التى هى احسن وهى ان يعطوهم بالقرآن على وجه النصح لهم والاستمالة
الى دين الاسلام وتعظم الله وطلب ثوابه الا الذين ظلموا منهم اى الا من ظلم من اهل الكتاب فمنع الجزية
او نقض العهد وعاد حربا لكم فجادلوهم باللسان والسنان واغلظوا عليهم حتى يسلموا او يعطوا
الجزيه وقيل الا من قتل منهم اذا اخبروكم بشئ من كتبهم امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم اى
امنا بالقرآن والتوراه والانجيل والزبور والصابى والهكم واحد ونحن له مسلمون اى نحلصون بالعباده
والتوحيد وهذه صفه المجادله الحسنه قوله تع وكذلك انزلنا اليك الكتاب اى انزلنا اليك القرآن يا محمد
كما انزلنا الى من تقدمك من الانبيا الكتب فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به اى الذين اكرمناهم بعلم التوراه وهم
عبد الله بن سلام واصحابه يومنون بالقرآن بدلاله التوراه وقوله تع ومن هؤلاء من يومن به اى ومن
من كفار مكه من يومن به يعنى من يسلم منهم وقوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
صلى الله عليه وسلم وقالوا بالقرآن بعد المعرفه الا الكفرون من اليهود وذلك انهم عرفوا ان محمدا نبى والقرآن حق
فجحدوا وانكروا وه قوله تع وما كنت تتلوا من قبله من كتاب اى ما كنت يا محمد تقرا من قبل القرآن كتابا
اى ما كنت قارئا قبل الوحى والكتابه وقوله تع ولا تخطه بيمينك اى ولا كنت تحسن الكتابه ولو كنت تقرا
وتكتب لوجد المبطلون طريقا الى التشكيك فى امرك والارتياب فى نبوتك فيقولون انه يقرا من
من الكتب القديمه فلما كان معلوما عندهم انه عليه السلام كان لا يقرا ولا يكتب صح اتيانه بالقرآن الذى عجزوا
عن الاتيان بسوره مثله دلهم ذلك على انه من عند الله وانه كان صفته فى التوراه امى لا يقرا

ولا اكتب ولو كنت قاريا كانا لسك اليهود ذلك وقالوا ان الذي نجده في التوراة امي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى
بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم قال الحسن يعني القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يعني
المؤمنين الذين حملوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وحملوه بعده وقال مقاتل بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ايات بينات اي وآيات بينات في صدور الذين العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته وما يجد
ما ياتينا الا الظالمون يعني كفار اليهود قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه اي قال كفار مكة هلا انزل
على محمد آية من ربه كما كانت للانبياء يجيء بها الى قومهم اراد بها الآيات التي كانوا يقترحونها عليه من قولهم لن نؤمن
لك حتى تجر لنا من الارض ينبوعا الآية فاراد الله تعالى ان يعلمهم ان الذي سالوه قد اتاهم فكفروا بالذي اوتوا
بالجمع وقولهم دل اما الآيات عند الله اي في حكم الله ان يريها وانما انا نذير مبين اي رسول مخوف لكم بلغة ما ترونها
وليس امر الآيات بيدي قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم معناه اولم يكن لهم كفاية في معرفة
نبوتك انا انزلنا عليك القرآن الذي تعرفه علمهم بلغتهم بما فيه اخبار الامم الماضية مع عجزهم عن الاتيان بحديث
مثله ان في ذلك لرحمة اي في انزال القرآن لرحمة لمن امن به وعمل بما فيه وذكرى لقوم يؤمنون اي وذكرى وموعظة
لهم قوله تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي قل لهم يا محمد كفى بالله شاهدا اني رسوله اليكم يعلم ما في السموات
والارض وقوله تعالى والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اي صدقوا بالاصنام وجحدوا وحدانية الله اولئك هم
الخاسرون بالعقوبة وفوت الجنة قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب اي يستعجلك كفار مكة بالعذاب
قبل وقته استهزاء وتكذيبا منهم بذلك ولولا اجل مسمى اي لولا ان الله جعل لعذابه اجلا قد سماه وهو يوم القيمة
وقيل يعني مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وليأتينهم بغتة اي فجاءة بحيث لا يشعرون بإتيانه قوله تعالى
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين فيه تجيب ما يستعجلها الكفار
مع ان جهنم محيطة بهم في الآخرة جامعة لهم في يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فلا سبيل لخروج منهم
الا وهو معذب في النار ويقال لهم ذوقوا ما كنتم تعملون قرأ الكوفيون ونافع ويقول بالياء يعني الموكل بعذابهم
يقول لهم ذلك وقرأ الباقون بالنون لانه لما كان يامر ملائكته جاز ان ينسب اليه قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا
ان ارضي واسعة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا كيف المخرج
منها اسروا الى المدينة فقال المؤمنون بمكة نقول لله كيف نصلي ونصوم بمكة فانزل الله تعالى يا عبادي الذين امنوا
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون صفة المهاجرين يعني اذا لم تقدروا على اظهار الايمان بمكة فاخرجوا
منها الى حيث شئتم فان ارضي واسعة وقال عطاء اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا منها فان ارضي واسعة
وقال مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال الكلبي نزلت في المستضعفين من المؤمنين
الذين كانوا بمكة لا يقدرون على اظهار الايمان وعبادة الرحمن فحثهم على الهجرة الى المدينة فشق عليهم
وقالوا كيف نكون حالنا اذا انتقلنا الى دار الغربة وليس لنا احد يعرفنا فواسانا والا نعرف وجوه
المكتسب فيها فقطع الله عذرهم بهذه الآية ومعناها ان ارضي المدينة واسعة آمنة وقيل واسعة
اي رزقي لكم واسع فاخرجوا من هذه الارض الى ارضي المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة من ارض وان كان سبب امر الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام مذكر
الله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني المهاجرين لنبوئنهم من الجنة غرفا قال
ابن عباس لننزلنهم من الجنة والغرف الدور والقصور جمع غرفة لنبوئنهم قصور الجنة وقرأ حمزة والكسائي
الصالحات لنثوينهم من الجنة غرفا على الخبر من الجنة قصورا واشجارا الانهار خالدين فيها نعم

اجر

اجر العاملين صبروا صفتهم تعالى الذين صبروا اي على دينهم فلم يتركوه لشدة لحقتهم وعلى ربهم يتوكلون
قال ابن عباس وذلك ان المهاجرين توكلوا على الله وتركوا دورهم واموالهم وعيالهم وعلموا انه لا يرزقهم ولا ينفعهم
في ارزاقهم وجهاد اعدائهم ومهمات امورهم فان تعالى ان احدهم كان يقول لعله كيف الاجر الى المدينة
وليس لي بها مال ولا معيشة تعالى الله عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها اي وكم من دابة في الارض
وهي كل حيوان يدب على الارض مما يعقل ومما لا يعقل والمعنى كم من نفس دابة لا تحمل رزقها اي لا تدخر
رزقها معها ولا تدخر شيئا لغد الله يرزقها وايا كم حيثما توجهتم وايا كم يرزقكم ان خرجتم الى المدينة
وان لم تكسبوا لكم زادا ولا نفقة فالله يرزقكم في سفر وليس شيء مما يخبأ ويدخر الا الانسان والفار والنمله
والغراب على ما قيل وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وبلغهم اذاهم
المشركون اخرجوا الى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة فقالوا يا رسول الله كيف نخرج
الى المدينة وليس لنا بها عقار ولا مال فمن يطعمنا وينسقنا فانزل الله هذه الآية وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها وايا كم يوما سوم اي يرزق من يحمل ومن لا يحمل وكم من دابة لا تجمع رزقها
لعجز ولا تعلم على حمل رزقها لضعفها الله يرزقها وايا كم وهو السميع العليم اي السميع
لاقوالهم بحسبي ان فارقوا اوطانا العليم بما في قلوبهم ونفوسهم فلا تتركوا عبادة
الله بسبب الرزق ولا تهتموا لاجل ذلك قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
يعني لئن عشر كفار مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون اي يصرفون
عن عبادة الله الذي هذه صفته الى عبادة جمادات لا تسمع ولا تضر قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر له اي يبسط الرزق على قوم ويضيقه على قوم بفعل ذلك عن علم وحكمة لا عن غلط
وخطا ان الله بكل شيء عليم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله
يعني كفار مكة افضائل الحمد لله اي احمد الله على اقرارهم لان ذلك يلزمهم الحجة ويوجب عليهم التوحيد وقيل
معناه الحمد لله على هذه النعم وعلى ما فضل به جل ذكره من الانعام على العباد بل اكثرهم لا يعلمون توحيد
ربهم مع اقرارهم بانه خالق ذلك كله ثم اخبر عن حقارة الدنيا وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب
اي باطل وغرور وغبن تنقضي عن قريب سريعة وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي الحياة والدوام
والبقاء الذي لا انقطاع له والحيوان والحياة واحد وقوله تعالى لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يعلمون الفرق
بين الحياة الدائمة والحياة الفانية لرغبوا في الباقي الدائم عن الفاني الزائل ولكنهم لا يعلمون قوله تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اي دعوا الله مفردين له بالدعاء وتركوا اصنامهم
واصنامهم فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فلما خلصهم من ذلك الهول واخرجهم الى البر عادوا الى
شركهم لكي يكفروا بما اعطيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون وعيد لهم قال عكرمة كان اهل الجاهلية
اذا ركبوا في البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت بهم الريح القوا كل الاصنام في البحر وصاحوا يا الله
يا الله وقيل اللام في قوله ليكفروا لام الامر ومعناها التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم واستفزز
من استطعت ولذكر عقيبه قوله فسوف يعلمون قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم فيقتلون ويسرقون وتوخذ اموالهم واهل مكة امنون وذلك انها كانت في الباطل يومئذ اي في قريش
ينصرون الباطل وهي الاصنام بعد قيام الحجة وشهرة امر الله يكفرون اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام
يجحدون والتخطف هو تناول الشيء بسرعة قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي كذبا او كذب بالحق لما جاءه اي لا
احد اظلم ممن زعم ان لله شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن اليس في جهنم مثوى للكافرين اي

اما الهذا الكافر المكذب ماوى فى جهنم وهو استفهام ومعناه التقرير قوله تع والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا اى الذين جاهدوا الكفار لابتغاء مرضاتنا لنهدينهم سبلنا الى الجنة اى لنوفقنهم لاصابة
الطريق المستقيمة وقيل معناه والذين قاتلوا لاجلنا اعدائنا لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة وقال
الفضيل معناه والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم سبل الزيادة وقال ابو سليمان المراد فى معناه الذين يعملون
كما يعلمون لهديهم الله الى ما لا يعلمون ۞ وعن ابن عباس فى معناه والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم
سبل ثوابنا وقيل معناه والذين جاهدوا وابوا الصبر على المصائب والنوائب لنهدينهم سبل الوصول الى المواهب
وقيل والذين جاهدوا بالشبات على الايمان لنهدينهم سبل دخول الجنان وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا
فى اقامة السنة لنهدينهم سبل دخول الجنة قوله تع وان الله لمع المحسنين بالنصر على اعدائهم والمعونة فى
دنياهم والثواب والمعاونة فى عقباهم ۞ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة العنكبوت
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة ومنافق ومنافقة ۞ سورة الروم مكية وهى ثلثمائة وثلث
وخمسة واربعون وثلثمائة وثلث وعشرون كلمة وستمائة وتسع عشر حرفا ۞ قال صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح من السماء والارض ۞ وادرك ما فاته من يومه ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد
غلبهم سيغلبون اى غلبت فارس الروم فرح بذلك كفار مكة وقالوا انتم ليس لكم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب
فانجز واعلى المسلمين وقالوا لهم نحن ايضا نغلبكم كما غلبت فارس الروم ۞ وقصة ذلك ان كسرى ملك فارس
ارسل شهريار الى الروم فسار اليهم باهل فارس فلقيهم وهزمهم وظهر على الروم فغلبهم وخرب مدائنهم وكان يتصر
ملك الروم فى اربعة جيش لما سمع بتقدوم شهريار والتقيا فاقتتلوا فى عرصات وبصرى وهى ادنى الشام الى الحاضر العرب
والعجم فغلبت فارس الروم حتى انتزعوا منهم الشام والروم وكان لكل موضع عباد تهم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم
واصحابه بمكة فشق ذلك عليهم وكان صلى الله عليه وسلم يكره ان يظهر الامميون من المجوس على اهل الكتاب الروم
ومرج بذلك كفار مكة وشمتوا فقالوا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نحن اهل كتاب والنصارى اهل كتاب
وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى
هذه الآيات الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين فخرج ابو بكر رضى الله عنه
الى الكفار وقال افرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن
الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا عليه السلام فقال له ابى بن خلف الجمحى وقال له كذبت فعال له ابو بكر انا اكذب
يا عدو الله فعال الى من خلف كما غلبت عبدة الشيران اهل الكتاب فلنجعل بيننا اجلا اناحبك عليه لان
الميسر كون ظهور الروم على فارس لسنين سماها فعين سبع سنين فسموا بينهم وجعلوا الخطر مائة من الابل من
الروم وتغلب اهل فارس الى مثلها من ابل تغلب فغابوا ثلث سنين ثم ان فارس ظهرت على الروم فغلبوهم
فذهب ابى بن خلف بابله الى ابى بكر فقال له ابو بكر ما حملك على ان خاطرت صاحبك فى امر كهذا انما
البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده فى الخطر ومادته فى الاجل فخرج ابو بكر فلقى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك
فقال له ما اردت الا هذا زايده فى الخطر واما دك فى الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين قال فلعلك ندمت قال لا
انا اناه فلزمه وقال انى احافك فخرج من مكة خائفا فلما رجع ابو بكر من مكة ادركه سراقة بن جعشم
ان خرج الى احد اباه عبد الله بن ابى بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطينى كفيلا ما عطاه كفيلا ومضى الى
احد ثم رجع فاتى مكة من خراجته الى وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهور الروم على فارس يوم الحديبية
وذلك عند رأس تسع سنين من مراهنتهم وهذا قول اكثر المفسرين وقال ابو سعيد الخدرى وتناول المكان يوم بدر قيل
المسلمون كفار مكة واما هم الخبر ان الروم على فارس تفرح المسلمون بدر وعلب ابو بكر رضى الله عنه الميسر واخذ

مال الخطر وزنته وجاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فعال له النبى صلى الله عليه وسلم تصدق به ۞ ومعنى الاية غلبت الروم فى
ادنى الارض يعنى الجزيرة وهى اقرب بلاد الروم الى فارس وقال عكرمة معنى ادنى ارضات وكسكر وقوا يروحهم من بعد غلبهم
يعنى الروم من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس فى بضع سنين وهو ما بين الثلث الى العشر فالتقى الروم وفارس
فى السنة السابعة من غلبة فارس اياهم فغلبهم الروم فجاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فارس
وظهور الروم عليهم وافرح ذلك يومئذ بنصر الله تعالى له الامر من قبل ومن بعد اى من قبل ان غلبت الروم ومن بعد
ما غلبت يعنى ان غلبة احد الفريقين الاخر ايهما كان الغالب والمغلوب فان ذلك كان بامر الله وارادته
وقضايه وقدره وقوله ويومئذ يفرح المؤمنون يعنى يوم تغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بنصر
الله الروم على فارس ويكون فرح المؤمنين يومئذ لظهور معجزة النبى صلى الله عليه وسلم واهلاك بعض الكفار
بعضا كما يفرح الصالحون بقتل الظالمين بعضهم بعضا وقوله تعالى ينصر من يشاء اى ينصر رسله واولياءه اصلى الله عليه وسلم
على اعدايه وهو العزيز الرحيم اى هو العزيز بالنعمة من عصاه الرحيم باوليائه وهم المؤمنون ۞
قوله تع وعد الله لا يخلف الله وعده نصب على المصدر اى وعدالله ذلك وعدا وهو راجع الى قوله سيغلبون
اى وعدالله ذلك لا يخلف الله وعده بظهور الروم على فارس ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعنى كفار مكة لا
يعلمون ان الله لا يخلف وعده لانهم كفار وقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا يعنى معايشهم
وما يصلحهم كالحس يعلمون متى يزرعون ومتى يحصدون وحين الاكتساب من التجار والزراعة
والحراثة والغراسة وما يحتاجون اليه فى الشتاء والصيف قال الحسن بلغ والله من علم احدهم بالدنيا
انه ينقد الدرهم عند البيع بخبرة ولا يحسن يصلى وقوله تعالى وهم عن الاخرة هم غافلون اى هم مع علمهم
بامور الدنيا لا يعلمون ما طريقه الدليل من امر الاخرة وما يكون بعد الموت من البعث والثواب والعقاب فهم
غافلون عن ما هو اولى بهم وعن ما لهم من الاستعداد لذلك ۞ قوله تعالى اولم يتفكروا فى انفسهم
اى فى خلق الله اياهم فيعلموا ان الله لما خلق السموات والارض وما بينهما بالحق اى للحق ومعنى الباء اللام اولم يتفكروا
اهل مكة يعلموا ان الله ما خلق السموات والارض وما بينهما عبثا والعبث الخلق الذى لا لحق ويبطل
الباطل ويجزى كل عامل بعمله عند انقضاء الاجل المسمى الذى جعله الله لانقضاء امر السموات والارض
وهو يوم القيمة وقوله تعالى وان كثيرا من الناس يعنى كفار مكة بلقايهم اى بالبعث لكافرون وقوله تعالى
اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى اولم يسافروا فى الارض فيعتبروا كيف
صار امر الذين من قبلهم من الامم حين كذبوا الرسل الى الهلاك تكذيبهم فيعتبروا بما رأوا من ذلك وصف تلك الامم فقال
كانوا اشد منهم قوة واثارا فى الارض اى حرثوها وقلبوها للزراعة واحراسوا وعمروها اكثر مما عمرها كفار مكة
لانهم كانوا اطول اعمارا واكثر عددا فلم يغن عنهم طول اعمارهم واثر قدرتهم شيئا وقوله تعالى وما
كان الله ليظلمهم بالاهلاك لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر والتكذيب قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا
السوأى ان كذبوا بايات الله اى ثم صار اخر امر الذين اساؤا بالكفر والمعاصى السوأى يعنى العذاب والنار
بسبب تكذيبهم وانتهائهم بايات الله قال الفراء والزجاج السوأى صفة الحسنى وهى الجنة وصفة النار
وقال ابن قتيبة السوأى هى والحسنى الجنة ۞ وانما سميت سوأى لانها تسوء صاحبها قوله تعالى
الله يبدأ الخلق ثم يعيده اى يخلقه ثم البطنه ثم حسبه بعد ما اماته ثم الى موضع حسابه وجزايه يرجعون
يبعثهم باعمالهم قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اى ييئس المجرمون من رحمة الله ومن كل خير
حين عاينوا العذاب وقال الفراء سكت بلا هم وتحيتهم وقيل معنى يبلس اى يفتضح وقيل معناه يندمون وقيل
المبلس الساكت المنقطع عن حجته الايس من ان تهتدى الكفار قال الساعة ۞
باصاح هل تعرف رسما مكرسا ۞ قال نعم اعرفه وابلسا ۞ والمجرمون هم المشركون وقوله تعالى
ولم يكن لهم من شركايهم شفعا اى لم يكن للكفار ممن اشركوه فى العبادة شفعا يشفعون لهم الى الله وكانوا بشركايهم
كافرين اى يتبرأون منهم ويتبرؤن منهم ۞ قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اى وادكر

يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرق الخلائق في طريق الجنة وطريق النار ويسل بمعناه يوم الجمعة سمرقول بعد
الى الجنة والنار ولا يجتمعون ابدا وقال الحسن ان كانوا اجتمعوا في الدنيا ليفترقن يوم القيمة هؤلا
في عليين وهؤلاء في اسفل سافلين وهو قوله تعالى انا اعتدنا للكافرين نارا وعلوا الصالحات هم في روضة يحبرون
اي في الجنة يسرون ويكرمون بالتحف ويشربون والحبرة السرور وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين
وسمي العالم حبرا لتحقيقه باحسن اخلاق المؤمنين وسمي المداد حبرا لانه تحسن به الوراق وقيل معنى الآية يكرمون في رياض
الجنة يتلذذون قوله تعالى واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي وكذبوا انا نبعث بعد الموت فاولئك في العذاب
محضرون اي يحضرون في العذاب ويحبسون قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون اي صلوا لله على اول فسبحا
الله قال ابن عباس جمعت هذه الآية الصلوات الخمس وهو ابيها وفرض المساء صلاة المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة
الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر قوله تعالى وله الحمد في السموات والارض اي يحمده اهل السموات واهل
الارض ويصلون له ويسبحون وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون واخر سورة الصافات دبر كل صلاة كتب الله له من الحسنات
عدد نجوم السما وقطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد نبات الارض وداء اعمال اجرى الله له كل حسنة عشر حسنات
في فرع وقال اصل الله عليه وسلم من اراد ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله كذلك تخرجون
وكذلك تخرجون سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى اخر السورة قوله تعالى يخرج الحي من الميت الى قوله كذلك تخرجون
الحي والنطفة الميتة ويخرج النطفة وهي ميتة من الانسان الحي ويقال يخرج الفرخ من البيضة والبيضة من الفرخ
ويحيي الارض باخراج الزروع منها بعد موتها اي بعد ان كانت لا نبت ولا زرع كذلك تخرجون من قبوركم يوم القيمة
الى المحشر فان يعيدكم كما بدأكم اول خلقكم وهما في قدرته سواء قوله تعالى ومن
اياته اي ومن دلايل قدرته وعلامات توحيده ان خلقكم اي خلق اصلكم من تراب يعني ادم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي ثم
اذا انتم بشر حي ودم تنتشرون اي تفرقون في حوائجكم وتبسطون في الارض ومن اياته اي ومن دلايل توحيده ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا لتسكنوا اليها اي من جنسكم وقيل من طينكم ان خلق لكم من جنسكم لتسكنوا اليها وجعل بينكم
مودة ورحمة اي جعل بين الزوجين مودة ورحمة فهما يتراحمان ويتوادان ومامن بهيمة احب الى احدهما من الاخر
من غير رحم سهما حتى ان كبار من الناس يجتمعون عشية لسبب زوجته وكذلك البهائم يجتمع عشية طلبا لسبب
زوجها والمعنى مرد الامور كلها الى توحيد الله وقدرته ان خلق من نطف الرجال ذكورا وانثا ليسكن الذكور الى الاناث
والنطف على صفة واحدة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون في عطفه بقدرته قوله تعالى ومن اياته خلق
السموات والارض اي ومن علاماته توحيده خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب واختلاف لغاتكم واصواتكم
وصوركم والوانكم لان الخلق من عربي وعجمي واسود واحمر وابيض وهم ولد رجل واحد وامراة واحدة ان في ذلك
لايات للعالمين اي للبر والفاجر والمسلم والمحسن قوله تعالى ومن اياته منامكم بالليل والنهار اي ومن اياته تحيفه
نومكم وكرة يقعد عليكم ومن اياته منامكم وكيف يريكم فيهما برقه الذي يخافكم ويطمع فيه المسافر
مدبر واسعاركم من فضله بالنهار اي تصرفكم في طلب المعيشة بالنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون القرآن
سماع الاستدلال والاعتبار والتدبر قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا اي خوفا للمسافر من الصواعق
وطمعا للمقيم في المطر وقيل الرعد ان في ذلك اي في البرق وامر السحاب واحيا الارض بعد محطها لايات لقوم يعقلون
قوله تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره معنى من غير عمد تحتهما ولا علاقة فوقهما بقدرته لله تعالى وتسكينه
وقوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اي نداكم من القبور عند النفخة الثانية ندا
اسرافيل بامره من صخرة بيت المقدس ايها الاجساد البالية والعروق المتمزقة والشعور المتمرطة اذا انتم
تخرجون من قبوركم تهطعون الى الداعي قوله تعالى وله من في السموات والارض اي هم له عبيدا وملكا كل له
قانتون اي كل له مطيعون في الحياة والبقا والموت والبعث وان عصوا في العبادة فهم منقادون لله تعالى
لا يقدرون على الامتناع من ارادته من صحة ومرض وغنا وفقر وحياة وموت قوله تعالى
الذي بدأ الخلق ثم يعيده اي هو الذي بدا الخلق من النطفة ثم يميته فيصير ترابا كما كان ثم يبعثه في الآخرة

قوله

وهو اهون عليه اي الاعادة هينة عليه وما بنى عليه يعيده وقد ذكر لفظ افعل بمعنى فعيل
كقوله الله اكبر بمعنى كبير وكذلك اهون عليه اي هين عليه قال الفرزدق

نعم كما ادري واني لاوجل على اينا تغدو المنية اول يريد بقوله لاوجل اي لوجل
وقال ايضا ان الذي سمك السما بنا بنيا قواما بيته اعز واطول اي عزه طويلة وانما قيل عالما
هذا الماول لانه لا يجوز ان يكون بعض الاشيا على الله اهون من بعض وقوله تعالى وله المثل الاعلى
في السموات والارض اي له الصفة العليا وهي القدرة التي لا تجري عليها العجز وهو العزيز الحكيم
اي القاهر لكل شيء الحكيم في جميع افعاله قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم اي وصف لكم ايها المشركون مثلا
من انفسكم ومن لكم ذلك المثل ضرب لكم من نفسه بما ملكت ايمانكم من شركا فيما رزقناكم اي هل لكم من
عبيدكم واما يكم من شركا فيما رزقناكم من الاموال اي هل يشاركونكم في اموالكم فتكونوا انتم وعبيدكم سوا
فيما اعطيناكم تخافون عبدكم ان يقاسموكم في مالكم كما تخافون امثالكم وافاربكم ان يرثوكم بعدكم او تخافوا
ان يبيعه عبيدكم اذا لم تعطوهم حقهم كما تخافون ممن هو بعضكم بعضكم لبعض من الاقارب والسركا اذا لم تودوا
حقهم الهم تعالوا الا تعالى لهم انه رضي لله شركا من رضي لانفسكم تشركون عبد الله في ملكه وقد علمتم
ولا تشركون عبدكم فيما رزقكم الله واسا لم تملكوهم وتجعلون الخوف من عبد الله كالخوف من الله اذ
تعبدوا لهم كعبادته وقوله تعالى كذلك نفصل الايات اي هكذا نبين واحدا بعد واحد لتكون ذلك ادعى
الى الفهم واوقع في العلم ومعنى الآية ضرب لكم مثلا من انفسكم ههنا امثالكم من الاحرار كقوله ولا يلمزوا انفسكم ومعنى الآية
كيف رضيتم ان يكون العبيد لكم الى تعبدونها شركا واسوة وهم عبيد لي واما لكم جميعا فكما لا يجوز
استوا المملوك مع سيده اذ ليت لا يكون استوا المخلوق مع خالقه قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهوا هم
بغير علم اي لبسهم في الاشراك بسببه من حيث لا يجب ولكنهم يشركون بالله بتباع الجهل وهوى النفس فمن
يهدي من اضل الله اي لا هادي لمن اضله الله وما لهم من ناصرين اي مانعين من عذاب الله قوله تعالى
فاقم وجهك للدين حنيفا اي فاقم بامحمد على دين الاسلام وقوله حنيفا الى بايلا عن كل دين سوى الاسلام
وقوله فطرة الله اي اتبع دين الله والفطرة الملة وهي الاسلام والتوحيد الى فطر الناس عليها اي الى خلق
الله الموحدين عليها وورد في الحديث كل مولود يولد على الفطرة الى آخر الحديث وانتصب قوله فطرة
الله على الاغرا وقيل على معنى اتبع فطرة الله وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي لا تغيير لدين الله الذي امر
الناس بالثبات عليه وهو بمعنى النهي اي لا تبدلوا دين الله الذي هو التوحيد بالشرك قوله تعالى
ذلك الدين القيم يعني التوحيد هو الدين المستقيم ولكن اكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون التوحيد ودين
الاسلام هو الحق قوله تعالى منيبين اليه وانيبوا اي ارجعوا وتوبوا اليه واقبلوا عليه راجعين الى الله في كل ما امركم
لا تخرجون عن شيء من اوامره وهذا الان الخطاب في اول هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم لقوله فاقم وجهك
والمراد به امته كما في قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فكانه قال ايها النبي وامته اقيموا وجوهكم منيبين اليه
اي راجعين الى اوامره وقوله تعالى واتقوه اي اتقوا محالفته واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
من الذين فرقوا دينهم وقرى فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا بالثبات عليه ومن قرا فرقوا دينهم
فمعناه صاروا فرقا وقد ذكرنا معنى قوله وكانوا شيعا الى صاروا جماعة كل جماعة احتازت دسا مثل
اليهود والنصارى وسائر الملل كل اهل دين يفرحون بما عندهم من الدين قوله تعالى واذا مس الناس
ضر دعوا ربهم منيبين اليه اي اذا اصاب الناس شدة وبلية ومحط يعني كفار مكة دعوا ربهم لدفع الشدة
منيبين اليه اي راجعين اليه منقطعين الى الخلق لا يدعون غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي ونالهم مرادا هبت عنهم تلك الشدة

موقع الدلائل

واذاقهم منه رحمة اي اعطاهم من عنده المطر اذا فريق منهم بربهم يشركون اي يعودون الى الشرك لكي
يكفروا بما اتيناهم فبدلوا الشكر كفرا فتمتعوا فسوف تعلمون اي تلذذوا في الدنيا فسوف تعلمون ماذا ينزل
بكم قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا اي ام انزلنا على هولاء حجة وبرهانا او كتابا من السماء فهو يشهد وينطق بان الله
امرهم بما يفعلون وهذا استفهام انكار اي ليس الامر على هذا قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا
بها اي اذا اعطيناهم نعمة استبشروا بها وان تصبهم سيئة ومحنة وبلية بما قدمت ايديهم في الشرك والمعاصي
اذا هم يقنطون اي اذا هم ييأسون من رحمة الله قوله تعالى اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
اي ويضيق اي في البسط والتقتير لايات دالة على التوحيد لقوم يؤمنون قوله تعالى فات ذا القربى اي اعط
ذا القربى الرحم حقه من الصلة والبر واعط المسكين الذي يطوف على الابواب حقه اي صدقة وهو التصدق عليه
واعط ابن السبيل المار ركوبه اي ضيافته يعني اكرم الضيف المار ذلك خير اي الذي ذكر من الصدقة
والاعطاء والضيافة خير للذين يريدون رضى الله اي اعطاء الخير افضل من الامساك واولئك هم المفلحون اي الفائزون
السعداء المأمورون بالجنة ومن اعطى احدا لا يريد به وجه الله ذهب ماله من غير ان يحصل على شيء ولذلك قال
يريدون وجه الله قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله اي ما تعاطيتم من عطاء الربا
رجاء ان يزيد اموالكم فلا يزيد في حكم الله وعلى الاخذ ان يرده على المأخوذ منه قال الله تعالى يمحق الله الربا وان كثر
انتم مقصودا غير محمود قوله تعالى ليربو قرأ نافع لتربوا بتاء مضمومة وضم الواو على الخطاب اي لتربوا
انتم وقرأ الباقون ليربو بيا مفتوحة ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا وقوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون
وجه الله اي ما اعطيتم من صدقة تريدون بها رضى الله فاولئك هم المضعفون الذين يضاعف لهم في العاجل — بصدقة مغفورة
والاجل يقال رجل مضعف اي ذو اضعاف كما يقال رجل مقوي اي ذو قوة وموسر اي صاحب يسار وعن
ابن عباس في قوله تعالى وما اتيتم من ربا الربا هاهنا هو هبة الرجل لصاحبه يريد ان يثاب افضل منه وقال السدي
هو الهدية يهديها الرجل لاخيه يطلب المكافاة فان ذلك لا يربو عند الله لا يوجر عليه صاحبه ولا اثم عليه وقال
الزجاج هو دفع الانسان الشيء ليعوض ما هو اكثر منه وذلك ليس بحرام ولكنه لا ثواب فيه لان الذي يهبه يستدعي به ما
هو اكثر منه وانما يربو عند الله هو العطية التي لا يطلب بها المكافاة ولا يراد بها الا رضى الله قوله تعالى الله الذي
خلقكم ثم رزقكم اي خلقكم في بطون امهاتكم ثم اخرجكم ورزقكم ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم بعد الموت هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس
اي قحط المطر ونقصت الغلات وذهبت البركة في البر والبحر اي اجدبت البر وانقطعت مادة البحر بما كسبت ايدي
الناس اي بشؤم ذنوبهم ومعاصيهم يعني الناس كفار مكة ليذيقهم الله بالجوع في السنين السبع بعض الذي عملوا اي
جزاءه فيكون عقوبة معجلة لعلهم يرجعون من الكفر الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة فيكشف الله عنهم الشدة وفي
هذا تنبيه على ان الله تعالى انما يقضي بالجدوبة وبعض الاموات والنبات لطمأنينة في رجوع الخلق عن المعصية
قوله تعالى قل سيروا في الارض اي قل لاهل مكة سافروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم
مشركين اي انظروا الى ديار عاد وثمود وقوم لوط ليدلكم ذلك على انه لا ينبغي لاحد ان يكفر بالله قوله تعالى فاقم وجهك
للدين القيم اي فاقم قصدك وعملك واجعل جهتك اتباع الدين القيم وهو الاسلام المستقيم الذي لا عوج فيه واعمل به انت
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيامة يومئذ يصدعون اي يوم القيامة يتفرقون بعد الحساب الى الجنة
والنار قوله تعالى من كفر فعليه كفره اي عليه ضرر كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يوطئون لانفسهم منازلهم في الجنة
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات ثوابهم ثم يزيدهم من فضله اي يثيبهم اكثر من اعمالهم انه لا يحب الكافرين اي لا يكرمهم ولا
يثيبهم ولا يرضى عملهم قوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي ومن علامات توحيده ارساله الرياح قدام
المطر للبشارة بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني الغيث والخصب ولتجري الفلك اي السفن تجري في البحر بسكون الرياح بامره
ولتبتغوا من فضله اي ولتسلكوا في البحر على السفن للتجارة وطلب الرزق وهذه الرياح ولعلكم تشكرون هذه النعم فتوحدونه
قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات اي بالدلالات الواضحات فكذبوهم فانتقموا من الذين اجرموا

اي

---

١٠١ اي عذبنا الذين كذبوهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين اي كان واجبا علينا انجاء المؤمنين مع الرسل من عذاب الامم وفي هذا
تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر والنصر على من كذبه قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا اي تزعجه من حيث هو
وذلك ان الله خلق السحاب عقيب الرياح فترفعه الرياح في الهواء فيبسطه الله في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا اي قطعا
بعضها فوق بعض فترى الودق يعني المطر يخرج من خلاله اي من وسطه الى قوم دون قوم فاذا اصاب به من يشاء من عباده
اذا هم يستبشرون بالمطر وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد لمبلسين هو الساكت القانط
قوله تعالى فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره واثار الرحمة هي انواع النبات الذي ينبت
من المطر من اخضر واحمر وغير ذلك من الالوان وقوله تعالى كيف يحيي الارض بعد موتها اي كيف يجعل الارض خضراء بعد يبسها
ان الذي فعل ذلك هو الذي يحيي الموتى للنشور فانه كما يعيد الشجر الذي ظهر يبسه فيعيد فيه الخضرة والنور والثمر كذلك يحيي
الموتى وهو على كل شيء من الموت والبعث قدير قوله تعالى ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا اي ولئن ارسلنا ريحا حارة او باردة
فافسدت زرعهم وراوا الزرع مصفرا يبسا بعد خضرته لظلوا من بعده اصفرار النبت يجحدون ما سلف من النعمة يعني انهم يفرحون
عند الخصب واذا استبطأوا الرزق والمطر جزعوا وكفروا بالنعم قوله تعالى فانك لا تسمع الموتى يعني الكفار سماهم موتى لانهم في
تركهم العمل بما يسمعون ويبصرون بمنزلة الموتى وبمنزلة الاصم الذي لا يسمع والاعمى الذي لا يبصر ولذلك قال اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم اي لا تقدر ان تخرجهم الى الهدى وانما تمشي اعمى وسعى وقوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا
اي الا من يصدق بكتابنا فهم مسلمون لانهم الذين يستدلون به فهم مخلصون مستفادون من امره قوله تعالى الله الذي خلقكم
من ضعف اي من نطفة ضعيفة في بطون الامهات ثم اطفالا لا تملكون لانفسكم نفعا ولا ضرا ثم جعل من بعد ضعف قوة اي اعطاكم
من العقل والاستطاعة والهداية للتصرف في اجتلاب المنافع ودفع المضار ثم جعل من بعد قوة الشباب ضعفا عند
الكبر والهرم وشيبة يعني ما نسان من ضعف وقوة وشيبة وشباب وهو العليم القدير اي العليم خلقه القادر عليهم يحولهم
من حال الى حال قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة اي يوم تقوم الساعة يحلف المشركون
ما لبثوا في القبور غير ساعة والحلف وقيل ما لبثوا في الدنيا غير ساعة يستقلون ايام الدنيا في جنب ايام الاخرة كذلك كانوا
يؤفكون اي هكذا كانوا يكذبون في الدنيا بجهلهم وغفلتهم كما كذبوا في الاخرة قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اراد بالذين اوتوا العلم الملائكة والانبياء والمؤمنين يقولون للكفار بعد ما اقسموا لقد
لبثتم في القبور فيما كتب الله لكم من اللبث الى يوم البعث وقيل في حكم الله وفيه تقديم وتاخير تقديره وقال
الذين اوتوا العلم في كتاب الله وهم الذين يعلمون كتاب الله وقوله تعالى فهذا يوم البعث اي اليوم الذي كنتم تنكرونه في الدنيا
وتكذبون به ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الان قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
اي اعتذارهم من الذنوب ان اعتذروا ولاهم يستعتبون اي لا يجابون الى ما يطلبون من الرجعة الى الدنيا فانهم
يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا قال ابن عباس لا يقبل من الذين ظلموا عذر ولا عتاب ولا توبة
في ذلك اليوم قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل اي بينا لهم في القران من كل صفة ولئن جئتهم
باية مثل العصا واليد وبكل حجة ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون اي ما انتم الا على الباطل يا محمد واصحابك
وقوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اي ختم على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله فكل من لا يعلم توحيد الله فذلك
لاجل ما طبع الله على قلبه قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق اي فاصبر يا محمد على تبليغ الرسالة والوحي وعلى ما يلحقك من
اذى الكفار فان ما وعد الله من النصر واظهار دين الاسلام صدق وكائن لا شك فيه والمعنى فاصبر ان وعد الله بنصر
دينك واظهارك على عدوك حق ولا يستخفنك يكذب الكفار الذين لا يوقنون بامر البعث والحق وكن حليما صبورا
وقوله الا تعجل بالدعاء عليهم فيما يستعجلون من العذاب بقولهم ائتنا بعذاب الله ومتى هذا الوعد وعجل لنا قطنا قبل
يوم الحساب ومعنى الاية لا يستخفن رايك وحلمك يا محمد الذين لا يوقنون بالبعث والحساب

سورة لقمن

الفان ومائة وعشرة احرف وخمسمائة وثمان واربعون كلمة واربع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب الحكيم اي هذه السورة ايات
الكتاب المحكم الذي وعدك الله ان ينزله عليك واصبت هدى ورحمة على الحال وقرا حمزة بالرفع على الابتداء
وقيل على اضمار هو قال ابن عباس ومعنى الاية هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للموحدين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
والمحسنين هنا قد تقدم تفسيره قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم نزلت
هذه الاية وما بعدها في النضر بن الحارث كان قد اشترى كتبا فيها اخبار الاعاجم ويحدث بها اهل مكة ويتلهى
بها في المجالس ويقول ان محمدا يحدثكم احاديث عاد وثمود وانا احدثكم احاديث فارس والروم واقرا عليكم

كما يعلمكم اساطير الاولين هو ياسكم بكتاب فيه قصص الامم الماضية وانباء من قبلكم فكانوا يستهزئون بذلك
وكان اذا سمع شيأ من القرآن يتهزأ به ويعرض عنه فذلك قوله ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اى ليصرف
الناس عن دين الله بلا علم ومن قرأ ليضل بفتح الياء فمعناه ليستحدث ما يلهيه وليصير امرهم الى الضلال والباطل ومعنى قوله تعالى
لهو الحديث اباطيل الحديث هذا قول الكلبي ومقاتل وقال المراد بلهو الحديث الغناء وعن ابي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان لكل امة
المعنيات ولا يسعهن الا اوكن ومن المعنيات حرام والدف يعني مجلس مدعو ما دعي رجل قط عقيرته يعني الا ارتدف به شيطانان
يضربان بارجلهما على ظهره وصدره وينكبه حتى يسكت هذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وابن مسعود قالوا هو والله الغناء
واستراق المعنى والمغنية بالمال وقال صلى الله عليه وسلم ما استمع عبد لصوت مزمار الا بعث الله له شيطانين يرقصانه على منكبيه
قيل وما المزمار يا رسول الله قال قرأة اهل الجنة ○ وعن ابراهيم النخعي انه قال الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال
مكحول من استمع الى جارية ضربت عليها الغناء وضربها متكأ عليه حتى يموت لم اصل عليه قوله تعالى بغير علم اى انه جاهل
فيما تفعل لا ينعم عن علم ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وبالنصب عطفا على ليضل والكناية المذكورة تعود اما الى
الآيات المذكورة واما الى السورة اى ويتخذ آيات القرآن هزوا واما الى سبيل الله والسبيل يؤنث كقوله قل هذه سبيلي
قوله ثم ولى مستكبرا اى اعرض عن قبولها متعظما عن الايمان بها كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا
اى ثقلا منعه عن السماع فبشره بعذاب اليم اى وجيع في الدنيا قيل ارتصل الى الاخر وهو ما روى انه اخذ اسيرا
يوم بدر فقتل صبرا قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز
الحكيم ظاهر المعنى ○ وقوله تعالى والقى في الارض رواسي اى جبالا ثوابت واوتادا لها لئلا تميد باهلها وانث ضمائر كل دابة
اى ادرأ في الارض والدواب الكثيرة في الارض وانما ذكر السماء بمعنى المطر فانبتنا في كل مرة من كل نوع كريم اى من كل نوع حسن وقوله
تعالى هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه اى هذا الذي ذكرت لكم مما تعاينون خلق الله فاروني ايها الكفار
اى شيء خلقه الذين تعبدون من دونه فلم يخلقوا شيأ بل هم يخلقون فقوله بل الظالمون اى الكافرون ضلال مبين بين لمن تدبره
قيل بل للظالمون اى المشركون ضلال مبين بين لمن تدبره وقوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني العقل والعلم والفهم به والاصابة
في الامور واتفق العلماء على ان لقمان كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة رحمه الله قال كان لقمان نبيا وقال بعضهم
خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حدثا قوله لم يكن
لقمان نبيا ولكن عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة وروي انه كان نائما لا في
عليهم السلام ○ واختلفوا في حريته فقيل كان حرا وقيل كان خياطا وقيل كان راعيا وروي انه كان عبدا
حبشيا غليظ الشفتين مشقوق الرجلين ○ وعن ابي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون حوله وهو يعظهم
فقال له اليس العبد الاسود الذي كنت اراك عند الاودية قال بلى قال فما بلغك الى ما ارى قال الصدق والحديث واداء الامانة
وترك ما لا يعنيني ○ وعن انس ان لقمان كان عند داود عليه السلام وهو يسرد درعا فجعل لقمان يحدث ما يرى ويريد
ان يسأله فمنعه حكمته والشوال فلما فرغ منها جعلها عليه وقال يعم درع الحرب هذا ونعم حامله فقال لقمان الصمت حكم
وقليل فاعله وقال عكرمة كان لقمان مولى لبني اسرائيل اسود فقيل له ما شأنك سيدة نبعة مولاه مع عبيده الى استئثار لمولاهم بالوهبة من غنم فجاءوا
وليس معهم شيء وقد اكلوا الغنم واحالوا على الذئب ولقمان نائم لا يدري ما الوجه لا يكون عند الله امينا فاسمني واياهم سمة
خيما فسماهم فجعلوا يقولون الفاكهة وجعل لقمان ينتقيها ما يجتمع وصدره وكذبهم فقال واول ما روى من حكمته
انه جامع مولاه فدخل المخدع فاطال الجلوس في الحاجة فجمع منه الكبد وبورك
الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هو يناوم فوثب اليه ليخرج وكتب حكمته على باب الحش ○ ومعنى الآية
ولقد اتينا لقمان علم التوحيد والمواعظ والعفة والعمل والاصابة في القول والهناه ان يشكر لله فوعلى ما اعطاه
من الحكمة ومعنى قوله وان اشكر لله اى قلنا له اشكر لله فيما اعطاك من الحكمة ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اى
نفع شكره لنفسه فان منفعة شكره راجعة الى نفسه ومن كفر النعم فلم يوحد الله فان الله غني عن شكر خلقه حميد محمود الشاكر
وشبيه على شكره ○ وقوله واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اى واذكر اذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك
بالله احذر ان تعبد غير الله ان الشرك لظلم عظيم عند الله اى لسر الدنيوي اعظم من الشرك لان الله هو المحي الممت
الخالق الرازق ○ فاذا اشركوا به احبط جميع ذلك نعمه غير انها لا تزول ولكن من اعظم الظلم ○ قوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه يريد سعد بن ابي وقاص لما امن بالنبي صلى الله عليه وسلم حلفت امه لا تأكل ولا تشرب حتى يرجع سعد
الى دينه فمضى على هذا ايام فشكا امره الى النبي فدخل بعض شأنها في بعض فامر الله تعالى بهذه الآية فقال سعد لو كانت لها
مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما ارتددت عن دين الاسلام فتحول فاكل وضربت له الطعام والشراب ومعنى وصينا الانسان اي امرناه

ببر والديه عطفا عليهما وقوله تعالى حملته امه وهنا عن وهن ○ اى ضعفا على ضعف
ومشقة على مشقة كلما ازداد الولد في الرحم كبرا ازدادت الام ضعفا قوله تعالى
وفصاله في عامين ○ اى وفطامه في انقضاء عامين وقدر بعامين تاما على الاغلب اولا
الرضاع لا يستحق بعد هذه المدة والفصال هو الفطام وهو ان تفصل الولد عن
الام كيلا يرضع والمعنى بهذا ذكر مشقة الوالدة بارضاع الولد عامين وروي عن بعضهم
وفصله في عامين بغير الف قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك اى قلنا له اشكر لي
على خلقي اياك وعلى انعامي عليك واشكر لوالديك على تربيتهما اياك وقال مقاتل اشكر
لي ادهدينك للاسلام ولوالديك تما اويتاك من اليتم وقوله تعالى الى المصير
اى مصيرك ومصير والديك وعن سعيد بن جبير عنه في قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك
قال من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات فقد شكر
للوالدين قوله تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
اى ان احمداك على الشرك بي جهدا بغير علم فلا تطعهما فان حقهما وان عظم ليس
باعظم من حقي وقوله تعالى ○ وصاحبهما في الدنيا معروفا ○ قال صلى الله عليه
وسلم حسن المصاحبة ان تطعمها اذا جاعا وتكسوهما اذا اعريا وعاشرهما عشرة جميلة ○
واتبع سبيل من اناب الي ○ اى واتبع طريق من رجع الي من سلك طريق محمد صلى الله عليه
وسلم واصحابه والمعنى واتبع دين من اقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وامر اعطاه
عن ابن عباس رضي الله عنهم يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه انه حسن اسلم اباه وعبد الرحمن
ابن عوف وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير فقالوا لابي بكر اخبرت وصدق
محمدا قال نعم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به وصدقوا فانزل الله تعالى
يقول لسعد واتبع سبيل من اناب الي يعني ابا بكر رضي الله عنه وتسد لمن قوله تعالى
وصاحبهما في الدنيا معروفا على ان الامر لا تستحق الفوز على ابيه ولا الجد الاب فقد الابن
ولا تحس الاب بدين الابن لان في احداث الفوز والحبس له عليه مانعا في مصاحبتهما
وعن ابي يوسف ان اهانة الاب بمقاصدة الابن فان ضربه حبسه لاستخفافه بامره
وقال محمد بن الحسن لحبس الاب في نفقة الابن الصغير ولا يحبس بالدين الذي لهم عليه لانه لهم
لحبس في نفقة الصغير لضرر الولد قوله تعالى ثم الي مرجعكم ومرجع اباكم فانبئكم
بما كنتم تعملون من الخير والشر وقد تضمنت هذه الآية الوعيد عن صحبة الكفار والفساق
والترغيب في صحبة الصالحين لقوله تعالى واتبع سبيل من اناب الي وقوله تعالى
يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله ○
ذلك لكي تعلم اعلمها ومن قرأ برفع مثقال فقد اراد ان يقع مثقال حبة وقوله تعالى
وقد كان في امر لقمان ما سأل اباه فقال اراد انه الحية التي تكون في نعل الحمار ليعلمها الله فاعلم ان الله تعالى علم انه كائن وسئل
ابان لقمان لابنه فانبأ ان عمل بالحطيئة حيثما يرى احد كيف يعلمها الله فقال لقمان لابنه انها ان تك مثقال حبة يعني الخصلة
تكن مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في بطن الصخرة التي تحت الارض السبع او في السموات او في الارض فان يأت بها الله ○

ان الله لطيف خبير ۝ اى قادر على الاتيان بها حيث وضعها يوصلها الى صاحبها
حيث كان والله لطيف العالم بكل دقيق وجليل ومعنى الاية ان الله تعالى ان يك
مثقال حبة من خردل فالله يعلم يوم القيمة وان كان العمل الصالح فى الصخرة
هذا قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ۝
قوله تعالى يابنى اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر ۝ اى اقم الصلوة التى
افترضها الله عليك وامر بالطاعة وانه عن المعصية ۝ واصبر على ما اصابك ۝ من
الاذية فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقوله تعالى ان ذلك من عزم الامور ۝
اى الصبر على ما اصابك فى ذات الله من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من عظائم الامور وقيل
من خير الامور التى امر الله بها قوله تعالى ۝ ولا تصاعر خدك للناس ۝ قرا نافع وابو عمرو
وحمزة والكسائى وخلف تصاعر بالالف وقرا الباقون تصعر بغير الف قال الخليل
معناه لا تكلم صاحبك وتحقرك الناس ولا تعرض عنهم لوجهك اذا كلموك يقال صعر خده وصاعر
اذا اماله واعرض تكبرا والمعنى لا تعظم على خلق الله ولا تعرض عن الناس تكبرا عليهم بل تكون
للفقير والغنى عندك سواء ولا تعنف فى وجه احد من الناس قوله تعالى ۝ ولا تمش
فى الارض مرحا اى لا تمش فى الارض بطرا مختالا فخورا والمرح شدة الفرح
ان لا بن ادم الكبر وقد جرح من مخرج البول مرتين وروى ان مهلهل بن صفوة مر على مطر
من عباد الله وهو يتبختر فى جبته خرقا فقال هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له
المهلهل اما تعرفنى قال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وتحمل
من العذرة فمضى المهلهل وترك مشيته تلك ويروى ان عبد الله بن محمد بن واسع خرج
يوما يتمشى فقال محمد بن واسع من هذا فقالوا هذا ولد عبد الله فقال ادعوه فجاؤا
به اليه فقال له يا بنى لا يغرنك ما ترى فكم اشترت امك اشتريتها بثلثمائة درهم
وابوك لا كثر الله من امثاله فى الناس المشى هذه المشية قوله تعالى ان الله لا يحب
كل مختال فخور الاختيال هو التبختر فى المشى والفخور هو المتطاول بذكر مناقب
على السامع والافتخار غلبة وهو مذموم لان المستحق على نعم الله الشكر لا الفخر
قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر واخبر انه ذكرها شكرا لا فخرا ۝
قوله تعالى واقصد فى مشيك ۝ اى توسط ولا تختر اولكن مشيك قصدا لا تختالا
ولا اشرعانا صلى الله عليه وسلم شرعه المشى يذهب بها المرء يقال قصد فلان فى
مشيته اذا مشى مستويا وقال ابن عباس معناه لا تختل فى مشيك وقال عطا قوله تعالى
واقصد فى مشيك ۝ اى امش بالوقار والسكينة كقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على

الارض

الارض هونا والمعنى اقصد فى المشى لا تحفز ولا تمش بالهوينا ۝ قوله تعالى واغضض من صوتك
اى اخفض صوتك ولا ترفعه على وجه اظهار الناس واظهار الاستخفاف بهم وقال
عطا معناه اغضض من صوتك اذا دعوت وناجيت ربك وكذلك وصيه الله تعالى
فى الانجيل لعيسى عليه السلام مر عبادى يخفضوا اصواتهم اذا دعونى فانى اسمع
واعلم ما فى قلوبهم ۝ قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير ۝ اى اقبح الاصوات صوت
الحمير الان اوله زفير واخره شهيق وقال ابن بريدة لو كان فى رفع الصوت خير ما حمله الله
للحمير وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض
ملائه اصوات بهق الحمار ونباح الكلب والداعية بالويل والحرب وقال سفيان صياح
كل شئ يستبح الا الحمار فانه شهيق لا فائدة فيه قوله تعالى ۝ الم تروا ان الله سخر لكم ما فى
السموات وما فى الارض اى الم تروا ان الله خلق وقدر لكم ما معكم ويصالحكم ما فى السموات
من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر وما فى الارض من الاشجار والانهار والبحار
والدواب قوله تعالى ۝ واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ۝ اى اتم عليكم ووسع لكم
نعمه ظاهرة ۝ من الخلق الحسن وسلامة الاعضاء الظاهرة وباطنة من العقل والعلم
والفطنة والمعرفة بالله وقيل النعمة الظاهرة هى الاسلام والباطنة ما ستر عليك من القبائح
ويسير من العورات وقيل الظاهرة ما يعلم الناس من حسناتك والباطنة ما لا يعلمون به
من سيئاتك وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة واعتدال القامة وتسوية الاعضاء والباطنة
المعرفة وقيل الظاهرة الاسلام وما اصل عليك من الرزق والباطنة ما ستر من سوء
عملك وقيل الظاهرة نعيم الدنيا والباطنة نعيم العقبى وقيل الظاهرة تسوية الظاهر
والباطنة بصفة السرائر وقيل الظاهرة الرزق الذى يكتشف والباطنة الرزق الذى يحتجب
وقيل الظاهرة المدخل للغة او الباطنة المخرج للاذى وقيل الظاهرة النعمة عليك لعد
خروجك من بطن امك والباطنة نعمة عليك وانت فى بطن امك وقيل الظاهرة الايمان
العطايا والباطنة غفران الخطايا وقيل الظاهرة المال والاولاد والباطنة الهدى والارشاد
وقيل الظاهرة التوفيق للعبادات والباطنة الاخلاص من الريبات وقيل الظاهرة ما اعطاك
من النعماء والباطنة ما زوى من انواع البلاء وقيل الظاهرة ذكر اللسان والباطنة ذكر الجنان
وقيل الظاهرة ضياء النهار والباطنة ظلمة الليل للسكون والقرار ومن قرا نعمة على التوحيد
فهى واحدة بمعنى الجمع كما فى قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قوله تعالى ۝ ومن الناس
من يجادل فى الله بغير علم ۝ نعنى النضر بن الحرث يخاصم فى امر الله وفى صفاته جهلا بغير
ولا حجة ۝ ولا كتاب منير وقد تقدم تفسيره فى سورة الحج قوله تعالى واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله ۝ اى اعلموا بما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وقد تقدم تفسيره

ابرار الاعطاء والباطنة ما الاعطاء والباطنة

اي من يخلص طاعته لله وهو محسن

على موجب الشريعة فقد اخذ بالامر الاوثق وإلى الله يرجع خواتيم الامور كلها فيجزي كل عامل بما عمل
حافر السلوى من يسلم ما لتشديد ومعنى قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى م

قوله تعالى وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله اي اعملوا بما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة قوله تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم
الى عذاب السعير فيتبعونه قوله تعالى اولو كان الشيطان ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
فقد استمسك بالعروة الوثقى اي اعتصم بالطرف الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو لا اله الا الله قوله تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحزنه كفرهم مخافة ان يكون ذلك لتقصير من جهته فآمنه
الله من ذلك والمعنى من كفر فلا يهمنك كفره فان رجوعهم الينا وحسابهم علينا وهو قوله
تعالى الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا اي نخبرهم بقبائح اعمالهم في الدنيا ونجزيهم عليها
ان الله عليم بذات الصدور اي عليم بما في القلوب من خير وشر قوله تعالى نمتعهم قليلا
اي نمهلهم في الدنيا يسيرا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ اي ثم نلجئهم في الآخرة الى عذاب شديد
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
وقد تقدم تفسيره قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر ما نفدت كلمات الله قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قدم مكة اتته احبار اليهود فقالوا بلغنا انك قلت وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام
عنيت قومك فقال اياكم عنيت الجميع فقالوا الم تعلم ان الله انزل التورية على موسى وفيها انباء
كل شيء وقد خلفها فينا فهي معنا فقال صلى الله عليه وسلم التورية وما فيها من الانباء قليل في علم
الله فانزل الله هذه الآية والمعنى لو حصل ما في الدنيا من الاشجار اقلاما تكتب بها وصارت
الجن والانس كتابا والبحار مدادا يمدها من بعدها سبعة ابحر اي سبعة امثال بحر الدنيا وكتب
بها كلمات الله وحكمه لانكسرت الاقلام وانقطعت الانس والجن وفنيت البحار قبل ان ينقطع
كلام الله وحكمه ان الله عزيز حكيم اي عزيز في سلطانه ذو الحكمة في قوله وافعاله
وذهب بعضهم هي نعم الدنيا والآخرة وان نعم في الآخرة غير متناهية قوله تعالى ما
خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال مقاتل قال كفار قريش ان الله خلقنا اطوارا
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا في ساعة واحدة فانزل الله تعالى
ما خلقكم ولا بعثكم في القدرة الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة اي قدرة الله على بعث الخلق كلهم
كقدرته على بعث نفس واحدة ان الله سميع لما قالوا من امر الخلق والبعث بصير به
قوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي الم تعلم ان الله
يزيد من ساعات الليل في ساعات النهار صيفا ويزيد من ساعات النهار في ساعات الليل
شتاء وسخر الشمس والقمر اي ذللهما لمنافع بني آدم يجريان الى يوم القيامة ثم يسقطان
وينقطع جريهما وان الله بما تعملون خبير اي خبير باعمالكم في الدنيا ومجازيكم

الله في الدنيا

عليها

١٠٣

عليها قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اي ذلك بان الذي سبق ذكره بسبب ان الله هو
الحق اولتعلموا ان عبادة الله حق وان ما يدعون من دونه من عبادة الباطل وان الله هو
العلي بصفاته الكبير الذي لا شيء مثله في كبريائه وعظمته قوله تعالى الم تر ان
الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته اي الم تعلم ان السفن تجري في البحر بانعام
الله تعالى لو لم يخلق الرياح والماء على الهيئة التي خلقها الله عليها لما جرت السفن على ظهر
الماء ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي لدلالات على توحيد الله لكل صبار اي
كثير الصبر على الطاعات والمحن شكور اي كثير الشكر على نعم الله تعالى قال صلى الله
عليه وسلم ان احب العباد الى الله من اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قوله تعالى
واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم من البحر واهواله
الى البر فمنهم مقتصد اي منهم من يثبت على ذلك ومنهم من يجحد قال وما يجحد باياتنا
اي لا ينكر دلائل توحيدنا الا كل ختار اي غدار كفور اي كثير الكفر بآيات الله ونعمه والختر
في اللغة اقبح الغدر والظلل جمع ظلة وهي السحابة التي يرتفع لتغطي ما تحتها وروي ان هذه
الآية كان سبب اسلام عكرمة ابن ابي جهل وذلك انه لما كان يوم فتح مكة آمن النبي صلى الله عليه وسلم
الناس الا اربعة نفر فانه قال اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة ابن ابي جهل
وعبد الله ابن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد بن ابي سرح واما عكرمة فركب في
البحر فاصابهم ريح عاصف فقال اهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لم تغن عنكم شيئا هاهنا
فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ما ينجيني في البر غيره ثم قال اللهم ان لك عهدا
ان انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا حتى اضع يدي في يده فجاء فاسلم قوله تعالى فلما نجاهم
الى البر اي من هول ما هم فيه فمنهم مقتصد اي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر
من التوحيد له قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
اي اتقوا مخافة ربكم واخشوا عذاب يوم لا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيئا لا يشغل كل منهم نفسه وقيل معنى لا يجزي والد عن ولده اي لا يحمل سيئاته ولا
يعطيه شيئا من طاعاته ان وعد الله حق في البعث والجزاء اي صدق فلا
تغرنكم الحياة الدنيا وما فيها من زينتها وزهرتها ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان
فانه هو الغرور وهو الذي من شأنه ان يغر وغرور الشيطان تمنيه العبد فان الله
كريم غفور فيهون عليه ركوب المعاصي وما يهواه ومن قرأ الغرور بضم الغين فهي مصدر
ومعناه الاباطيل وعن سعيد بن جبير ان الغرور تمني المغفرة مع الاصرار على المعصية
قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت نزلت هذه الآية في الحارث

انى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ارضنا احدثت فمتى البعث وقد ركب امراتى جملى فماذا
بلد وقد علمت باى ارض ولوت اى علمت اين ولدت فباى ارض اموت وقد علم ما علمت
اليوم مما اعمل غدا ومتى الساعة فانزل الله هذه الاية وقال صلى الله عليه وسلم مفاتيح
الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم متى يقوم الساعة الا الله ولا يعلم ما تغيض الارحام
الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم نفس باى ارض تموت الا الله ولا يعلم متى ينزل الغيث
الا الله وتعالى ان هذه الخمسة الاشياء التى ذكرها الله فى هذه الاية هى مفاتيح الغيب لا يعلمها
الا الله استاثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ومعنى الاية ان الله عنده
علم الساعة فلا يدرى احد سواه متى يقوم فى اى سنة او فى اى شهر او ليلا او نهارا او قوله قيام م
وينزل الغيث معناه هو المحض ما نزال الغيث وهو العالم بوقت نزاله ويعلم ما فى الارحام
اى لا يعلم احد ما فى الارحام اذكرام انثى اجميل ام اسود وانما يعلمه الله عز وجل بخلقه عليه
ومضغه وذكرا وانثى وسقيا وسعيدا ومتى سيفصل عن امه وقوله تعالى وما تدرى
نفس ما ذا تكسب غدا يعنى عن ما تكسب من الخير والشر اى ما تدرى نفس ما تكسب غدا خيرا
او شرا وما تدرى نفس باى ارض تموت اى فى بر او بحر او سهل او جبل فى اى بلد من هذه
الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبى مرسل مصطفى فمن ادعا انه يعلم شيئا من هذه فقد
كفر بالقرآن لانه خالفه وقوله تعالى ان الله عليم خبير اى عليم بخلقه خبير باعمالهم وما يصلحهم
فى مستقبل عمرهم وروى ان يهوديا كان بالمدينة يحسن حساب النجوم فقال له ابن عباس فما
له اليهودى اراك شيخا انا لك غلام وعن قليل ترجع الى مولاك فعلى انا لك
محموما ولا يمكث عشرة ايام حتى يموت الغلام وانت لا تخرج من المدينة حتى يعما فقال ابن عباس
وانت يا يهودى فما له لا يحول على الحول حتى موت قال فاس موتك يا يهودى قال اما ادرى فقال
ابن عباس صدقت والله وما تدرى نفس باى ارض تموت قال فرجع ابن عباس فلقى اسلامه محموما فلما
بلغ عشرا مات الصبى ويقال ان اليهودى قبل الحول فقالوا اما مات وما خرج ابن عباس من الدنيا
حتى كف بصره ٥ سورة الحج مكية وهى الف وخمسمائة وعاشة عشر حرفا
وثلثمائة وعانون كلمة ٥ ويقال ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأها
اعطى من الاجر كانما اجيى ليلة القدر وكان صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأها هى وسو
تبارك لسم الله الرحمن الرحيم ٥ الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه
من رب العالمين ٥ ام يقولون هو تنزيل الكتاب لا شك فيه انه تنزيل من رب العالمين ٥ ام يقولون
افتراه معناه يقول اهل مكة اختلقه محمد من قبل نفسه وليس كما يقولون ٥ بل هو الحق من ربك
لتنذر قوما ٥ اى لتخوف بالقرآن قوما لم يشاهد وا قبلك فى زمانهم الذى هم فيه رسولا يحذرهم ما هم
يهتدون ٥ اى كى يهتدوا الى الايمان وقوله تعالى ٥ الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما

فى ستة ايام ٥ اى فى مقدار ستة ايام من الدنيا اولها يوم الاحد ٥ ثم استوى على العرش اى استولى
عليه وقد تقدم ذلك فى سورة الاعراف وقوله تعالى ٥ ما لكم من دونه من ولى ٥ اى قوت يمنعكم
ولا شفيع يشفع لكم ٥ افلا تذكرون ٥ اى فلا تعتبرون وقوله تعالى يدبر الامر من السما
الى الارض اى يدبر الله امر الدنيا مدة ايامها فينزل القضاء والقدر من السماء الى الارض ثم
قوله تعالى ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ٥ قال ابن عباس معناه
ثم تعود اليه الامور التدبير حتى يقطع امر الامراء واحكام الحكام وسفر الله تعالى بالامر
فى يوم كان مقداره الف سنة يعنى ان يوما من ايام الاخرة مثل الف سنة مما تعدون من ايام الدنيا
واراد بهذا اليوم يوم القيمة وقيل معناه يقطع الملك هذه المسافة نازلا وصاعدا فى يوم واحد
وهو مسيرة الف عام مما تعده اهل الدنيا مسيرهم وذلك ان بين السما والارض مسيرة خمسمائة
عام لنبى آدم وصعوده من الارض الى السما كذلك والملك يقطعه فى يوم واحد ونوراده
الله من الملك الصعود والنزول بدون مقدارا لموم لفعله الملك واما قوله تعالى يعرج
الملئكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فان كان ايراده المسافة من الارض
الى سدرة المنتهى التى فيها مقام جبريل فالمعنى يسير جبريل والملئكة الذين معه من اهل مقامه
مسيرة خمسين الف سنة فى يوم واحد من ايام الدنيا فيكون معنى قوله تعالى الله على هذا الوجه
اى الى مكان الملك الذى امر الله ان يعرج اليه كقول ابرهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى
امر ربى بالذهاب اليه وهو الشام وكذلك قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله اى الى المدينة ولم يكن الله عز وجل بالمدينة ولا بالشام وعن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتانى ملك برسالة من الله عز وجل ثم رفع رجله فوضعها فوق السما والاخرى
فى الارض لم يرفعها قوله تعالى ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ٥ اى ذلك
الذى صنع ما ذكرناه من خلق السموات والارض هو عالم ما غاب عن الخلق وعالم ما حضرهم لا
يقدر على سواه كما لا يعلم الغيب غيره وقوله تعالى الذى احسن كل شى خلقه ٥ الذى احسن
فى ملكه المنعم على عباده وقوله تعالى ٥ الذى احسن كل شى خلقه ٥ قرا نافع واهل الكوفة
خلقه بفتح اللام على الفعل اى احكم كل شى مما خلقه وقرا الباقون خلقه بسكون اللام
اى احسن خلق كل شى وكون نصبا وقوله خلقه على البدل وقال مقاتل معناه الذى علم كيف
يخلق الاشيا من غير ان يعلمه احد وقال السدى احسن كل شى خلقه لم يعلمه من احد هل ان الله عز وجل
لما طول رجل البهيمة والطير طول عنقه ليلا يتعذر عليه تناول قوته من الارض ولم
يطول عنقه لما يال من عيشته وقوله تعالى ٥ وبدا خلق الانسان من طين ٥ يعنى ادم عليه
السلام كان اول خلقه طينا ٥ ثم جعل نسله ٥ اى ذريته ٥ من سلالة من ماء مهين ٥ اى من قليل
يسل من صلب الرجل وترايب المراة وهى المطفة ووصفها بالمهين لانه لا خطر لها عند الناس

وسمى سلالة لانها تسل من الانسان اى تخرج والمهين هو الضعيف قوله تعالى
ثم سواه ونفخ فيه من روحه ۝ رجع الى ذكر ادم يعنى سوى خلقه ونفخ فيه من روحه
رجع الى ذكر ادم يعنى سوى خلقه ونفخ فيه من روحه ثم عاد الى ذريته فقال ۝
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ۝ هذا ان كنتم اطفالا والافئدة هى القلوب
قليلا ما تشكرون ۝ هذه النعم فتوحدوه والمعنى خلق لكم السمع فاستعموه الى الحق
والابصار فابصروا الحق والافئدة اى القلوب فاعقلوا الحق وقيل معنى ثم سواه تعدل
المهين جمعه وخلقه وصوره ونفخ فيه من روحه اى نفخ فيه الروح الذى تجلى به الناس
واضاف الله تعالى ذلك الى نفسه لانه هو الخالق ۝ قوله تعالى وقالوا ائذا ضللنا
فى الارض انا لفى خلق جديد ۝ اى قال الكفار اذا هلكنا وانقطعنا وصرنا ترابا
اثارا وصرنا عدما فهل سلبنا شيء من خلقنا اسنعيد لذلك هذا لا يكون ابدا ومعنى الضلال
فى اللغة الغيبوبة يقال ضل متاع فلان وضاع بمعنى واحد وقوله تعالى ۝ بل هم بلقاء
كافرون ۝ اى ليس كما يقولون انهم لا يعثون بل هم بلقاء ربهم كافرون ۝ قوله تعالى قل يتوفاكم
ملك الموت الذى وكل بكم قال مجاهد جعلت له الارض كطشت بين يديه مثل طشت الحجام
منها جبتا وقال الكلبى اسم ملك الموت عزرائيل وله اربعة اجنحة جناح منها بالمشرق
وجناح بالمغرب والجلوس رجليه ورأسه وجسده وجعل له الدنيا مثل راحة اليد
لصاحبها ياخذ منها ما امر بقبضه من غير مشقة ولا عناء وله اعوان من ملئكة الرحمة ومن ملئكة
العذاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ملك الموت نظر فى اللوح المحفوظ فقال يا ملك الموت كيف تستطيع
قبض الارواح هاهنا عشرة الاف وههنا كذا وكذا فقال يا جبريل انى اوتى فى الارض كما يتناول
احدكم طعامه على مائدته وقال صلى الله عليه وسلم اذا جاء اجل احدكم اتاه ملك فقال انا
رسول ربك الى عبدك فلان بعدد انفاسه وكم رسول بعد رسول انا الكتب ليس بعدى كتب ولا رسول
رسول اجب ربك طائعا او مكرها فاذا قبضت روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون
وعلى من تبكون والله ما ظلمنا لكم اجلا ولا اكلنا لكم رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكى على نفسه فان
لى فيكم عودات وعودات حتى لا ابقى منكم احدا وقوله تعالى ۝ ثم الى ربكم ترجعون
اى تصيرون الله احيا فيجزيكم باعمالكم قوله تعالى ۝ ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم ۝ يعنى كفار مكة ناكسوا رؤسهم حياء وندما والمعنى ولو ترى يا محمد اذ المجرمون
مطرقوا رؤسهم فى الاخرى وسيلان الدم فى يوم القيمة عند علمهم بان الحجة قد قامت عليهم من كل
جهة وانهم لا محيص لهم من العذاب وذلك هو العاينة فى الموقف والمحاورة يقولون ربنا ابصرنا
وسمعنا ۝ اى لك الحجة علينا الان بصرنا رسلك وسمعنا كلامهم ولكن لسابق كفرنا وهذا لا يحمد فيه
الجواب اى لو اردنا ان نجعل الرات عامة ما نعتبره قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها

قال الحسن اراد به مشيئة القدرة من الله تعالى لانه لم يحجز عن شيء ولكنه لا يجبر العباد على ذلك
لكيلا يبطل الثواب والعقاب والمعنى ولو شئنا لاتينا كل نفس رشدها وشانها ومثل
ذلك ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ۝ وقوله
تعالى هو لكن حق القول منى ۝ معناه ولكن وجب ما قلته على الكافرين ۝ لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين ۝ يكفرهم ودينهم وقوله تعالى فذوقوا بما نسيتم
لقاء يومكم هذا هو معناه يقال لاهل النار اذا دخلوها ذوقوا العذاب كما نسيتم
لقاء يومكم هذا اى بما تركتم الايمان بيومكم هذا وقوله تعالى انا نسيناكم اى تركناكم
فى العذاب واخلدناكم محل المسيئين ۝ وذوقوا عذاب الخلد الذى لا ينقطع كما كنتم تعملون
من الكفر والتكذيب ۝ قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا
معناه انما يقر ويصدق بدلائلنا الذين اذا ذكروا بها اى وعظوا بها خروا سجدا لله
مصلين مع الامام ۝ وسبحوا بحمد ربهم ۝ اى عظموا الله وبرهنوا وصلاتهم حامدين
لربهم ۝ وهم لا يستكبرون ۝ ان يعفروا وجوههم صاغرين وقوله تعالى ۝ تتجافى جنوبهم
عن المضاجع اى يرتفع لاجل الصلوة قال مجاهد هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العتمة
والمضاجع هى الفرش التى يضطجعون عليها للنوم واحدها مضجع وعن انس رضى الله عنه
قال نزلت هذه الاية فينا معاشر الانصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع حتى نصلى العشاء
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان رجلا اتى امراته حاملا فقالت انى اسر ملك الموت
الى الام قبل العشاء فقال لا تنامى فان هذه الاية نزلت فى الذين لا ينامون قبل العشاء كافا
جنوبهم عن المضاجع وقال اكثر المراد بالاية قيام الليل والتهجد وكانوا يقولون هم قوم
احفوا الله تعالى عملا واخفى لهم ثوابا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بقيام
الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى ومنهاة عن الاثم
وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد وقال الضحاك هو ان يصلى الرجل العشاء والفجر
فى جماعة قوله تعالى ۝ يدعون ربهم خوفا وطمعا ۝ اى خوفا من عذاب الله وطمعا
فى رحمة الله وانتصب خوفا وطمعا لانهما مفعول له وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
اى ومما اعطيناهم من المال يتصدقون واجبا وتطوعا وقوله تعالى ۝ فلا تعلم نفس ما
اخفى لهم من قرة اعين ۝ اى لا يعلم احد ما اخفاه الله لهم مما تقر به اعينهم وتطيب به انفسهم
جزاء بما كانوا يعملون ۝ فى الدنيا من الاعمال الصالحة قال ابن مسعود ان فى الجنة
ملكوتا لعباد الله الذين يحافظون حبوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم يسمع اذن ولا
خطر على قلب بشر ولا يحمله ملك مقرب وانه فى القرآن فلا تعلم نفس ما اخفى لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ۝ فاعلم خيره ما اخفى لهم ما سكان الباء اى ما اخفى لنا

الكاف وحجته قراءة عبد الله نخفي لهم بالنون وقرا محمد بن كعب ما اخفاهم بفتح الالف واللفا
بغير احفا الله لهم قوله تعالى ه افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون ●
ق ـ ـ ـ ن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبه
ابن ابي معيط حين تشاتما وتسابا فقال له الوليد اسكت فانك صبي وانا
والله احد منك لسانا واسط منك في القول واملا منك في الكتيبة فقال له
علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزل القرآن وانزل الله هذه الاية والمراد
بالمومن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وبالفاسق الوليد بن عقبه وقال الفراء انه
لم يرد بالمومن شيئا واحدا ولا بالفاسق واحدا وانما اراد جمع الفساق وجمع
المومن ولذلك قال لا يستوون ولم يقل لا يستويان وقال قتادة في بعض الاية لا والله
ما استووا لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الاخرة وقوله تعالى ه اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات الماوى ه الذي تاوي اليها المومنون وقوله ه نزلا بما كانوا يعملون
اي معدة لهم بما عملوا لهم وقوله تعالى ● واما الذين فسقوا فماواهم النار اي واما الذين خرجوا
من طاعة الله بكفرهم فماواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها ردوا فيها فهب النار الى اعلاها وطفوا بهم تحوهم
ملبكة العذاب الى اسفلها فجامع من حديده وقيل لهم ذوقوا عذاب
النار التي كنتم به تكذبون ه وفي الدنيا قوله تعالى ه ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون
العذاب الاكبر ه قيل المراد بالعذاب الادنى هو القحط والجوع الذي اصاب اهل
مكة سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام والكلاب وقيل هو القتل يوم بدر وقيل
العذاب الادنى هو مصيبات الدنيا وآفاتها وبلاوها وقيل العذاب الادنى هو عذاب
القبر والعذاب الاكبر هو عذاب يوم القيمة وقوله تعالى دون العذاب الاكبر يعني
بالعذاب الاكبر عذاب الاخرة وقوله تعالى ه لعلهم يرجعون ● اي اخبرناهم ليرجعوا
عن الكفر قوله تعالى ● ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ● ظاهر المعنى وقوله
انا من المجرمين منتقمون ه يعني الذين قتلوا ببدر وعجلنا ارواحهم الى النار وارادوا بالمجرمين
المشركين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من فعلهن فقد اجرم من عقد
لواء في غير خير او عق والديه او مشى مع ظالم ليعينه قال الله تعالى انا من المجرمين منتقمون
قوله تعالى ● ولقد اتينا موسى الكتاب اعطيناه التوراة جملة واحدة ه ولا تكن في
مرية من لقائه وعند الله النبي صلى الله عليه وسلم ان اسرى بموسى قبل ان يموت ثم لقيه
في السماء ليلة المعراج او في بيت المقدس حين اسري به والمعنى فلا تكن في شك من لقاء موسى
قال ابن عباس يعني ليلة الاسرى وقال اراد به انهما في الجنة وقال اراد به لقاء الله

وقال

وقال اراد به ان لقاء محمد صلى الله عليه وسلم من قومه الاذى مثل ما لقي موسى من قومه
قوله تعالى ● وجعلناه هدى لبني اسرائيل اي جعلنا التوراة هدى لبني اسرائيل من الضلالة
وجعلنا منهم ايمة ه اي جعلنا من بني اسرائيل ائمة يدلون الناس على ديننا فقدروا
وهم اساوهم ومن استقام منهم على الدين وقوله تعالى لما صبروا ه وجعلناهم ايمة
كائنة والا ان صبرهم على طاعتنا وصبرهم عن معصيتنا جعلناكم ائمة وقادة والكسائي
لما صبروا بكسر اللام وتخفيف الميم اي لصبرهم ومعنى القراءة الاولى حين صبروا والمعنى
لما صبروا على اذى قومهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر ه وكانوا بايانا يوقنون ● اي وكونهم
موقنين بايانا سبب قوله تعالى ه ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة ه اي هو الذي يقضي
بين المومن والكافر يوم القيمة ه فيما كانوا فيه يختلفون ● من الدين يوم يخوف
الكفار مكة فقال ـ ـ ـ اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
اولم يبين لهم انا نعذب الاستيصال فمن اهلك قبلهم من الامم الماضية المكذبة ما يكون
عوضا لهم يمشون في مساكنهم المهلكين على مبارزتهم وفراهم مثل ابار عاد وثمود وقوم لوط
وغيرهم ان في اهلاكنا اياهم بالتكذيب لدلالات والضحاك لمن بعدهم ه افلا يسمعون
سماع القبول والطاعة ومن قرا اولم يهد بالنون فالمعنى بين اضافه الفعل الى الله
عز وجل قوله تعالى ● اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز ه معناه اولم يعلموا
انا نسوق المطر بالسحاب والرياح الى الارض اليابسة التي لا نبات فيها ولا شجر فيخرج بذلك
المطر زرعا تاكل انعامهم من سوقها وهم ياكلون من حبها افلا يعقلون والارض
الجرز هي التي لا نبات فيها يقال ارض جرز وجرز اذا كان اكولا وسيف جراز اذا كان
مستاصلا ورجل جروز اذا كان اكولا قال ابن عباس رضي الله عنهما هي ارض باليمن وقال
مجاهد هي بين قوله تعالى ● ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين ● وذلك
ان كفار مكة كانوا يودون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا سمعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقولون لو شاء ان يكون لنا يوم نستريح فيه من شرهم فكان
الكفار يهزؤون بهم ويقولون متى هذا الفتح اي الحكم الذي تحكم بيننا وبينكم ان كنتم صادقين
فيما تقولون والمعنى ان كفار مكة يقولون متى هذا الفتح اي القضاء وهو يوم البعث
يقضي الله فيه بين المومن والكافر فقال الله تعالى ● قل يوم الفتح ه يعني يوم القيمة
ويوم القضاء والفصل ه لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ه لو امنوا يومئذ ● ولا هم ينظرون
اي ولا هم يمهلون ولا يوخرون لمعذرة او توبة ولا توخر عنهم عقوبتهم وعن ابن عباس وهاهد
الاية ان المراد بالفتح فتح مكة وان الاية نزلت في شيوخ كانوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يذكرون

وهم بمكة فلما كان يوم الفتح تكلمت بنو اخوته بكلمة الاسلام فقتلهم خالد
ابن الوليد ولم يقتل منهم اسلاما بهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
اني ابرا اليك مما صنع خالد ۝ قوله تعالى ۝ فاعرض عنهم ۝ اي عن جواهم واسطر
الفرصة فيهم ۝ انهم مسطورون الفرصة فيك ۝ قال ابن عباس في قوله تعالى فاعرض عنهم
نسختها اية السيف وقوله تعالى انهم منتظرون اي منتظرون لك حوادث الايمان
من موت او قتل فيستريحوا منك ۝

سورة الاحزاب مدنية

وهي خمسة الاف وسبعمائة وسبعون حرفا ۝ والف وماتان وثمانون كلمة ۝ وثلاث
وتسعون اية ۝ قال صلى الله عليه وسلم من قرأها وعلمها اهله وما ملكت يمينه
اعطي الامان من عذاب القبر وبالله التوفيق ۝ بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكفرين والمنافقين ۝ قال ابن عباس رضي الله عنهما
وذلك ان ابا سفيان ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا على رسول
عبد الله ابن ابي راس المنافقين وجد بن قيس ومعتب ابن قشير المنافقين وكان قد امنهم
مع المشركين عبد الله ابن سعد بن ابي سرح وطعمة النبي صلى الله عليه وسلم وقد كانوا
طلبوا منه الامان على ان يكف عما قالوا له ما محمد اترض بذكر الهتنا اللات والعزى
ومنات وقل ان لها شفاعة في الاخرة ومنفعة لمن عبدها وندعك انت وربك
فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ائذن لي يا رسول
الله في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فاخرجهم
عمر ان لم يخرجهم من المدينة فقال لهم عمر رضي الله عنه اخرجوا في لعنة الله وغضبه وانزل الله
هذه الاية ومعناها يا ايها النبي اتق الله في نقض العهد الذي بينك وبين اهل مكة
لا سفضه قبل اجله ۝ ولا تطع الكفرين والمنافقين ۝ فيما دعوك الله ولا تعمل الهم ولا ترض
بهم ظنا منك ان ذلك اقرب الى استمالتهم الى الايمان وان كل ذلك يودي الى ان يظن بك مقاربة
القوم على كفرهم ومعنى قوله ولا تطع الكفرين والمنافقين بعد ابا سفيان وابا الاعور
وعكرمة والمنافقين عبد الله ابن ابي وجد بن قيس وغيرهما قوله تعالى ۝ ان الله كان
عليما حكيما اي علم ما يوحي اليك حكيما فيما اوجبه عليك في امرهم وفيما خلقه قوله تعالى
واتبع ما يوحى اليك من ربك اي اعمل بما امرك الله في القرآن من مجانبة الكفار والمنافقين
وترك موافقتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا قال ابو عمرو وقرا الناس الكفار الا قنبل
وحده اي حفزك وبهم قوله تعالى ۝ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ۝ اي فوض
امرك الى الله واعتمد عليه في معاملتهم بما امرت به في نابهم وكفى بالله وكيلا
اي حافظا وناصرا قوله تعالى ۝ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ۝ قال

ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الاية في ابي معمر جميل ابن ابي راشد الفهري وكان
رجلا حافظا لبيبا واعيا لما سمع وكان يقول ان في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد
منهما افضل من عقل محمد وكانت قريش تسميه ذا القلبين فانزل الله هذه الاية تكذيبا
قلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر تلقاه ابو سفيان وهو يعالج
احدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما فعل الناس قال انهزموا
فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ما شعرت الا انهما في
رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده وقال الزهري ومقاتل
هو مثل ضربه الله للمظاهر من امراته والمتبنى ولد غيره يقول فكما لا يكون للرجل
قلبان كذلك لا يكون امراة المظاهر امه حتى لا تكون له اما ولا يكون ولد ابن
رجل ۝ قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظهرون منهن امهاتكم ۝ اي ما جعل
نساءكم اللاتي تقولون لهن انتن علينا كظهور امهاتنا لم يجعلهن كامهاتكم في الحرمة
وكانت العرب يطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الاسلام بهواعه واوجب
الكفارة على المظاهر في سورة المجادلة قوله تعالى ۝ وما جعل ادعياءكم ابناءكم اي ما
جعل من تدعونه ابنا من ابناء عمركم كما يقال لكم الدين من اصلابكم في الانتساب والحكم
والحكم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة بعد ان اعتقه فكان
يقال زيد بن محمد فلما حاه الله بالاسلام امر ان يلحق الادعياء باسمائهم وكان يوم تبناه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي فراقع وابو عمرو ينصب الباء وتشديد الظاء
والهاء من غير الف وقراشامي كذلك الا انه بالف وفتح الهاء والكسائي مثل قراءة
شامي الا انه بالتخفيف وعاصم والحسن بضم التاء وتخفيف الظاء بالف وكسر الهاء
قال ابو عمرو وقد اسكن الظاء من العاون قوله تعالى ۝ ذلكم قولكم بافواهكم
اي الذي يقولونه من اضافة الفعل الى الرجل الواحد وقوله الرجال ابناءكم اي انتسب على
كظهر انثى وقوله الرجل لغير ابنه هذا ابني قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له
حقيقة ولا عليه دلالة ولا حجة ۝ والله ۝ تعالى يقول الحق ۝ اي سر ان
الذي يقولونه قول باطل ۝ وهو يهدي السبيل ۝ اي يدل على طريق الحق والى الدين
المستقيم ۝ قوله تعالى ۝ ادعوهم لابائهم اي انسبوهم ولا تدعوا الى الا ما الذين قد ولدوا
على فرشهم وقولوا زيد بن حارثة ولا تقولوا زيد بن محمد وقوله تعالى ۝ هو اقسط عند الله
اي اعدل في حكم الله من نسبكم اياهم الى الذين تبنوهم وعن ابن عمر رضي الله عنه انه كان يقول
ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله

الى اعدل في حكم الله من تسميتكم اياهم الى الذين تبنوهم ۝ وعن ابن عمر رضي الله عنه انه كان
يقول ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى ادعوهم لابائهم هو اقسط
عند الله قوله تعالى ۝ فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم في الدين ۝ فهم اخوانكم في الدين اي من اسلم
منهم ۝ ومواليكم ۝ اي وموالي عتاقكم فقولوا هذا اخي وهذا عمي وفي الاية اباحة
اطلاق اسم الاخوة وحظر اطلاق اسم الابوة وفي ذلك دليل ان من قال لعبده هذا
ابني لم يعتق لانه محتمل الاخوة في الدين وان قال هذا ابني عتق لان ذلك ممنوع في عبد
الناس قوله تعالى ۝ وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ۝ اي ليس عليكم اثم في نسبة
الرجل الى غير ابيه على وجه الخطأ قال قتادة ولو دعوت رجلا لغير ابيه وانت تحسب انه
ابوه لم يكن عليك اثم ۝ ولكن ما تعمدت قلوبكم ۝ اي ولكن الاثم عليكم فيما تتعمدونه من دعائهم
الى غير اباهم ۝ وكان الله غفورا ۝ لمن تعمد ذلك رحيما ۝ به ثم نسخ قوله بعد الوبه
قوله تعالى ولكن ما تعمدت قلوبكم موضع قوله ما اخطأتم فقد ۝
ولكن فيما تعمدت قلوبكم قوله تعالى ۝ النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ۝ اي هو اشفق وابر
واحق بالمؤمنين من بعضهم ببعض وهو اولى بكل انسان منه بنفسه وقيل معناه اذا حكم
فيهم نبي نفذ حكمه فيهم ووجبت طاعته عليهم ۝ وقال ابن عباس اذا دعاهم النبي صلى الله
عليه وسلم الى شيء ودعتهم انفسهم الى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة
انفسهم وقال مقاتل معناه طاعة النبي صلى الله عليه وسلم اولى بهم من طاعة بعضهم لبعض و
الحكم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى منافعها هلاكهم والنبي صلى الله
عليه وسلم يدعوهم الى منافعها نجاتهم وقال ابو بكر الوراق ان النبي صلى الله عليه وسلم
يدعوهم الى العمل وانفسهم تدعوهم الى الهوى وقال بسام بن عبد الله لان انفسهم تحرس
من نار الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم يحرسهم من نار الاخرة ۝ قوله تعالى
وازواجه امهاتهم ۝ اي كامهاتهم في تعظيم حقهن وفي تحريم نكاحهن فلا يحل لاحد
ان يتزوج بهن كما لا يحل التزوج بالام ولم يرد اساءة الامومية من جميع الوجوه الا ترى
انه لا يحل وطئهن ولا يرث المؤمن مخلاف الامهات ولذلك لا يخلو بهن ولا يسافر بهن
ولا ينظر منهن ولا يرثنه ولكن كالامهات من جميع الوجوه لكان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يزوج ابنته من احد من الناس كان لسائر اخوات المؤمنين ومن هذا المعنى ما روي
ان امرأة قالت لعائشة يا امه قالت لست لكم بام انما انا ام رجالكم فان هذا ان معنى الامومة
تحريم النكاح فقط وهذا لا يجوز ان يقال لانها ليست انها اخوات المؤمنين وقابل تحريم النكاح

ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين في حياته وبعد وفاته لعظم امره وتفخيم
شانه ولذلك حرم على الابن نكاح امراة ابيه قوله تعالى ۝ واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض ۝ كتاب الله ۝ اي وذوو القرابة بعضهم احق بميراث بعض في حكم الله
من المؤمنين والمهاجرين ۝ الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ۝ اي الا ان توصوا لاوليائكم
بشيء من الوصية فهو جائز ۝ كان ذلك في الكتاب مسطورا ۝ اي كان الميراث للاقارب بالوصية
ونسخ الميراث بالهجرة وردة الى ذوي الارحام مكتوبا في اللوح المحفوظ ۝ قوله تعالى ۝
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ۝ اي واذكر اذ اخذنا من النبيين عهودهم ان يصدق
بعضهم بعضا وينصر الاول الاخر ويأخذ كل رسول منهم على قومه ما امره الله به ۝ و
قوله تعالى ۝ ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ۝ قيل ان الواو مقحمة وتقدير
منك ومن نوح فكون منك ما بعده تفسيرا للسر والفائدة في تخصيص هؤلاء الانبياء
الخمسة بالذكر لانهم اهل الشرائع والكتب واولوا العزم من الرسل وهم الائمة والاتباع وقدم ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم لان الخطاب معه وجاء في التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال انا اول من خلقت قبل الانبياء وبعثت بعدهم قوله تعالى ۝ واخذنا منهم ميثاقا غليظا
اي عهدا وثيقا بان يعبدوا ربهم ولا يشركوا به شيئا وقيل واخذنا منهم عهدا شديدا على
الوفاء بما حملوا وقوله تعالى ۝ ليسأل الصادقين عن صدقهم ۝ اي كي يسأل المبلغين
عن تبليغهم وهو قوله تعالى ماذا اجبتم وفائدة سؤال الرسل وهم صادقون تبكيت
الذين كفروا بهم فيكون هذا السؤال توبيخا حاصلا على الكافرين واذا سئل الصادقون
فكيف نظن بالكافرين ۝ وقوله تعالى ۝ واعد للكافرين عذابا اليما ۝ اي اعد للذين كفروا
بالرسل عذابا شديدا قوله تعالى ماذا اجبتم وفائدة سؤال الرسل وهم صادقون
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم

لم تروها ● يذكرهم الله انعامه عليهم في دفع الاحزاب عنهم من غير قتال وذلك ان الكفار
جاؤا جمعهم في وقعة الخندق واحاطوا بالمدينة من اعلاها واسفلها وكان طلحة
بن خويلد الاسدي واصحابه من فوق الوادي وكان ابو الاعور السلمي واصحابه من اسفل
الوادي وكان ابو سفيان واصحابه ونهود بن قريظة في مواجهة المؤمنين فاشتد الخوف
بالمؤمنين وزاغت ابصارهم اي مالت من الخوف ويقال مالت ابصار المنافقين حوفا
من القتل بهم وكان الكفار خمسة عشر الفا والمسلمين الخا حوالي كادت بلغ
الحلوق وذلك ان شدة الخوف ترفع الرية وترفع الرية القلب كما روي ان المؤمنين قالوا
يا رسول الله قد بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم
استر عوراتنا وامن روعاتنا فكفكوهم الله تعالى وارسل الله على الكفار الحا اراده
منكره شغلهم عن الاستعداد للحرب ومنعهم من الثبات على المكان وقلعت خيامهم
واكنانهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون منها في سلامة وليس بينهم
وبين المسافة الخندق وكان ذلك احدى معجزاته عليه السلام كما قال صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ● قوله تعالى اذ جاءكم جنود يعني المذكورين اعلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهم عيينة بن حصن وابو سفيان بن حرب
وسواد قريظة فارسلنا عليهم ريحا وهي الصبا ارسلت عليهم حتى اكفأت قدورهم
وبرعت فساطيطهم وقوله جنود لم تروها يعني الملكة وروي ان شاما من اهل الكوفة
قال لحذيفة بن اليماني يا ابا عبد الله هل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي والله لقد
رأيته قال والله لو رأيناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الارض فقال له حذيفة يا ابن
اخي اقلا احدثك عني وعنه قال اجل قال واهه لو رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع
ما لا يعلمه الا الله قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ما شاء الله ثم قال
الا رجل يأتي بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف
والجهد والجوع ثم صلى ما شاء الله ثم قال الا رجل يأتي بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة
فوالله ما قام منا احد مما بنا من الجهد والخوف والجوع فلما لم يقم احد دعاني فلم اجد
بدا من اجابته قلت لبيك يا رسول الله قال اذهب فجئني بخبر القوم ولا تذعرن شيئا حتى ترجع
الي حذيفة فمضيت نحوهم وحنيني ضربان فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم راسي ووجهي
ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته
قال فما طلعت امشي حتى اتيت القوم واذا الريح الله وجنوده يفعل بهم ما يشاء لم تدع لهم
شيئا ولا تشبثهم بارض ولا تطيق لهم قدرا ولا خيمة كذلك اذ صرخ ابو سفيان في رحله
فقال يا معشر قريش ما انتم بدار مقام لقد هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة

وهذه الريح لا تستمسك لنا معها شيء ولا تثبت لنا نارا ولا تطمئن قدورنا عجلوا وكسر احلته
وانها لمعقولة ما حل عقالها الا بعد ما ركبها فقال حذيفة فعلمت حين قال ذلك انهم
عدوا الله فكلت من صنعت سلاحا وتركت فرسي واما اريد ان ارمقهم وكرت
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع فخطت القوس ثم
رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فلما فرغ قال له ما الخبر فاخبرته بذلك
وصككت حتى بدت اليتاه في سواد الليل فادناني منه وثنى من البرد ما احده فالقى عليّ
طرف ثوبه والزق صلبي بظهره وهو قائم يصلي قوله تعالى واذ زاغت الابصار
اي مالت عن كل شيء فلم ينظروا الا الى عدوهم مقبلا من كل جانب وبلغت القلوب الحناجر
والحنجرة حوف الحلقوم قال قتادة شخصت القلوب من مكانها فلولا انه ضاق الحلقوم عنها
ان تخرج لخرجت وقوله تعالى وجنود لم تروها يعني الملكة يعني الله ملكه على المشركين فقلعت
اوتاد الخيل واطناب الفساطيط واطفأت النيران وحالت الخيل بعضها في بعض وكثر
تكبير الملكة في جوانب عسكرهم حتى وقع بهم الرعب فانهزموا من غير قتال ● قوله تعالى
اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم ● اي من فوق الوادي من قبل المشرق جاءتهم
قبائل غطفان ومن اسفل منكم من قبل المغرب قدمهم ابو سفيان في قريش ومن تبعه وابو الاعور السلمي من قبل الجنوب
يعني من قبل المغرب قدمهم ابو سفيان في قريش ومن تبعه وابو الاعور السلمي من قبل الجنوب
وكان من حديث الخندق ان نفرا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكنانة بن الربيع وهودة
بن قيس وابو عمار الوائلي وجماعة من بني النضير حين اجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى خيبر سيروا الى قريش حتى جاؤا غطفان بن قيس عيلان فدعوهم الى حرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجابوهم واجتمعوا مع قريش وسارت وقائدها صيبة بن حصن
الفزاري وسارت اسد بن خزيمة وقائدها طليحة بن خويلد وسارت سليم وقائدها سفيان
بن عبد شمس وسارت قريش وقائدها ابو سفيان فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار بالخندق وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلمان فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا فحفر رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق
اقبلت قريش حتى نزلت بالمدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وهم
ثلاثة الاف من المسلمين فكان الخندق بينهم وبين المشركين وعظم عند ذلك البلاء واشتد
الخوف واتاهم العدو من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر النفاق
في المنافقين حتى قال معتب بن قشير المنافق كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز كسرى وقيصر

واحدنا لا نقدر ان نذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فاقام النبي صلى
الله عليه وسلم واقام الكفار معه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم
الا الرمي بالنبل والحصى والحصار فلما اشتد البلاء على الناس واستطار الخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرث بن عوف وهما قائما اعطفان
فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا عن معهما من القوم فجرى بينهما الصلح حتى
وقع الكتاب ولم يقع الشهادة وكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث
الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما في ذلك فقالا يا رسول الله اهذا شيء امرك
الله به ام امر تحبه انت ام امر تصنعه لنا قال بل امر الله لك فلا بد لنا
من العمل به وان كان امرا تحبه فاصنع ما شئت وان كان شيء تصنعه لنا فلا نرى ان نعطيه
فقال صلى الله عليه وسلم بل والله ما صنعت ذلك الا اني رأيت العرب قد رمتكم
عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عنكم سوكتهم فقال سعد بن معاذ
يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بعبادة الاوثان
لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها ثمرة الا قرى او شراء
فكيف وقد اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة
والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال صلى الله عليه وسلم
فانت وذاك فتناول سعد الصحيفة التي كتبوا فيها صلحهم فمحاها بيده ثم قال
ليأتوا فوقعت رميته في الحارث بن عوف فشقت اقصى مرجوحة فرسه فجال
فالقى لها فانه لواجد الى مرحها دوم اذ وا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوا
وأحرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لنا سجالا ولا تمسنا حتى نرى فيك
رأينا فقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ ما ترى فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي من غطفان لم يعلموا بإسلامي فمرني فيهم بما شئت
فقال عليه السلام انما انت رجل واحد فحذل عنا ان استطعت فخرج سعد الى قومه
حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة لقد علمتم ودي لكم
ومابيني وبينكم من المحبة قالوا صدقت لست عندنا متهما فقال لهم ان قريشا وغطفان
جاؤا لحرب محمد فالموا صدوف وان قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم لان هذه بلدكم
وبها اموالكم واناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا الى غيرها وان قريشا
وغطفان اموالهم واولادهم ونساؤهم بعيدة ان رأوا لهم ههنا صولة وغنما حدوا
وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل وهو رجل بليد لا طاقة

لكم به فلا تقاتلوه حتى تأخذوا رهنا من اشرافهم قريش وغطفان يكونون بايديكم ثقة لكم
على ان يقاتلوا معكم فقالوا له لقد اشرت برأي وصيحة ثم خرج حتى اتى قريشا فقال
يا معشر قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رأيت حقا علي ان
ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال اعلموا ان معشر اليهود قد ندموا على
ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك
ان ناخذ من القبائل من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب رقابهم
ثم تكون معك على من بقي منهم فقال نعم وانتم اذا بعثت اليكم اليهود ليلتمسوا
منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان
فقال لهم يا معشر غطفان انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا ارى ان تتهموني
قالوا صدقت قال فاكتموا علي ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم
فارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى يهود بني قريظة نفر من قريش وغطفان
فاتوهم وقالوا لهم قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نقرع ما بيننا وبين محمد
فقالت لهم يهود انا لا ندري نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم تكون ثقة
بايدينا فانا نخاف ايكم اذا اشتد عليكم الحرب والقتال ان تشدوا الى بلادكم وتتركونا
وهذا الرجل قريب من بلادنا ولا طاقة لنا به ورجع الرسل بما قالت فقالت
قريش وغطفان والله ان الذي حدثنا به نعيم بن مسعود لحق وارسلوا الى يهود والله
لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا ولئن اردتم القتال ان تخرجوا فاخرجوا معنا
فقالوا ونحن معكم قالت يهود والله لا نقاتل الا اذا اعطيتونا رهنا من رجالكم
فقالوا لهم قد حدثنا نعيم بن مسعود بذلك فلم نصدقه فقالوا لهم ان المرء ذو رأي لكم
وحزم وخذل الله بينهم ونعت عليهم الريح في ليلة شاتية شديدة البرد حتى اصرت الاحمر
والحمد لله رب العالمين ● وقوله تعالى ● وتظنون بالله الظنونا ● واما المنافقون
وظنوا ان محمدا واصحابه سيغلبون ويستاصلون واما المؤمنون فايقنوا ان ما وعدهم
الله تعالى حق وانه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ● قال الحسن في معنى
وتظنون بالله الظنونا يعني ظن المؤمنون بالله خيرا وظن المنافقون ان
الكفرين ظهروا على المؤمنين وانا نموت وعاصم وابن عامر الظنونا في الرسولا والسبيلا
باسات الالف فيهما وقفا ووصلا لانه من اواخر الآي وقرأ ابو عمرو ويعقوب في الوقف
وقرأ الباقون بالالف في الوقف دون الوصل قوله تعالى ● هنالك ابتلي المؤمنون ●
اي في ذلك الحال اختبر المؤمنون بالقتال ليتميز المخلص من المنافق وقيل معناه امتحق
المؤمنون بالخوف الشديد الذي عنده يظهر المؤمن الهلوع من المؤمر الصبور وذو

العريم الصحيح من غيرهم وقوله وزلزلوا زلزالا شديدا اى عجوا وحركوا نحو بكا شديدا
وذلك ان الخائف تكون قلقا مضطربا لا يستقر على مكانه ○ قوله تعالى ○ واذ يقول
المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ○ معناه واذ يقول
الذين يستبطنون الكفر والذين فى قلوبهم شك وضعف اعتقاد ما وعدنا محمد
ان فارس والروم يفتحان علينا ونحن فى مكاننا هذا الذى لا نقدر احد ان يدنو لحاجته
الا باطلا والى ساده والياس من المنافقين بعد ما محمد ان يفتح قصور الشام وفارس واحد
لا يستطيع ان يحاور رجله هذا والله الغرور ○ قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم
يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ○ ق ب مقاتل هم نوا سالم من المنافقين وقال
السدى عبد الله ابن ابى واصحابه يا اهل يثرب الى يا اهل المدينة قال ابو عبيده
يثرب اسم ارض ومدينة الرسول فى ناحية منها وقوله تعالى لا مقام لكم اى لا موقف لكم
فى هذا الموضع فارجعوا الى المدينة وقراءتنا لا مقام بضم الميم اى لا اقامة لكم
ها هنا لكثرة العدو وعلبة الاحزاب فارجعوا الى منازلكم امروهم بالهرب من عسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ○ قوله تعالى ويستاذن فريق منهم النبى يقولون ان
بيوتنا عورة وما هى بعورة ○ معناه ويستاذن فريق منهم النبى عليه السلام فى الرجوع
الى منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة وكانوا يعتلون فى الاستيذان بقولهم
ان بيوتنا خالية من الرجال يخاف عليها وقيل معناه ان بيوتنا ليست بحصينة وقال مقاتل
والحسن معناه قالوا بيوتنا ضايعة يخشى عليها السراق وقال قتاده قالوا بيوتنا مما يلى
العدو ولا بأس على اهلنا فاكذبهم الله تعالى واعلم ان قصدهم الهرب فقال عز وجل
وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ○ من القتال وقيل معناه ان بيوتنا ليست بحصينة
رجاء ان يسوقوا عورة بكسر الواو اى تصير الحيطان فيها خللا وفرجة قال الزجاج يقال
عور المكان يعور عورا وعورة وعورة وبيوت عوراء وعورة وهى مصدر والعورة فى اللغة
ما ذهب عنه الستر والحفظ يقول العرب اعور الفارس اذا كان ثغره موضع خلل للضرب
وعور المكان اذا بدت منه عورة ○ ق ب الشاعر يصف قوما بلقيهم لا تألو لسب عورة ولا
لصيد مخروما ولا لحا ومرملا يقال ارمل الهوى اذا قرع زاده ○ قوله تعالى
ولو دخلت عليهم من اقطارها ○ اى لو دخل المدينة على هؤلاء المنافقين من اطرافها يعنى لو دخل
عليهم هؤلاء الاحزاب من نواحيها ○ ثم سئلوا الفتنة لاتوها ○ اى ثم دعوا الى الشرك
لاعطوها سريعا واعطوها من انفسهم والمعنى لو ان الاحزاب دخلوا المدينة ثم امروهم
بالشرك لاشركوا وقرا اهل المدينة لاتوها بالقصر اى لفعلوها بانفسهم ○ وما تلبثوا بها
الا يسيرا ○ اى وما يلبثون باجابتها الا قليلا حتى يقتلوا قال قتاده وما احتبسوا

ع

عن الاجابة الى الكفر الا قليلا وقال ما يلبثون بالمدينة بعد اجابتهم الى الشرك الا يسيرا حتى
يهلكوا ○ قوله تعالى ○ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله
انهم سئلوا حارثة هموا ان يقضوا مع نبى الله فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله
ان لا يعودوا لمثلها وقال قتاده هم قوم كانوا قد غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطا
الله اهل بدر من الكرامة الفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فلما كان يوم
الاحزاب لم يفوا ذكر العهد ومعنى الآية ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل غزوة
الخندق لا يولون الادبار اى لا يهربون ولا يولون العدو ظهورهم وقوله تعالى وكان
عهد الله مسئولا ○ اى مطالبا به مسئولا عنه محاسبا عليه يسألون عنه فى الآخرة
ثم اخبر الله ان الفرار لا يزيدهم فى آجالهم فقال قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم
من الموت او القتل ○ اى من حضر اجله مات او قتل وكلاهما مكتوب عليكم وقوله
تعالى واذا لا تمتعون الا قليلا ○ اى ان فررتم من الموت او القتل فى هذه الوقعة
لم تمتعوا الا قليلا حتى تحضركم احد الامرين والمعنى لا تمتعون بعد الفرار فى الدنيا الا
مدة اجالكم ثم اخبر الله تعالى ان قادر عليهم واراده بهم يدفع عنهم لقوله تعالى
قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا اى هلاكا وهزيمة او اراد بكم رحمة
اى خيرا وهو النصر وهذا كله امر للنبى صلى الله عليه وسلم ان يخاطبهم بهذه الآيات
ثم اخبر الله انه لا سعيهم فرب ولا ناصر نصرهم من الله وقال تعالى ○ ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا ○ قوله تعالى ○ قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين
لاخوانهم هلم الينا ○ ق ب المفسرون هؤلاء قوم من المنافقين كانوا يثبطون المجاهدين
ويمنعونهم عن الجهاد يقال عاقه يعوقه اذا منعه وعوقه اذا اعتاده المنع وعوقه اذا
صرفه عن الوجه الذى يريده قال ○ قتاده هم قوم من المنافقين كانوا يقولون ما
محمد واصحابه الا اكلة رأس ولو كانوا محمدا لنفهم ابو سفيان وحزبه دعوا هذا
الرجل فانه هالك فخلوهم وتعالوا الينا وقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا
اى وهلم القائلين لاخوانهم تعالوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف
عليكم الهلاك ○ وقوله تعالى ولا يأتون البأس الا قليلا ○ اى لا يحضرون القتال
فى سبيل الله الا قليلا اى لا يقاتلون الا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل
لله لكان كثيرا ○ وقوله اشحة عليكم ○ اى بخلا عليكم بانفسهم واموالهم لا ينفقون
شيئا منها فى سبيل الله ونصرة المؤمنين ثم اخبر عن جبنهم فقال تعالى
فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم ○ فى رؤسهم من الخوف والفزع
كالذى يغشى عليه من الموت فعشى عليه وذهب عقله وشخص ببصره فلا تطرف كذلك

هولاء بشخص ابصارهم وتجار اعينهم لما يلحقهم من الخوف ۝ فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بالسنة حداد اي بسطوا السنتهم وارسلوها طاعنين عليكم قال الفرا
معناه اذوكم بالكلام وعضوكم بالسنة سليطة ذربة يقال خطيب مسلاق
اذا كانت بليغا في خطبته وقوله تعالى اشحة عليكم الخير اي بخلا بالغنيمة يخاصمون
فيها ويشاحون المومنين عليها عند القسمة فيقولون اعطونا فلستم احق منا
وقوله تعالى ۝ اولئك لم يومنوا اي هم وان اظهروا الايمان ونافقوا فليسوا
بمومنين فاحبط الله اعمالهم اي ابطل جهادهم وثواب اعمالهم لانه لم يكن في ايمان
وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا ۝ قال مقاتل معنى الاية فاذا ذهب الخوف
وجا الامن والغنيمة سلقوكم بالسنة حداد اي بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة
ويقولون اعطونا فلستم احق بها منا فاما عند الباس والقتال فاجبن قوم واخذلهم
واما عند الغنيمة فاشح قوم ۝ قوله تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا ۝ اي يظن
المنافقون من جبنهم وخبثهم ان الاحزاب لم يذهبوا الى مكة وقد ذهبوا ۝ وان
يات الاحزاب في المرة الثانية اي يرجعون الى القتال ۝ يودوا لو انهم داخلون
في البادية مع الاعراب ۝ يسالون عن انبائكم اي يتمنون لو كانوا في بادية بالبعد منكم
يسالون عن اخباركم يقولون ما فعل محمد واصحابه فيعرفون حالكم بالاستخبار
لا بالمشاهدة والمعنى يسوالهم انه اذا كان الظفر لكم شاركوكم وان كان للمشركين
شاركوهم كل هذا من الخوف والجبن قرا يعقوب يسالون بالتشديد والمد بمعنى يتسالون
اي يسال بعضهم بعضا عن اخباركم وقوله ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ۝ معناه
لو كان هولا المنافقون فيكم ما قاتلوا الا رميا بالحجارة من غير احتساب قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة
في الصبر على القتال والثبات عليه واحتمال الشدايد في ذات الله ۝ لمن كان يرجو ثواب
الله وثواب الدنيا والاخرة وذكر الله كثيرا ۝ وذلك ان كل من ازداد ذكر الله في لسانه
ازدادت رغبته في الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية لقد كان لكم في رسول
الله اقتدا لو اقتديتم به في نصرته والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم
احد اذ كسرت رباعيته وشج حاجبه وقتل عمه فواساكم مع ذلك بنفسه فهلا
فعلتم مثل ما فعل هو وقوله تعالى لمن كان يرجو الله بدل من قوله لكم وهو تخصيص
بعد التعميم للمومنين قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله ۝ وذلك ان الله تعالى كان قد وعدهم في سورة البقرة
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباسا والضرا

الى

الى قوله الا ان نصر الله قريب وقوله تعالى ليظهره على الدين كله وقوله تعالى ۝ وما زادهم
الا ايمانا وتسليما ۝ اي ما زادهم ما راوه الا ايمانا وتصديقا بوعد الله وتسليما لامره ۝
قوله تعالى ۝ من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ۝ اي من جملة المومنين رجال
وافوا ما عاهدوا الله عليه بالثبات على الدين والعمل بموجبه من الصبر على القتال وغير ذلك
فمنهم من قضى نحبه ۝ اي من وفا بنذره ومنهم من اقام على ذلك العهد حتى قتل شهيدا في سبيل
الله قيل ان المراد به حمزة بن عبد المطلب واصحابه الذين قتلوا يوم احد والنحب في اللغة
النذر وقيل النحب هو النفس ومنه النحيب وهو النفس الشديد والنشيج في البكا والمعنى على
هذا القول منهم من قضى نحبه ۝ ومنهم من ينتظر ۝ الموت على ذلك
العهد وقيل معناه فمنهم من قضى نحبه اي مات او قتل في سبيل الله فادرك ما تمنى فذلك
قضا النحب وقيل فرغ من عمله ورجع الى الله وقال الحسن قضى اجله على الوفا والصدق
قال ابن قتيبة قضى نحبه قتل واصل النحب النذر كان قوم نذروا انهم ان لقوا العدو قاتلوا
حتى يقتلوا او يفتح الله فقتلوا يقال فلان قضى نحبه اذا قتل وقال محمد بن اسحق فمنهم من قضى
نحبه من استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصر او شهادة على ما مضى
عليه اصحابه وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت طلحة بن عبيد الله ممن قضى نحبه ثبت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة
وعن ابي نجيح ان طلحة بن عبيد الله كان يوم احد عند النبي صلى الله عليه وسلم في الجبل فجا
سهم متوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتقاه طلحة بيده فاصاب خنصره وعن عايشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان ينظر الى رجل يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر
الى طلحة وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى
طلحة بن عبيد الله قوله تعالى وما بدلوا تبديلا ۝ اي ما غيروا عهد الله الذي عاهدوه
عليه كما غيره المنافقون وقوله تعالى ۝ ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي صدق المومنون
في عهدهم ليجزيهم الله بصدقهم ۝ ويعذب المنافقين ۝ بنقض العهد ۝ ان شا ۝ قال
السدي يميتهم الله على نفاقهم ان شا فيوجب لهم العذاب فمعنى شرط المشية في عذاب المنافقين
اماتتهم على النفاق ان شا ثم يعذبهم ۝ او يتوب عليهم ۝ فيغفر لهم ليس انه يجوز ان لا يعذبهم اذا
ماتوا على النفاق ۝ ان الله كان غفورا لمن تاب رحيما بمن مات على التوبة ۝ قوله تعالى ۝ ليس
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ۝ معناه وصرف الله الكفار عن المومنين رجعا
لم يكن فيهم من شفا غيظه ولم ينالوا منهم مالا ولا غنيمة ولم يروا سرورا ۝ وكفى
الله المومنين القتال ۝ بالريح والملايكة التي ارسلت عليهم ۝ وكان الله قويا عزيزا اي لم يزل
قويا في ملكه عزيزا في قدرته منيعا بالنقمة من اعدايه ۝ قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم

من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف وانزل الذين عاونوا المشركين من اهل الكتاب
وهم بنو قريظة نقضوا العهد واعانوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلمهم الله من حصونهم مع شدة شوكتهم والقى في قلوبهم الرعب وذلك ان بني
قريظة كانوا قد عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا ينصروا اعداءه عليه
فلما رأوا الاحزاب وكثرتهم طغوا امرهم فسنا صلوك الموسم فنقضوا العهد وكفروا
بهم فلما هزم الله المشركين ورجع النبي صلى الله عليه وسلم الى بيته اراد ان ينزع لامته
فسمع هتيبتا فظن انه اخبر بذلك عليه السلام بي درعه وسلاحه فقال له جبريل انزع
لامتك يا رسول الله والملكة لم يرجعوا حتى يقاتل بني قريظة ونصلي فيهم العصر فقال
صلى الله عليه وسلم وكيف لي بقتالهم وهم في حصونهم فقال جبريل لا بهمتك ذلك
فوالله لازلقنهم اليوم كما يدق الفض على الصفا فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاصحاب فخرجوا الى حصون بني قريظة فالقى الله الرعب في قلوب القوم حتى طلبوا الصلح
وابوا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ وكان سعد قد اصابه سهم في اكحله في حرب الخندق
فسال الله ان لا يخرجه الى ان يرى قريظة عين النبي صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فلما
طلبت بنو قريظة النزول على حكم سعد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاء سعد
النبي صلى الله عليه وسلم وقد احتبس اكحله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم احكم فيهم فقال حكمت
فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساءهم واموالهم فقال صلى الله عليه وسلم حكمت
فيهم بحكم الله فيهم فلما قتلت مقاتلوهم وسبيت نساؤهم وذراريهم فحي الحارث سعد
فمات رحمه الله والصياصي جمع صيصية وصيصية الثور قرنه سمي بذلك
لانه يدفع به ويحصن به وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع
من الليلة التي انصرف فيها الاحزاب ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون الى
المدينة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم السلاح اتاه جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله
عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ربيبة له تغسل راسه وقد مسطت عضته فقال جبريل قد وضعت
السلاح يا رسول الله قال نعم قال عفا الله عنك يا رسول الله فوالله ما وضعت
الملكة السلاح منذ اربعين ليلة ان الله يامرك يا نبي الله بقتال بني قريظة وكان هذا في وقت الظهر
فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا
في قريظة وقدم النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب برايته الهيم فسار اليهم فسار الناس على اثر علي رضي الله عنه
حتى اذا دنا من الحصون سمع منهم مقالة قبيحة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاء حتى وقف على
رضي الله عنه حتى لقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان تدنو

مرهوة

من هوة الخائف قال اظنك سمعت منهم اذى قال نعم فسار النبي صلى الله عليه وسلم
لحوهم حتى دنا من حصونهم فقال لهم يا اخوان القردة اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا
يا ابا القاسم ما كنت جهولا فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة
حتى جهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير راجع عنهم قالوا لهم كعب بن اسد يا معشر اليهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون
واني عارض عليكم بلاثا خصال فخذوا ايها شئتم قالوا وما هي قال اما الاولى فنتابع
هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم
فتامنوا على دمائكم واموالكم ونسائكم قالوا لا نفارق دين ابدا ولا نستبدل به غيره
قال فان ابيتم هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد رجالا مصلتين بالسيوف
ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبينه قالوا نقتل هؤلاء المساكين فلا خير في
العيش بعدهم قال فان ابيتم هذه فانا هذه الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد
واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا
ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من كان قبلنا وقد علمت ان الذين احدثوا فيه الاحداث
مسخوا فلم يخف عليك امرهم قال فلم ابوا عليهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ابعث الينا ابا لبابة اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الاوس فاستشاروه في امرهم
فارسله النبي صلى الله عليه وسلم اليهم فقالوا له ان نزل على حكم محمد قال نعم واشار
بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فعلمت انه قد خانت الله ورسوله ثم ارتطم ابو لبابة
على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اوثق نفسه في المسجد الى عمود من عمده
وقال لا ابرح حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله تعالى ان لا يطا ارض بني قريظة
ابدا وقال لا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قد قعد على وجهه ولم يات قال اما انه لو جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل
ما فعل فما انا بالذي اطلقه حتى يتوب الله عليه فلما انزل توبته قال صلى الله
عليه وسلم بيت علي ابي لبابة فجاء الناس الى ابي لبابة ليطلقوه فقال لا والله حتى
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم واطلقه قال فلما اصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الاوس وقالوا يا رسول الله انهم موالينا اي حلفاؤنا ودون الخزرج وقد فعلت
في موالي الخزرج ما قد علمت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبى قريظة حاصرهم
فتضاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسالهم اياه عبد الله ابن ابي سلول
وهبهم له فلما كلمه الاوس قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الاوس اما ترضون ان احكم

ثم خلى سبيله فجاء ثابت بن قيس بن شماس فربطه وحده وقد صال سيخا كبيرا فقال له ثابت
يا بن هل تعرفني قال نعم وهل يجهل مثلك مثلي قال فاني اريد ان اجاريك مالك
عندي من البد قال افعل فان الكريم يجزي الكريم قال ثابت فانت الذي صلى الله عليه وسلم
قتلت يا رسول الله وكان للزبير عندي يد وصنيعه وله علي منه ومن احسن ان
اجزيه فهبك لي فهبه فقال صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه فقال له ياشيخ ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فقال اني سيخ كبير فان ذهب اهلي وولدي
فما اصنع بالحياة قال ثابت فاين رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته اهله وولده
فقال لهم لك فقلت ياسيخ قد وهب لي رسول الله امرأتك واولادك فقال اما ثابت
كف يكون اهل بيت بالحجاز لا مال لهم قوما نفاقا وهم على دينك قال فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسالته ماله فقال هو لك فاعلمه بذلك فقال لي يا ثابت
ما فعل الذي وجهه مرآة مضيئة كعنصر من اسيد قلت قتل قال فما فعل اسيد الحاضر والباد
حي من احطب قلت قتل قال فما فعل مقداما اسيدا وحاميا اذا كر زاعزا الرن
شوكا قلت قتل قال فما فعل سيي كعب بن قريظة وسيي عمرو بن قريظة قلت قتلوا كلهم قال
فاني اسالك بالله ما ابقى وبيدك من الصنيعة والله الا ما الحقتني بالقوم فوالله
ما لي في العيش بعدهؤلاء من خير فما انا برصار حتى الحقه فضربت ثابت عنقه فلما
بلغ ابا بكر الصديق رضي الله عنه قوله الهي الاخمة قال لقائم والله في دار جمعهم الله
فيها ابدا قوله تعالى ۞ وقذف في قلوبهم الرعب ۞ اي الخوف الذي يعتصمون
بقلوبهم الحصون فرارا منكم ۞ وتاسرون ۞ تقتلون يعني المقاتلة ۞ وتاسرون ۞ نساءهم
وذراريهم ۞ واموالهم ۞ يعني عقارهم ونخيلهم ومنازلهم واموالهم من الذهب والفضة
والحلي والعبيد والاماء ۞ وقوله تعالى ۞ وارضا لم تطاوها ۞ يعني ارض البصر
وقيل ارض خيبر والمعنى وسيفتح الله لكم ارضا لم تطاوها الان فاقدامكم يعني خيبر
الله عليهم بعد بني قريظة وقال الحسن هي فارس والروم وقال قتادة هي كل
وقوله تعالى وكان الله على كل شيء قديرا ۞ معناه بيان ان الله قادر على اظهار الاسلام
بغير القتال وانما امر المؤمنين بالقتال لتعريضهم لجزيل الثواب ۞ قوله تعالى
يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن ومسرحكن
واسرحكن سراحا جميلا ۞ ي ل المفسرون كان بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
سالنه شيئا من عرض الدنيا واذينه بزيادة النفقة فهجرهن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وآلى منهن شهرا ان لا يقربهن ولم يوح الى اصحابه للصلوات فقال الصحابة
ما شان رسول الله فقال عمر رضي الله عنه ان شئتم اذهب اليه لاعلمكم ما شانه فذهب

فهم حلا اضلكم فالوا الى قال فزال الى سعد بن معاذ وكان سعد بن معاذ قد حمله رسول
الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من المسلمين فقال لها رفيدة تداوي الجرحى وتحتسب
المرضى فلما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة اتاه قومه فاحملوه على
حمار وقد وطاوا له وسادة من ادم وكان رجلا حسنا ثم اقبلوا به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا اباعمرو احسن في موالينك فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال لقد ان لسعد ان لا ياخذه
في الله لومة لائم فقولوا ان بني قريظة مقتولون فلما اتى سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا اباعمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ولاك موالينك لتحكم فيهم فقال اسعد عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت
قالوا نعم وقال واحكم فيهم اريقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء فقال
صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم الله من فوق سبعة ارقعة لم يستر لوا
تحسسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار امراة من بني النجار ثم بعث اليهم من بخرجهم
الله اسلالا وامر بضرب اعناقهم وكان فيهم يومئذ عدو الله حيي بن اخطب وكعب بن اسد
راس القوم في سبعمائة وقيل من ستمائة الى سبعمائة فقالوا لكعب وهو يذهب بهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا قال اما لكم لا تعقلون
الا ترون من يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك دابهم حتى فرغ منهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتى بحيي بن اخطب عدو الله وعليه حلة فقاحية
وبداه مغلولتان الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما والله
ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال
ايها الناس لا بأس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه
وقال ابن اسحاق فحدثني عبد الله بن ابي بكر عن عائشة رضي الله عنها قالت
لم يقتل من نساء بني قريظة الا امرأة واحدة كانت والله عندي تحدث معي وتضحك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في سوقها فبينما هو كذلك اذ هتف
بها صوتها اين فلانة قالت انا والله قالت عائشة فقلت لها ويلك مالك قالت
قتلت لاقتل قلت ولم قالت حدثا احدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها قالت عائشة
فما انسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد علمت انها تقتل قال الواقدي وسبى
تلك المراة بنانة امراة الحكم القرظي وكانت قتلت خلادبن سويد رمت عليه رحا
فقتلته فقتلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاد بن سويد ۞ وعن الزهري
رضي الله عنه قال كان رجل من قريظة يقال له الزبير باطا وكما اباعبد الرحمن مر يوما
على ثابت بن قيس بن شماس في الحاهلية يوم بعاث احد وحربا صيته

الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له قال عمر فجعلت اقول في نفسي اي شيء اكلم
به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله ينبسط فقلت يا رسول الله لو رايت بنت زيد انه وهي
تسالني النفقه فصككتها صكة فقال صلى الله عليه وسلم فذلك الذي احلسني عندك
فاتى عمر حفصه فقال لها لا تسالي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان لك
من جاحه فقالت لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمهن حتى قال العائشه رضي
الله عنها يعرك انك امراه حسناء وان رايت حبك لتشهر او كيد لكيد لان الله نكل المؤمنات
فقالت ام سلمه يا ابن الخطاب اوما تعلم لك الا ترد خلايل رسول الله وتسأله فمن سأل المرء اهله
ردها فانزل الله هذه الايه يا ايها النبي قل لازواجك الى اجرها وكان نوميا جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة خمس من قريش عائشه بنت ابي بكر وحفصه بنت
عمر وام حبيبه بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعه وام سلمه بنت ابي اميه فهولاء من قريش
وصفيه بنت حيي بن اخطب الخيبريه وميمونه بنت الحرث الهلاليه وزينب بنت جحش الاسديه
وجويريه بنت الحرث المصطلقيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالسا مع حفصه فسارت اليها فقال لها هل لك ان اجعل امري بيدك
رجلا والبعد قال فانول اذا اتاك رسل الاحمر رضي الله عنه فدخل عليها قال لها تكلمي
قالت يا رسول الله تكلم ولا تعل الاحقا فوقع عمر بالرجل فوجا وجهها ثم رفع ووجا وجهها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفي فقال عمر ناعدوة الله اوتقول رسول الله
الاحقا والذي نفسه بالحق لا جلسه ما رفع بدي حتى يموت فقام صلى الله عليه وسلم
فصعد الى غرفه فمكث فيها شهرا لا تقربشيا من نسايه يتغذا وتحتي فيها قال ابن الله
تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوه الدنيا وزينتها الايه فبدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعرض ذلك عليهن كلهن قلن نختار الله ورسوله وكان احق من عرض
عليها حفصة فقالت يا رسول الله الى في مكان العاند بالمدينه لا اعود لي تلوها
ابدا بل اختار الله ورسوله وصي عنها وقبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه ايه
التخيير بدا بعائشه وكان احبهن اليه فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الاخره
فراى الفرح في وجهه عليه السلام ونابغها جمع نسايه على ذلك فشكر في الله
وقصر نبيه صلى الله عليه وسلم عليهن فعال لك الحل لك النساء من بعد وقيل
لما نزلت هذه الايه قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عايشه اني ذاكر لك امرا فلا تعجلي
حتى تستامري فيه ابويك ثم قراهذه الايه وقال يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوه الدنيا وزينتها الى قوله وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخره
الايه فقالت عايشه رضي الله عنها قد علم الله ان ابوي لم يكونا يامراني بفراقك وهل

استامري

استامري هذا ابي اريد الله ورسوله والدار الاخره ثم قالت يا رسول الله لا تخبر ازواجك
اني اخترتك فعل اوما علي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعلت وقيل لما نزلت اية
التخيير دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وخيرهن وقال لعايشه اني
ابيت فلا تعجلي حتى تستشاوري ابويك وقالت افيك اشاور هما اما احب
الله ورسوله والدار الاخره ما لنا والبقا بعدهن فشكر لها ثباتها على ايثار الله ورسوله والدار الاخره عليه السلام ولم
يختر واحده منهن بعدها الا المراة الحميريه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا
جميلا اي اطلقكن على وجه السنه وقيل معناه اخرجكن من البيوت لانه ذكر المتعه
قبل التسريح قوله تعالى وان كنتن تردن الله ورسوله اي ثواب الله ورضى رسوله
والدار الاخره الى الجنه قال الله اعد للمحسنات باختيار ثواب الله ورضى رسوله
اجرا عظيما في الاخره قوله تعالى يا نساء النبي من ياات منكن بفاحشه مبينه قال
ابن عباس رضي الله عنهما يعني النشوز وسوء الخلق يضعف لها العذاب ضعفين
اي يجعل عذاب الاخره ضعفها في الاجر كعذاب خمس والمعنى يزيد في عذابها ضعفا كما يزيد
في ثوابها اجرها مرتين وانما ضوعف عذابهن على الفاحشه لانهن يشاهدن من الزواجر
ما لا يشاهده غيرهن من النساء ما لا يتوقع عن مواقعه الذنوب ما لا يشاهد غيرهن فاذا لم يمتنعن استحققن بضعف
ما يتوقع عن مواقعه الذنوب ما لا يشاهد غيرهن فاذا لم يمتنعن استحققن بضعف
العذاب قوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا اي وكان تعذيبها على الله
هينا وقوله تعالى يضعف لها العذاب ضعفين قرا ابن كثير وابن عامر يضعف بالنون وكسر
العين مشدده من غير الف العذاب بالنصب وقرا ابو عمر ويضعف بالياء وفتح العين والشد
ورفع العذاب قال ابو عمرو وانما قرا هكذا اشدد امر غير الف لقوله ضعفين تعال
ضعفت الشيء اذا جعلته مثليه وضاعفته اذا جعلته امثاله وقرا الباقون يضاعف
بالالف ورفع العذاب قوله تعالى ومن يقنت منكن لله ورسوله اي ومن يطع
منكن لله ورسوله وقيل ومن تقنم منكن على طاعه الله وطاعه رسوله ويعمل صالحا
فيما بينها وبين ربها نوتها اجرها مرتين اي نعطها مكان كل حسنه عشرين حسنه
واعتدنا لها رزقا كريما اي حسنا يعني الجنه والرزق الكريم ما سلم من كل اذى ولا
يكون ذلك الا في الجنه قراه يعقوب تقنت بالتا ومثله روي عن عاصم وقوله ويعمل صالحا
قرا الاعمش وحمزه والكسائي وخلف ويجعل صالحا بالياء فيهما وقرا عاصم وابن عامر ويعمل بالتا
ونوتها بالنون قال الفراء وانما قوي يقنت بالتا لان مؤداه تقنت مقام الاسم
يعبر به عن الواحد والاثنين والجمع والمونث والمذكر قال الله تعالى ومنهم من ينظر
اليك ومنهم من يستمعون اليك ومنهم من يقنت منكن لله وقوله تعالى يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء معناه ليس قدركن عند الله مثل قدر غيركن من النساء الصالحات التقين

اكرم علي وانا بكن ارحم وثوابكن اعظم ان اتقيتن الله وشرط عليهن التقوى بيانا ان
فضيلتهن انما تكون بالتقوى لا باتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ليست
حالتكن كحالة النسا غيركن في الطاعة والمعصية والثواب والعقاب ان كنتن متقيات
عن المعاصي مطيعات لله تعالى فلا تلن القول للرجال على وجه يورث ذلك الطمع
فيكن فيطمع المنافقون في مواقعتكن فقوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض يعني
زنا وفجور ونفاق والمراة مندوبة اذا خاطبت الاجانب الى الغلظة في المقالة
لان ذلك ابعد من الطمع من الريبة وانما قال لستن كاحد من النسا ولم يقل كواحدة
لان احدا عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث قال الله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله وقال تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين قوله تعالى وقلن قولا معروفا
اي قلن قولا حسنا لا يودي الى الريبة وقيل معناه وقلن ما يوجبه الدين والاسلام بغير
خضوع فيه بل بتصريح وبيان قوله تعالى وقرن في بيوتكن اي الزمن بيوتكن ولا تخرجكن
الا في ضرورة قرا نافع وعاصم وقرن بفتح القاف وهو من قررت في المكان اقر وكان الاصل
اقررن في بيوتكن فحذفت الهمزة الرا الاولى التي هي عين الفعل لاجل ثقل التضعيف والقيت حركتها
على القاف كقوله فظلتم تفكهون وظلت عليه عاكفا والاصل ظللت وظللتم وقرا الباقون
وقرن بكسر القاف من الوقار اي كن اهل سكينة ووقار والامر منه للرجل قر وللمراة قري
وجماعة النسا قرن كما يقال من الوعد عدن ومن الوصل صلن وعن محمد بن سيرين
قال قيل لسودة بنت زمعة الا تحجين الا تعتمرين كما يفعل اخوانك فقالت قد حججت واعتمرت
ثم امرني الله ان اقر في بيتي فوالله لا اخرج منه حتى اموت فوالله ما خرجت من باب
بيتها حتى اخرجوا جنازتها رضي الله عنها ● قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
التبرج التبختر واظهار الزينة وما يستدعي به من شهوة الرجال وابراز المحاسن للناس
والجاهلية الاولى هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهما السلام كانت المراة من اهل
ذلك الزمان تتخذ الدرع من اللولو فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره وتعرض نفسها
للرجال وقال بعضهم الجاهلية الاولى ما بين ادم ونوح كان نسا وهم اقبح ما يكون من النسا
ورجالهم حسان وكانت المراة تراود الرجل عن نفسه فنهى الله تعالى هولا عن فعل الجاهلية
وامرهن باقامة الصلوة وايتا الزكوة وطاعة الله ورسوله في باقي الاية قوله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ● اي انما امركن الله بما امركن من الطاعة
ولزوم البيوت ليذهب عنكم الرجس يعني رجس الذنوب والعيوب وقال ابن عباس عمل
الشيطان وما ليس فيه رضى ومعنى الرجس السوء وما يوجب العقوبة والمراد باهل البيت
ها هنا نسا النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته وقيل اهل البيت كل من اتصل بالنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم من جهة نسب او سبب على العموم وعن ابي سعيد الخدري ان الاية
نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم اجمعين وعن ام سلمة رضي الله عنها
قالت لما نزلت هذه الاية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين
فجمعهم وانا بقطيفة خيبرية فلفا عليهم ثم الوى بيده الى السما فقال اللهم اهلي
هولا اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة اولست من اهلك قال نعم فدخلت
الكسا بعد ما دعا وانقضى دعاوه وعن عكرمة رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية
في ازواج النبي خاصة وليس هو الذي تذهبون اليه وكان عكرمة ينادي بهذا
في السوق واحتج بقوله في الخطاب واذكرن ما يتلى في بيوتكن وكلا الخطابين لازواج
النبي صلى الله عليه وسلم يعني الخطاب الاول وقرن في بيوتكن وهذا الخطاب الثاني
وانما ذكر الخطاب في قوله عنكم ويطهركم لان النبي صلى الله عليه وسلم كان فيهن فغلب المذكر
قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة اي واحفظن ما يقرا عليكن في
بيوتكن من القران والمواعظ وهذا حث لهن على حفظ القران والاخبار ومذاكرتهن بهما تبرا
للاحاطة بحدود الشريعة ● وقوله تعالى ان الله كان لطيفا خبيرا اي لطيفا باوليا
بجميع خلقه وبجميع مصالحهم قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات
الاية قال قتادة لما ذكر الله ازواج النبي صلى الله عليه وسلم دخل نسا من المسلمات عليهن
فقلن ذكرتن ولم نذكر فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل لما رجعت اسما بنت عميس من الحبشة
مع زوجها جعفر ابن ابي طالب دخلت على نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل نزل فينا
شي من القران قلن لا فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النسا
لفي خيبة وخسار قال وممّ ذلك قالت لانهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله هذه
الاية وقال مقاتل قالت ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية للنبي صلى
الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النسا في شي من كتابه فعسى ان لا يكون فيهن
ولا لله فيهن حاجة فانزل الله هذه الاية وقيل ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله
ذكر الله عز وجل الرجال في القران ولم يذكر النسا بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا
يتقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية واعلم ان الرجال والنسا يجازون باعمالهم الصالحة
مغفرة لذنوبهم واجرا عظيما ومعنى الاية ان المسلمين والمسلمات يعني المخلصين بالتوحيد
والمخلصات والمومنين والمومنات اي المصدقين بالتوحيد والمصدقات والاسلام
في اللغة هو الانقياد والاستسلام والايمان في اللغة هو التصديق غير ان معنى الاسلام والايمان
في هذه الاية واحد قوله تعالى ● والقانتين والقانتات اي المطيعين لله في اوامره ونواهيه والمطيعات
والقانت هو المواظب على الطاعة والقنوت طول القيام في الصلوة وقوله تعالى

والصادقين والصادقات يعني الصادقين في ايمانهم والصادقات وقوله تعالى
والصابرين والصابرات الصابر هو الذي يحبس نفسه عن جميع ما يجب الصبر عنه ويصبر
على جميع ما يجب الصبر عليه قوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات يعني بالمتصدقين
ما الذين يؤدون ما عليهم من الصدقة المفروضة ويقال اراد به جميع الصدقات
واما الخاشع فهو المتواضع لله تعالى وللناس وقوله تعالى والصائمين والصائمات
يعني الصائمين صوم الفرض بنية صادقة ولكن فطرهم على حلال قال ابن عباس من صام
شهر رمضان وثلثة ايام من كل شهر الغر البيض كان من اهل هذه الاية ويؤتون
يوم القيمة بمائدة من الجنة ياكلون منها والناس في شدة ويظلهم الله تحت ظل عرشه
والناس في شدة وينفخ من افواههم ريح المسك قوله تعالى والحافظين فروجهم
والحافظات اي عما لا يحل وقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات قيل اراد به
الذكر في الصلوات الخمس وقيل اراد به الذكر باللسان والقلب في جميع الاحوال
قال ابن عباس زيد في ادبار الصلوات وغدوا وعشيا وفي المضاجع وكلما استيقظ
من نومه وكلما غدا وراح من منزله ذكر الله وقال مجاهد لا يكون الرجل من الذاكرين
الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين ركعتين كتبا من الذاكرين
الله كثيرا والذاكرات وقوله تعالى اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وهو الجنة
قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من
امرهم نزلت هذه الاية في عبد الله بن جحش واخته زينب وكانت امهما امية بنت عبد المطلب
عمة النبي صلى الله عليه وسلم خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة
مولاه فكره اخوها عبد الله ان يزوجها من زيد وكان زيد عربيا في الجاهلية مولى في الاسلام
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابه من سبي الجاهلية فاعتقه وتبناه فقالت
زينب لا ارضاه لنفسي ثم قالت يا رسول الله انا ايم نساء قريش من ابنة عمتك فلم اكن لافعل
ولا ارضاه يا رسول الله وقال اخوها عبد الله كذلك ايضا وكانت زينب بيضاء جميلة
وكان فيها حدة فقال صلى الله عليه وسلم لقد رضيته لك فانزل الله هذه الاية
وما كان لمؤمن اي ما ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة يعني عبد الله بن جحش واخته زينب اذا اختار
الله تعالى ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة بخلاف ما اختار الله ورسوله قرا
اهل الكوفة يكون لهم الخيرة بالياء للحائل بين التانيث والفعل وقرا الباقون بالتاء
وقوله تعالى الخيرة قراءة العامة بفتح الياء اي الاختيار وقرا ابن السميفع الخيرة
بسكون الياء وهما لغتان وانما جمع الضمير في قوله لهم الخيرة لان المراد بقوله لمؤمن

ولا

ولا مؤمنة كل مؤمن ومؤمنة في الدنيا قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله اي فيما امر به
فقد ضل ضلالا مبينا اي فقد اخطا خطا وذهب عن الحق والصواب ذهابا بينا فلما نزلت
الاية قالت قد رضيت يا رسول الله وكذلك رضي اخوها فجعلت امرها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من زيد وساق اليها عليه
السلام عشرة مثاقيل وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا
من طعام وثلثين صاعا من تمر قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي واذكر يا
محمد قولك للذي انعم الله عليه بالاسلام وغيره وانعمت عليه بالاعتاق وهو زيد
بن حارثة وقع بينه وبين امراته زينب تشاجر فجاء زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكوها
بما كانت تستطيل عليه بشرفها فقال صلى الله عليه وسلم لزيد على سبيل الامر بالمعروف
امسك عليك زوجك امراتك ولا تطلقها واتق الله فيها ولا تفعل في امرها ما تاثم به
قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم اضمر في نفسه انه ان طلقها زيد تزوجها هو وضمها الى نفسه
صلة لرحمها وشفقة عليها فعاتبه الله على ذلك اضمار ذلك واخفائه لكي لا يكون ظاهر
الانبياء عليهم السلام الا كباطنهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم انهما لا يتفقان
لكثرة ما كان يجري بينهما من الخصومة فجعل يخفيه عن زيد وكان الاولى بالنبي صلى
الله عليه وسلم ان يدعوهما الى الخلع فلم يفعل وقال له امسك عليك زوجك خشية
انه لو خالعها ثم تزوجها النبي عليه السلام ان يطعن الناس عليه فيقال تزوج بحليلة
ابنه بعد ما بين للناس ان حليلة الابن حرام على الاب فهذا معنى قوله وتخشى الناس اي
تخاف لائمتهم ان يقولوا امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها قال ابن عباس في هذه الاية
اراد بالناس اليهود خشي ان يقول اليهود تزوج محمد امراة ابنه وقوله تعالى والله احق
ان تخشاه اي هو اولى بان تخشاه في كل الاحوال وعن علي بن الحسن انه سئل عن هذه الاية
فقال كان الله تعالى قد اعلم نبيه عليه السلام ان زينب ستكون من ازواجه وان زيدا
سيطلقها فعلى هذا يكون النبي عليه السلام معاتبا على قوله امسك عليك زوجك مع
علمه بانها ستكون زوجته وكتمانه ما اخبره الله به وانما كتم النبي صلى الله عليه وسلم
لانه استحيى ان يقول لزيد ان زوجتك ستكون امراتي وقيل ان زيد بن حارثة لما اراد فراقها
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي
فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها
تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك
واتق الله ثم ان زيدا طلقها فلما انقضت عدتها قال صلى الله عليه وسلم لزيد ما اجد

فى نفسى احدا اوثر منك ادهب الى زيد فاخطبها الى قال ربد وذهبت فاذا هى تخمر
عجينها قلما راسها عظمت فى صدرى حتى لم استطع ان انظر اليها حين علمت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فولتها ظهرى وقلت يا زيد اثبرى اذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخطبك فوجمت بذلك ونزل القران روجناكها فتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها واولم على امراة من نسائه ما اولم
عليها اطعمنا الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا
روجناكها قضا الوطر فى اللغة بلوغ منتهاها فى النفس من الشئ تعالى فضى وطرا
منها اذا بلغ ما اراد من حاجته فيها ثم صار عبارة عن الطلاق لان الرجل اذا
يطلق امراته اذا اراد ان يتزوجها حاجه ه وعن انس رضى الله عنه انه قال لما انقضت
عدتها يا زيد بن حارثة يخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قوله تعالى
روجناكها فخا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها بغير اذن لقوله تعالى
روجناكها وكانت زينب تفاخر نساء النبى صلى الله عليه وسلم وتقول روجكن اهلوكن
وروجنى الله عز وجل وتعنى الاية فلما قضى زيد منها وطرا وطلقها روجناكها وقوله
تعالى ه لكيلا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ه
اى روجناكها لكيلا يظن ان كان الحرج منتفيا تحريمه الا ان قيد الله
ان الادعياء محرمة على المتبنى وان صاروا هو وهو قوله اذا قضوا منهن وطرا احلائل
ابنائهم الصلب فان امراته تحرم بنفس العقد وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا اى
وكان تزوج النبى صلى الله عليه وسلم لزينب قضا كائنا مكتوبا فى اللوح المحفوظ ه
قوله تعالى ه ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ه اى فيما كان عليه من ضيق
واثم فيما شرعه الله تعالى واحله له كسنه الله فى ازواج الانبياء الماضين فى توسعه
عليهم فى النكاح فقوله سنه الله منصوب بنزع الخافض وقوله تعالى ه وكان امر الله
قدرا مقدورا ه اى قضا مقضيا اخبر الله تعالى ان امر زينب كان من حكم الله وقدره
وقوله تعالى ه الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ه موضع الذين الجر على انه نعت
الانبياء عليهم السلام الذين خلوا من قبل كانوا يبلغون الرسالة ويخشون الله
ولا يخشون احدا سواه اى لا يخشون مقالة الناس وكفا بالله حسيبا ه اى محاربا
لمن خشاه وقيل حسيبا على اعمال العباد محاربا لهم قوله تعالى ه ما كان محمد ابا احد
من رجالكم ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بزوج زيد قال الناس محمد بزوج امراة
ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعنى انه ليس بابى زيد حتى يحرم عليه
زوجته ه وكان رسول الله وخاتم النبيين فعطف وابتدا به والحسن وخاصة وهم الذين

نفتح

نفتح الباء اى آخر النبيين وقرا الباقون بكسر التاء على الفاعل اى انه ختم النبيين بالنبوة ه وكان
الله بكل شئ عليما ه اى لم يزل عالما بكل شئ من افعالكم واقوالكم قوله تعالى ه يا ايها الذين
امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا ه اختلفوا فى المراد بذكر الله
فى هذه الاية قال الكلبى المراد به الصلوات الخمس وهى تتضمن اذكارا كثيرة واراد
بالتسبيح التنزيه فى الصلاة وقال مجاهد هو ان لا يشتاه احد وقال مقاتل هو
التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال وهو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر وهن الكلمات تتكلم فى صاحب الجنازة والغازى والحاج
قال صلى الله عليه وسلم تقول الله تعالى انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت لى شفتاه
قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا اى صلوا له بالغداة والعشى قال الكلبى اما
بكرة صلاة الفجر واما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقال
اراد بذكر صلاة الصبح وصلاة العصر على قول قتادة وصلاة المغرب على قول غيره
وخص طرفى النهار بالذكر لانه تجتمع عندهما ملئكة الليل والنهار فيقولون ابناءهم
وهم تصلون وبركناهم وهم تصلون وقيل خص التسبيح بطرفى النهار لان صحيفة
العبد اذا كان فى اولها واخرها ذكر وتسبيح رجا ان يغفر له ما بين طرفى الصحيفة
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله تعالى
الا نادى منادمن السماء ان قوموا فقد غفر لكم ذنوبكم وبدلت سياتكم حسنات
وقيل معنى قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا اى بالليل والنهار وفى البر والبحر والسفر والحضر
والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد الذكر هو
الذى يصلى لاشتاها احدا قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملئكته اى يترحم عليكم ويستغفر
لكم وقوله وملئكته اى يدعون لكم وقيل بامر الملئكة بالاستغفار لكم والصلوة
من الله الرحمة بالقول من المومنين الدعاء من الملئكة الاستغفار للمومنين وقوله تعالى
ليخرجكم من الظلمات اى من ظلمات المعاصى والجهل ه الى نور العلم والطاعة وقيل
من ظلمة الكفر الى نور الايمان وقوله تعالى وكان بالمومنين رحيما اى لم يزل رحيما بهم
اذ وصى عنهم وامر الملئكة باستغفارهم قوله تعالى ه تحيتهم يوم يلقونه سلام
اى يحييه المومنين من الله تعالى ه يوم يلقونه ان يسلم عليهم يقول لهم الملئكة بامر الله
السلام عليكم مرحبا بعبادى المومنين الذين ارضونى وفى دار الدنيا باتباع امرى وتجنب
هذا وقوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم وقوله تعالى هو واعد لهم
اجرا كريما اى رزقا حسنا فى الجنة وقيل الاجر الكريم هو الذى يكون عظيم القدر
قوله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا اى شاهدا على امتك وعلى جميع الامم

تبلغ الرسالة ومبشرا للخلق بالجنة والثواب لمن اطاع الله وصدقك ونذيرا
اي ومخوفا بالنار والعقاب لمن عصى الله تعالى وكذبك وقوله تعالى وداعيا
الى الله اي وارسلناك داعيا للخلق الى دين الله تعالى بامره يعني انه امرك بهذا
وقوله تعالى وسراجا منيرا اي وارسلناك سراجا مضيئا لمن تبعك واهتدى
بك كالسراج في الظلمة يستضاء به وانما سمي النبي صلى الله عليه وسلم سراجا لانه بعث
والارض في ظلمة الشرك فكان حين بعث كالسراج في الظلمة وقوله تعالى وسراجا
منيرا اي وارسلناك سراجا مضيئا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اراد
بالفضل الكبير مغفرة لهم وما اعد لهم في الجنة قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين
فيما يطلبونه منك فقد ذكرنا تفسيره في اول السورة وقوله تعالى ودع اذاهم
اي اصبر على اذاهم واحتمل منهم ولا تشتغل بمجازاتهم الى ان تؤمر فيهم بامر وهذا
منسوخ بآية السيف وقوله تعالى وتوكل على الله اي فوض امورك اليه فانه
سيكفيك امرهم اذا توكلت عليه اي توكل عليه في كفاية شرهم واذاهم وكفى بالله
وكيلا اذا وكلت امرك اليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي اذا تزوجتموهن ثم طلقتموهن
من قبل ان تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها تستوفونها بالعدد لا بالحيض ولا
بالشهور والاعتداد هو استيفاء العدد اسقط الله العدة عن المطلقة قبل الدخول
لبراءة رحمها فلو شاءت تزوجت من يومها قوله تعالى فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا
اي اعطوهن متعة الطلاق وهذا على سبيل الوجوب في من لم يدخل بها ولم يسم لها
مهرا وعلى الندب في من سمى لها مهرا ثم طلقها قبل الدخول وقال سعيد بن المسيب
نسخ حكم هذه الآية بقوله في سورة البقرة فنصف ما فرضتم وقال الحسن المتعة واجبة
لكل مطلقة ومختلعة وملتعنة ولكن لا يجبر عليها الزوج وقوله تعالى وسرحوهن اراد
به التسريح عن المنزل لا عن النكاح لان حق الحبس لا يثبت الا باحد امرين اما النكاح
واما العدة وقد عدما جميعا في هذا الموضع بعد الطلاق المذكور والسراح الجميل
هو الذي لا يكون فيه جفوة ولا اذى ولا منع حق قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
فمتعوهن اي اعطوهن المتعة قال وهذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فاما اذا فرض لها
صداقا فلها نصفه قوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت
اجورهن اي انحنا لك نساءك اللاتي تزوجتهن بمهور مسماة واعطيت مهورهن
وسمى المهر اجرا لانه يجب بدلا عن منافع البضع كما ان الاجر يجب بدلا عن منافع الدار
والعبد قوله تعالى وما ملكت يمينك اي وانحنا لك ما ملكت يمينك يعني الجواري

التي

التي يملكها وقوله تعالى مما افاء الله عليك اي مما اعطاك الله من الغنيمة مثل جويرية
بنت الحرث وصفية بنت حيي بن اخطب ويدخل في هذا اللفظ الشرى والتزوج
كما روي في صفية انه عليه السلام اعتقها ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها قوله
تعالى وبنات عمك وبنات عماتك اراد به اباحة تزويج بنات عمه وبنات
عماته من بني عبد المطلب وبنات خاله وبنات خالاته يعني نساء بني زهرة من بني عبد مناف
وقوله تعالى اللاتي هاجرن معك اي هاجرن معك من مكة الى المدينة وهذا
انما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل قوله تعالى
وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي اي واحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها
للنبي بلا مهر ان اراد النبي ان يتزوجها ومن قرأ ان وهبت بالفتح فمعناه احللناها
لان وهبت وهي قراءة الحسن فالفتح على المضي والكسر على الاستئناف وقوله تعالى
ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان اراد ان يتزوجها فله ذلك وقوله تعالى خالصة
لك اي خاصة لك من دون المؤمنين فليس لامرأة ان تهب نفسها لرجل بغير شهود
ولا ولي ولا مهر الا للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا من خصائصه في النكاح كالتخيير
والعدد في النساء ولو تزوجها بلفظ الهبة وقبلها بشهود ومهر انعقد النكاح ولزم
المهر وهذا مذهب ابي حنيفة وقال الشافعي ومالك لا ينعقد النكاح بلفظ الهبة
الا للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه تعالى قال ان وهبت نفسها للنبي ولم
يقل لك لانه لو قال ان وهبت نفسها لك كان يجوز ان يتوهم انه يجوز ذلك لغيره
عليه السلام كما جاز في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك لانه قال تعالى خالصة لك
من دون المؤمنين وحجة ابي حنيفة واصحابه ان اضافة الهبة الى المرأة دليلا ان النبي
لم يكن مخصوصا بالنكاح بلفظ الهبة وانما كانت خصوصية في جواز النكاح بغير بدل
ولو لم يكن بلفظ الهبة وانما كانت خصوصية نكاحا لما قال تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها
فلما جعل الله الهبة جوابا للاستنكاح علم ان لفظ الهبة نكاح وقوله خالصة نعت
مصدر تقديره ان وهبت نفسها هبة خالصة لك بغير عوض احللنا لك ذلك من دون
المؤمنين فاما المؤمنون اذا قبلوا هذه الهبة على وجه النكاح لزمهم المهر ويقال
ان الخالصة نعت للمرأة اي جعلناها خالصة لك فلا تحل لغيرك من بعدك وقد
اختلفوا في هذه المرأة التي وهبت نفسها للنبي من هي فقال قتادة هي ميمونة بنت الحرث
وقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة امرأة من الانصار وكانت تسمى ام المساكين
وقال الضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة ابن الزبير هي
خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم

اى قد علمنا المصلحة للمومنين فى ان لا تتزوجوا اكثر من الاربع ولا تتزوجوا بغير مهر ولا ولى
ولا شهود والمعنى اوجبنا عليهم الاتتزوجوا اكثر من اربع بمهر وولى وشهود وقوله
تعالى وما ملكت ايمانهم اى وقد علمنا ما فرضنا عليهم فيما ملكت ايمانهم حتى لا يحوز
لهم التزوج بالمعتقه من غير مهر وحتى لا يباح لهم تملك الامس كما اباح للنبى صلى
الله عليه وسلم فانه كان له الصفى من الغنيمه ولم يكن لغيره وقد مر معناه وما
ملكت ايمانهم ممن يحوز سبيه وجزيه فاما من كان له عهد فلا قوله تعالى
لكيلا يكون عليك حرج اى ضيق فى امر النكاح ومنع من سرى تزيده وهذا فيه
تقدم نقدير خالصه لكى من دون المومنين لئلا يكون عليك حرج اى احللنا
لك ما ذكرنا لنرفع عنك الحرج والضيق قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما
اى غفورا للنبى صلى الله عليه وسلم فى التزوج بغير مهر رحيما به فى تحليل ذلك
له وقيل غفورا لمن يستحق المغفره رحيما بالعباد فيما يتصل بالدين والدنيا قوله
تعالى ترجى من تشاء منهن وتوى اليك من تشاء معناه توخر من تشاء من واشد
من نسائك وتضم الى فراشك من تشاء منهن من غير حرج عليك وهذا من خصائص
النبى صلى الله عليه وسلم بقصد الا له ان يجعل الى احد منهن يوما او اكثر منه
ويعطل من سائرهن فلما مات هذه الاية سقط الوجوب وصار الاختيار اليه فمنهن قال منصور
عن ابى رزين وكان ممن اوى عائشه وام سلمه وزينب وحفصه رضى الله عنهم
وكان قد سوى بينهن فى القسم وكان ممن ارجى سوديه وجويريه وصفيه وام
حبيبه وميمونه وكان يقسم لهن ما شاء وكان قد اراد ان يفارقها فقلن له اقسم
لنا ما شئت من نفسك ودعنا على حالنا فعله تعالى ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح
عليك له معناه ان اردت ان تؤوى اليك امراة ممن عزلتهن من القسمه وتضمها
اليك فلا عتب عليك ولا لوم وقوله تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن اى ذلك التخيير
الذى خيرتك فى صحبتهن ادنى الى رضاهن اذا كان منه من الله عليك وبر صنين
كلهن بما اعطيتهن من نفسك وارجاء وابواء قال قتاده اذا علم ان هذا
حاجز الله كان اطيب لانفسهن واقل لحزنهن والله يعلم ما فى قلوبكم من الرضا والسخط
والميل الى بعضهن وتعلم ما فى قلوبكم من الرضا والسخط وغير ذلك وكان
الله عليما بمصالح العباد حليما على جهلهم لا يعاقبهم بكل ذنب قوله تعالى
لا يحل لك النساء من بعد قال قتاده وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما
خيّر نساءه فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن فقصره الله عليهن وحرم عليه

سواهن

سواهن وكن يومئذ تسعا عائشه وحفصه وزينب وام سلمه وام حبيبه وصفيه
وميمونه وجويريه ومعنى الاية لا يحل لك من النساء سوى هؤلاء اللاتى
اخترنك ولست لك ان تطلق واحدة منهن وتزوج بدلها وقوله الا ما ملكت يمينك يعنى
ماريه القبطيه وغيرها من السبايا وقوله تعالى وكان الله على كل شى رقيبا اى حفيظا
وعن عائشه رضى الله عنها انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى حلت له النساء وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يوذن
لكم الى الطعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
الاية نزلت هذه الاية فى شان زينب بنت جحش اولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة
لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش اولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة
وبعثت الله امى ام سليم بحيس فى ثور من حجارة فامرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ادعو اصحابه الى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يدخلون فياكلون ويخرجون
ثم يجى قوم اخرون فياكلون ويخرجون فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على
الطعام ودعا فيه فاكلوا حتى شبعوا وخرجوا وبقى طائفه منهم لم يخرجوا فاطال
صلى الله عليه وسلم اربعوا طعامكم فرفعوا وخرج النبى صلى الله عليه وسلم وتبعه
اولئك النفر حتى دخل البيت فاطالوا المكث فاتى فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكى يخرجوا فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع بيوت ازواجه ثم رجع واذا
القوم جلوس يتحدثون فى بيته وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فامر
الله هذه الاية قال انس فانا انزلت اية الحجاب حجب لا ادخل كما كنت فقال صلى
الله عليه وسلم ورحمة الله تعالى يا انس ومعنى الاية لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يوذن
لكم اى الا ان تدعوا الى الضيافه او يوذن لكم فى الدخول من غير ان تحتبسوا وقت
الطعام وتشاهدوا تهيئه ذلك الوقت بعينه والانتظار لنضوج الطعام ونضجه
والمعنى غير ناظرين اى منتظرين نضجه واداركه تعالى انى بانى انا اذا احال اوانه
وكانوا ياكلون بغته فيحلسون منتظرين ادراك الطعام فنهوا عن ذلك قوله تعالى
ولكن اذا دعيتم الى الطعام فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا اى فيه قوله ولا تحلسوا
مستانسين لحديث بعد ان ياكلوا ان طول مقامكم فى منزل النبى يشق عليه
كان يوذى النبى صلى الله عليه وسلم فيستحى منكم ان يامركم فالحق وح والله عز وجل
لا يستحى من الحق اى لا يمنع عن بيان ما هو الحق استحياء منكم وان كان رسول
يعاد لك قوله تعالى واذا سالتموهن متاعا فسالوهن من وراء حجاب اى اذ

اذا سالتم ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم متاعا الدت فاسالوهن من وراء
الباب والستر قال مقاتل امر الله المومنين ان لا يكلموا نساء النبي صلى الله عليه و
الامر وراء حجاب وعن امر رضي الله عنه قال قال عمر يا رسول الله انه يدخل عليك البر
والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فانزل الله اية الحجاب وعن عايشه
رضي الله عنها قالت كان عمر يقول يا رسول الله احجب نساءك فلم يفعل حتى بزل هذه
الاية وعن عامر رضي الله عنه قال امر عمر رضي الله عنه على نساء النبي صلى الله عليه و
فقال لهن احجبن فان لكن على النساء فضلا كما ان لرؤسكن على الرجال فضلا
فلما توفي الامير احببن ان يزل الله الحجاب وعن مسعود رضي الله عنه قال امر عمر
بن الخطاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقال رجل يا بن الخطاب ايدخل
علينا والوحي ينزل في بيوتنا وقال انس كنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه و
بعد ان نزل فحبب يوما لا ادخل فقال كان ناسا قد جدوا بعدك ان لا يدخل علينا الا
باذن وعن شعبل بن حكم في قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستانسين لحديث
قال هذا ادب ادب الله به الثقلاء وقالت عايشه رضي الله عنها حسبك
من الثقلاء ان الله لم يحسمهم فقال فاذا طعمتم فانتشروا قوله تعالى ذلكم
اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اسوا لكم اياهن المشاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلو
من الريبة وهذا الحكم في الحجاب وان نزل في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى عام
فيه وفي غيره وحرامون باتباعه والاقتداء به الا فيما خصه الله به دون امته
قوله تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول الله اي ليس لكم ان توذوه بالدخول في منزله
بغير اذنه ولا بالحديث مع ازواجه ولا بشيء من الاشياء ولا يحل لكم ذلك قوله تعالى ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في طلحة بن عبيد الله وقال انها كم نساء محمد صلى الله
عليه وسلم ان يدخل على نسائنا اعم امنا يعني عايشه وهما من بني تيم ابن مرة فلان مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاحي لا يزوجن عايشه فحرم الله ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم على عامة الناس وجعلهن كامهاتهم في الاكرام والتحريم وقوله تعالى ان ذلكم
كان عند الله عظيما اي ان الذي قلتم وتنيتم من بزوج ازواجه بعد موته كان عند الله
عظيما في الوزر والعقوبة قوله تعالى ان تبدوا شيئا او تخفوه اي ان تظهروا قولا او
تضمروه فان الله عالم بالظواهر والبواطن والصغاير وقيل معناه ان تظهروا شيئا او من امر هن
يعني طلحة قوله تعالى او تخفوه اي تسرونه في انفسكم وذلك ان نفسه حدثته بتزوج عايشه
وقوله تعالى فان الله كان بكل شيء عليما اي عليم بكل شيء من السر والعلانية فلما نزلت

اية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله ونحن ايضا كلهن من وراء حجاب
فانزل الله قوله تعالى لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ه الاية اي لا حرج
عليهن في ادن آبائهن بالدخول عليهن وفي ادن الابناء والاخوان وابناء الاخوان
وابناء الاخوات فان قيل فهلا ذكر الاعمام والاخوال قيل ان العم والخال يريان
يعني الوالدين في الزينة وكان ذكر الآباء يضمر بإذن حكم الاعمام والاخوال وقيل
انما لم يذكر الاعمام والاخوال لكيلا يدخل ابناؤهما ولا يطمعان فيهن قوله تعالى
ولا نسائهن قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نساء المؤمنين لان نساء اليهود والنصارى
يصفن لازواجهن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رأينهن وقوله تعالى
ولا ما ملكت ايمانهن ه يعني العبد والاماء وقيل حمله على الاماء اولى لان الحر
والعبد لخلقان فما سامح لهما من النظر فلا يجوز للمالغ من العبيد ان ينظروا
الى شيء منهن قوله تعالى واتقين الله اي واتقين الله ان تزاكين غير هولا
وقيل اتقين الله في الاذن لغير المحارم في الدخول عليكن ه ان الله كان على كل
من اعمال العباد سهيدا لم يغب عنه شيء قوله تعالى ان الله وملئكته يصلون على
النبي ه معناه ان الله يترحم على النبي ويثني عليه وقوله وملئكته اي والملئكة يدعون له
بالرحمة وقوله تعالى يصلون الصلوة قد يعود على الملئكة دون اسم الله تعالى
لان الله عز وجل تفرد بذكره عن ذكر غيره اعظاما كما تقدم في قوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وقرا ابن عباس وملئكته بالرفع عطفا على محل قوله الله فان محل
ان ونظيره ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقد مضى ذلك وقيل معنى قوله
وملئكته يصلون اي يصلون وترحمون ويدعون له قال مقاتل اما صلاة الله
فالمغفرة واما صلاة الملئكة فالاستغفار له وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما ه اي قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد وعلى ال محمد نوطيا واحلا الاول
وعن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الاية قيل يا رسول الله كيف نصلي عليك قال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد
وعن عبد الله بن مسعود انه قال اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة
عليه وانكم لا تدرون لعل ذلك تعرض عليه قالوا فعلمنا ذلك قال قولوا اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه
به الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم

انك حميد مجيد قوله تعالى وسلموا تسليما يجوز ان يكون معناه واخضعوا لامره
خضوعا ويجوز ان يكون معناه الدعا بالسلام تقول السلام عليك يا رسول الله
وعن الحسن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل رسول الله عرفنا السلام عليك
فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى ال
محمد كما صليت وباركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد والافضل في هذا
الباب ان يصلي على محمد وعلى اله فيقول اللهم صل على محمد وعلى ال محمد فان اقتصر
على احدهما جاز واختلفوا في كيفية وجوب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال بعضهم يجب في العمر مرة واحدة بمنزلة الشهادتين والى هذا ذهب الكرخي
قال اذا صلى عليه في عمره مرة واحدة فقد ادى فرضه الا ان المستحب لكل مسلم ان
يكثر من الصلوة عليه في مقابلة حقه في الدين علينا كما يلزم المرء الدعا لابويه
المومنين ليقضي بذلك الدعا حقهما عليه وقال بعضهم يجب عليه في كل مجلس مرة بمنزلة
سجدة التلاوة وقال الطحاوي يجب عليه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
كلما ذكر واستدل بما روي ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم من ذكرت
عنده فلم يصل عليك فلا غفر الله له وقال الشافعي رضي الله عنه الصلوة عليه فرض
في كل صلوة وهذا قول لم يقل به احد غيره كذا في تفسير عبد الصمد قوله تعالى
ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ۝ قال
المفسرون هم المشركون واليهود والنصارى وصفوا الله بالولد فقال عزير ابن الله
والمسيح ابن الله والملئكة بنات الله وكذبوا رسوله وسخروا وجهه وكسروا رباعيته
وقالوا مجنون وساحر كذاب قال صلى الله عليه وسلم ما من احد اصبر على اذى
يسمعه من الله تعالى جعلوا له ندا وجعلوا له ولدا وهو مع ذلك يعافيهم ويعطيهم
ويرزقهم وكذلك ايضا قالت اليهود يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ومعنى
يوذون الله اي يخالفون امر الله ويعصونه ويصفونه بما هو منزه عنه والله
تعالى لا يلحقه اذى وقوله تعالى لعنهم الله اي باعدهم الله يعني بالقتل والجلاء
في الدنيا والعذاب بالنار في الاخرة وهو قوله تعالى ۝ واعد لهم عذابا مهينا اي
ذي هوان قوله تعالى والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا اي
يرمونهم بما ليس فيهم قال قتادة والحسن واياكم وايذا المومنين فان الله يغضب
له ويوذي من اذاه وعن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه
فقال رايت الليلة عجبا رايت رجالا معلقون بالسنتهم فقلت من هولا يا جبريل فقال
هولا الذين يرمون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا وقوله تعالى فقد احتملوا

بهتانا واثما مبينا اي فقد قالوا كذبا وجنوا على انفسهم وزرا وعقوبة قوله
تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونسا المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن
اي قل لنسائك وبناتك والحرائر من النسا يلقين على روسهن وجباههن من جلابيبهن
والجلبات هو المقنعة التي تستر بها المراة ما يظهر من العنق والصدر وهي الملاة
التي تستمل بها المراة قال المفسرون يغطين روسهن ووجوههن الا عينا واحدة
وظاهر الاية يقتضي ان يكن مامورات بالستر التام عند الخروج الى الطرق فعليهن
ان يستترن الا بمقدار ما يعرفن به الطريق وقوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين
معناه ذلك اقرب ان يعرفن الحرائر من الاما فلا يوذين الحرائر لان الناس كانوا يومئذ يمازحون
الاما ولا يمازحون الحرائر وكان المنافقون يمازحون الحرائر فاذا قيل لهم في ذلك
قالوا حسبناهن اما فامر الله الحرائر بهذا النوع من الستر قطعا لاعذار المنافقين
وعن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب الاما ويقول اكشفن روسكن ولا تتشبهن
بالحرائر ومرت جارية بعمر رضي الله عنه متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين
بالحرائر الفي القناع ويقال في معنى ذلك ادنى ان يعرفن اي اقرب الى ان يعرفن بالستر
والصلاح فيئس منهن فساق الرجال فلا يطمعون فيهن كطمعهم فيمن يتبرج ويتكشف
قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض اي لان لم ينته المنافقون عن
نفاقهم والذين في قلوبهم مرض يعني الفجور وهم الزناة وضعفا الدين عن اذى المومنين
والمرجفون في المدينة وهم قوم كانوا يوقعون الاخبار بما يكره المومنون يقولون
قد اتاكم العدو ويقولون لسراياهم انهم قتلوا وهزموا يخوفون المومنين بذلك لئن
لم ينتهوا عن هذه الافعال القبيحة لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم ونامرك بقتلهم
حتى تقتلهم وتجلا عنهم المدينة وهو قوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي
في المدينة والمعنى لا يساكنوك في المدينة الا يسيرا حتى يهلكوا ملعونين مطرودين مبعدين
عن الرحمة اينما ثقفوا اي اينما وجدوا وادركوا قوله تعالى ملعونين نصب على الحال
وقيل على الذم وتقدير النصب على الحال لا يجاورونك الا وهم ملعونين مطرودون
مخذولون وقوله تعالى اخذوا وقتلوا تقتيلا اي اخذوا وقتلوا مرة بعد مرة لانه
اذا ظهر امر المنافقين كانوا بمنزلة الكفار ومن حق الكفار ان يقتلوا حيث يوجدون قال
قتادة اراد المنافقون ان يظهروا ما في قلوبهم من النفاق ما وعدهم الله في هذه الاية
فكتموه قوله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اراد بالسنة الطريقة التي امر الله بلزومها
واتباعها وقد كانت هذه السنة في الامم الماضية لما اذى المنافقون انبياهم
امر الله انبياه بقتالهم قال الزجاج سن الله في الذين ينافقون الانبيا ويرجفون بهم

ان يقتلوا حيث ما ثقفوا فلا يبدل الله سنته فيهم وهو قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا
اي هكذا سنة الله فيهم اذا اظهروا النفاق وقوله تعالى يسالك الناس عن الساعة
قال الكلبي سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة وعن قيامها فقال الله تعالى
قل انما علمها عند الله اي قل لهم يا محمد انما العلم بوقت قيامها عند الله لا يطلع
احدا عليها وقوله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اي اي شي يعلمك امر
الساعة ومتى تكون قيامها اي انت لا تعرفه ثم قال لعل الساعة تكون قريبا وما
بعد هذه الاية ظاهر المعنى قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار اي تقلب وجوه
الكفار ظهرا لبطن وقيل تقلب الى السواد وقيل تقلب الاقفية وقرا ابو جعفر تقلب
بفتح التاء بمعنى تتقلب وقرا عيسى ابن عمر نقلب بالنون وكسر اللام وجوههم بالنصب
وقوله تعالى يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول في الدنيا وقالوا ربنا انا
اطعنا سادتنا وكبرانا فاضلونا السبيل اي صرفونا عن الدين وعن سبيل الهدى
قرا الحسن وبن عامر ويعقوب ساداتنا بالالف وكسر التاء على جمع الجمع قوله تعالى
ربنا اتهم ضعفين من العذاب اي عذبهم مثلي عذابنا فيكون ضعف على كفرهم
وضعف على دعائهم لنا الى الضلال وقوله تعالى والعنهم لعنا كبيرا قرا عاصم
كبيرا بالباء اي عظيما وقرا الباقون بالثاء من الكثرة وانما اختاروا الكثرة لقوله
ويلعنهم اللاعنون وقوله تعالى عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فهذا
يشهد للكثرة حدثنا محمد بن الحسن العسقلاني قال سمعت محمد بن السري يقول
رايت في المنام كاني في مسجد عسقلان وكان رجلا يناظرني ويقول والعنهم
لعنا كبيرا وانا اقول كثيرا واذا بالنبي صلى الله عليه وسلم قد دخل علينا المسجد وكان
في وسط المسجد منارة لها باب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقصدها فقلت هذا
النبي صلى الله عليه وسلم فقلت السلام عليك يا رسول الله استغفر لي فامسك عني
فجئته عن يمينه فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقمت من تلقاء صدره
ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك ما سالت شيئا قط فقال
لا فتبسم عليه السلام ثم قال اللهم اغفر له فقلت يا رسول الله اني وهذا نتكلم
في قوله تعالى والعنهم لعنا كثيرا فانا اقول كثيرا وهذا يقول كبيرا قال فدخل
النبي صلى الله عليه وسلم المنارة وهو يقول كثيرا كثيرا يا ليتنا الى ان غاب
عني صوته قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما
قالوا اي لا تكونوا في اذى محمد صلى الله عليه وسلم كبني اسرائيل الذين اذوا موسى
بعيب اضافوه اليه فبراه الله مما قالوا عليه وكان عند الله وجيها اي رفيع القدر

والمنزلة

والمنزلة واختلفوا في العيب الذي اضافه بنو اسرائيل الى موسى قال بعضهم كان هرون
احب الى بني اسرائيل من موسى لزيادة رفقه بهم فلما مات هرون في حال غيبتهما عنهم
قالوا ان موسى قتله ليخلص له النبوة فاحياه الله تعالى حتى كذبهم وقال بعضهم
كان اذاهم له انهم رموه بالادرة لكن حياته واستتاره عن الناس وكانت
بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده
فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب يغتسل مرة
فوضع ثوبه على حجر فذهب الحجر بثوبه فخرج موسى من الماء في اثر الحجر يقول ثوبي يا حجر
ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوأة عليه السلام فقالوا والله ما به
باس فقام الحجر بعد ما نظروا اليه واخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان
بالحجر ندبا ستة او سبعة من ضرب موسى رواه مسلم في الصحيح قوله تعالى وكان عند الله
وجيها اي حظيا لا يساله شيئا الا اعطاه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا اي اتقوا عذاب الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه
وقولوا قولا مستقيما وقال ابن عباس صوابا وقال الحسن صادقا يعني كلمة التوحيد لا اله الا
الله وقوله تعالى يصلح لكم اعمالكم قال بن عباس معناه يتقبل حسناتكم ويغفر لكم ذنوبكم
بسداد قولكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما اي فقد نال الخير كله وظفر به
والفوز العظيم هو الظفر بالكرامة والرضوان من الله تعالى قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال معناه انا عرضنا الامانة التي هي الشرائع والفرائض
التي يتعلق بادائها الثواب وبتركها العقاب قال بن عباس عرضت الامانة السموات
السبع التي زينت بالنجوم وحملت العرش العظيم فقيل لهذا تاخذن الامانة بما فيها قلن
وما فيها قيل ان احسنتن جزيتن وان اسأتن عوقبتن قلن لا ثم عرضت الامانة على الجبال
الصم الشوامخ الصلاب البواذخ فابين ان يحملنها واشفقن منها قال بن جريج
قالت السماء يا رب خلقتني وجعلتني سقفا محفوظا واجريت في الشمس والقمر والنجوم
لا اعمل فريضة ولا ابتغي ثوابا ولا عقابا وقالت الارض يا رب جعلتني بساطا ومهادا
وشققت في الانهار وانبت في الاشجار لا احمل فريضة ولا ولا ابتغي ثوابا ولا
عقابا ومعنى قوله فابين ان يحملنها اي مخافة وخشية لا معصية ولا مخالفة
والعرض كان تخييرا لا الزاما قوله واشفقن منها اي من حقن من الامانة ان لا
توفيها فيلحقهن العقاب فابوا ذلك تعظيما لدين الله وخوفا ان لا يقوموا به وقالوا
نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا يعني وحملها ادم عليه السلام قال الله له يا ادم اني عرضت الامانة على السموات

والارض والجبال فابين ان يحملنها ولم يطقنها فهل انت آخذها بما فيها قال يا رب
وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فتحملها ادم وقال حملتها
بين اذني وعاتقي قال ابن عباس عرض الله على ادم اداء الصلوات الخمس في مواقيتها
واداء الزكوة عند محلها وصيام رمضان وحج البيت على ان له الثواب
وعليه العقاب فقال بين اذني وعاتقي وقال مقاتل قال الله تعالى
لادم اتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها فقال ادم وما لي عندك قال
ان احسنت واطعت ورعيت الامانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة
وان عصيت واسات فاني معذبك ومعاقبك قال قد رضيت يا رب وتحملتها
فقال الله عز وجل قد حملتكها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا قال الكلبي ظلمه حين عصى ربه واخرج من الجنة وجهله حيث تحملها
وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا يعاقبه ما تحمل وقال مجاهد لما خلق الله السموات
والارض والجبال عرضت الامانة عليها فلم تقبلها فلما خلق الله ادم عرضها عليه
فقال قد تحملتها يا رب قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج
من الجنة الا قدر ما بين العصر والظهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله
قال لادم اني عرضت الامانة على السموات والارض فهل تطيقها فهل انت حاملها
بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان حفظتها اجرت وان ضيعتها عوقبت قال قد
تحملتها فما بقي في الجنة الا كقدر ما بين الظهر والعصر حتى خرج منها وقال زيد بن اسلم
الامانة هي الصوم والغسل من الجنابة وقال بعضهم هي امانات الناس والوفا
بالعهود فحق على كل مومن ان لا يغش مسلما في شي لا قليل ولا كثير وقال بعضهم
السدي هي ايتمان ادم ابنه قابيل على اهله وولده وذلك ان ادم عليه السلام
لما اراد ان يحج الى مكة قال سما احفظي اولادي بالامانة فابت وقال للارض كذلك
فابت وقال للجبال كذلك فابت ثم قال لابنه قابيل احفظهم بالامانة قال نعم
يذهب ويرجع فيجد اهلك كما يسرك فانطلق ادم ورجع وقد قتل قابيل هابيل
فذلك قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل
امانة ابيه ثم لم يحفظها قوله تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات
اي ليعذبهم الله بما خانوا الامانة وكذبوا الرسل ونقضوا الميثاق الذي اقروا به
حين اخرجوا من ظهر ادم قال الحسن هولاء الذين خانوها وهم الذين ظلموها
وقوله تعالى ويتوب الله على المومنين والمومنات لانهم ادوا الامانة وهي الفرايض
وقيل معنى الاية انا عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله

ويظهر

ويظهر ايمان المومنين فيتوب الله عليهم اي يعود عليهم بالمغفرة والرحمة ان حصل منهم
تقصير في بعض الطاعات ولذلك ذكر بلفظ التوبة فدل على ان المومن العاصي خارج من
العذاب ۝ وكان الله غفورا رحيما للمومنين اذا تابوا رحيما بمن مات على التوبة ۝

سورة سبا مكية

وهي الف وخمسمائة واثنى عشر حرفا وثمان مائة
وثلثون كلمة وخمس وخمسون اية قال صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق
نبي ولا رسول الا كان يوم القيمة له رفيقا ومصافحا ۝

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له
ما في السموات وما في الارض الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم وقوله تعالى له ما
في السموات وما في الارض يعني له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وله الحمد
في الاخرة اي يحمده اهل الاخرة على دوام نعمه عليهم كما يحمده اهل الدنيا ولكن الحمد
في الدنيا تعبد وفي الاخرة شكر على سبيل السرور لانه لا يكلف في الاخرة يقول
اهل الاخرة الحمد لله الذي صدقنا وعده والحمد لله الذي هدانا لهذا والحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن والنعم في الدارين كلها منه قوله تعالى وهو الحكيم الخبير
اي الحكيم في افعاله الخبير باحوال عباده وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج
منها اي يعلم ما يدخل في الارض ويغيب فيها من المطر والحيوانات الميتة ويعلم
ما يخرج منها من انواع النبات والزروع وغير ذلك مما لا يعلمه الا هو ويعلم ما ينزل
من السما من الامطار التي هي سبب ارزاق العباد ويعلم ما يعرج في السما اي من
يصعد فيها من الملئكة الحفظة لديوان العباد وما يرتفع فيها من الرياح والحر
والبرد ويعلم ما يصعد فيها من اعمال العباد يقال عرج يعرج اذا صعد وعرج
يعرج اذا صار اعرج وقوله تعالى وهو الرحيم الغفور اي الرحيم بعباده الغفور
لمن استحق المغفرة قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة اي قال الكفار لا
تاتينا القيمة قل لهم يا محمد بلى وربي لتاتينكم على ما اخبر الله تعالى عالم الغيب قرا
حمزة والكسائي علام الغيب بخفض الميم على وزن فعال على المبالغة كقوله علام
الغيوب وقرا نافع وابن عامر عالم برفع الميم على تقدير هو عالم وقرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم بالغيب عالم بالكسر نعت لقوله وربي قوله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة
اي لا يغيب عنه ولا يبعد عليه معرفة وزن ذرة في السموات ولا في الارض
وخص الذرة بالذكر لانها اصغر شي يدخل في اوهام البشر وهذا مثل لانه سبحانه وتعالى
لا يخفى عليه ما هو دون الذرة والمعنى الله يعلم كل شي دق او جل قوله تعالى ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الكتاب المبين في هذه الاية هو اللوح المحفوظ وقوله

ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات معناه لتاسكم الساعة ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات على اعمالهم بالمغفرة والرزق الكريم اى الثواب الحسن فى الجنة ٥ وقوله تعالى
والذين سعوا فى اياتنا معاجزين ٥ اى سعوا فيها بعد ظهورها وضوحها بالتكذيب
لها والجحود لها مقدرين انهم يسبقونا ويعاجزون الرسول صلى الله عليه وسلم
اولئك لهم عذاب من رجز اليم ٥ من عذاب مولم والرجز اسوا العذاب وارادة اللهم
بالرفع على نعت العذاب وقرأ الباقون بالخفض على نعت الرجز قوله تعالى
ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد ٥
اول هذه الاية عطف على قوله ليجزي اى ولكى يعلم الذين اوتوا الكتاب العلم الذى
انزل اليك من ربك وهو القرآن وانه يهدى الى صراط العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن بالحميد
لمن وحده اى يهدى الى دين الله وقوله تعالى الذين اوتوا العلم يعنى مومنى اهل
الكتاب وقال قتادة يعنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله هو الحق اعاد جل
وعز هذا الموضع للفصل عند البصريين ولسماد لك عمادا ولا بد حل العماد الا الى
المعرفة ق ل الساعة ٥ لتاتينكم وهو الرجع على المعنى ٥ والسبب كان للذين الاولى
قوله تعالى ٥ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد ٥
اى قال الكفار على وجه التعجب والانكار اى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم انكم تبعثون بعد ان تكونوا عظاما ورفاتا وترابا
وذلك قوله تعالى ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد اى تقول لكم اذا بليتم
وتقطعت اجسامكم وتمزقت اشلاؤكم تعودون وقوله تعالى كل ممزق اى
اذا تفرقتم فى الارض وتخرقت العظام والجلود كل تفريق انكم لفى خلق جديد اى تجددون
خلقكم بان تبعثوا وقوله تعالى ٥ افترى على الله كذبا ام به جنة اى قال الكفار
بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يزعم انكم تبعثون بعد ان تكونوا عظاما ورفاتا
ام به جنة ٥ اى جنون يقولون نراه مجنونا فيما يزعم انه رسول الله فكذبهم الله تعالى فقال
بل الذين لا يومنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد اى ليس الامر على ما قالوا امن
الافتراء والجنون كما زعموا لا هذا ولا ذاك ولكن الذين كذبوا لا يومنون بالبعث فى الاخرة
والخطا البعيد فى الدنيا قوله تعالى ٥ افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض ٥ معناه ان سمائنا محيطة بهم والارض حاملة لهم ٥ ان نشا نخسف بهم الارض
هذا ٥ او نسقط عليهم كسفا من السماء كما تخوفون هذا فيرندعون عن التكذيب يا ايانا
والمعنى ان الانسان حيث ما نظر راى السماء فوقه والارض قدامه وخلفه وعن
يمينه وعن شماله فكانه تعالى قال ان ارضى وسمائى محيطة بهم وانا القادر عليهم ان شئت

خسفت

وقرأ الكل خمط بالاضافة وقرأ الباقون بالتنوين والخمط شجر الاراك وقال الخمط كل نبت قد
اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو شجر ذات شوك قرأ ابو عمرو ويعقوب
اكل خمط بالاضافة وقرأ الباقون اكل بالتنوين وهما متقاربان فى المعنى وقوله تعالى
واثل الاثل ما عظم من شجر الطرفا وقوله تعالى وشئ من سدر قليل ٥ والسدر اذا
كان بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول كما يكون ورق السدر الذى ينبت
على الماء ومعنى قوله تعالى وشئ من سدر قليل يعنى ان الخمط والاثل كان اكثر فى
الحسن من السدر لتبدلتهم من السدر قال قتادة كان شجر القوم من خير الشجر فبدله
الله من شر الشجر باعمالهم والسدر هو شجر النبق قوله تعالى ذلك جزيناهم بما
كفروا ٥ اى جزيناهم ذلك التبديل والتخريب بكفرهم بنعم الله تعالى ٥ وهل نجازى الا الكفور ٥
هذه الخفيفة وتعجيل سلب النعمة الا الكفور ٥ اى الا الكافر المعاند وقيل معناه
ان المومن يكفر عنه ذنوبه بطاعاته والكافر يجازى على كل سوء يعمله وقال القراء
المومن يجزى ولا يجازى اى يجزى الثواب بعمله ولا يكافى بسيئاته قرأ اهل الكوفة
يجازى بالنون وكسر الزاى ونصب الكفور لقوله جزيناهم ولم يقل جزوا وقرأ
الآخرون يجازى بياء مضمومة ورفع الكفور وقوله تعالى لقد كان لسبا فى مسكنهم قرأ ابو جعفر
فهو اسم قبيلة فلهذا لم ينصرف ومن نونه وخفضه فهو اسم لرجل قوله تعالى
وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ٥ اى جعلنا بين اهل سبا ومن روى الارض
التى باركنا فيها وهى الارض المقدسة باركنا فيها بالماء والشجر يعنى قرى الشام ومصر
وقوله قرى ظاهرة اى قرى متقاربة متصلة اذا خرج الرجل من واحدة من القرى
ظهر له الاخرى فكانوا يخرجون فى سيرهم الى الشام الى زاد وكانت المياه تجتمع
ومعها مغارها وعلى راسها يكملها ثم ترك ساعة فلا يرجع بيتها حتى تمتلى مكتلها من
الثمار وكان ما بين اليمن وارض سبا الى تلك الصفة قوله تعالى وقدرنا فيها السير
اى جعلنا القرى متواصلة بقدر السير المتصل على قدر المقيل والمبيت فى قرية الى قريه
انعمنا عليهم فى مسيرهم كما انعمنا عليهم فى مساكنهم فقلنا لهم ٥ سيروا فيها ٥ ان شئتم
بالليالى والايام امنين عن الظمإ والجوع والعطش وعن جميع ما تخاف فى الطريق وقيل معنى
الآية وقدرنا فيها السير من القرية الى القرية مقدارا واحدا نصف يوم وقلنا لهم سيروا
فيها فى تلك القرى ٥ ليالى وايامها ٥ لياليا تسيرون السير او نهارا ٥ آمنين ٥ من الخوف
والعطش والسباع والتعسر من كل خوف ثم انهم بطروا النعمة وسالوا ان
يكون القرى والمنازل بعضها ابعد من بعض ٥ فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اى اجعل بيننا
وبين الشام فلوات ومفاوز لتوكف عليها الرواحل وتزود الا ان وادوا ذلك انهم قالوا لو

كانت ثمارنا ابعد مما في لكان اجدر ان نشتهيها فاجعل بين منازلنا وبين مقصدنا
المفاوز ويقال كانت هذه مسئلة تجارهم ليربحوا في اموالهم قرا ابن كثير وابو عمرو بعد
على وجه الدعا وقرا ابن الحنفية ويعقوب ربنا برفع الباء باعد بالف وفتح العين
والدال على الخبر استبعدوا اسفارهم بطرا منهم واشرا وقرا الباقون ربنا
بفتح الباء باعد بالالف وكسر العين وجزم الدال على الدعا وقد قرئ بعد بضم العين
وبين بالرفع اي بعد ما يتصل بسفرنا قوله تعالى وظلموا انفسهم يعني بترك الشكر والطاعة
وقيل بالكفر فجعلناهم احاديث لمن بعدهم يتحدثون بامرهم وشانهم ولم يبق منهم
ولا من ديارهم اثر وقوله تعالى ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في البلاد المختلفة
كل تفريق وذلك انهم شردوا في البلاد وصاروا بحيث تتمثل بهم العرب يقولون
تفرق القوم ايدي سبا وايادي سبا قال الشعبي اما غسان فلحقوا بالشام
واما الانصار فلحقوا بيثرب واما خزاعة فلحقوا بتهامة واما الازد فلحقوا بعمان
وكانت غسان ملوك الشام قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور
اي فيما فعل بسبا لآيات لعبرا ودلالات لكل صبار شكور عن معاصي الله شكور
لانعمه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين قرا
اهل الكوفة صدق بالتشديد اي ظن فيهم ظنا حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين
ولا تجد اكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك واتباعهم اياه وقرا الاخرون
صدق بالتخفيف اي صدق عليهم في ظنه بهم وقوله تعالى عليهم اي على اهل سبا
وقال مجاهد على الناس كلهم الا من اطاع الله عز وجل فاتبعوه الا فريقا من
المؤمنين وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقيل ان ابليس
لما وسوس الى آدم وعملت فيه وسوسته طمع في ذريته فقال انه مع فضله وعقله
عملت فيه وسوستي فكيف لا تعمل في ذريته فاخبر الله في هذه الآية ان القوم اتبعوه
فصدقوا ظنه الا طائفة من المؤمنين لم يتبعوه في شيء وقيل ان ابليس لما سال النظرة
فانظره الله تعالى قال لاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم ولم يكن في وقت هذه المقالة
مستيقنا وانما قاله ظنا منه فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم وقوله
تعالى وما كان له عليهم من سلطان اي ما كان لابليس عليهم من حجة ولا نفاذ امر الا بالتزين
والوسوسة وقوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك اي ما كان تسليطنا
اياه عليهم الا لنعلم المؤمنين من الشاكرين والمعنى ما سلطناه عليهم الا لنعلم ايمان
المؤمن ظاهرا وكفر الكافر ظاهرا وقد يذكر العلم ويراد به الاظهار وقوله تعالى
وربك على كل شيء حفيظ اي هو عالم بكل شيء من الايمان والشك وغير ذلك قوله

تعالى

١٢٦

تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
اي قل لكفار مكة ادعوا الذين زعمتم انهم آلهة من دون الله قال مقاتل اي ادعوهم
ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سنين الجوع وقيل معناه ادعوا الذين زعمتم
انهم آلهة لكم لكي يرزقوكم ويدفعوا عنكم الشدائد ثم بين انهم لا يملكون مثقال
ذرة اي لم يخلقوا زنة ذرة في السموات ولا في الارض فمن اين يستحقون العبادة
وقوله تعالى وما لهم فيهما من شرك اي ما لهم في السموات والارض من شرك
في خلقهما وقوله تعالى وما له منهم من ظهير اي وما لله تعالى منهم من معين
فيما خلق وقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له اي لا تنفع
الشفاعة ملك مقرب ولا نبي ولا احد حتى ياذن الله له في الشفاعة وهذا
تكذيب من الله لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
وخلف اذن بضم الالف وقرا غيرهم بالفتح فمن فتح كان المعنى لمن اذن الله له في
الشفاعة وكذلك من قرا بالضم لان الاذن هو الله تعالى في القراءتين جميعا قوله تعالى
حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
قرا ابن عامر ويعقوب فزع بفتح الفاء والزاي وقرا غيرهما بضم الفاء وكسر الزاي
والمعنى حتى اذا كشف الفزع والجزع عن قلوبهم ومن قرا بالفتح فالمعنى حتى اذا
كشف الله الفزع عن قلوبهم واختلفوا في هذه الكناية والموصوفين بهذه الصفة
من هم وما السبب الذي من اجله فزع عن قلوبهم فقال قوم هم الملائكة واختلفوا
في سبب ذلك فقال بعضهم انما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله
عز وجل قال عبد الله بن مسعود اذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع اهل السماء صلصلة
مثل صلصلة السلسلة على الصفوان فيصعقون لذلك ويخرون سجدا فاذا
علموا انه وحي فزع عن قلوبهم فيرد اليهم فينادي اهل السموات بعضهم بعضا ماذا
قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله تعالى اذا تكلم بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاء
فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل فيقولون له ماذا قال ربك قال
يقول الحق وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضوعا كقوله كانه سلسلة
على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وقال صلى الله عليه وسلم
اذا تكلم الوحي اخذت السموات منه رجفة او رعدة شديدة خوفا من الله تعالى
فاذا سمع ذلك اهل السموات صعقوا وخروا سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل

عليه السلام فكلمه الله من وجهه بما اراد ثم مر جبريل بالملئكة فكلما سألته
ملئكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقول
مثل ما قال لجبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث امره الله وقال مقاتل والكلبي لما كلم الله موسى
بن عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة عام فلما بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم كلم الله تعالى جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فسمعت
الملئكة الصوت بالوحي وظنوا انها القيمة فامر فصعقوا انما سمعوا فلما انجلى
جبريل بالرسالة جعل اهل كل سماء يسألونه على وجه التعرف لجدما انكشف الفزع
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قال الحق وقال لما سمع الملئكة
الوحي صعقوا فخروا سجدا ظانين انها القيمة فلما نزل جبريل بالوحي انكشف فزعهم
ورفعوا رؤسهم وقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير
اي الغالب القاهر السيد المطاع الكبير العظيم فلا شئ اعظم منه وقرا الحسن حتى اذا
فزع عن قلوبهم بالخاء المعجمة والزاء يعني فرغت قلوبهم من الفزع وذهب عنها المفسرين
الى ان قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم راجع الى المشركين فانهم اذا شاهدوا اهوال
يوم القيمة غشي عليهم فجبريل الله ذلك عن قلوبهم لم يقولوا لهم الملئكة ماذا قال ربكم
في الدنيا فيقولون الحق فقوا حين لا ينفعهم الاقرار قوله تعالى ه قل من يرزقكم
من السموات والارض قل الله اي قل يا محمد لكفار مكة من يرزقكم من السموات
المطر ومن الارض النبات والثمر وانما امر بهذا السؤال احتجاجا عليهم لان الذي يرزق
هو المستحق للعبادة لا غير وذلك انه اذا استفهمهم عن المرزق لم يمكنهم ان ينسبوا رازقا
غير الله فيتحيروا في الجواب فيقول لهم ان الذي
يرزقكم هو الله عز وجل وتم الكلام ثم امر ان يحاجهم على الضلال بعبادة غير الله
تعالى لقوله تعالى ن وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ه وهذا على
وجه الانصاف في المحاجة لا شمالة قلوبهم كما يقول القائل من الناس على احد فريقين كلانا
وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب وهو المعنى ما خوطبوا به الا على امر واحد احد الفريقين
منهم وهو الاخر ضال فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه على الهدى ومن خالفه
في ضلال مبين قوله تعالى ه قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون
اي قل يا محمد للكفار لا تؤاخذون بجرمنا ولا نؤاخذ بجرمكم فانظروا لانفسكم واعلموا ان
حرصنا على ايمانكم لانفسكم وهذا على وجه النبوي منهم ومن كفرهم قوله تعالى
قل يجمع بيننا ربنا يعني بعد البعث في الاخرة ثم يفتح بيننا بالحق ه اي يقضي
بيننا ويحكم بيننا بالعدل ه وهو الفتاح العليم اي وهو القاضي الحليم عما يقضي فيه

تعالى

كل سما

تعالى قل ارونى الذين الحقتم به شركاء كلا ه اى قل لهم ارونى الذين الحقتموهم
بالله تعالى وجعلتموهم شركاء الله في العبادة هل لهم قدرة على الخلق والامر
وهل يرزقون ويخلقون وقوله تعالى كلا ردع وزجر اى ارتدعوا عما انتم
فانه جهل فانكم لا تقدرون ان تجعلوا لله شريكا ه بل هو الله العزيز الحكيم
اى المنيع الغالب الذي لكمال حلمه وتدبيره خلقه فانى تكون له شريك في ملكه
وقيل معناه قل ارونى الذين الحقتموهم بالله في العبادة معه شركاء هل يرزقون
ويخلقون كلا لا يرزقون ولا يخلقون بل الذي يخلق ويرزق هو الله العزيز في ملكه
الحكيم في امره وقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الى ما ارسلناك
الا لتعم الناس كافة اى كلهم احمرهم واسودهم وقيل معناه الا امانعا للناس من
الكفر والضلال والكف على هذا المنع ادخلت الهاء هنا للمبالغة كالراوية
والعلامة بشيرا لمن اطاع الله ونذيرا اى ومحوفا للمذنبين كونه ه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ه يعني كفار مكة لا يتدبرون القرآن فيوحدوا ويعلموا انه الحق
ويقولون متى هذا الوعد اى يقولون الكفار متى هذا الوعد الذي تخوفنا
به من البعث والعذاب ان كنتم صادقين في مقالتكم ه قل لكم ميعاد يوم اى قل
لبعثكم وعذابكم ميقات يوم لا يتأخر عن وقت الوعد ولا يتقدم وهو يوم القيمة ه
قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اى قال الكفار
لن نؤمن بصدق بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من امر الاخرة والبشارة الناسه وقيل معنى
ولا بالذي بين يديه يعني التوراة والانجيل وذلك انه لما قال مؤمنو اهل الكتاب لصفة
محمد صلى الله عليه وسلم في كتابنا وهو نبي مبعوث كفروا اهل مكة بكتابهم وقوله تعالى
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اى ولو ترى يا محمد مشركي مكة محبوسون في المحشر
للحساب يوم القيمة يتجاوبون فيما بينهم يرد بعضهم على بعض القول في الجدال ويحمل كل
واحد منهم الذنب على صاحبه فيقول الاتباع لرؤسائهم ه لولا انتم ودعاؤكم اياانا الى الكفر
لكنا مؤمنين ه فيجيبهم الرؤساء بل انتم صددتمونا عن الايمان فاجابهم ورد عليهم قولهم
الانكار ه بل صدتكم اى منعناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ه اى كسابين لكم الكفر على الايمان
فقال الاتباع للرؤساء بل مكر الليل والنهار اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا
قال الاخفش الليل والنهار لا يمكران انما جاء وانما يمكر فيهما وهذا كقوله بل مكركم
الليل والنهار اذ تامروننا اي مكركم في الليل والنهار اذ تامروننا
وذلك ان يقال فلان نهاره صائم وليله قائم وقال الشاعر
وما ليل المطي بنائم ه وصله قوله تعالى فاذا عزم الامر وقيل مكر الليل والنهار هم

هو ٩

طول السلامة فيما كقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم قوله تعالى واسروا
الندامة لما راوا العذاب اى اضمروها فى انفسهم لان موضع الندامة القلب وقيل
اظهروها فيما بينهم اقبل بعضهم يوم بعضا ويعرف بعضهم بعضا الندامة وهذا من
الغاط الاضداد يقال اسر اذا كتم واسر اذا اظهر وقوله تعالى وجعلنا الاغلال
فى اعناق الذين كفروا اى غللنا اعناقهم الى اعناقهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
من الشرك فى الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها اى ما ارسلنا
فى اهل قرية من رسول الا قال رؤساؤها واغنياؤها واولوا النعمة فيها انا بما ارسلتم به
من الايمان والتوحيد كفرون وقالوا للرسل نحن اكثر اموالا واولادا ۝ فكما قطعنا
عليكم فى الدنيا الرغيب ندوبنا فى الاخرة اقطع مركوا مكم على رسول الله هلى والمؤمنين
باموالهم واولادهم وظنوا ان الله انما حوهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا
وما نحن بمعذبين اى ان الله احسن الينا بالمال والولد فلا يعذبنا فقوله تعالى فيقال
الله لنبيه عليه السلام قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعنى ان بسط الرزق
وتضييقه من الله تعالى ليفعله ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا
يدل التضييق على سخطه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعنى اهل مكة لا يعلمون حين ظنوا ان
اموالهم واولادهم دليل على كرامة الله لهم قوله تعالى ۝ وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم
عندنا زلفى اى لستم بالتى تقربكم عندنا زلفى اى بالتى يقربكم
الى الثواب والكرامة قربة وصل محله ما التى تقربكم عندنا زلفى قربى وقال الاخفش
زلفى اسم المصدر كانه اراد بالتى تقربكم عندنا تقريبا الا من امن وعمل صالحا فاولئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا اى بالحسنة عشر امثالها وهو قوله تعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وقوله تعالى وهم فى الغرفات امنون ۝ يعنى الجنة
بكل امن وكل روح والغرفة هى البيوت فوق الابنية واحدها غرفة وهم فى الغرفة على الواحد
لغرفة اولئك يجزون الغرفة وهو الباقون فى الغرفات على الجمع لقوله لنبوئنهم من
الجنة غرفا وقوله تعالى فاولئك هم جزاء الضعف بالرفع بعدى
فاولئك لهم الضعف خبرا على المقدم والمؤخر ۝ قوله تعالى والذين
يسعون فى اياتنا معاجزين اى يسعون فى دلائل التوحيد والنبوة معاندين يحسبون
انهم يفوتوننا ويعجزوننا اولئك فى العذاب محضرون اى محبوسون وقوله
تعالى قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ۝ قد تقدم تفسيره وقوله تعالى
ما انفقتم من شىء فهو يخلفه ۝ اى ما انفقتم من مال فى حق اسراف ولا تفتير فهو يخلفه فى

الدنيا

بالعوض وفى الاخرة بالحسنات والدرجات وقوله تعالى فهو يخلفه لكم او عليه يقال
اخلف الله له وعليه اذا ابدل الله له ما ذهب عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من فقه الرجل قصده فى معيشته وقال الكلبى معناه وما انفقتم فى الخير والبر
فهو يخلفه اما ان يعجله فى الدنيا واما ان يدخره له فى الاخرة وعن سعد بن بشار قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان احدهما
يقول اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ۝ وقوله
تعالى ۝ وهو خير الرازقين وهو اى خير المخلفين وانما قال خير الرازقين
لانه قد يقال لغير السلطان الجيد قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا يعنى المشركين
ثم نقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون هذا سفههم وتوبيخ للعابدين
كقوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فنزههم
ربهم عن الشرك وقالوا سبحانك ۝ تنزيها لك مما اضافوه اليك من الشركاء
انت ولينا من دونهم ۝ اى ما اتخذنا هم عابدين ولا نتولاهم ولسنا ندعوهم
ولياء انت العالم بامورنا وافترائهم علينا كذبوا علينا ولا نتولاهم فلا كانوا يعبدون
الجن اى اطاعوا الشياطين فى عبادتهم اياها لان الشياطين كانت تدعوهم الى ذلك
وكان اكثرهم بالشياطين مؤمنين قوله تعالى ۝ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض
نفعا ولا ضرا اى يقال لهم اليوم لا يقدر بعضكم لبعض حين يقع ولا يضر ويقول احدهم
النار يا مرسى الله للذين ظلموا ذوقوا ۝ عذاب النار التى كنتم بها تكذبون فى الدنيا
قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما
كان يعبد اباؤكم ۝ معناه واذا قرئ على اهل مكة اياتنا وهى القرآن واضحات
الحجج قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان
يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الذى اتانا به الا كذب مفترى يعنون القرآن ۝ وقال
الذين كفروا للحق لما جاءهم وهو القرآن ۝ ما هذا الا سحر مبين ۝ قوله تعالى وما
اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اى ما اتينا اهل مكة من
كتب يقرؤنها والمعنى من ان كذبوك وقالوا ما هم كتاب ولا نذير يأتيهم من الله تعالى
وما ارسلنا اليهم قبلك يا محمد من رسول يبشرهم ويخبرهم عاقبة من كذب قبلهم فقال
وكذب الذين من قبلهم ۝ يعنى الامم الكافرة ۝ وما بلغوا معشار يعنى اهل مكة
معشار ما اتيناهم ۝ اى ما بلغ هؤلاء الذين ارسلت اليهم عشر ما اوتى الامم قبلهم
من القوة والعدد ۝ فكذبوا رسلى ۝ فانظر كيف كان نكيرى عليهم وتغييرى لهم
ليتعظوا مهلكين بالعذاب اذ لم يؤمنوا والمعشار والعشير جزء من عشرة

قال ابن عباس المعنى وما بلغ قومك معشار ما اتيناهم من القوة وكثرة المال
وطول العمر فاهلكناهم الله قوله تعالى قل انما اعظكم بواحدة ٥ اى امركم
واوصيكم بخصلة واحدة وهى ان تقوموا لله مثنى وفرادى اى لتقوموا لله اثنين
اثنين وواحدا واحدا فتناظروا وتفكروا فى امر النبى صلى الله عليه وسلم
هل ترون فى فعله وقوله ودعايته الى توحيد الله ما يكون من كلام المجانين وانما
وهم كلام عالم حازم قال مقاتل والمعنى لا تفكروا لرجل منكم وحده ومع
صاحبه بل فكروا ان خالق السموات والارض دليل على ان خالقها واحد لا شريك
له قوله تعالى ما بصاحبكم من جنة ٥ وذلك ان المشركين قالوا ان محمدا صلى الله عليه
وسلم ساحر مجنون فقال الله تعالى ما بصاحبكم من جنة وما بصاحبكم مجنون وعلى
هذا المعنى يكون قوله ما بصاحبكم من جنة ابتداء كلام من الله تعالى ويجوز ان يكون
المعنى ثم تفكروا فتعلموا بطلان قولكم فى نسبته الى الجنون وقوله تعالى ان هو الا نذير
لكم اى ما هو الا رسول مخوف ٥ بين يدى عذاب شديد اى من بين يدى القيامة لكى تخلصوا
انفسكم من عذاب الله والتلاقى للتوحيد قوله تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو لكم
معناه قل لهم يا محمد ما سالتكم على تبليغ الرسالة اجرا فتتهموني وقوله تعالى
فهو لكم هذا كالرجل يقول لغيره ما اعطيتك فقد يريد بذلك لم اعطه شيئا
وقوله تعالى ان اجرى الا على الله ٥ اى ما ثوابى الا على الله ٥ وهو على كل شى
من اعمال العباد شهيد قوله تعالى قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب الحق هو
الوحى بالسنتهم والحض والكلام قال الكلبى معنى الآية قل ان ربى يأتى بالحق اى يتكلم
بالوحى وهو القرآن يلقيه الى نبيه عليه السلام والمعنى قل ان ربى ينزل الوحى
من السماء فيقذفه ويلقيه الى الانبياء عليهم السلام وقوله تعالى علام الغيوب طاهر
المعنى ٥ قل جاء الحق يعنى الايمان والقرآن اى ظهر الاسلام والقرآن ٥ وما يبدئ
الباطل وما يعيد ٥ معناه ذهب الباطل وهو قول من قال لقيه يبدى شيئا ولا يعيد
وقال الحسن الباطل كل معبود سوى الله فان كل معبود سوى الله لا يبدى
لاهله خيرا فى الدنيا ولا يعيد خيرا فى الآخرة وقال قتادة الباطل ابليس اى ما خلق
ابليس احدا ولا يبعثه ويجوز ان يكون هذا اسقاطها ما كانه قال قل اى شى يبدى
الباطل اى شى يعيد ٥ وعن ابن مسعود قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود معه ويقول جاء
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد اى
ذهب الباطل بحيث لا يبقى له فيه لا اهل ولا ارض بادوا ولا اثر أو لا اعادة كما قال

تعالى

والجنون والكهان
الانسان بشي لا يحقق
الى بالغيب اى يقذفون
ن والغيب على هذا الظن وهو
كان بعيد يعني بعدهم عن الحق و
ون لا بعث ولا جنه ولا نار قوله تعالى
اي حيل بين هولا الكفار وبين الرجعه
هم وبين الايمان والتوبه كما فعل باشا
شاههم ومن كان على مثل حالهم من الكفار
ا توا في شك من البعث ونزول العذ
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ل ولا نبي الا كان له يوم القيمه
تفسير للفقيه ابي بكر الحداد
[illegible]

قال الشاعر

ملاث في البطيخ مدح وفي النسوان منقصة وذله
خشونة جلدها وثقل فيها وصفرة لونها من غير علة

١٣٠